إحياء علوم الصوفية

تأليف

محيي الدين الطعمي

المجلد الأول

المكتبة الثقافية

بيروت

إحياء علوم الصوفية

تأليف

محيي الدين الطعمي
محمد يوسف جلال الدين
لقشبندي مجددي

المجلد الأول

المكتبة الثقافية
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

المتجلي بعروش النور في شتى البقاع، والمتنازل عن أحكام الأحدية كي تبرز من عين القدرة فنون الاختراع، ملك بديع، ورب شفيع، تحلى بما لا يدرك، وتنزه عن كل شيء يدرك، فهو لا يدرك بما يدرك، ويدرك بما لا يدرك، من هو سل ليلى، وإن شئت فقل سلمى، أو ربما لبنى، قف يا فتى، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، دعنا من عبارات التصريح، وابرز لي بكنايات التلميح، فهو عندي غاية المجد المريح، هلك أصنام الجمود، وفقهاء الجحود، الذين قتلتهم نصوص الشريعة، ولم يفهموا أن الشريعة حقيقتها كنوز جواهر بديعة، لم تكشف لهم، ولم ترصد لأجلهم، لأنهم عمي، وآلة بُكْم، مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارًا، وهم قائمون في هذا المقام غصبًا وإرغامًا.

وأصلي

وأسلم على صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، هيكل العوالم، وناموس المعالم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فاعلم يا فقيه الأولياء، وسلطان الأصفياء، أنني لما رأيت التصوف قد

أصبح اسمًا بلا رسم، وسرابًا بلا رجم، أحببت أن أحييه، وأنفخ من روعي فيه، فجعلت فيَّ في فيه، فإن لكل قرن إمامًا يقتدى به، وينتهي الناس إليه، واللبيب بالإشارة يفهم، وعن روح الحضرة يترجم، ويفك رموز ما هو مطلسم، وترجمان الحضرة أخبرنا بهذا، فلا تقل لماذا؟ من أنت يا ضعيف حتى تغامر، وتتآمر، على أساطين الوجود، وأساطيل أهل الشهود، ليوث الحضرة، الجهابذة السفرة، الكرام البررة، فأنت لست معهم، حتى تلحقهم، بل لا يصح لك أن ترى أثرهم، ولا أن تلثم نعال ترابهم، هذا ليعلم القوم من المتكلم المطلق بلسانهم في هذا الوقت، ومن المجدد المنفرد من أهل السمت، ولا ينكر الفضل إلا غراب غربيب أعمى، وكلب أقعى، رجل أنثى، لا يحمي الحمى، أنا لم يؤدبني أحد، إلا واحد يُدعى الله الأحد، ولا فضل لمخلوق عليَّ في الوصول، سوى الله والرسول.

عنقاء مغرب برزت مرة أخرى، تحيي ما مات تحت الثرى، فأخرجته جثة هامدة، وأشلاء عفنة، فجعلته جديدًا، بعد أن كان قديدًا، لما أجرت لعابها فيه فصار عنصرًا فريدًا، وناموسًا وحيدًا، صاحت فأخرست الكل، واستظل الجميع تحت جناحها بظل، فلا تتكلم بهل، ولا تعلل، ولا تتململ، نسي أهل الحضرة من هذه العنقاء المكتومة، ربة الحقائق المعلومة، ولما نظروا في صفحات هذا الكتاب ذهلوا، ولم يحق لهم بعد ذلك أن يجهلوا، كل ما قلته هو ذرة في حق هذه العنقاء، صاحبة العصمة العصماء، المنقوش على ريشها ختم الولاية، وبين كتفيها شعرات من خاتم نبوة العناية.

اعلم

أيدني الله وإياك بروح القدس أن هذا الكتاب صنفته معجزة للقوم وقد حوى جميع العلوم التي تكلم فيها أهل الإسلام قديمًا وحديثًا مثل التصوف وعلم الباطن اللدني والحديث والفقه والتفسير والبلاغة والشعر والتاريخ وعلم الحرف وعلم المنازلات والدقائق وعلم المناظرة وعلم التوحيد والكلام والعقيدة والحديث الموضوع وعلم الآخرة وعلامات الساعة وأحوال البرزخ والقبور وعلم

الفضائل والمناقب والكرامات والسيرة وأوصاف النبي ﷺ وعلم الأدعية وأسرارها وشروح ما أشكل من كلام القوم وما عمق من معاني ألفاظهم وضبط مصطلحاتهم على الكتاب والسنة وشرح معاني أسماء الله الحسنى وعلوم مجاهدة النفس.

ويحتوي هذا الكتاب أربعًا وتسعين كتابًا ورسالة فيها عجائب علوم القوم من المبتدىء حتى المنتهي في السلوك، وينتفع المريد بكل علوم الدنيا والآخرة إذا قرأ في هذا الكتاب.

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

انظر الكعبة حسن طاف زائرها … سلها تجبك لقد طافت بنا سحرا
دومًا أردت المجد من بدء الورى … في عالم الذر القديم فهل ترى
مذ كنت آدم في الرموز خليفة … في حضرتي سجد الملائك والورى
انظر لحاظي شاخصات للعلى … والعرش يزهو نحو مجدى قد جرى
كلي عيون في الحقائق قائم … بالحق أحيي من أراه مصورا
عنقاء مغرب في العلوم معارفي … ختمي ونقشي عند عرشي في الذرى
لي عزة الملك القديم طلائع … راياتها يوم القيامة تنشرا
روحي أراها في الغرام قديمة … تبدي علومًا لا أراها تشترى
من حضرة الناموس وهي فريدة … أسفارها عندي أحدث في الورى
توراة موسى ثم إنجيل أتى … فرقان أحمد في دمائي قد سرى
أكمل علومك من حقائق وجهتي … تعطي مقامًا مني فوقك ينثرا
روحي وراحي ثم راحة مهجتي … ذابوا طويلًا في صفائك أبحرا
روحي لطافتها يذوب صفاؤها … انظر تراني جوهرًا متبلورا
بلورة الأرواح وهي زجاجة … من ماء زيتي تستضيء فتبهرا
إن كنت في حكم الغرام مقصرا … فالوصل يحيي في الغرام مقصرا
أشواق عشقي في الغرام قديمة … مذ كنت في الأزل القديم محررا
شمسي وقمري أنت محبوبي الذي … ضيعت عمري مذ كنت محيرا

أنت المعـذب والعـذاب يـا قـاتلي ذنبي عشقتك فـاستبحـت لتهجـرا
وانـزع ثيـابـك إن أردت تطهـرا من مـاء قـدسي في الحظيرة طهـرا
واخلع نعالك عن بساط شهـودنـا واتـرك دعـاوى لا أراهـا تغفـرا

ويحتوي هذا الكتاب على اثنين وتسعين كتابًا ورسالة هذه أسماؤها:

١ - كتاب قانون الجمال الإلهي.
٢ - كتاب قانون الكمال المطلق.
٣ - كتاب هدهد سليمان.
٤ - كتاب خاتم سليمان.
٥ - كتاب روح وريحان.
٦ - كتاب عصا موسى.
٧ - كتاب النكاح المطلق.
٨ - كتاب قانون الفناء والبقاء.
٩ - كتاب المسائل الخضرية.
١٠ - كتاب المضنون به على من لا يستحقه.
١١ - كتاب جنون الموحدين.
١٢ - كتاب نسيان المحبة من ازدياد القربة.
١٣ - كتاب مقام الصحابة.
١٤ - كتاب ضعف الهيكل الآدمي.
١٥ - كتاب هوان أهل البدايات.
١٦ - كتاب عروس القيامة.

١٧ ـ كتاب شرف الخرقة.

١٨ ـ كتاب قانون المشيئة الإلهية.

١٩ ـ كتاب الرحيق في أسرار مقام أبي بكر الصديق.

٢٠ ـ كتاب قانون الاصطفاء الإلهي.

٢١ ـ كتاب فضل الشيخ على المريد.

٢٢ ـ كتاب إحياء المناسبات لتشريف لابسي المرقعات.

٢٣ ـ كتاب قانون القهر الإلهي.

٢٤ ـ كتاب اللؤلؤ والمرجان في فضل الزمن المحمدي على سائر الأزمان.

٢٥ ـ كتاب رفع الملامة عن قتال الحق عز وجل عن المكانة.

٢٦ ـ كتاب قانون تداخل المقامات.

٢٧ ـ كتاب قانون ترك المقامات.

٢٨ ـ كتاب الأمجاد الحافلة بذكر بعض أسرار الغيرة الإلهية القاتلة.

٢٩ ـ كتاب رداء الكبرياء.

٣٠ ـ كتاب أسرار تنافر الأولياء.

٣١ ـ كتاب قانون اختلاف الصحابة.

٣٢ ـ كتاب قانون المبتدأ والخبر الجامع لأسرار تأديب الشيخ بالإشارة والنظر.

٣٣ ـ كتاب فضل أبي القاسم الجنيد على من بعده من الصوفية.

٣٤ ـ كتاب الفتوحات القاهرية في شرح كتاب سر المعية.

٣٥ ـ كتاب النور القدسي والجمال الأنسي في شرح آية الكرسي.

٣٦ ـ كتاب تأويل قانون وحدة الوجود.

٣٧ ـ كتاب فناء اليقين.

٣٨ ـ كتاب طبقات الأقطاب الذين تركوا التصرف في الوجود.

٣٩ ـ كتاب الأولياء الأنبياء المحمديين.

٤٠ ـ كتاب طبقات أقطاب الظاهر والباطن.

٤١ ـ كتاب صفة الديوان.

٤٢ ـ كتاب ثمن الصدق.

٤٣ ـ كتاب العارف المحض.

٤٤ ـ كتاب المراشف الخمرية اللاعقة لرضاب التائية.

٤٥ ـ كتاب سر إيمان الحق تعالى بنفسه.

٤٦ ـ كتاب حبل الله المتين في عقيدة الشيخ محي الدين.

٤٧ ـ كتاب فهرست أسماء مصنفات الشيخ محي الدين.

٤٨ ـ كتاب سدرة المنتهي في شرح أسماء الله الحسنى.

٤٩ ـ رسالة الناموس الأعظم.

٥٠ ـ رسالة الثغر البديع في فضل الصلاة على الشفيع.

٥١ ـ كتاب قانون الحب الإلهي.

٥٢ ـ رسالة فناء العاشق في المعشوق.

٥٣ ـ كتاب قانون اللذة.

٥٤ ـ كتاب جواهر التوحيد في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد.

٥٥ ـ كتاب ما يخالف المريد فيه شيخه.

٥٦ ـ كتاب اللوح المحفوظ.

٥٧ ـ ديوان عروج الأشباح إلى منازل الأرواح.

٥٨ ـ كتاب الحديقة الزوراء في فضل عاشوراء.

٥٩ ـ كتاب كنوز الذهب وقانون بلاغة العرب.

٦٠ ـ كتاب أسرار خاتم الأولياء.

٦١ ـ كتاب رد بعض الوفاء بإظهار قطرة من أسرار خاتم الأولياء.

٦٢ ـ كتاب المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء.

٦٣ ـ كتاب فك الرموز والإشارات الغامضة في كتاب المخاطبات.

٦٤ ـ كتاب طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية.

٦٥ ـ كتاب من ادعى الختمية المطلقة.

٦٦ ـ كتاب غصن الكمثرى في ذكر بعض أسرار أدعية المصطفى ﷺ.

٦٧ ـ كتاب فاكهة العريش في تحريم الحشيش.

٦٨ ـ كتاب مغازلة الحور في شرح هياكل النور للسُهْروردي.

٦٩ ـ كتاب إحياء الخرقة الصوفية وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية.

٧٠ ـ كتاب تحذير الرجال من فضائح المسيخ الدجال.

٧١ ـ كتاب اللؤلؤ المنثور في أحوال الموتى وأهل القبور.

٧٢ ـ كتاب الاعتبار بذكر أحوال أهل الجنة والنار.

٧٣ ـ كتاب اللوح والقرطاس في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس.

٧٤ ـ كتاب مقاومة الشهوة الجنسية بالقرآن والسنة المحمدية.

٧٥ ـ رسالة النور السافر في معرفة حقيقة الشهوة في علمي الباطن والظاهر.

٧٦ ـ كتاب الإسرا لتحقيق مقام الصلاة على المصطفى.

٧٧ ـ كتاب جنة المأوى.

٧٨ ـ كتاب جنة النعيم.

٧٩ ـ كتاب جنة الخلد.

٨٠ ـ كتاب جنة السلام.

٨١ ـ كتاب جنة القرار.

٨٢ ـ كتاب جنة عدن.

٨٣ ـ كتاب جنة الفردوس.

٨٤ ـ ديوان نوح العندليب من هجر الحبيب.

٨٥ ـ قانون الأنس بالله المسمى أنس الموحدين برب العالمين.

٨٦ ـ السر الموقر الذي بيني وبين الشيخ الأكبر.

٨٧ ـ محاكمة العساكر الإلهية لتقي الدين بن تيمية.

٨٨ ـ أصناف اللحية.

٨٩ ـ أطباق المرمر المطعمة في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة.

٩٠ ـ الأنفاس اللطيفة المنبعثة على حروف السور الشريفة.

٩١ ـ المناقب الفاخرة في محاسن بنت المعز القاهرة.

٩٢ ـ رسالة ماء الذهب في أوصاف النبي ﷺ.

كتاب
قانون الجمال الإلهي

الحمدُ لله

المتجلي بثياب جماله على أرقاء عباده فملكهم. وهم لا يملكونه فزاد عذابهم وأجج ضرامهم.

والصلاة والسلام على فتى الوجود وغوثه محمد النبي الأمي.

وعلى الصحب والآل.

وبعد

فهذا قانون الجمال الحاوي لمعالي الخصال.

قيل يا حكيم ما سر الجمال الساري في التعيينات المبدئية والتكوينات الأولية. أهو ظاهر في الكل أم حوى المظاهر والبواطن؟

قال الحكيم: ظهوره على المحض ممنوع في هذه الدار لقوله تعالى: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾.

ولقوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾.

فالاستواء الجمالي على عرش الميزان مجهول في الظهور المحض على الإطلاق.

لاشتراك القبح في البدء مع الجمال فهو حاوٍ للمظاهر والبواطن.

ولم يظهر محضًا ولم يبطن محضًا بل ظهر وخفى.

فقيل: عذب وملح.

وقيل: أعمى وبصير.

وقيل: ظلام ونور.

وقيل: ظل وحرور.

وقيل: حي وميت.

هذا مبلغ العلم الآدمي الظاهري الشرعي.

أما الذائق الرائق: فأقام قاعدة قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وهذا الوسع الجمالي لم يقبله أي وسع إلا ما كان في جانب الحق تعالى شأنه. لكون المخلوق لادراية له بهذه القاعدة أصلًا ولا يتحصل من طعمها شيئًا مهما اجتهد وبحث.

وهذا لكون السريان البشري ذائقًا لصفة القبح أصلًا رضي أم لم يرضَ وذاك قوله تعالى: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾. وذاك أيضًا قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.

فلا بد للخلق التعييني من تذوق شيء من ذلك الكبد وتلك الردة السافلة. أما بقاؤه في الجمال المحض فشرط مستحيل حتى يلج الجمل في سم الخياط.

إذْ هذا علم من ليس يعلم وحظيرة من لم يدخل من شؤون الإله القديمة التي مبلغ علم العالمين بها رؤيتها من خارج سور الذوق بلا ذوق.

لذا ذهب العارف الكامل ورد الأمر. فقبح: وأجل.

وهو بهذا لم يخرج عن صنيع الإله لكونه آمرًا بهذا.

ولو رأى الجمال المطلق لغلطوه فورًا وردوه قهرًا لكونه دخل بابًا لا ينبغي له. أما الجمال القديم فهو العلم القديم الذي قدر به الإله فكله جمال لكون رؤية الحق تعالى وقعت عليه دون غيره. لذا صدق قول القائل: ليس في الإمكان أبدع مما كان. ورؤية المخلوق لمعاني أخرى جمالية دون معاني الحق تعالى التي قدرها لا شك فيها نقص لقوله: ﴿**لا يُسأَل عما يفعل وهم يسألون**﴾.

فقيل: لا يسئل؟

لكون الوسع الآدمي لا أمل له في أن يسأل في مثل هذه المواطن. ولو سأل وتلقى الجواب لكان أي الجمال نقصًا وهذا نقص الذوق المطلق عند الطالب لأمجاد الجمال المطلق.

أما سر الجمال المطلق فلم يتحصل لمخلوق قط ولو بغاه لاحترق.

إذْ هذه قاعدة الإله التي لم ينازعه فيها أحد. وعن هذه القاعدة تصرف وقال: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار ولا أبالي. فشأن الحق تعالى أن لا يبالي في الدفاع عن مقامه بمخلوق. لكونه يدافع عن المكانة التي هي أعز عزيز لديه. فليس مخلوق أكرم منها.

وهذا في علمنا نسميه مقام: اللامبالاة الإلهية. وهذا مقام لا يوجد فيه دبيب لمخلوق وهو من أسرار المجد الإلهي. والعزة الإلهية.

كتاب
قانون الكمال المطلق

الحمد لله الذي له الكمال المطلق دون غيره فاستوى على ذلك العرش دون غيره. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد.

اعلم أيها الولي الحميم والصفي الكريم أنه ما كان ينبغي أن يدرك مخلوق ذرة من الكمال المطلق. وذاك قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شي﴾. أما الكمالات المنسوبة للأنبياء والصديقين. فهي ذرة من كمال الحق تعالى المطلق فلم يصلح لهم أن يدعوا شيئًا من كماله تعالى المطلق. ألا ترى المشرع لما ضاق ذرعًا قال: (لا أحصي ثناء عليك). قالوا قف على كماله المطلق بكماله المحدث إنما هو ذرة في فلاة لا غير.

وسر هذا العالم أنه قديم أزلي وما كان للمحدث أن يدعيه. أو أن يتعين له هذا المقام. أما قالب الكمال المحدث فهو عين من عيون كماله تعالى. ومقام الكمال أذوق من مقام الجمال. ورتبته في الصفات أرقى. إذ الجمال شعبة من شعب الكمال ولما كان العالم الكوني هو كل ما سوى الله. فقد صار ليس كمثله شيء قط. وصار بنعته مخالفًا للكل. وهذا نهاية الكمال والذوق الجمالي في هذا الفن الفريد.

إذ الكمال هو مخالفة الكل. فلا مناسبة بينه وبين وهم تصوري لذا قيل الكامل هو الغريب في الأكوان الذي لا طعم له. فهو جوهر فريد. أما أوهام

الكمال المطلق فهي الأوهام التي أدركها رجال من أهل المعرفة من كمالات الحق تعالى فظنوها من كماله المطلق سبحانه وتعالى فوقعوا في لبس الظنون. فذاك سنا برقه سبحانه وتعالى الذي قيل فيه على لسان الحضرة: ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾. فأين صحة دعواهم. وقد ادعوا أن سنا برقه من كماله المطلق؟ وهذه أوهام الكمال المطلق. فما بالهم لو اطلعوا على برقه دون سنا ذلك البرق؟

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن كل كمال محدث فهو ذائب في مقام الكمال الإلهي المطلق. وذاك من قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا﴾. فأين الكمال الموسوي الذي لم يحتمل تجلي الحق على الجماد. فكيف به لو تجلى له دون الجبل؟

كتاب
هدهد سليمان

الحمد لله رب العالمين المتفضل على عباده بالنعم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ،

فقد صحت لنا على لسان الهدهد السليماني أقوال حاج بها سليمان بن داود عليه السلام وذاك قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ . وهذا سر الهدهد السليماني.

إذْ أن علم الأفراد خافٍ عن الغوث فلا إحاطة له به حتى يقول الأخير: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ . فكيف يدرك الهدهد ما لا يدركه نبي بعلم اليقين. حتى ينظر أصدق أم كذب الهدهد.

وكان من شأن الأفراد أي المفردون المحققون لما عجز عنه الأكابر إدراك مذاقات فريدة حجب عنها كبير الأولياء في عصره.

وإذْ رآها فلن يصل إلى تحقيق أصغر شيء منها. فكيف بمقام الهدهد أن يحقق ما لم يحققه سليمان النبي الملك وذاك كالمقام الخضري لما حقق ما لم يحققه موسى عليه السلام.

فهذا يا ولي شأن المفردين؟

أي ولي الله وصفيه فما بالك بالحق تعالى أقام العباد فيما أراد فلا اعتراض عليه يعلم الكبير بالصغير. ويعلم الغني بالفقير. والجليل بالحقير فلا اعتراض لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهذا سر الأدب الإلهي الساري في التعيينات في العالم الأول فلا كبير على ذات الحق تعالى بل الكل قائمون على عرش أدبه متلقون لعجائب ذاك الاقتدار وهم يقولون لا نسألك رد القضاء ولكن اللطف فيه وهذه التحف المخالفة للمظاهر مدار الأمر عليها عالم الحيرة المحض. الذي لو دخله الفتى الضرغام لصار لا حول له ولا قوة.

وكان من شأن الأكابر قبول ذاك القضاء بشرطه وعيبه الظاهري وآدابه الشرعية وإلا فلا وصول بلا هذا الذوق. فافهم. وخفي عليهم أن الحق تعالى اشتراهم فقال لهم: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾. فهم باعوا وهو اشترى فلما علم صدق أدبهم قال لهم: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾. والثمن بين البائع والمشتري له وجهان: وجه ظاهر وهو الجنة فقال: بأن لهم الجنة ووجه باطن وهو صدق الرضا بما أوجدهم فيه من لجة أنياب المجاهدات والابتلاءات فاشترط على سليمان أن يعلمه هدهد في الأدب الإلهي. وقبل سليمان الحكيم هذا الشرط.

كتاب
خاتم سليمان

الحمد لله

المتفضل بنعمائه القائل: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾. والصلاة والسلام على نبينا الهادي الأمين صاحب الحوض المورود واللواء المعقود وعلى صحبه وآله الغر المحجلين وبعد:

فقد سألني السائل الإلهامي الفوري عن الخاتم السليماني وسره وحقيقته؟ فقلنا: هو رمز الملك الظاهر والباطن الذي تحقق سليمان فكان ملكًا نبيًا. وحقيقته أخفيت في سر الخاتم. الذي هو رمز هذا المقام وذوقه المحض. قيل يا حكيم الأولياء ولسان المفردين فما حقيقة هذا المقام وهل تحقق لرجال من أقطاب هذه الأمة؟

أجبنا بقولنا: اعلموا مادة المتذوقين وشيوخ العارفين.

أن ممن هو على قدم النبي سليمان من رجال هذه الأمة ممن جمع الخلافتين الحسن بن علي ومعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز والمتوكل ونور الدين زنكي. وصلاح الدين.

وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى (كتاب من حظي بالخلافة الظاهرية والباطنية). فصاحب هذا المقام جمع بين الظهور والبطون في آن واحد. فهو إمام جامع بين اسمه الظاهر والباطن. وسره الخاتم. الذي هو من التوفيق

الإلهي الرمزي المؤيد به صاحب هذا المقام. فكان من شؤونه خرق قوانين مقفلة لا يعرفها غيره.

وهذا كشأن عمر بن عبد العزيز لما أعاد أيام الخلفاء لما تولى. فكان الذئب في زمنه يحرس الغنم ولا يتعدى عليها. أو هذا كشأن المتوكل الذي رفع المحنة عن أهل السنة. ولم يرفعها أحد سواه.

وصاحب هذا المقام أوتي سر كن وهو رمز الخاتم السليماني. فهو محقق للمعضلات الصعاب. بهذا السر. الذي لا يحققه أحد سواه.

ألا ترى أن سليمان كان إذا دخل الخلاء نزع ذلك الخاتم وأعطاه للخادم. حتى لا ينجسه. فإذا خرج أخذه منه ولبسه.

فلما نزعه يومًا ودخل الخلاء تشبه به شيطان وأتي الخادم وهو في صورته فأعطاه الخاتم فجلس في موضع سليمان فصار يحكم. فلما خرج سليمان طلب الخاتم من الخادم فكذبه. وقال له: ما أنت سليمان. فهام سليمان على وجهه حتى أتى إلى شاطىء البحر فرأى قومًا يصيدون السمك فاشتغل معهم. حتى دعا الله تعالى أن يرد عليه الخاتم. فخطف طير الخاتم من الجني فوقع منه في البحر فابتلعته سمكة فصادها سليمان. وفتح بطنها لينظفها فوجد الخاتم فلبسه وحمد الله ورجع إلى عرشه وعاقب الجني.

فانظر يا ولي ما ذلك الخاتم. وما اكتنه من أحكام الملك وسر كن.

وهذا الخاتم من مظاهر الملك من ملك باطنًا وظاهرًا معًا أما من ملك باطنًا فلا خاتم له في الظاهر. كالمقام المحمدي. الذي كان صاحبه عليه أفضل الصلاة والسلام عبدًا نبيًا. فلا خاتم له في المظاهر. وقد وهب مقام الملك وتخلى عنه. لكن رمز الخاتم في صاحب الباطن منقوش بين كتفيه.

روى البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ ابن أُختي وَجعٌ فمسح رأسي ودعا لي

بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل ذِر الحجلة.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت خاتمًا في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة رواه مسلم والترمذي ولفظه: كان خاتم رسول الله ﷺ الذي بين كتفيه كان غدة حمراء مثل بيضة الحمامة.

وكان صاحب الخاتم الباطني أقوى في المقام لكون المقام إلهي التكوين من نفس خلقته. غير منفصل عنه. فلا تذهب علامته ولا تمحى ولا تسرق ولا تختلس.

أما صاحب الملك الظاهر فتأييده بالخاتم المتحرك. الذي هو معرض للخلع في مواطن الكراهة كدخوله الخلاء مثلًا.

أما الخاتم الباطن كالذي كان عند نبينا فهو ثبوتي يرد به كل المواطن حتى مواطن الكراهة. وهنا وضحت الميزة والفضل.

كتاب
روح وريحان

الحمدلله رب العالمين

المتجلي على أوفياء عباده بالصفاء والنقاء وصلى الله على محمد الفتى القانت الراكع الساجد العابد وعلى الصحب والآل. وبعد.

فاعلم أيها الولي المجذوب والمتشوق المغلوب أن الروح هو البقاء السرمدي بجوار المحبوب.

واعلم أن الريحان هو الاتصال الدائم بينهما. إذ الريحان هو الرائحة ورُمِزَ للرائحة برمز الريحان.

أما نعته فهو شم رائحة المحبوب. أو تقصّي أخباره. أو التماس ما يُسِرَّ المحب. وهذا على مقامات. يعلمها أهل الذوق. فكانت بغية المحب من المحبوب الروح والريحان. ولا ثالث لهاتين البغيتين.

وماذا بعد البقاء والوصال السرمدي مع المحبوب في دار الخلد.

وهذه هي الغاية. لذا كان طلب أهل الجنة من الحق تعالى في الجنة دومًا. أن يبقوا ناظرين إليه على الدوام. دون انقطاع. وهذا النظر هو غاية الغايات وهو المعبر عندنا برمز روح وريحان.

فالروح البقاء والريحان البقاء الوصالي المتصل سرمدًا.

وهذا المقام لا ينبغي إلا لأهل القربة الذين لهم روح وريحان على الدوام السرمدي. إذْ حياة أرواحهم بهذا القانون. وإلا ماتت الأرواح ويئست من الحياة بلا روح وريحان.

فكان الغذاء الذي أبقاهم في الجنان هو النظر. ولو انقطع الحق تعالى عنهم لحظة لماتوا وهلكوا ولا لوم.

وهذا سكر الأرواح وشرابها وخمرها الذي باعوا من أجله الدنيا بما فيها. وأهلكوا النفس من أجله. وباعوا المال والأهل لحصوله ونواله. فكان محل نظرهم الحق تعالى بلا انقطاع فهم في حياة سرمدية معه على وصال مطلق.

كتاب
عصا موسى

الحمدلله رب العالمين المتجلي على قلوب أصفيائه بأنواره الباهرة وأسراره القاهرة. والصلاة والسلام على سيد ولد آدم ولا فخر وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

قال القائل: ما سر العصا الموسوية يا ولي الله وصفيه؟

قلنا: العصا الموسوية كانت حجة كناقة صالح عليه السلام. وكان من شأنها أنها آية مكرية. قلما يبدو مثلها في الآيات.

ومن أبوابها هذه كونها تنقلب حية. وكونها تشق البحر نصفين. وتجعل الماء يابسًا. وكونها تبلع كل شيء تؤمر ببلعه. وهذه خصائص مكر واستدراج. فيها إذلال لأهل الكفر. لما يرون ظاهر العصا حقيرًا. فإذا مكرت أتت بباهر الآيات الخارقة.

فهنا تجعل الكبير صغيرًا والجليل حقيرًا والغني فقيرًا والشجاع جبانًا والذكي بليدًا.

فآية هذه العصا قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾. إذْ علامتها إبراز الخارق الجديد الذي لا يتوقعه اللب. وكان هذا الإبراز هو عين الاستدراج. فكلما جدَّ جديد، زاد الاستدراج. وزاد المكر في صفة العصا. وزاد عناد الكافر اللئيم. وهذا لكون قوم موسى قومًا آذوه كثيرًا

فصلح لهم هذا اللون المكري العجيب. إذْ لا يصلح في مشربهم سر كن. لكونه سرًّا قاطعًا لا تحتمله قاعدة المكر. وهذا من أسرار أرباب الابتلاء ألا ترى أبا القاسم (ﷺ) قال: (رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر). وكانت حجة الصابر على اللئيم أن يمكر به لكون اللئيم قد ملئ مكرًا. فظن أنه قد حاز كل ما يتعلق بهذا العلم. ونسي قوله تعالى: ﴿إن رسلنا لديهم يمكرون﴾.

فمن رسله الذين هم في هذا المقام المكري العجيب؟ أتراه موسى أم عصاه.

كتاب
النكاح المطلق

الحمد لله الخالق للذة. التي هي منى الفائزين ومرام الصابرين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

قد عبرنا عن تجاذب الموجودات الإنشائية والسريانية في كل الخلق بالنكاح المطلق. وهذه قاعدة إلاهية سارية في مجموع الوجود. ولا حياة للوجود بغيرها.

أقام الحق تعالى بها كل موجود. فكل موجود حيّ بها.

ومن ثم جعل سبحانه وتعالى من كل شيء زوجين اثنين.

وهذا معنى النكاح المطلق. أنه أطلقه على كل شيء فقال: ﴿ومن كل شيء جعلنا زوجين اثنين﴾.

وهذا النكاح المطلق له وجهان.

الوجه الأولى: ظهوري.

والوجه الثاني: باطني.

وشرط النكاحين الولوج.

فلا نكاح بلا ولوج.

وتجمع هذا الولوج في المتضادات المعنوية الغير ملموسة. كالنور والظلام والإيمان والكفر.

ومن هذه القاعدة قالوا بنقص الإيمان وزيادته. لما تحققوا من قاعدة الولوج. فإذا غلب ولوج المعصية على الطاعة نقص الإيمان. وإذا غلب ولوج الطاعة على المعصية زاد الإيمان.

وشرط الولوج في الضدين تولد اللذة أو الألم. كالذي ينكح بلذة والمنكوح يتألم.

فترى على هذه القاعدة الوجود سائرًا كله في الولوج والدخول والخروج.

وهو قائم في قاعدة النكاح المطلق.

وهذه الصفة منتفية من الجانب الإلهي. لكونه تعالى لا يدخل ولا يخرج. بل هو في الكل متعين.

فكانت صفة النكاح المطلق للمحدث المخلوق.

وهذا علم تحقق به القطب المكاشف الذي يرى سر الوجود كلما ناكح بعضه البعض. فهو قائم في قاعدة الجذب السرمدي.

فاعلم هذا السر يا ولي الله.

وما أعجب منه لما نراه هو نفسه مجذوبًا بقوى هذا الجذب القهري الذي يغلب على خُلُقه فيقتدي بنبيه (ﷺ) الذي حبب إليه من دنياه النكاح.

وما أعجب الحق تعالى إذْ يفرح برؤية قطب الوجود محبًا للجماع مستكثرًا منه طالبًا له بكل إرادته. متذللًا لهذا المزاج الشهواني الرباني.

كتاب
قانون الفناء والبقاء

الحمد لله الباقي بلا خلود. القديم بلا حدود. فهو المحيي والمميت. والمبقي والمفني.

وصلى الله على غوث الوجود وشيخه محمد النبي الخاتم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن قانون الفناء والبقاء قانون، عجيبٌ رسمه، غريبٌ اسمه.

فالوجود قائم بصفة الفناء والبقاء. التي أوجدها الحق تعالى فيه.

فكل الآثار متصلة بهذا القانون. ولما كانت صفة الحق تعالى القدم والبقاء. فقد بعد عنه الفناء والنوم والغفلة والفتور. وكل ما لحق بهذه المعاني وأقسم الحق تعالى أن لا يبقى سواه فلا يبقى الا وجهه.

فقيل في حضرة المواثيق: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

فلا بد للمخلوق أن يتذوق شيئًا من مرارة الفناء. رضي أم أبى.

وكان الله ولا شيء معه فأوجد الأعيان من العدم ومن ثم أنهاها بالعدم.

وكان من شئوون المجد أن لا يشارك مخلوق الحق تعالى في أوصافه. فهو ليس كمثله شيء.

ومن ثم كرم الإله عباده المخلصين فأعطاهم نفحة من نفحات بقائه السرمدي أسماه الخلود.

فإن قيل: هل تجوز صفة الخلود في المولى تعالى؟

أجبنا: هذه الصفة غير متحققة في الأوصاف الإلهية بل هي صفة جائزة للمخلوقات. وقد فصلنا هذا في كتابنا (تكملة الفتوحات المكية).

ومن ثم كرم أعيانًا أخرى فوهبها نفحة من نفحات الأزل فأوجدها قبل الأعيان الكلية كالعرش الذي أوجده من النور المحمدي. قيل: كان الله ولا شيء معه وكان عرشه على الماء فإن الروح المحمدي هو روح العوالم ومنه إنبثق الكون كله كالعرش واللوح والقلم.

فكان كرمه للمخلوق كرمًا ناقصًا عن رتبة مجده في الأزل والأبد والقدم والبقاء. وهذه قاعدة تحققت طوعًا أو كرهًا. واعلم يا ولي أن كل ما ظهر في الوجود فهو محدث مخلوق. ولو كان قديمًا لشارك الحق تعالى في قدمه ومن ثم بطلت ربوبية الحق تعالى.

وبهذا كفروا الفلاسفة لما قالوا بقدم العالم.

لهذا وجب على الكون الفناء لما كان أصله العدم فهو إلى العدم سائر. فقيل: ﴿**إذا الشمس كوِّرت ★ وإذا النجوم انكدرت ★ وإذا الجبال سيرت ★ وإذا العشار عطلت ★ وإذا الوحوش نشرت ★ وإذا البحار سجرت ★ وإذا النفوس زوجت ★ وإذا الموءودة سئلت ★ بأي ذنب قتلت ★ وإذا الصحف نشرت ★ وإذا السماء كشطت ★ وإذا الجحيم سعرت ★ وإذا الجنة أزلفت**﴾.

فوجب على التعيينات الأولية قانون الفناء أولًا وآخرًا.

فهذه صفة البقاء المطلق التي لم تكن لمخلوق قط بل هي من شئوون الإله تعالى.

قانون
المسائل الخضرية

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الغر المحجلين.

وبعد

فإن المسائل الخضرية هي لب الشغاف الجامع لعلم الباطن.

قيل لما خرق الخضر السفينة واعترض عليه موسى عليه السلام فقال له: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا﴾.

أراد الخضر عليه السلام أن يقول لموسى (أتذكر يا موسى يوم أن وضعتك أمك في التابوت في اليم وخافت عليك ولكنك سلمت وهذا من ذلك فَلِمَ تعترض؟).

وقيل لما قتل الخضر الغلام واعترض عليه موسى فقال: ﴿أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا﴾.

أراد الخضر عليه السلام أن يقول لموسى: (أتذكر يا موسى يوم أن وكزت الرجل فقتلته وقضيت عليه. فهذا من ذلك فَلِمَ تعترض؟).

وقيل لما أقام الخضر الجدار المنقض واعترض عليه موسى عليه السلام فقال: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرًا﴾. أراد الخضر عليه السلام أن

يقول لموسى: (أتذكر يا موسى يوم أن سقيت لابنتي شعيب بدون أجر فهذا من ذلك فَلِمَ تعترض؟).

أي ولي الله وصفيه هذا موسى المشرع وهذا الخضر صاحب الباطن الفتى اللدني صاحب التفريد.

فكيف تنقلب الحجة على موسى؟

أين المشرع من الفتى اللدني؟

أتراه غاب عنه المقام أم علمه وترك التحدث به أدبًا مع ظاهر الشرع.

وفي هذا المشهد العجيب أنشدنا قولنا:

الشرع سور قد أحاط بباطني — وحقيقتي تخفى عن الجهال
تسعون بحرًا قد جرت في باطني — ما غيبتني عن حقيقة حالي
موسى حكيم الله يحكم ظاهرًا — والخضر يحكم بالقضا في الحال

ولما كان أدب المشرع هو مظاهر الحقائق فقد صار هو الكمال دون غيره.

ولا لوم على الخضر.

ولا لوم على موسى.

لتعدد المشارب. فكل له لون وغرام يثيره.

وظلت حقائق الوجود السرمدية قائمة بتعيين الوظائف وتفرقها على الأعيان.

قال تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾.

وهذا البرزخ هو الفاصل بين الوظائف الإلهية فلا يطغى كل فرد على أخيه.

فالأفراد قائمون في ممالك الحق تعالى منفذون لوظائف الإله بلا توقف.

ولو علا فرد رتبة أخيه لتوافر عند الآخر ما لا يوجد عند الثاني ويحوز فضيلة ليست عند الأول.

هذا كالبراء لما انتصر به المسلمون يوم تستر لما حمي الوطيس على المسلمين.

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن أنس بـن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك.

فلما كان يوم تستر انكشف الناس فقالوا يا براء اقسم على ربك.

فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك. قال فاستشهد.

فجمع البراء يا ولي ما لم تجمعه الصحابة كلهم فحاز هذه الفضيلة دونهم وهذا كحيازة أبي عبيدة للقب الأمين الذي قيل فيه على لسان الحضرة النبوية: لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدةبن الجراح.

أو هذا كاختصاص أبي بكر بعلم اليقين.

أو كاختصاص علي بالعلم الباطن دونهم أو كاختصاص عثمان بالحياء.

أو كاختصاص عمر بالفرقان.

أو كاختصاص سعد بالدعوة المستجابة.

أو كاختصاص خالد بن الوليد بالنصر في المعارك.

أو كاختصاص أبي هريرة بالنقولات النبوية.

أو كاختصاص أبي ذر بالغربة والانقطاع والانفراد عنهم.

كتاب
المضنون به على من لا يستحقه

الحمد لله الذي تولى عباده الصالحين فغمرهم بحنانه وعطفه. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة.

والصلاة والسلام على غوث الوجود وشيخه محمد (ﷺ). وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن للحق تعالى ضنائن يضنُّ بها على أهل الحجب.

فمن ذلك طلبهم للولي. وهم ينكرون وجوده.

فلما يطلبون المفقود ؟

وكيف فقد حتى يطلب.

بل هو منتشر كالسكر في الماء يذوب فيه فهل تراه؟.

فتجد الولي أقرب الناس إليك وأنت تبحث عنه.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الشيخ الواصل مفقود. وهذا مردود قطعًا.

إذْ أنَّ كل عصر يحوي من الشيوخ الواصلين النائبين عن رسول الله (ﷺ).

ومن تلك الضنائن ظنهم الموت الكلي لرسول الله (ﷺ). فلا أثر له في العوالم.

وهذا جهل إذْ هذا رسول الله (ﷺ) يحكم في العوالم يراه الكمل يقظة فكيف بهم يحكمون بموته موتًا كليًا. لا تأثير له.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن العالم إنما هو ما تراه العين لا غير. ولا عوالم أخرى ترى بالبصائر.

وهذا جهل إذْ هذا عالم الجن وهذا عالم الملائكة وهذا عالم الروح وهذا عالم الخيال.

كلها عوالم تراها العين بالبصيرة. ومن تلك الضنائن ظنهم انعدام تأثير همم أهل الولاية في العوالم. وانقطاع التصريف بالهمم. وهذا انقطاع ذوق من أهل الفهوم.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن المكر الآدمي لا يطلع الحق تعالى على دقائقه. وأنَّ بعضه أقوى من المكر الإلهي.

فقالوا: ﴿فأتنا بما تعدنا﴾.

وهذا وهم محض.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الحق تعالى غير مطلع على دقائق الذنوب وصغائرها. وهم واهمون في هذا الباب لا محالة. لقوله تعالى: ﴿يعلم السر وأخفى﴾.

ومن تلك الضنائن قولهم بعدم التوسل بأهل الولاية من الأموات لانقطاع تأثيرهم في العوالم. حتى أن بعض الجهلة عدَّ رسول الله (ﷺ) من هؤلاء. وهذا غلط خطير.

ومن تلك الضنائن تصدرهم لمقام المشيخة بدون إذن رباني أو كادعائهم للعلم وتصدر مجالس الأئمة بلا تلقٍ أو سندٍ أو إجازة أو شيخ أخذوا عنه العلم. وهذا استعجال لمقام الوصول. بغير حق.

ومن تلك الضنائن بحثهم في حقيقة الروح بغير ذوق. لعدم وصولهم إلى سر هذا المذاق. ومن تلك الضنائن إنكارهم أن رسول الله (ﷺ) اطلع على حقيقة الروح.

ولو علموا أن أولياء من رجالات أمته اطلعوا على سر هذه اللطيفة لعضوا الأنامل من الغيظ. وهذا من الضنائن التي غابت عن هؤلاء.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الولي غير مطلع على الخواطر الآدمية. وهذا جهل مركب.

إذ أن ذوق الاطلاع استفاده أهل الولاية من رسول الله (ﷺ). ومن تلك الضنائن ظنهم أن الحلال غير موجود في هذا الزمان. وهذا وهم.

ومن تلك الضنائن ظنهم العجز الإلهي في الابتداع والاختراع.

وهذا وهم إذ أنه سبحانه كل يوم هو في شأن يبدي ما لا يبديه قبل ذلك.

إذْ ما كرر الحق تعالى صورة من إبداعه مرتين. فالتكرار منتفٍ من حقه تعالى. لكونه عجزاً محضاً من إيجاد الجديد.

ومن تلك الضنائن افتراق أمزجتهم عن أمزجة أهل الحق. وعدم اتفاق المزاجين سواء بسواء. وهذا من علوم القدرة الإلهية.

فترى جحودهم لا تقنعه أدلة بل هو قائم على مذهب الإنكار والضلال.

وهذا حجاب مبين.

ومن تلك الضنائن عدم اقتناعهم بأن الحق تعالى كان ولا شيء معه. فيقول قائلهم: خلق الله الخلق فمن خلقه؟

وهذا حجاب كفر.

ومن تلك الضنائن عدم تخوفهم من دعوة الولي عليهم.

وهذا جهل إذْ أنَّ دعوة الرجل الصالح مقبولة قطعًا إنْ عاجلًا أو آجلًا. فيقول أحدهم للرجل الصالح: ادعُ عليَّ أو انفخني إنْ شئت.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن ما عند الأولياء كله واحد سواء بسواء. وهذا جهل.

إذْ أنَّ كل ولي برز إلى شاشة الوجود منذ آدم حتى النفخ في الصور عنده ما ليس عند غيره. فافهم.

ومن تلك الضنائن تكذيبهم أن للأولياء خاتمًا. وهذا وهم.

ومن تلك الضنائن قولهم يوجد الخاتم ولكن لا نعرفه. وهذا وهم.

ومن تلك الضنائن اعتقادهم الصلاح في غير الصالحين من المضللين. وهذا عظم في زماننا.

ومن تلك الضنائن عدم القيام بحق الوقار للولي. فلا يقدرونه شيئًا من قدره قط.

وهذا لجهلهم بحقوق أهل الله.

ومن تلك الضنائن يأسهم من التوبة النصوح. وهذا وهم عظيم.

ومن تلك الضنائن إنكارهم للأقطاب والأبدال والأوتاد. والاعتقاد بأنهم غير موجودين في هذا الزمن.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الولي غير مشاهد للوح والقلم والعرش والجنة والنار وشتى المناظر الإلهية كدركات الجحيم ومنازل أهل الجنة. وظنهم وهم.

ومن تلك الضنائن إنكارهم أن الولي يبلغ درجة الكمال.

كتاب
جنون الموحدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فقد سألني السائل عن جنون الموحدين ما شأنه ولِمَ جنوا ؟

فقلنا لهم قول القائل:

جننـا بليلـى وهـي جنـت بغيرنـا   وأخـرى بنـا مجنونة لا نـريـدهـا

إذْ أن القوم جنوا بليلى وهي جنت بغيرهم. فكيف لا يجنون في تقديس التوحيد ؟

ووقف الموحد بشاطىء البحر الأعظم ألا وهو بحر التوحيد. وغشي عليه لكثرة رؤيته لمن هو مثله قد شغله جنون التوحيد وغرام التفريد.

فقال: ما شأن القوم قد وحدوا فجنوا ؟

فعظم عليهم هول الموقف لما رأوا كثرة من هم موحدون قد وقفوا خشعًا على شاطىء ذلك البحر الأعظم. عظم على الموحد أنه لم يوحد. فأشفق على نفسه. فواهًا وواهًا عليه إن اشترك معه أحد في هذا الأمر.

قيل: ما جنونك في التوحيد ؟

فقال ذاك المجنون: جننت غيرة أن يوحده غيري فينال ما لم أصل إليه.

فإخلاصي لك بلا ثمن. ولا ثمن أطلب غير التمتع بمنظر رؤيتك. فكيف أوحدك ولا أراك. إني أكاد أذوب شوقًا إليك. أو أكاد أتفتت بلا قربك. من أنا بغيرك. ومن أنت بغيري. نحن روحان حللنا بَدَنًا. ما أنت إلا أنا. وما أنا إلا أنت. لا فرق. ومن فرق فهو المجنون لا غير.

ما هذا التجني وما هذا الصد؟ إلى متى ذا الهجر والخصام؟ يا أنا

تعالوا بنا حتى نعود كما كنا	فما عهدنا خنتم ولا عهدكم خنا
ونترك وشيًا والوشاة وطائرًا	غرابًا لوقع البين في ربعنا غنا
ونطوي بساط العتب والحب والجفا	ونرمي السوي والبين ليت السوي يغنى
عسى أن يعود الشمل والحي مثل ما	عهدنا وعود الوصل أثماره تجني
وينشد حادي الحال عني مترجمًا	ألا لا أعاد الله بينًا نأى عنا
أأحبابنا طيبوا فلم يك ما مضى	سوى حلم كاللفظ ليس له معنى
فلا طال هجران ولا ثم عاذل	ولا سهر المشتاق ليلًا وقد حنا
ولا كان ما قلتم ولا كان ما قلنا	ولا بنتم عنا ولا عنكم بنا

لقد حق لمن جن في هواك أن يجن لكونه جن بحق. فهذا المجنون العاقل.

أهكذا تعذبه؟ أهكذا تذله؟

أهكذا تهينه؟ أهكذا تسلوه؟

أهكذا تغربه في البلاد عن الأهل والوطن؟.

أهكذا تبعده؟.

أهكذا تقتله؟.

أهكذا تشتته؟.

وهو صابر راضٍ ببلواه. ولم تعطف. وزدت دلالًا.

عذبني كيف شئت ومتى شئت وبأي شيء شئت.

فما أعذبه من عذاب رضاب.

ما ألذه من سلوان وهجران.

وما أرقه من وداد من صافي الدل والدلال.

لقد قدستك حتى ذهلت فخرست فسكت فجننت. فظن المحجوب أني مجنون وما بي سوى حبك.

يا ضميري وسويدائي اعطف وتدلل ورقّ.

فما غاية التوحيد سوى الوصال. فمتى. ولو نظرة واحدة تكون بها حياتي. هل تراني وحدتك أو وحدت نفسي. أو وحدت نفسي وإياك. الكل مقبول. سيان.

ما أحببتك لغرض فيَّ. ولا لأجل جنتك التي لا تساوي جناح بعوضة من محبتي لك. ولا خوفًا من نارك فإني لا أخافها فعذبني فيها أبد الآبدين إن شئت. فإني راضٍ بذلك. وهذا الفعال يلذ لي منك. فهذا سر جنوني بك. وهواني فيك. وصعقي وذلي وحيرتي وهيامي.

كتاب
نسيان المحبة
من ازدياد القربة

الحمد لله الذي أحب أصفياءه فأحبوه فنسوا تلك المحبة لأجله. والصلاة والسلام على إمام الوجود سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

اعلم أيها الولي المحب والصادق الأجل أعزك الله بجلاله. أنَّ القوم لما أحبوه نسوا محبته ولم ينسوه هو فحاشا ذلك في حقهم. قيل كيف ينسون تلك المحبة؟

قلنا: نسوها لازدياد قربتهم منه سبحانه وتعالى.

إذْ قانون القربة أنساهم تلك المحبة لكونها حجابًا. وتعلقوا بالمحبوب أصلًا فافهم. فذاك قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾.

وقد فصلنا درجات المحبة في كتابنا تكملة الفتوحات المكية.

ولما صار القوم في موطن القربة نسوا محبتهم له. لما رأوه قريبًا منهم فهم أقرب إليه من حبل الوريد. وهو كذلك. فرفعوا ذلك الحجاب وأزالوه.

وذاك قولهم: إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب.

إذْ أن شروط الأدب ظاهر هذا الحجاب لا غير.

فلا حاجة للقوم بحجاب يحجبهم عن المحبوب. وذاك قول موسى عليه السلام: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾.

فكانت العجلة زوال لذلك الحجاب الغشائي الشغافي.

أما من شغلوا بالمحبة نفسها عن حقيقة المحبوب فقد وقعوا في حجاب عظيم.

وهذا كمجنون ليلى لما كان يهيم في البراري. فتأتي ليلى إليه وتقول له: أنا ليلى. فيقول لها: دعيني فقد شغلني حبك عنك.

فالمتقرب مني تـاه ونسي حقيقة نفسه في حقيقة المحبوب. فكيف يعثر عليه.

وفي ذلك المشهد العجيب أنشدنا بلسان الحال:

كسرت قيود الشرك عن عنـق ملتي ... لكون قيـودي قـد أذلـت بصيرتي
هنـاك انطلقـــت فـي سماء إرادتي ... ورحت أجول في ميـاديـن عـزتي
هنـــاك شربنــــا والشراب بقيتي ... وقـد أسكـر الخمار قـومًا بفضلتي
شربنـا رحيقًــا غير أني لم أغــب ... بشربي وغيري غـائـب فــي بقيتي
صفائي صفاء نـوره مـن زجـاجـة ... وضـوء سنـاهـا قـد أضاء بهمتي
أحبــة قلبي والغــرام ملــوِّعــي ... أراكم بقـربي فـي بعـادي وغـربتي
دعوا القلب يشرح والغـرام يحدث ... أحـاديـث ليلى والربــاب وعــزة
ففـي خبر سلمــى ثم ميــة قصتي ... وفي هجـر لبنـى ثم زينـب راحتي
فبعــدكم قــرب وقــربي بعــدكم ... وتعـذيبكـم حلـو فـرفقًـا بمهجتي
لـذاك تــراني كنــت أكتم عبرتي ... إذا ذكر العشـاق صـونًـا لـدمعتي
وفــي بــاطني قلــب تمزقا لبــه ... وإنَّ دمـاه مـن دمـوعـي السخيـة
ديــار لليلى فـــي بلاد بعيـــدة ... أراهـا بجنبي رغـم بعـد المسـافــة
يظـن عـذولي أننـا فـي تبـاعــد ... ويحسد شـوقـي إذْ يـراني بلـوعـة
ورغـم بعـاد فـي المسـافـة بيننــا ... تــرانــا نقبــل بعضنــا بحرارة

وذا عجب من قربنا وبعادنا وما عرف العشاق معنى المسافة
تلاحظني ليلى بعين خفية وكل مناها أن تنال محبتي
وتكتم حبي عن عيون عواذلي وتنطق جهرًا إن ظفرنا بخلوة
عيون القلى تبدي نفوسًا مريضة وعينك ليلى في الحنان اطمأنتِ
أذوب غرامًا إن نظرت جمالكم وأفنى فأنسى كل شوقي ومتعتي
فيكمل أنسي بعد طول تصبري وأحظى بوصل نلته بعد بلوة
جننا بليلى وهي جنت بغيرنا ومن غيرنا جنوا بنا في المحبة
أُصول الهوى منا تبدت لغيرنا فكل محب قد فنى في محبتي
وبالدف والألحان قد نلت حظوتي سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي
سل القس والرهبان عن صنف نحلتي سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي

وهذا منتهى خبر هذا المقام.

كتاب
مقام الصحابة

الحمد لله الذي اصطفى سيدنا محمدًا ﷺ وجعل صحابته خير العالمين من بعده والصلاة والسلام على صاحب الحجة البيضاء وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فاعلم أيها الخل الوفي والصاحب الرضي أنَّ مقام الصحبة الشريف لا يلحقه مقام في الفضل.

وذلك لكونهم رأوا الهيكل المحمدي الشريف وهو حي.

وهذا الفضل لا يعد له فضل في الشرف والفخر.

ولا يستوي القطب المفتوح عليه بالصحابي الأعرابي الذي لم يفتح عليه.

وهذا سره عجيب.

فكان من شرف الهيكل المحمدي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فتعس رجال أتوا من بعد النبي عليه السلام على هذا الشرف لكونهم لم يدركوه ولن يدركوه حتى يلج الجمل في سم الخياط. سئل الحسن البصري: هل عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية بن أبي سفيان؟.

فقال: التراب الذي مشى عليه معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من ملء الأرض مثل عمر بن عبد العزيز.

أي ولي الله فانظر شرف هذا المقام وعلوه.

ومن الجهالات قول المضللة أن من المتأخرة قومًا عرفوا ما لم يعرف الصحابة في أبواب العلم.

كعلم أصول الفقه وعلم الرجال والجرح والتعديل وعلم الكلام والتفسير.

والجواب أن القوم علموا كل ما سيأتي وعبروا عن هذا المعنى الغازًا لكي لا يكشفوا المختبيء. حرمة للمقام فذهب الجاهل وظن ما ظن. من جهالات المقام.

ألا ترى أن النفس المحمدية عبرت عن الآتي من الأحداث كإخبارها عن أشراط الساعة. وإخبارها بما سيحدث للصحابة من بعدها.

فمن ذلك قولها: (الخلافة من بعدي ثلاثون عامًا ثم يكون ملكًا عضوضًا). وهذا الذوق كتمانه أرقى. وأقوى. فيظن الظان أن الساكت عن هذا المقام لم يدركه.

ولكن الساكت شرب المقامات كلها وما روي لكون سكوته علمًا كبيرًا.

وكان يغلب على شيخنا عبد المجيد الشريف رحمه الله السكوت الطويل. فكان سكوته ذلك مقامًا عاليًا طوى مقامات جليلة. أصلها مقام الصحابي الساكت.

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه لم يتكلم في علم الحقائق إلا المتأخرون من الأمة المحمدية.

أما أوائلهم فسكتوا وهذا ترتب عليه علم جليل قلَّ من يعلم فقهه وشرعته. فكان فضل الساكت على المتكلم جليلًا. إذْ أصل المقام تركه ما لا يعنيه فسكت لكي يؤول كلامه وحاله من سيأتي من بعده.

أما هو فليس التأويل والتكلم في هذا العلم من شؤونه. ألا ترى أن القوم كان ظاهرهم الشرع وتركوا الخوض في مقامات العرفان حتى لا ينكر من شؤونهم شيء.

فظن الغافل الجاهل أن الصحابي الأعرابي الذي أتى من البادية جلفًا وسخًا فرأى النبي عليه السلام مرة واحدة ظنه أنه غير مفتوح عليه.

ولو علم مقام هذه النظرة الواحدة التي رأى بها النبي عليه السلام لتحقق بما نال ذلك الأعرابي من الفتح البصيري الذي استوعبه وكتمه.

ونظر الناظر فرأى علم الصحابي مخالفًا لعلم العارف المتأخر. لكون الصحابي مشربه حضرة الشرع المحمدي.

أما العارف المتأخر فمشربه حضرة الحقيقة المحمدية.

وهذا كحال ابن عمر وحال ابن عربي او كحال أبي هريرة والحلاج أو كحال عمر الفاروق والشاذلي والمتشرع ينكر أن هؤلاء على قدم هؤلاء لاختلاف العلمين ولكن إمامهم واحد ألا وهو رسول الله ﷺ. كلاهما استمد منه. وصحَّ مشربه عنه.

وهذا كحال موسى والخضر لا تقارب في المزاجين. لاختلاف المشارب حتى أنكر الخضر كثيرًا على موسى. وقبل موسى أن يتعلم منه. أدبًا للشريعة والحقيقة ففاقه في الأدب وفاقه الخضر في مقام الأفراد.

كتاب
ضعف الهيكل الآدمي

الحمد لله الذي أنشأ النشأة الآدمية وكرمها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الضعف الآدمي كان شرفًا لهذه الفطرة الهشة. وأصل هذا الضعف مأخوذ منْ قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾. فكانت صفة هذا الضعف أنه مجامع المعاني الربانية التي بغاها الحق تعالى في هذه الفطرة الشريفة. فقد خلق الجبال والحجارة والجماد صلبة صماء. فلم يكن لها شرف السمو الآدمي. بضعفه الذي حواه.

أما القوة المعنوية الحاوية لهذا الهيكل فهي شرف رباني اكتسبته الفطرة إما كسبًا أو وهبًا. ولكن ضعف الخلق يبقى فيها. وإن كسبت ما كسبت من معالي القوة المعنوية.

فكان من شرف القوة الالهية أن ترث نفحة من قوتها للضعيف لا للقوي. وتجعله يسود القوي. بهمته. ويسوق الأقوى بسلطان عقله. وقهر روحه.

أما عجائب ذلك الضعف فهو الحاوي لمهات إلاهية هي من عيون التحقيقات في مملكة الحق تعالى شأنه.

فما أعجب هذه الفطرة الضعيفة لما تفتقر للقوي الاعظم وتطلب العون منه فتقول: (إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي يا إله المستضعفين).

وهذا أعظم القوة. وبهذا يصبح الضعيف أقوى بافتقاره إلى الاله. الذي بيده تصاريف القوة.

فعلم الضعيف أن القوة لله جميعًا فطلبها منه لا من المخلوق صاحب القوة المكتسبة الفانية وقد فصلنا هذا الأمر في كتابنا تكملة الفتوحات الملكية في باب العجز.

ولما كان الهيكل الآدمي طينيًا وزينته اللطيفة الإلهية المعبر عنها بالروح. فأعطت الطين نفحة من قسمات الجمال الإلهي.

فكيف يصح له التكبر والعلو؟ بضعفه وطينيته السافلة؟ وهذا التسافل هو الرد الذي قيل فيه: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾.

ومن ثم ظهرت معاني الضعف على هذا الهيكل فصار يشتهي سريعًا ما يأكله وما يشربه وما ينكحه.

فإذا ملىء شهوة تعب فطلب الراحة فينام. فإذا شرب وأكل ونكح ونام تجبر وقهر وأذل.

وإذا وصل إلى هذا المقام ادعى ما ليس له من الاكاذيب والتخاريف.

ثم يصبح مريضًا تسقمه أدنى علة ويشكو أقل همسة أو نسمة. حتى الشوكة يشاكها ومن ثم يتعب روحه من أدق أمر فيرهقها فكرًا وهواجس.

فتراه تعبًا جسدًا وروحًا. حسًا ومعنى. ظاهرًا وباطنًا. فهذا سر الآدمي المردود إلى أسفل سافلين.

لكن قال تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ فهؤلاء شرفوا بضعفهم وعانوا ما عانوا من هذا الضعف فرفعوا إلى مقام المنة فلهم أجر غير ممنون. تحصلوه بالمجاهدة والاقبال على كبت أنياب شهواتهم وهواهم. فهذا سرهم يشهد أن ضعفهم سر شرفهم الذي وضعهم في مقام القربة والمنة.

وهذا سر قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾. فلولا الضعف لما تحصلوا مقام الإمامة. فافهم رحمك الله هذا المقام الذي أسه وأساسه الضعف لا غير.

قيل: يا حكيم الأولياء ولسان الموحدين فَلِمَ أضعفهم ومن ثم قواهم على تركب المقام فيهم؟

قلنا: وذلك لكون مقام القربة غير متحصل إلا بالتعب. وهذا العلم زكاته الالهية التعب لا غير. وهذا سر زكاته الالهية لا غير. ألا ترى أن جبريل لما أتى النبي ﷺ وهو في الغار أراد وضعه في المقام فأبى هيكله المقام وقال: ما أنا بقارىء.

وهكذا حتى قرأ فارتقى حتى أن جبريل لم يستطع أن يتقدم خطوة في مقامه ليلة المعراج. فانظر ولي الله سرَّ تدرجهم في معالي الهمم.

كتاب
هوان أهل البدايات

فإن أهل البدايات أهينوا هوانًا لا يعرف مبتداه ولا منتهاه إلا الحق تعالى.

عظم هذا الهوان على الحق تعالى فجعلهم سادة لأجل ما جرى لهم من ذل مستزيد.

أي صفي أي ولي أنت لم تخلُ ولن تخلو من هذا الهوان في حماك.

أي ولي بدايتك جعلتك عظيمًا في منتهاك بدايتك من نهايتك لا غير. أي ولي الله ها قد انتهينا في المقام لكنك تحن إلى بدايتك وما صدر منك. أي ولي الله لولا بدايتك لما عرفت قدر نهايتك.

كل ما أهنت في بدايتك كرُمْتَ في نهايتك أي سيد أي وصيف الأولياء ها أنت جالس على الحرير والديباج في نهايتك تربعت على محصول بدايتك.

ولولا غربتك الأولى وذلُّك ومرارتك وتشردك وجوعك وعطشك وسهرك وعزلتك لما خلع عليك تاج كرامته فجعلك سيدًا في الدارين.

إذْ حقيقة الهوان العز. وحقيقة الفقر الغنى. وحقيقة الذل الكبرياء. فاستمسك بالهوان والفقر والذل حتى تعز وتغنى وتتكبر.

هكذا بنيّ ليكن تحقُّقك في هذه الدار حتى تعز وتفتخر وتجني محصول ما زرعت.

أي وليَ الله ما رأيت أغنى من مهان ولا أغنى من مفتقر. ولا أكبر من ذليل. فكن كذلك بنيّ. في عكس الأمور فتنال مفاخرها. ألا ترى أن حال بداية رسول الله (ﷺ) كان الهوان والافتقار والذل فما لبث أن تحصل على كل عزيز وسامٍ.

لم أرَ أتعب وأحقر وأجوع وأعطش وأسهر وأعرى وأذل من أصحاب البدايات. ها هم سكارى تحت وطأة الاختبارات الإلهية حتى تتصفى الأعمال. وتتمحص السرائر. هذا العذاب قد صُبَّ عليهم صبًا والمجاهدات قد أفنت أجسادهم وأنهكت أبدانهم. فها هم عظم بلا لحم. قد يبست منهم الجلود. وتقطعت شعورهم ألا تراهم تحت الليل وهم يستغيثون من هول النفس والشيطان. ولا راد من يرحم؟ إله المستضعفين ارحمهم. أجرهم كما رحمت السابقين. هذا لسان الحال منهم ينشد:

ما حيلتي والعجز غاية قوتي   وأمري جميعًا تحت حكم المشيئة

ما أحلاه عذابهم. ما ألذه عند المليك. وما أرقه عند الرحمن. يحب أن يسمعه كثيرًا. لقوة اشتياقه إليهم أعظم من أهل الوصول. هم متعطشون إلى رؤياه وهو أعظم مما هم فيه من الشوق إليهم. يناديهم أن أسرعوا إليّ وتخلصوا فإني مشتاق إليكم كثيرًا. وهم لا يسمعون لحجابهم. فلو سمعوا لماتوا. وشقوا الحجاب غيرة من أنه حجبهم عنه. كل ما صدر منهم عنده مقبول الطاعة والمعصية سواء لكونهم خلصاء وإن لم يخلصوا بعد كلام فهم أعذب إليه ممن خلصوا حجاب قلوبهم. رقيقة أفئدتهم ولا حيلة لهم. من بقائهم في أسر البداية. ولولا الإهانة لما كانت المكانة فهم راحلون إلى مكانتهم. ولما دار بهم كأس الابتلاء واستولى عليهم سلطان المحن. فقد غابوا فيما هم فيه فلا وصول. إلا إذا رحم ربك. ولذلك خلقهم.

وكان القسم الإلهي في حضرة المكانة أن لا يعرف قدر المكانة إلا من دخل من الباب. وابتلى في بدايته. فلا ينتهي منتهٍ إلا إذا ابتدا. ولا يبتدي إلا إذا أهين وأذل. وهذا مرسوم إلهي سرى على الكل من النشأة حتى النفخة من نبي وولي فلا يفلت منه أحد كما أنه لا يدخل الجنة والنار إلا من مات.

كتاب
عروس القيامة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

سألني السائل: من هو عروس القيامة ولِمَ سمي عروس القيامة ولِمَ شبه بالعروس. وهل في القيامة عرس حتى يسمى بهذا الاسم وما خصائص هذا الاسم؟

فأجبنا: اعلم أن عروس القيامة هو نبينا محمد (ﷺ). وإنما سمي عروس القيامة لكون أهل القيامة كلهم متوجهين إليه. فلا يقوم ذلك الموقف إلا به ولا ينفض إلا ببركته حتى أن كبار أُولي العزم كلٌّ يقول: نفسي نفسي إلا هو فإنه يسأل عن مصير أمته. فكلٌّ ينوح على نفسه في ذلك الموقف العظيم إلا هو يقول: أمتي أمتي.

وكلٌّ كالمرأة الثكلى إلا هو فإنه العروس. أما سر تشبيهه بهذا الاسم فلما كانت الروح المحمدية هي أصل العوالم جملة. وهي أول مخلوق تعين ومن تشعبت التعيينات الأولية به فقد صار هذا الروح أبا العوالم كيفًا وتمكينًا.

فهو في كل موقف عروس الأعيان. ومفاخر الرحمن. فهذا سر تشبيهه بالعروس وهذا لكونه أكمل خلق برز في الوجود الإنساني.

أما سؤاله: هل في القيامة عرس حتى يسمى بهذا الاسم؟ فالجواب: نعم.

إذْ كل أهل الموقف أعظمهم محمد وخاصته وأصحابه فهم أول من يدخل الجنة. وأول من يقرع باب الجنة. تدخل خاصة أمته الجنة بلا حساب. ولا يدرون من أهوال الموقف شيئًا أصلًا. لا ميزان ولا صراط ولا نقاش ولا كتاب. بل الموقف أضغاث أحلام يمر بهم. أما الكافر فموقفه خمسون ألف سنة يرى فيه من الأهوال ما لا يعد ولا يحصى.

فهذه الأمة المحمدية ملوك الآخرة الذين يعمر بهم عرس القيامة.

أما خصائص اسم العروس. فكون الروح المحمدي صاحب المقام المحمود في ذلك اليوم. وأول من ينشق عنه القبر.

وصاحب الشفاعة العظمى ولا قول يقبل في ذاك اليوم إلا قوله وكونه عليه السلام على منبر التفرد في ذاك اليوم. عرف الخلق كلهم قدره. وكون أصحابه على منابر من نور في ظل العرش. وكون أهل القيامة مستغيثين به من أهوالها. وكونه صاحب الحوض المورود وهذا اختص به دون غيره. وكونه أول من يقرع باب الجنة ويدخلها ويقول له خادمها: بك أمرت. وكونه (ﷺ) أعطي نهر الكوثر وأُعطي أعلى مراتب النعيم هو وأصحابه.

وكون أصحابه عليه السلام كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. وكونه (ﷺ) يتوجّه به أهل العزم والمرسلون إلى ربهم ولا يقدر على هذا إلا هو. فهذا يا ولي شيء من خصائص هذا الاسم العرس القيامي.

كتاب
شرف الخرقة

الحمدلله الذي جعل شرف القوم من شرف الخرقة المحمدية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن القوم جعل شرفهم في الخرقة. فهي المدد الجاري المعنوي الذي وصلهم عن روح الوجود قدس روحه وسره. إذْ ليس الخرقة رمز اللبس بل من رمز المدد الساري إليهم عن رسول الله (ﷺ).

وأخذوا هذا مسلسلًا عن رسول الله (ﷺ). وهو مروي في كتب القوم.

وكان شعار خرقتهم الافتقار إليه (ﷺ) في المدد المنبعث منه.

وكان شعاره عليه السلام الافتقار الكلي إلى الحق تعالى. فقال: اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين. فكان شعار الخرقة الافتقار الكلي إلى الجناب الإلهي حسًا ومعنًا. فحوت الخرقة من أسرار الافتقار ما يدهش الألباب. وكان من شرف القوم أن حفظوا هذا المدد الجاري بالقبضة المعبر عنها بالمصافحة. التي تنقل أسرارها باللمس. فتنقل أسرار المشارب باللمس التصافحي الساري في العروق. ولا تختلط المشارب. بل كل مشرب معزول عن الآخر. وهذا حفظوه باللمس المعبر عنه بالخرقة. وظن الجاهل المحجوب أن خرقتهم ما هي إلا قماش حسّي لا تنقل معها من أسرار الوجود ما يذهل وهذا وهم.

ولم يعلموا أنها أصل من أصول السنة المحمدية.

ثبت في السنة أن النبي عليه السلام ألقى بردته على كعب بن زهير. حتى بيعت من بعده إلى الخلفاء بمبالغ باهظة.

فهذا أصل الخرقة في السنة المحمدية. وقد بينا أصلها في السنة. فثبت شرف القوم بها. فمن ينكره؟ وقد ثبت شرفهم أعظم في أنه (ﷺ) أخذ شرف الخرقة عن الحق تعالى ليلة المعراج. لما قال له: السلام عليك أيها النبي.

فقال مجيبًا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فكانت أمانة إيصال السر في الخرقة في عنق رسول الله (ﷺ). فوجب عليه أن يبلغه إلى كل صالح من أمته. لذا قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وظل القوم يتناقلون أسرار الخرقة باللمس وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. والجاهل في سبات عما حواه باطن الخرقة من أسرار تجل عن الوصف.

كتاب
قانون المشيئة الإلهية

الحمدلله الذي تولّى عباده الصالحين فأصلح شأنهم. وأعزهم بعزه. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

اعلم يا ولي أنَّ الكلّ تحت هذا القانون خاضعون. فلم يكن لهم إلا ما أراده هو. ولم يكن يجري لهم ما أرادوه هم.

وجرت المشيئة متعلقة بعلم الميقات. فربط كل قدر بوقت لا يتحقق إلا فيه هذا المقدور لا غير. ولو قامت الدنيا وقعدت فلا يتقدم ولا يتأخر مقدور عن ميقاته.

وكان النسخ الإلهي من الرحمات الإلهية المنبعثة على الخلق. فقيل قديمًا في الحضرة: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها﴾. وهذا العلم تعلق بأم الكتاب الذي هو مجرى النسخ القديم المبدل بالجديد.

وسرت المشيئة على المتعلق أزلًا. وجرى هذا على أكابر أهل المعرفة المطالعين لقضايا اللوح ببصائرهم فلا يخرجون عن إرادات الحق تعالى فيهم أو في شؤون مريديهم. فلا حكم لهم بل الحكم لله.

وكان شيخنا عبد المجيد الشريف قدس سره إذا قيل له: أتأمر بشيء؟ قال: الأمر لله. وهذا لمطالعته لسلطان اللوح وعلمه أن علمه غير خارج عنه.

وعلى هذا جرى أن علم الكامل هو علم الحق تعالى لكونه لا يخالف الحق تعالى قط في قدره.

أي ولي ليكن أمرك من أمره. ولا تكن خارجًا عن سلطانه تعالى. فبهذا تكون عبدًا ربانيًا خالصًا.

فحينذاك أنت عبده حقًا لا غير. أي ولي لا تخالف مولاك في شيء فتهلك أي ولي ارضَ بحكمه فيك. فمهما رأيت من ظاهره فهو الخير المحض إن شاء الله لكنها اختبارات مولاك. هكذا أنت مقام فيها.

أي حببي تأدب في حضرة مولاك فلو طالعت الغيب لما اخترت سوى ما أنت فيه حرام عليك في مقام اليقين أن لا ترضى بحكمه. وهو يحبك أكثر منك. أي خلي دع الظنون. وتابع رضا مولاك في المشيئة.

كن كالفتى إسماعيل لما قال: ﴿**يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**﴾.

كتاب
الرحيق في أسرار أبي بكر الصدِّيق

الحمدلله رب العالمين الذي اصطفى محمدًا وجعل أصحابه سادات العالمين وملوك الآخرة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد (ﷺ) وبعد.

فإن مقام الصديق الأكبر والصاحب الأشهر سيدي أبي بكر الصديق قدس سره لا يعلمه إلا أكابر أهل التحقيق والذوق الرفيع من سادات الذوق الرائق الفائق.

فمن عجائب مقامه كونه صاحب السر الذي وقر في صدره. وفاق به وفضل جميع الأصحاب فقال فيه رسول الله (ﷺ): ما فضلكم أبو بكر إلا بشيء قد وقر في صدره.

فالذي وقر في صدره السر اليقيني البصائري الذي خلف به رسول الله (ﷺ) في أمته. فكان من بعد خير سلف له. فهو أحد الإمامين لروح الوجود. ومن عجائب مقامه كون النبي (ﷺ) قبل ماله كله منه ولم يقبل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه سوى نصف ماله.

فقال: ما تركت لأهلك يا أبا بكر فقال تركت لهم الله ورسوله. والمعنى ترك اليقين كله.

ومن عجائب مقامه رضي الله عنه أنه صاحب الخلة. فهو الخليل بحق لنبينا. صلى الله عليه وسلم. ومقام الخلة رفيع لا يناله إلا واحد في كل زمان.

وهو على قدم إبراهيم الخليل وعلى قدم الصديق أبي بكر.

ومن عجائب مقامه كونه صاحب الإرث الكامل. إذ هو الوارث الكامل لصاحبه رسول الله (ﷺ) في هذا الشأن.

ومن عجائب مقامه كونه أول خليفة يحكم في الظاهر والباطن بعد رسول الله (ﷺ).

ومن عجائب مقامه كونه أكثر القوم حبًا لنبي الله عليه السلام. وأكثرهم مرافقة له.

ومن عجائب مقامه النادرة كونه أصدقهم لعجائب النبي. وأثبتهم في مقام النبوة ألا ترى القوم كذبوه لما حكى لهم أنه أسرى به وعرج إلا هو فقال: هذا قليل عليك يا نبي الله فإن الخبر يأتيك من السماء في أقل من طرفة عين. فوالذي نفسي بيده لو قلت أكثر من هذا لصدقتك.

وهذا سره يا ولي سر الصديقين الذي جلت مقاماتهم وسمت صفات معادنهم. فلا يعلم مخلوق بمعدن صدقهم.

إذ اختص الصديق بمواقف الشدائد المعنوية رضي الله عنه. وهذه وظيفته الباطنة في مملكة الصحابة.

وهذا المقام يحركه اليقين المتحقق في عين اليقين.

فلا يفصل في مواقف الجد إلا هؤلاء الأقطاب أهل الملامة الذين هم على قدم هذا الصديق الأكبر.

فرأيته في حروب الردة كسر شوكة الشيطان وأمات بدعة إبليس في الجزيرة العربية وتراه يطفيء فتن النفوس بماله.

وتراه يهدأ النفس المتعبة بالمال الكثير وما تريده ظاهرًا. وهذا سر صاحب هذا المقام. ومن هؤلاء عثمان الذي كان يجهز الجيوش والمسلمون في أمس

الحاجة إلى المال. فيطمئن هذا القطب أهل القلوب بتجلي الستر على أهل الإيمان.

فهؤلاء حقًا هم خاصة الله في أرضه أقامهم لينفقوا عنه من مال الله في أرض الله كي يسدوا الرمق ويستروا أهل الحق من الافتضاح بالتذلل لغيرهم.

أما المغالطة البكر فهي أعجب. تراه يغالط النفس فيقول: والله لو كانت إحدى رجليّ داخل الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله.

فما سر هذه المغالطة يا ولي. وقطب هذا المقام ملاحظ لمقامه في الجنة. فكيف يغالط ويدعى خلاف المقام؟.

فهذه صفة أهل الملامة لعمري الذي يحسنون في الباطن ولا إحسان في الظاهر ويتقون في الباطن ويظن بهم العكس في الظاهر.

وينفقون في السر ويدعون الفقر ظاهرًا فما أعجب أسرار هؤلاء السادة المتقين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

كتاب
قانون الاصطفاء الإلهي

الحمدلله الذي اصطفى عباده أهل الصفا وجعلهم من أهل الوفا. وصلاة وسلام، على سيدنا محمد على آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنَّ للحق تعالى قومًا اصطفاهم من قديم الأزل أحبهم وعينهم بأسمائهم في أم الكتاب. وأبى أن يستبدلهم بغيرهم. فهؤلاء لعمري هم أهل الاصطفاء القديم الذين زالت عنهم رسوم المظاهر قد اختفوا في لجة الغيرة الإلهية. حجبهم الحق تعالى عن أهل الرسوم وقيد صفتهم من الشهرة. إلا إذا شاء ربك.

قيل: يا حكيم من هم أهل الاصطفاء الحق؟ قلنا: هم المختارون من نبي وولي.

وظن ظان أن أهل الاصطفاء هم أصحاب النبوة لا غير دون الولي. وهذا غلط جسيم. فالصفوة كانت من عامة الملائكة والناس. قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس﴾.

أما اختصاص صفة الاصطفاء بقالب متعين فممنوع. فخلع الاصطفاء عن النسب والحسب والجاه والمال. فلا يشترط أن يكون ابن النبي نبيًا. ولا يشترط أن كل شريف يكون من أهل الاصطفاء. ولا يشترط أن يكون الاصطفاء محصورًا في أهل المال والحسب. بل قد يكون في أهل الفقر أكبر. أي ولي

الحق وهذا من عجائب التصاديق الإلهية كونه تعالى لم يلزم بأمر بل هو الغالب على الخلق.

يخلف القواعد فيجعل ابن النبي كافرًا وأبا النبي كافرًا وعمه عدوه وزوجه تؤذيه وتكفر به. فلا يلزم الحق تعالى بلوازم في شؤونه بل يقدر على الاصطفاء والقبول. والرضا بما صدر في الحكم.

ألا ترى أن نوح المصطفى لما كفر به ابنه قال: ﴿رب إن ابني من أهلي﴾ فقيل له من حضرة المكانة: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.

وهذا كمثل القطب الذي نظر في اللوح فرأى أن القطب الذي سيأتي من بعده ليس ابنه فَهَمَّ ليدعو أن يجعل القطب ابنه فقيل له: لن تقبل لك دعوة.

فهذا سر اصفياء الله يا ولي الله. خالف الحق تعالى في قانون الاصطفاء المظاهر بهم والقوانين فلا يدري أين يكون صفي الحق؟ في أي بلد وفي أي صقع ومن أي جنس؟ وهذا العجب.

روينا أن صالح الجعفري كان يعظ في الجامع الأزهر فقال: أتدرون من القطب الآن إنه بائع طعمية.

وقد رأينا قطب الزمان رجلًا من العبيد في رؤيا منامية. فاعجب يا أخي من حقيقة الاصطفاء وذلك لكون الحق تعالى يجعله أينما شاء ولا راد لحكمه.

وهذا سره وضعه في الخلق فمن يعترض؟

حكي أن شيخنا أحمد التجاني قدس سره مات له خليفة فقال: اذهبوا إلى فلان قاطع الطريق فقد جعلته الخليفة فتعجبوا أو أنكروا باطنًا لكون حاله على غير الصلاح. فما وصلوا إليه حتى وجدوه تائبًا. فانظر سر المفردين الاصفياء أين وضعهم الحق تعالى. وكيف كانوا وكيف أصبحوا.

كتاب
فضل الشيخ على المريد

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فإن فضلَ الشيخ على المريد عظيم، لا يكنى عند أهل العرفان. إذْ لولا الشيوخ لما كان واحد من أهل الإرادة ظهر وبدا شأنه كما أنه لولا الوالد الطيني لما خلق الابن.

وظل دومًا فضل الشيخ على المريد بعد الوصول. فلا يعلو الشيخ الواصل مريده مهما بلغ شأن المريد.

وهذه قاعدة متحققة عند أهل البصائر ويجوز للمريد أن يعلو مقام الشيخ بعد مماث الشيخ. أما في حياته فغير متحقق حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فهذا سر فضل الشيخ على المريد وكونه تعب في تربيته وجاهد حتى أوصله إلى معالي الأمور.

ورأينا من أهل الذوق العارفين من يدعو لشيخه أن يجعل الله مقامه في الآخرة أعلى من مقامه حتى لا يرى شيخه في موضع أقل وهو أرفع منه.

فما أسمى هذا التحقق الخلقي وأهله. فكان الشأن أن يلحق بالصالحين ذراريهم وأن يلحق بالمشايخ مريديهم. أو بالمريد شيخه إذا علاه في الرتبة من بعد موته.

واعلم أني أستحي من كل شيخ لي علمني حرفًا في سلوكي إلى الله. أستحي منه حياء لا تقوى السموات على حمله.

فكل حرف تعلمه المريد من شيخه لا تعد له مثل أطباق السموات والأرض من عمل المريد.

لكون الشيخ انصبغ بأعمال القلب التي خفيت عن المريد فلا يعلم من نعتها شيئًا بل الغالب على أهل الإرادة التقرب بالقربات الظاهرة المكشوفة.

أما سلوك الشيخ فهو مُخْيٍ للمريد لانعدام المناسبة بينه وبين مقام الشيخ فهنالك بعد موت الشيخ يدرك المريد الصادق أسرار أستاذه فيتحسر على ما فات. ذلك المقام الذي لم يفقه معناه وهو غض والآن ها هو تذوقه بعد فوات الألوان. فآه ثم آه ثم آه.

فكيف يدّعي مريد مقام الشيخ في حياته فهذا لا يجوز كما قلنا حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فاعلم أيها الولي الصغير الغض أنه لا تطاول لك على الولي الكبير ما دام حيًا. فاجعل له حرمته الوافرة. حتى توقر أنت إذا وليت مكانه. والسلام.

كتاب
احياء المناسبات
لتشريف لابسي المرقعات

الحمد لله الذي شرف القوم بافتقارهم إليه. فهم في غنى سرمدي بحضرته. وفي مجد أزلي بقربته.

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن داعي الهوى أضحى يناديني أن أصنف للقوم مصنفًا في شرف المرقعات.

فاستخرت الحق تعالى في ذلك فلاحظت منه أنباء القبول فبادرت بالترحاب على الرأس والعين.

والمرقعة في اللغة هي الثياب التي ترقع بقطع من القماش وتختلف ألوانها وقد لا تختلف. فاعلم ولي الله أن القوم لهم مقامات في لبس المرقعات تتعدد حسيًا لكل مقام هم فيه.

فمنهم من يرتدي المرقعة وباطن مقامه الغنى الكامل فهو الغني عن مدّ يده إلى مخلوق أو التعوذ إلى حي سوى مولاه.

ومنهم من يجعل المرقعة حجابًا للخلق حتى لا يطلعوا على حقيقة مقامه.

ومنهم من يرتدي المرقعة افتقارًا إلى المولى. فيصبح الافتقار حسًا ومعنى.

ومنهم من يرتدي المرقعة افتخارًا على أهل الظاهر بكونه أقام شعار القوم بينهم وحفظه من الاندثار.

ومنهم من يرتدي المرقعة إحياءً لسنة النبي (ﷺ) ولسنة الخلفاء الراشدين من بعده.

روي عنه (ﷺ) أنه كان يرقع الثوب ويخصف النعل.

وروي أنه كان بثياب عمر نيف وعشرون رقعة.

ومنهم من يرتدي المرقعات ادعاءً للجنون لستر حقيقة حاله عن الخلق.

ومن أصحاب هذا المقام سمنون بن حمزة الخواص.

كان يرتدي المرقعات ويدَّعي الجنون. ومنهم سعدون وبهلول.

ومنهم من يرتدي المرقعات زهدًا في الدنيا وتطليقًا لها.

وكان على هذا القدم أبو الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

حكي عنه قوله: يا دنيا غرِّي غيري طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا.

ومنهم من يرتدي المرقعات فرارًا بدينه من الناس عملًا بقول الشارع (ﷺ): وَفِرَّ بدينك كفرارك من الأسد.

ومنهم من يرتدي المرقعات غيرة على أسرار القوم وكشفها ومنعًا لتسرب رموزهم ومواجيدهم وفرائد أحوالهم.

فيحجبهم بظاهره عن حقائق القوم.

ومنهم من يرتدي المرقعات لكي ينتقص ويشتم من قبل الناس فيأخذ الحسنات في كتابه. وهذا سر مذهب أهل الملامة الذين يبدون بخلاف ما في باطنهم.

فينتقصهم الخلق ويشتمونهم ويرمونهم بالفظائع وهم بخلاف هذا.

كتاب
قانون القهر الإلهي

الحمد لله الذي تولى عباده الصالحين فنعم المولى ونعم النصير وصلاة سرمدية على غوث الوجود وفتاه محمد بن عبدالله وعلى الآل والصحب أجمعين.

وبعد

اعلم بُنَيَّ أنك لما سألتني عن القهر الإلهي ما كنهه وما مبادؤه وما غاياته؟

أجبت: اعلم أن الكل مقهور تحت وطأة الحقوق الإلهية. وذلك لقيامهم به وعدم خروجهم عن هذا المجال.

فهم أسرى هواه وعبيد نداه.

لا إرادة لهم إلا ما ارتضاه.

فكنه القهر المكانة وقتال الحق عنها بسيوف الغيرة الحداد في رقاب العدى.

فهذا حقيقة كنه القهر.

أما مبادئ القهر فقوله تعالى: **﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**.

أتسأله عن قهره فذاك عيب الأدب يا بني.

ما أقامك إلا لقهرك فلا تسأله ما ليس لك به علم.

قيل في الحضرة لنوح: **﴿لا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن**

تكون من الجاهلين﴾ وقيل في الحضرة لنبينا: ﴿ولا تقفَ ما ليس لك به علم﴾.

فالباحث عن كنه ذلك القهر ومبادئه متحير ليس له إلا ما ظهر وقد شرحناه لك.

فأقامهم الحق تعالى عبادًا له جذبهم بأنوار قهره. فإن كانوا ربانيين تركوا الاعتراضات عليه.

وقالوا: الخير ما نحن فيه لا غير لكونه ارتضى لنا ما نحن فيه.

ولم يبحثوا عن غاية هذا القهر وإلى متى يطول وقته؟

وهذا من المقام الأيوبي الذي ظل فيه أيوب عليه السلام سنين لا يعترض فلما علم منه صحة المقام أبرأه وشفاه وخلع عليه سوابغ رضاه؟

ولا معنى لمن بحث عن حقيقة أسرار القهر إلا أكابر المفردين ويكتمون هذا العلم الذي لو صرحوا بنقطة منه لقتلوا غيرة من الحق تعالى على أسرار ذاته الشريف.

ولما قهر الحق تعالى القوم لم يلبث ان أعزهم بعزه. لأدبهم معه وصبرهم على إرادته. فحق له أن يجعلهم سادات المعرفة وشيوخ المقامات الراسخين في مهمات المعضلات.

كتاب
اللؤلؤ والمرجان
في فضل الزمن المحمدي على سائر الأزمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين آمين.

وبعد

قال القائل: ما سر الزمن المحمدي؟

قال العارف المحقق: الزمن المحمدي خير زمن بزغ إلى شاشة الوجود الإلهي.

وكان هذا الزمن قدره ثلاثًا وستين سنة.

ما أقصره من زمن وما أبركه من زمن والزمن الحياتي أوجد للخلق وما ينبغي في حق الاله تعالى.

إذ أن الكمالات الإلهية انخلعت عن أوصاف الزمن لكون الزمن محدثًا وهي قديمة.

فأعطيت أزلًا كل نفس نصيبها من الزمن الذي هي ستحاسب عليه.

فتحدد وقت كل نسمة بقالب الزمن فافهم. فرأى الحق عز وجل قصورًا في الوقت وغبنًا في هذه النعمة. ومن ثم أنعم الحق على الناس بظهور الزمن المحمدي وعلامته ابتعاث هذا النبي عليه السلام.

ولما ابتعث فقد تعين زمنه.

وحلت بركة زمنه على أهل هذا الزمان لذا عبر أبو القاسم (ﷺ) عن هذا السر بقوله: نعمتان مغبون فيهما أكثر الناس الصحة والفراغ.

وكان من خصائص هذا الزمن اختصار الأعمال وقيام الثواب عليها كالتي مرت وبوقت أقصر. فخفض عدد الصلاة ليلة الإسراء والمعراج من خمسين إلى خمس صلوات.

وأعطيت أمته عليه السلام ثواب الخمسين بالخمس.

فانظر يا ولي فضل هذا الزمن على سائر الأزمان.

ومن ذلك جعل الحق تعالى ليلة القدر خيرًا من ألف شهر.

فكان المقام المحمدي بألف مما سواه وزمنه يعدل ألف زمن من أصلح زمن فيمن سواه.

وجعل زمن التوبة أقصر من زمن التوبة في زمن الأنبياء السابقين كموسى وعيسى وإبراهيم. عليهم السلام.

فكان الرجل من أمة النبي غير نبينا عليه السلام إذا أراد التوبة استغرق وقتًا طويلًا وجهدًا شاقًا حتى يتوب فعليه قتل نفسه وإلا انعدمت توبته ولم تصح له توبة أما الزمن المحمدي فتوبته عقد النية على التوبة. فما أقصره من زمن ما أطول بركته.

فهذا لعمري يا ولي الله سر المقام المحمدي الفريد الذي قصّر مراحل الثواب فيقطعها الرجل من أمته في خطوة أو خطوتين وبهذا الذوق عبرت البصيرة المحمدية بقولها: (أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين).

وصدر على قدم نبيهم قصرت أعمارهم وطال ثواب زمانهم.

كتاب
رفع الملامة
عن قتال الحق عز وجل عن المكانة

الحمد لله العلي الأعلى المتعالي بتفرده عن كل نقيصة. والصلاة والسلام على فتى الوجود وغوثه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

كان الله ولا شيء معه وأقام الكائنات ووهبها كل سبب. من أسباب مجده وعزه.

في أي أسباب من أسبابها تبحث عن حقيقة مكانته.

ولب تلك الأسباب رؤيته تعالى لخلق تطاولوا إلى مكانته. فمنهم فرعون القائل: ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامانِ على الطين فاجعل لي صرحًا لعلي أطلع إلى إله موسى﴾.

ومنهم نمرود القائل: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ فقام الحق تعالى مدافعًا عن مكانته بسيوف حداد قطع بها رؤوس أهل الدعاوى الزائفة.

وسر هذا المنازع الذي نازع الحق في ادعاء شيء من مكانته أنه كلب أخزاه الحق تعالى وأضله قتله الحق تعالى بسيف غيرته.

ومن ثم دافع الحق تعالى أهل اليقين عن مكانته وهذا ذوقه أعجب وأغرب إذ أنَّ أهل اليقين لما تذوقوا من عسيلة المعرفة قطرة أدمنوا هذه المعرفة

فاستشرى أمرهم. واستفحل رسولهم. فطلبوا الاطلاع على مكانة الحق تعالى فما لبث أن قاتلهم بسيف الغيرة فصدهم عن حماه. فعظم عليهم الخطب وذاقوا محن هذا المقام وجن جنونهم.

ولا راد لحكمه.

أي ولي ألا تنظر إلى الفتى موسى عليه السلام طلب الرؤيا فقال: رب أرني أنظر إليك.

فما كان من صاحب المكانة إلا أن صده صدودًا كاد يتلف الفتى.

فما لبث أن تاب وقال: تبت إليك.

فهذا يا فتى سر جنونهم في المعرفة. فلا لوم على الحق تعالى. أسيدافع عن حماه. فلا يسأل فهم يسألون.

أي ولي هذه سيوف الغيرة قائمة في كل طرفة عين تغمد في لحوم المقتربين من أسوار المكانة. فلا تكن ممن يقرب هذا السور فتهلك مع الهالكين.

هذا الحق تعالى يهلك الكل من أجل مكانته ولا يبالي. فلا شيء عنده أعني من تلك المكانة الرفيعة. فتأدب واحتشم مع مولاك.

قانون
تداخل المقامات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صاحب الحوض المورود واللواء المعقود سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه.

وبعد

فإن المقامات الإلهية لها تداخلات عجيبة. ويلحق بها مقامات البشر وصفات الحق جل وعلا.

وهذا التداخل العجيب أتى من أصل أرومة الصفات وهي الاسم الله الذي أصل الصفات تحت وطأته فإذا قيل هو الله تاهت الصفات في الهوية وجهل القدر لقوة المعنى المتجلي به من تحت حيطة هذا الاسم الله.

فكان المقام الإنساني تابعًا لمقام الحق تعالى في هذا الشأن له من التداخلات شئوون.

وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى تكملة الفتوحات المكية.

والمتداخل هو المتقارب دون المتناثر فكان من جلائل الاقتدار وبديعه أن تداخلت الصفة وتجمعت جملة واحدة فلا تلبث في تقارب حتى تنفى إلى نقطة الكمال المطلق. فترى ذلك الكمال نقطة بعيدة لا غير.

قد تشعبت منها الكمالات والصفات فدل الدليل على سر الوحدانية المطلقة والكمال المطلق.

فلا تعدد ولا تفرق في ذاك النظام الإلهي البديع.

وهذا السر سارٍ في الأعيان الإلهية الاختصاصية التي ميزها الحق تعالى بمجده القديم.

فإذا كمل رجل من الآدميين فقد تجمع فيه قدر من الكمالات الإلهية لكون كمالات الحق تعالى لا تجمع في مخلوق قط.

ويدل الدليل على انتهاء الكمال إلى نقطة في الادمية.

وهو المقام الاسمي الذي حوى تحته كل معاني الخصال التي حازها ذلك الكامل لا غير.

فإن كان قطبًا فإن كمالاته تخضع لمقام القطبانية. ومن ثم يتربع على عرش هذا المقام وتحته المحامد التي حازها خاضعة له بأسرها وهذا ما يعبر القوم عنه بلفظ التمكين. فهناك هناك يكون الرجل متمكنًا في مقامه أسدًا يجول ويصول. الحكم له لا غير.

وهذا الذوق يكون كشفًا محضًا أو ذوقًا محضًا بلا كشف أو قد يكون كشفًا وذوقًا معًا.

ودل عالم الخيال وعالم الجنان وعالم النار وعالم الأجسام وعالم الجوهر على سر هذا التداخل لا غير. فترى العوالم تداخلت في بعضها بلا انفصال ومن ثم دل الدليل على ثبوت المعية في كل مكان بلا كيف.

كتاب
قانون ترك المقامات

الحمد لله صاحب المقام الأسمى والعز الأقوى.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن أصحاب المقام تركوه حياء من المتصرف. ففاقوا من لزم المقام.

فمقام الحياء ومقام ترك الحياء.

وعندهم مقام المحبة ومقام ترك المحبة.

وعندهم مقام المراقبة ومقام ترك المراقبة.

وعندهم مقام التوبة ومقام ترك التوبة.

وعندهم مقام الأدب ومقام ترك الأدب.

ومقام الفقر ومقام ترك الفقر.

ومقام الغنى ومقام ترك الغنى.

وعندهم مقام اليقين ومقام ترك اليقين.

ومقام التوكل ومقام ترك التوكل.

فراح القوم وخلعوا عذار المقام وحجابه.

قيل: يا حكيم القوم ولسان المتكلمين كيف خلع القوم المقام؟

أجبنا: بأنهم لو لم يستمسكوا بالمقام لما خلعوا عين المقام.

وهذا لمن طلب الحقيقة ووجب عليه دخول هذا الباب بالشريعة أولًا وإلا فلن يدخل عملًا بقول الحق تعالى: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

فكيف يخلع إلا من ولج. فافهم.

فلما لزم القوم المقام وفتشوا عن أسراره أعجبوا به وأصابهم ذهول الوصول فمنهم من خلع المقام وتركه تجردًا لله عنه. وقام على مقام التجريد لله تعالى لا غير. ومنهم من استمسك وظل قطبًا في مقامه.

وحقيقة هذا الترك المقامي من الكتاب قوله تعالى لنبيه (ﷺ): ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

وكذا قوله تعالى لنبيه: ﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.

فوضح الرب عز وجل حقيقة القائم بالمقام والتارك له.

فجمع ذلك لرسول الله (ﷺ) في آن واحد. الإنذار وعدمه والاستغفار وعدمه فكان رسولنا عليه السلام إمامًا جامعًا لكلا المقامين.

ويستوي الإنذار في حقه (ﷺ) وعدمه.

لكونه مقامًا في هذا الشأن.

ولما كان أهل البدايات محجوبين عن حقيقة المقام فلم يصح لهم تركه. بل صح لهم التعرف عليه أولًا ومن ثم فليتركوه إن شاءوا.

وهذا كمن ذاق العسل ثم رأى ذوقه فيه فتلذذ به أو تركه جملة.

وإلا فكيف يحكم عليه بغير ذوق.

والإمام الجامع لكلا الحالين كنبينا عليه السلام يستوي منه الفعل سواء أقامه أم تركه.

لكون المقام وتركه قد جمعا له وتمكن في هذا الشأن. فافهم.

ولما وصل القوم إلى هذا الذوق الفريد نسوا أنفسهم. لكون الحكم حكمهم والأمر أمرهم ولله فإن شاءوا أقاموا المقامات وإن شاءوا خلعوها تركًا لها.

ومن هذا فعل المشرع فعلين. في القيام بأمر وتركه كلبسه للون الأحمر.

وكتركه له.

ومثال ذلك شربه قائمًا

ومثاله تركه له أحيانًا.

ومثاله تبوّله قائمًا

ومثاله تركه له.

ومثاله مس الذكر وقوله: إنه بضعة من الجسم.

ومثاله تركه لهذا الأمر لكونه ينقض الطهارة.

فكل أمر أقامه المشرع وتركه كان من عين هذا المقام في القيام به وتركه ولا يصلح حال القطب المتصرف في هذا الشأن إلا بكونه يرفع ويخفض ويقبض ويبسط فمقامه قول الحق تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾.

فحال هذا الولي الذوق وإعطاؤه المنازلات الإلهية حقوقها.

وهكذا كنبينا عليه السلام لما أتاه آت فرخص له أن يقبل ويباشر وهو صائم.

وأتاه آخر فلم يأذن له في التقبيل والمباشرة في الصوم.

فلما سئل عن هذا الأمر؟

أخبرهم بأن الأول شيخ يأمن الفتنة والثاني شاب لا يأمن.

فانظر حقيقة الذوق في هذا المقام البديع يا ولي الله.

ولما غلب حياء القوم عليهم فقد استحيوا من الحق تعالى أن يشاركوه في المقام.

فقد أجمعوا أي أصحاب هذا المقام أن المقامات مجموعة كلها للحق تعالى فكيف تكون لهم مشاركة معه في شئونه فتركوا الحق تعالى يتصرف عنهم وإن وهبهم مقام التصرف.

فاعجب يا ولي من هؤلاء الفتية كيف رقوا إلى الدرجات العلى بقهرهم لمقاماتهم وتركها للحق تعالى كي يتصرف لهم فيها.

ومن ثم استحيا الحق تعالى من هؤلاء فأعطاهم قدرهم وزيادة. حياء منهم. كما استحيوا منه.

فقيل لهم في الحضرة: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.

وما عرف قدر هؤلاء إلا الحق تعالى فما قدرهم قدرهم سواه.

أولئك الأخفياء المفردون المجهولون إذا قالوا لا يسمع لهم.

وإذا خطبوا لم ينكحوا.

وإذا نصحوا لم يؤبه لنصحهم.

وإذا ماتوا لم يشيعوا.

وإذا عطسوا لم يشمتوا.

وإذا سلموا لم يرد عليهم.

وإذا مرضوا لم يعادوا.

فأين ديار هؤلاء يا ولي دلني عليها حتى أهتدي إليها فألتمس خبرهم؟

أين أولئك السادة التاركون للكل فيما سوى الحق تعالى؟.

أين التاركون للمحاسن سوى محاسن الحق تعالى شأنه؟

ما أعظم دلال أولئك على ربهم. وما أكرم فضلهم على مولاهم.

تركوا فتركهم الحق تعالى يأخذون ثوابهم بأيديهم ولا كيل ولا ميزان ولا حساب ولا كتاب ولا صراط.

أي ولي الحق أتحفك الله بعزه وأحيا فؤادك يوم تموت النفوس. هل تركت السقام والذنوب حتى تترك المقامات الصالحات والأحوال العاليات؟.

أين أنت من هذا الذوق العالي والفن السامي؟

هل علمت سر القائم بحق المقام والتارك له؟

قال القائل: هل يترك الحق تعالى المقام ويقيمه كما يقع في حق الخلق؟

أجبنا: يترك ويقيم في التجليات والتنازلات ولا يقع هذا في حق المكانة.

إذْ لولا تركه وإقامته لعيون المقامات لما عرفناه ولبقي مجهولًا في عماء الغيرة سبحانه وتعالى عما يشركون.

فأنزل إلينا كلامه المسمى بالقرآن تنازلًا منه لنا حتى يقضي أمرًا كان مفعولًا. ولولا تنازله سبحانه لما عرفنا كلامه مطلقًا.

وتنازل الإله فأعطى أقدارًا من صفاته وأسمائه للمخلوقات فتخلقوا بها.

فتخلق العبد باسمه القيوم تنازلًا منه للعباد أن يتخلقوا بهذه الصفة.

ومن ثم تخلق بمجموع المحامد الربانية العبد الرباني كاسمه الرحمن والودود والكريم والمنعم والكبير والصادق والمحيي والمميت.

أما المكانة فما كان للحق تعالى أن يترك فيها مقامه قط. لكون المقامات قد انجمعت في عين كماله.

بل قائم في مكانته لا يترك مثقال حبة خردل لمخلوق أن يدعيها من عين تلك المكانة وإلا عودي وقتل بسيوف الغيرة.

كتاب

الأمجاد الحافلة

بذكر بعض أسرار الغيرة الإلهية القاتلة

الحمد لله المتجلي على العباد بالرحمات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فليس كل ضروب الغيرة محمودًا فمنها المحمود وذاك قول أبي القاسم ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين) الحديث.

ومن هذا الباب كانت الغيرة الإلهية كلها محمودة.

إذ ما يصح للحق تعالى أن يقع منه شيء غير محمود. فحاشا له ذلك.

والمحمود من غيرة الإله سبحانه وتعالى. منه القاتل ومنه غير ذلك. السلمي. الذي فيه سلام فالذي لا يقتل أخذناه من قوله ﷺ: (إن الله يغار وغيرته أن يأتي عبده ما حرم).

أما الغيرة القاتلة فسندنا إليها قوله تعالى في الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منها قذفته في النار ولا أبالي).

رواه مسلم عن أبي هريرة.

وكل حديث وقع فيه قول النبي عليه السلام: (اشتد غضب الله على كل) فهو من باب الغيرة القاتلة.

قيل: وما حقيقة هذه الغيرة القاتلة؟

أجبنا : أن الغيرة حجاب حجبهم به من الوصول إلى حقيقته ؟

فإذا تطفل متطفل على ما جل من أسرار الذات وأراد معرفة مالا يجوز معرفته أو كشف عن هذه المعاني شيئًا تسلط عليه سيف الغيرة القاتل فاقتص منه .

ومن هذا المعنى ذهب المشرع ونبهنا إلى هذا الباب بقوله: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله. أخرجه مسلم فرحم الخلق من التطفل على شيء قد يكون فيه هلاكهم.

أي ولي الله وصفيه في أرضه وخليفته في وطنه ومملكته: مقام الغيرة القاتلة آيته من الكتاب قوله: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ .

فالصواعق غيرته القاتلة حآلا وعاجّلا .

أما سر المجادل في الله فهو المتطفل الباحث فيما لا يعنيه من أسرار تلك الغيرة فما أصابه إلا الهلاك العاجل. والتبار القاتل. أي ولي احتجب عنهم بسبحات الغيرة التي لو سلطها طرفة عين لأهلكت العوالم ولا تبالي.

فحجابه تعالى نور الغيرة. فلا تبحث بنيَّ فيما لا يعنيك يصلك ما لا يرضيك.

وذهب المشرع وقال لهم بلسان الحضرة: ﴿لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ .

وانظر إلى موسى الفتى الولي الذي نبش في حجاب الغيرة فما أصابه سوى الصعق فلما أفاق قال: ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المسلمين﴾ .

فما أصاب من نبش في هذا المقام سوى نيران الغيرة التي يؤدب بها الحق تعالى ذلك النابش وقيل: تسؤكم. أي لا تنبشوا عن هذا المقام فتسؤكم الغيرة القاتلة ؟

ولم يتنازل الحق تعالى بشيء من أسرار تلك الغيرة.

وكان من الأدب النبوي أنه ينكح ولا تُرى العورة المنكوحة.

حتى عبرت عائشة رضي الله عنها عن هذا المعنى من بعد قبض النبي عليه السلام فقالت: (ما رأيت عورته ولا رأى عورتي).

فكان النظر في مقام الغيرة مورثًا لمعاني التلف وخبث الفطرة.

حتى أنَّ كثرة النظر إلى العورة أثناء النكاح تتلف فطرة المولود فتخرجه مشوهًا أو ناقص الأعضاء أو غير كامل الحواس أو خبيث الطوية والضمير.

فانظر رحمك الله عجائب الغيرة التي حرم الحق تعالى في تلك المواطن على عبده أن يخوض فيها فيقع في الإساءة.

كتاب
رداء الكبرياء

الحمد لله صاحب الكبرياء المطلقة والعظمة السرمدية. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه صاحب الحوض واللواء أبي القاسم وعلى آله وصحبه أجمعين آمين. وبعد.

قيل: يا أبا بكر ما حقيقة هذا الرداء المعبر عنه برداء الكبرياء؟ وما حقيقة الآخر المعبر عنه بإزار العظمة؟ أفتنا رحمك الله ولكم جزيل الأجر والثواب؟

أجبنا بقولنا: اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن القاعدة الإلهية اقتضت الكبرياء السرمدية لها لكونها أكبر من كل شيء. بل الاشياء لا تقارن بها أصلًا لكون الإيجاد كله من العدم قام. الا ترى أن نهاية العالم الفناء. فقيل بلسان الحضرة الالهية: ﴿كل مَنْ عليها فانٍ﴾ وقيل: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

فكان الشأن الأكبر هو المتكبر دومًا لا غير.

فتكبره بحق لكونه تكبر على من يصغره. فلا يعلوه شيء حتى لا يتكبر عليه فأصل الكبرياء العلو المطلق.

وسر هذا المقام أنه أبو الاشياء لذا قيل: الخلق عيال الله. فكان لكبره سبحانه عليهم أعلمهم قدره وأنه أوجدهم من عدم ولا مناسبة بينهم وبينه مطلقًا.

فمهما عدوا نعم المولى عليهم عجزوا فذاك قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

ولما أراد الحق تعالى أن يعلمهم مقامه وقوة نعمه عبر بقوله: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منها قذفته في النار ولا أبالي).

فأطلعهم أن المقام مطلق عليه إحاطة بلا كيفية لكون الرداء محيطًا بصاحبه والإزار كذلك؟

فأعلمهم أنه منزه عن التواضع والذل ومقامه التكبر واللامبالاة فيه. لكونه لا يخاف فله الكبرياء المحض.

فمن تكبر على قوم وجب عليه حماية نفسه وتحصنه منهم حتى لا يتكبروا عليه أو يهينوه. وجمعت هذا المجامع كلها للجناب الإلهي.

فقال لهم قديمًا في حضرة المواثيق: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر رجل منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئًا).

فلما انجمعت له تعالى مجامع الغنى والتنزه والقيام بالنفس ومخالفة الحوادث فقد صار متكبرًا أزلًا وأبدًا سرمدًا. ومن عجائب هذا المقام الالهي كونه تعالى يذل الظالمين بلا أن يروه. ويقتلهم وينتقم منهم بلا ظهوره.

ومن عجائب هذا المقام كون الظالمين يخشون الحق تعالى بدون رؤيته وكونهم يستغيثون به إذا نكسوا الا ترى إلى فرعون لما غرق قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾.

وكان قبل ذلك من أكثر الظالمين كراهية الحق عز وجل. ومن عجائب هذا المقام كونه تعالى ينفذ في ملكه ما يريد بغير ظهور. فيرفع أقوامًا ويخفض آخرين وكل يوم هو في شأن بغير رؤية.

ومن عجائب هذا المقام كون الخلق اعترفوا به إلهًا سميعًا بصيرًا رازقًا قادرًا وهم لم يرونه.

فما أعجب رداء الكبرياء يا ولي الله. حجبهم به وهم في خوف منه تحت سطوته يعبدونه. قد تحققوا بهذا واعترفوا له.

أي ولي فهذا سر مقام رداء الكبرياء.

صاحبه كل يوم في شأن يرفع أقوامًا ويخفض آخرين. أما سر هذا المقام في الآخرة هذا المقام الكبريائي- فكونه يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون أين المتكبرون. ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون. روى هذا الخبر مسلم عن ابن عمر عن النبي عليه السلام.

وعن ابن عمر وهو يحكي عن رسول الله ﷺ قال: يأخذ الله عز وجل سمواته بيديه فيقوله: أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله حتى خفت سقوطه برسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه مسلم.

وحق في هذا المقام قوله سبحانه: ﴿لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾.

قال العارف: إذا قال الحق في ذاك اليوم لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه قائلًا: ﴿لله الواحد القهار﴾ فهذا سر تحرك المنبر برسول الله عليه السلام حتى خاف عبدالله سقوطه به. فاعجب يا ولي من أسرار ذاك الرداء والإزار.

كتاب
أسرار تنافر الأولياء

الحمد لله رب العالمين الجامع والمفرق. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

والصلاة والسلام على سيد ولد آدم ولا فخر وعلى الآل والصحب أجمعين. وبعد.

فكيف يقع التنافر من أهل الولاية؟. وقد قيل في حقهم: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ الآية. فاعلم أنهم مجتمعون على كلمة الإخلاص التي وجهتها لا إله إلا الله. وهذه الوجهة ما كان لهم أن يختلفوا عليها وإلا كفروا بعهود التوحيد الإلهي.

ومن ثم تداخلوا باختلافات جعلتهم متنافرين مداها تنوع المذاقات المتجلّى بها من قبل الحق تعالى على قلب العارفين.

فنشأ كل ولي يجد في قلبه من الذوق ما ليس عند صاحبه. فأصبح ينكر ذوق صاحبه. وهذا غاية الكمال الإلهي في هذا الشأن فافهم أفهمك الله.

ومن ثم وجد أهل الولاية في القلب تنافرًا ينفرّهم عن بعضهم لغرابة المذاقات المنبعثة من كل فؤاد.

فتراهم كاملين وينكرون مذاقات بعضهم إلا من انجمعت له المذاقات فتمكن فيها. فذاك العارف المحقق الذي انخلع الإنكار من فؤاده فلا يعرف

شيئًا عن الإنكار حتى يقع فيه.

وهذا كموسى الذي أنكر ذوق الخضر. وكالخضر الذي أنكر ذوق موسى.

أو هذا كموسى الذي حاج آدم. كما ورد في الحديث عند مسلم. وعدّد كل واحد منهما للآخر ما وقع فيه. فاحتج على صاحبه كل واحد منهما.

ولما تعدد التوظيف الإلهي في الكون فلم يخرج عن الحضرة شيئان متشابهان فقد تعين تنافر الأعيان مطلقًا.

لانعدام وقوع التشابه الإطلاقي في حضرة الخلق الأول. وهذا لكونه أنه ليس كمثله شيء. فكيف يقع التشابه في خلقه تكرارًا. إذ هذا علامة العجز. وحاشا له هذا.

وعلى هذا تنافرت أمزجة أهل الولاية فلم يخلق من مزاجين متشابهين قط. وهذا ذوق سار فيهم كسريان الهواء في الجو. والدماء في العروق.

والوجه الأكمل أن تنافرهم رحمة بهم وبالخلق لكونه سائرًا مع مقاصد الحق تعالى ومحققًا لها. وبدونه لا تتم المقاصد الإلهية في مملكته. فأرغمهم قهرًا على أن يتنافروا.

فمنهم من علم سر التنافر الساري في عروقهم ومنهم من لم يفقه هذا السر. والأول أكمل من الثاني.

ورأى الحق تعالى أن كل التنافرات الواقعة منه سبحانه في حقهم كمالًا. وإن رآها البعض نقصًا. وقيل قديمًا: الطيور على أشكالها تقع فكل روح تقبل وتجذب أو لا تقبل وتنفر. فالولي المؤدب ينفر من الولي المعلم. والولي المجذوب ينفر من الولي السالك. والولي العاصي ينفر من الولي التائب. والولي المتوكل تراه ينفر من الذي ترك مقام التوكل والولي المفتقر ينفر من الولي الغني. فافهم أيدك الله هذا المعنى حتى تقع على أهل ذوقك وتكن معهم. ومنهم من جمع كل هذه المذاقات:

كتاب
قانون اختلاف الصحابة

الحمد لله صاحب الجمال المطلق والجلال المطلق والكمال المطلق. وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه. وبعد:

فإنَّ اختلاف الأصحاب على مقامين:

المقام الأول: وقع بينهم بين يدي حضرة النبي عليه السلام.

والمقام الثاني: وقع فيما بينهم عليهم رضوان الله تعالى في غير حضوره عليه السلام.

والمقام الثاني نوعان:

الأول: نوع وقع بين الخلفاء الراشدين.

والثاني: نوع وقع فيمن دونهم. أو بين واحد من الراشدين وآخر ليس منهم.

فأما المقام الأول الذي وقع فيه الخلاف بين الصحابة بين يدي النبي ﷺ. فقد وقع في حادثة الأسرى في بدر وهذا الخبر رواه مسلم عن ابن عباس وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: ما ترون في هذه الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ. ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني

أرى أن تمكننا فنضرب عنقه وتمكني من فلان فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر ولم يهو ما قال عمر.

فهذا سنده من السنة حيث اختلف اثنان فيه بين يدي النبي عليه السلام أبو بكر وعمر. عليهم الرضوان.

وأما النوع الأول من المقام الثاني. الواقع بين الخلفاء الراشدين فسنده من السنة ما وقع بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في حادثة الأسرى السابقة.

وكان يقع الخلاف بينهما فيما أشكل حتى يتفقا جميعًا.

روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر يوم مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت الذي رأى عمر.

وأما النوع الثاني من المقام الثاني: الخلاف الواقع بين رجل من الراشدين وآخر من غيرهم.

فهذا كالذي وقع بين علي ومعاوية وهو مشهور من حروب ومواقع. أو كالذي وقع بين عائشة وعلي في موقعة الجمل.

وأما الخلاف الواقع بين فيمن سوى الراشدين والصحابة فكثير. مثله كالذي وقع بين الحسن ومعاوية من بعد موت علي.

أو كالذي وقع بين ابن عباس وعائشة في قضايا الفقه. أو كالذي وقع بين ابن عباس والحسين بن علي لما أشار عليه ابن عباس أن لا يخرج إلى كربلاء للقاء أهل العراق. فخرج الإمام رضي الله عنه.

وتفصيل هذه المواطن يا ولي عجيب. إذ ما وقع خلاف بين كاملين أصلا في الوجود كالنبي والراشدين أو الراشدين فيما بينهم. أو فيمن أتى بعدهم من أهل الكمال. فإن قيل كيف كان التأييد الإلهي لعمر على النبي وأبي بكر في الأسرى. فهل التأييد الإلهي محط الخلاف كما هو ظاهر؟

قلنا: اعلم يا ولي أن التأييد المنبعث من الحضرة لعمر كان ظاهر التأييد المنبعث للخضر. إلا أن مقام نبينا أعلى من مقام موسى في ذاك الموطن وأثبت وأميز. والطارىء الإلهي يعطي المقامات قدرها.

فيظهر رأي أقل على رأي اكبر ويؤيده بآياته. ويلقى الحق على لسان الأدنى ويحجبه عن لسان الأعلى. وبهذا امتاز المفردون.

وهذا سرهم ألا تراه عبر عن هذا المعنى بقوله عليه السلام: لو كان من بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب. رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. وليس سر صاحب هذا المقام أنه فاق من امتاز عليه برأيه وإن ألقى الصواب على لسانه. فليس مقام الخضر أعلى من مقام موسى عليه السلام وإن ظهرت الحجة للخضر على موسى عليه السلام.

وكان من أسرار المفردين التحديث الإلهامي الذي يتجلى به الحق تعالى على قلوبهم فينطق به اللسان. فيظهرون ما لا يوجد عند غيرهم من العلم اللدني. الذي قيل فيه من الحضرة: ﴿وعلمناه من لدنا علمًا﴾ ومن ذاك المقام قول عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقوله في ثلاث لا ينفي أنه وافق ربه في أكثر منها فإنه نهى النبي ﷺ عن الصلاة على المنافقين فنزلت: ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدًا﴾

الآية. حتى قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر. رواه الترمذي.

فهذا سر المفردين يا ولي الحق. وهذه عجائب موافقاتهم التي تفردوا بها أمام المرسلين وكبار أولي العزم.

قيل من عجائب حضرة الموافقة ترك الموافقة من الكامل لمن هو أدنى منه. فينطق بها الأدنى فيظن الأدنى أنه تحصل على ما لم يحصل عليه الأعلى. وما هو إلا واهم.

بلغنا أن الجنيد لما تتلمذ لخاله السري السقطي أعجب به المريدون فقالوا له تكلم يا جنيد فقال: أستحي من السري.

فنام الجنيد يومًا: فرأى النبي (ﷺ) وهو يقول له تكلم يا جنيد.

فلما استيقظ ظن الجنيد أنه فاق شيخه السري في المقام.

فأتى الجنيد السري ليحكي له الرؤيا ففاجأه السري قائلًا: وأنا يا جنيد رأيت رب العزة في المنام فأخبرني أن النبي (ﷺ) أتاك فقال لك: تكلم يا جنيد: فاستحى الجنيد وعلم أنه لا ينبغي له أن يفوق شيخه في مقام ما دام شيخه حيًا.

فكان من أدب الكامل ترك بقايا من كماله لمن دونه. كما ترك أبو القاسم عليه السلام بقايا من كماله للمقام العمري. شرفًا للمقام المحمدي.

وقلَّ من فقه هذا الذوق من أهل المعرفة وقلَّ من تكلم فيه سوانا بحمد الله.

فكانت الصدقة لا تنبغي لآل محمد ولا محمد نفسه عليه السلام.

فذهب الرسول الأعظم (ﷺ) فتصدق بهذه الصدقة التي لا تحل له على عمر. الصديق المحدث الملهم الذي بلغ أول مشارف النبوة. لكون المقام المحمدي تنزه عن قبول هذه الصدقة والمقام علا عن هذا المقام العمري فتركها صدقة جارية له.

كتاب
قانون المبتدأ والخبر
الجامع لأسرار تأديب الشيخ بالإشارة والنظر

الحمد لله العلي الأعلى. الجامع لمحاسن الكمالات. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وصلى الله على روح الوجود وهيكله وقدسه وغوثه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

فإن من لطائف القوم وطرائفهم في قانون التأديب كونهم يؤدبون المريد بالإشارة والنظر.

وحقَّ لهم هذا لعمري. لكونه الأكمل في الآداب الإلهية.

وهذا استمدوه من حضرة اللادراك الإلهية التي آيتها قوله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾**.

فأدرك الشيخ عيوب المريد وبصر بها من حيث لا يبصر المريد نفسه بعيوب نفسه. فيرى الشيخ عيبًا في نفس المريد لا يراه المريد نفسه. فيداويه بالسكوت المطلق المنبعث عليه من تلك الحضرة.

فإن أباح الشيخ وتكلم فقد أذهل المريد وخرق مقامه وأفسده.

وكان من شيوخ هذا المقام شيخنا عبد المجيد الشريف قدس سره صحبته ثماني سنين فلم يكلمني فيها قط. إلا مرة واحدة. وكان مقامه منبعثًا من هذه الحضرة اللاإداركية.

وكان يكاشفني بعيوبي في المنام. ولا يتحدث معي بذلك في اليقظة مطلقًا. وهذا من جملة عجائب الشيوخ في هذا الفن اللاإدراكي.

وأدرك شيوخ التربية أن الخرس مع المريد أفيد له والإشارة والرمز والنظر أذوق وأرقى في حقهم وحقه.

وكان من جملة هؤلاء أبو الحسن الشاذلي الذي قال: نحن نربي أولادنا بالنظر كما تربي الدجاجة أولادها بالنظر إليهم حتى تموت.

وهذا العلم السلوكي هو أرقى سلوك العالمين في هذا الفن. وبه سلك نبينا (ﷺ) في تأديب أصحابه. فكان يكني لهم عن عيوبهم. ولا يصارحهم بحقيقة العيب. لكونه أوتي جوامع الكلم والتعابير الإلهية المجملة.

وقلّ اليوم من أهل الإرادة من يدرك من أسرار هذا المقام شيئًا. لقلة الذوق وتفشي الحس في المريد وقلة المعنى الصادق.

ومن أسرار هذا المقام كون الشيخ لا يتكلم قط مع المريد بل مطلقًا. وكونه لا يكاشفه بعيبه. إلا نظرًا أو إشارة أو بمعنى ظريف أليف.

ومن لطائف هذا المقام استجماع الشيخ لمقام جوامع الكلم. فيرشد بكلمة أو كلمتين وهذا أخذوه عن الحضرة المحمدية لما أتى إليها رجل فقال يا محمد عظني؟ فقال: له لا تغضب. وفي كل مرة يقول عظني يقول له: لا تغضب حتى ثلاث مرات.

ومن لطائف هذا المقام ظهور الشيخ بغير مقام النصح للمريد فلا ينصحه ما لم يدرك المريد إشارته.

فمن لم يتذوق الإشارة فحرام فيه النصح بالعبارة.

ومن لطائف هذا المقام تعامي الشيخ عن عيوب المريد كلية. فلا يفاتحه بعيب أو ذنب صدر منه. وإن فاتحه المريد تعامى الشيخ أيضًا.

ومن لطائف هذا المقام عدم تطفل الشيخ على المريد. حياءً من الله. فلا يطلع على فحشاء أو ذنب اقترفه مريد. فما كان الشيخ جاسوسًا على عباد الله.

وحصن الشيخ نفسه بسياج العصمة فحير المريد وأذهله.

فالمريد يراه في نومه مطلعًا على علله ولا يراه مكاشفًا له يقظة فيزداد حياء المريد من حلم الشيخ عليه وقوة تجلده وصبره. وهذا دواء الشيخ ومقصده في الأدب السلوكي الصامت. أن يؤدب المريد نفسه بنفسه باستنباطاته التي يستنبطها عن سكوت الشيخ.

وهكذا يزال الشيخ ساكتًا حتى يتأدب المريد. ويؤدب نفسه بنفسه. فأدرك الشيخ الرباني الناصح هذا السر فلزمه وعلمه لمريده العاصي. فاستحى منه فلا يزال في حياء من شيخه حتى يكمل. ويستقي هذا الذوق منه.

أما من ادعى في السلوك كثرة مكاشفة العباد المتأدبين على يديه بذنوبهم وآفاتهم فهو أدنى مقامًا.

فظن المحجوب أن المكاشف أرقى لكون الساكت سكت لكونه محجوبًا عن معرفة أسرار علل أهل الإرادة.

ولو علموا أن الساكت يطفو تحته بحر الأسرار الراكد لعضُّوا الأنامل على جهلهم.

وهذا آيته سكوت الحق تعالى على ذنوب العباد فقيل في هذه الحضرة: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم﴾. فكان حلمهم من حلم الحق تعالى وحياؤهم من حيائه تعالى. وسكوتهم من سكوته تعالى وصبرهم من صبره على العباد.

فكانوا سادة العالمين الذين جهل قدرهم واندثرت معرفتهم في هذه الدار فلا يعرف قدرهم سوى مولاهم.

وجهل المحجوب أن أصل الاعتقاد هو الاحتجاب. فنحن آمنا بالله ورسله

وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره. فقل له: هل رأيت الله والرسل الملائكة واليوم الآخر؟. يقول: لم أرَ

فقل له: فلما آمنت؟ بما لا ترى؟ فكذا الشيخ الساكت يؤدب المريد ولا يطلعه على حقيقة مقامه. فيرسخ قدم المريد لكونه تأدب وهو في حجاب دون رؤية كإيمان القوم بغير رؤية.

فهذا سر سكوت الأشياخ. الذين هم في نبأ عظيم لا يدركه إلا كل فتى حكيم.

كتاب
فضل أَبي القاسم الجنيد على من بعده من الصوفية

الحمد لله المتفضل بمننه على أهل التحقيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين وبعد.

فإن أبا القاسم الجنيد البغدادي القواريري. رضي الله عنه. له فضل على هذه الطائفة لا ينكره إلا جحود. حتى أسموه شيخ الطائفتين.

فإذا أطلق هذا اللفظ فهو المقصود. وفضله ليس فضل مقام. فالمقام أعلم به صاحب المقام. وهو الحق تعالى. ولكن فضله فضل المشيخة. وشرف بنيانها. فهو أول من دعمها من الشيوخ السابقين. وحرر ألفاظ القوم وبيَّن صحة مذهبهم. واعتمد أصولهم. ونقى الطريقة وهذبها. فهذا فضله على مَنْ بعده من القوم.

كان كلامه مقبولًا عند العام والخاص لا ينكره إلا أعمى بحقائق القوم.

لقي من القبول ما يذهل. فكل عارف أتى من بعده فله شرف هذه الخرقة عليه.

كأبوة آدم للبشر.

كان رضي الله عنه أعلم القوم بعلل أهل الإرادة وأدومهم على السنة ومَا بعدها. عارفًا بعيوب المريدين. محققًا لها كاشفًا عنها. متكلمًا فيها. حرر ألفاظ هذه الطائفة وصقلها.

له أقوال دلت على بلوغه مبلغًا قويًا في المعرفة. كانت حجة على من أتى من خلفه.

قلما تكلم متكلم في فن القوم إلا ذكره واستدل بمعاني أقواله. وخصائص أعماله. لم يعرف في تاريخ الإسلام من أنكر على أبي القاسم الجنيد خلافًا لكثير من المتصوفة. فهو مقبول جملة عند الخلق. كان رضي الله عنه جامعًا لعلمي الشريعة والحقيقة. إذا تكلم في الشريعة ظن الظان أنه أعلم من على ظهرها بهذا العلم.

وإذا تكلم في الحقيقة ظن الظان أنه الفارس لا غير في الميدان.

رسم رضي الله عنه حدود القوم ورصدها. برسوم الحقائق وزينها بتحف الشرائع. له الشعر الرائق الذي يدل على علو الباع وعمق الصفاء. وشدة الشوق وطول الأنس. وخطر المحبة. قل من يفقه عباراته من القوم ويحرر معانيها. ويسدد مراميها. ودق من يفصح بعبارته في سلوك القوم ومنازلات العارفين ومناظر الواصلين وطاسات الشاربين وحانات الراشفين.

هو سيد القوم بحق. وأستاذهم الأكبر وطاووسهم الأقمر. وكبريتهم الأحمر. وقائدهم الأفخر. وضع بنيان الطريق. ورص رصيف الوصول. فجزاه الله عن القوم كل خير.

وبالجملة فقد ساق له السائق الإلهي القبول التام بين الخلق. ومنح الظرف والدلال على أهل العلم.

فإذا ذكر في محافل العلم وقروه وقالوا شيخ الطائفتين من مثله؟

كان يتكلم على خواطر القوم وآفات النفوس والضمائر.

عرف اصطلاحات القوم بكلام يندر أن يخرجه فم سوى فمه.

فما عرّف قوم اصطلاحًا صوفيًا إلا استشهدوا به.

كان يغلب على طبقة أصحابه الكمال التام والأدب العالي. الذي جعل طبقته حجة على من يأتي بعدها من القوم. فهم القوم لا غير. شحنت كتب التراجم بهم. واعترفت بفضائلهم. وقوة سلوكهم وندرة تكرار الزمان لأناس مثلهم.

وقلَّ من شذ من طبقته. عن سلوكه. ورأينا كل عارف أتى من بعد الجنيد يستشهد به ويعترف بفضله عليه في شرف هذه المهنة. ومبلغ العلم أن اللسان الجنيدي أوتي لسان رسول الله (ﷺ) الذي قل أن يجود الزمن بمثل من يؤتي هذه الخصيصة. وهذا سره في كونه مجددًا. جددت به معالم الطريق عند القوم. فأحيا به الحق تعالى هذه الخرقة.

وهذا بائن في استجماعه لمقامات يندر من يجمع مثلها من رجال القوم. لعلوها في الذوق الراقي.

ومن كلامه رضي الله عنه قوله:

عليكم بحفظ الهمة فإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء.

وقوله: كان التوكل حقيقة واليوم هو علم.

وقوله: أعلم الناس بالآفات أكثرهم بلاء وآفة.

وقوله: لو بدت عين من الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين وبقيت أعمال العاملين فضلًا لهم. وقوله في ﴿**لا أحب الآفلين**﴾ قال: لا أحب من يغيب عن عياني وعن قلبي.

وقوله: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك.

وقوله لما مات وقد سئل: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم وفقدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار. وهذا لعمري من عجائب الحكم الجامعة للإرشاد. وإخفاء غرة المقام وإظهار السلوك برغم أنه نال مقامه في الآخرة

إلا أنه لا زال ينصح القوم. فما أعجبه من مقام.

ومن أقواله: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة. من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدي به.

ومن أشعاره قوله:

تحمل عظيم الجرم ممن تحبه وإن كنت مظلومًا فقل أنا ظالم

وقوله:

أناس أمناهم فنموا حديثنا فلما كتمنا السر عنهم تقولوا
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

روينا عن أبي نعيم في الحلية بسنده عن أبي سعيد بن الأعرابي قال: سمعت أبا بكر العطار قال: حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا قال: وكان قاعدًا يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت يقال له البسطامي. وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟

قال: هذه نعم الله أكبر.

فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال: يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر فلم يزل هذا حاله حتى مات رحمه الله.

وروينا عن أبي نعيم في الحلية بسنده عن أبي بكر محمد بن أحمد البغدادي قال: سئل الجنيد بن محمد عن المحبة؟: أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال؟

فقال: إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بين. فالمحبة نفسها من صفات

الذات. ولم يزل الله تعالى محبًا لأوليائه وأصفيائه. فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه فإن ذلك من صفات الأفعال. فاعلم أرشدك الله الصواب.

وروينا عن أبي نعيم في الحلية بسنده عن حكيم بن محمد قال: حضر الجنيد أبو القاسم موضعًا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق.

قيل له: يا أبا القاسم ما نراك تتحرك؟

قال: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾.

كتاب
الفتوحات القاهرية
في شرح سر المعية

الحمد لله صاحب الدلال الأول والجمال الأمثل والكمال الأكمل.

.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين في الأولين والآخرين وبعد:

فاعلم أيها الفتى الولي والصفي الشجي.

من أحرق الشوق قلبه. وأذاب العشق لبه. أنني اطلعت على كتاب اسمه «أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية» ورأيت فيه فصلًا عن سر معية الحق تعالى وهو من تصنيف شيخ الإسلام محدث الوقت شيخ التربية في وقته محمد الحافظ التجاني قدس الحق تعالى أسراره.

فألهمني الطارق الإلهي وأنا نائم أن أشرح معانيه المصقولة ومبانيه المعقولة.

فاستعنت بالله القوي المتين ووقع القبول في القلب. فنقول:

قال شيخنا في سر المعية: قد تقدم بيان تنزيه الحق عن الجسمية فهو سبحانه منزه عن الأطوال والأبعاد ولا خلاف بين المسلمين في ذلك: حتى الكرامية المجسمة عندما قالوا بالجسمية قالوا هو جسم لا كالأجسام. وهذا تناقض أو نفاق فإنهم إن أثبتوا الجسمية بحقيقتها من أن الجسم ذات له طول وعرض وعمق فإن نفوا عنه الطول والعرض والعمق كان تناقضًا وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم.

وإن لم ينفوه. وإنما نفوا أن يكون كالأجسام من حيث أوصاف أخرى لم ينفعهم النفي. لأنهم جعلوه فردًا من أفراد الأجسام يشمله حد الجسم فيكون فردًا من كلي. وهؤلاء الذين لا خلاف بين محققي العلماء في كفرهم. لأنهم مشركون. وكذلك قد اختلف العلماء فيمن نسب إليه سبحانه الجهة الفوقية المعروفة التي تقابل التحتية. ولما كانت الجهة فرع الجسمية. فإن الجسم ذو ستة سطوح. فإذا وضع الجسم بإزاء جسم آخر أو أجسام نشأ عن هذا الوضع الجهات الست: فوق وتحت ويمين ويسار وأمام وخلف. والجهات اعتبارية قد تتغير بتغيير الوضع والاعتبار فمن أثبت الجهة للحق سبحانه لزمه القول بالجسمية فإن التزم الجسمية وقال بها فلا خلاف بين العلماء في كفره. ومن نفاها فقد تناقض فإنه بالقول بالجهة أثبت الجسمية وقد نفاها في آن واحد حيث صرح بنفي الجسمية. وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم رجوعًا إلى القاعدة. هل لازم المذهب مذهب وإن لم يلتزمه صاحبه. أوليس بمذهب؟

أما من نسب للحق سبحانه أنه تحت الأشياء فهو كافر بالإجماع حيث لا شبهة له.

قال الشيخ محي الدين الطعمي: اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن الحق تعالى هو كل ما سوى العالم. بل هو كل ما سوى الخلق والعوالم والتكوينات والتصورات والأوهام والأجسام والجواهر والأعراض. فهو خارج جملة عن هذا الوصف. فليس هو بجسم أو في جسم أو خارج جسم أو داخل جسم أو محمولًا على جسم أو تحت جسم. أو محصورًا بين جسمين. وليست الأجسام متداخلة فيه أو هو متداخلًا فيها أو ممتزجة به أو هو ممتزجًا بها. أو نابعة منه. أو هو نابعًا منها. ومن ثم سقطت عنه أوصاف الجسم والجوهر والعرض. وكل ما يتعلق بهذه المعاني. وذاك لكون الجسم مركبًا ومفككًا يحتاج إلى اجماع أجزائه حتى يتوحد والحق تعالى منزه عن التجزُّؤ. فلا يكون الجسم واجبًا.

وكذا ننفي عن الحق تعالى كونه جوهرًا لأنه جزءٌ من الجسم ومتحيز عند المتكلمين. وليس كذا بعرض لأن العرض محتاج إلى محل كي يقوم فيه.

والحق تعالى مستغنٍ أن يقوم به شيء بل هو قائم بنفسه مخالف للحوادث أزلًا وأبدًا.

وكذا لا حد له لكون الحد من صفات الأجسام. لاقتضاء الأبعاد والجهات في صفة الحد. وحاشا له هذا الوصف. وكذا ليس هو بضد ولا ضدَّ له. ولا تكافؤ في حقه. لأنه لا يوجد من يقاومه في هذا الشأن فليس له مثيل حتى يتحداه. وكذا لا شريك له ولا كفؤ ولا قبله ولا بعده شيء. بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن. ومن نكات التوحيد يا ولي: أن خلق الحق تعالى كل الكلام الذي ينزهه والذي لا ينزهه. فألقاه على ألسنة الورى. وهذا مقام في غاية الحيرة. في كونهم يوحدونه بالمحدث ويكفرون به بالمحدث. فكيف يوحدونه وكيف يكفرون به؟

ولما أقامهم المليك في العالم نظروا فلم يجدوا إلا المحدث فأمروا بتوحيده. فانزعجوا. فقيل لهم نزهوا ما استطعتم لكونكم في دار ابتلاء.

قالوا: كيف ننزهك ونحن لا نعرف عن حقيقتك شيئًا. فألهموا من معاني التنزيهات ما لا يخطر فكأنه معهم حين نزهوه. وهذا سر المنزه بدون رؤية. وذهب الجحود فلم يرَ سوى المحدثات من حوله تحدثه عن شأنها فقوي حجابه. فظن أن خالقها فيه شيء منها. وهذا قهر عظيم وإذلال لروحه. لبقائه في عماء الحجاب. وخلعه لزينة التنزيه. هناك هناك في العالم التنزيهي لا وصف ولا فوق ولا تحت. ولا أيسر ولا أيمن ولا أعلى ولا أسفل. ولا إحاطة ولا جسم ولا جوهر ولا عرض. ولا ذوق ولا طعم ولا رائحة ولا لون ولا انتقال ولا دخول ولا خروج. ولا امتزاج ولا مجيء. ولا ذهاب ولا هبوط ولا صعود. ولا أطوال ولا أبعاد. ولا باع ولا ذراع. ولا طول ولا عرض. ولا ضد ولا ند ولا شبيه ولا مثيل. ولا حد ولا عد ولا كم ولا كيف. ولا

وسع ولا ضيق. ولا كبر ولا صغر. ولا تفكك ولا تجمع. لا عجز ولا قوة. ولا نوم ولا سنة. ولا موت ولا غفلة. ولا أكل ولا شرب. ولا جماع ولا نكاح. ولا جلوس ولا قعود. ولا قيام ولا استواء. ولا يد ولا رجل. ولا جنب ولا وجه. ولا عين ولا فم. ولا ضحك ولا بكاء. ولا مرض ولا سقم. ولا خوف ولا ضعف. ولا فتور ولا تراخٍ. ولا ميل ولا صد. ولا غزل ولا عشق. ولا هجر ولا شماتة. ولا غدر ولا هدر. ولا كذب ولا خيانة. ولا فقر ولا عوز. ولا ذل ولا احتياج. ولا ابن ولا ولد. ولا أب ولا أم. ولا زوجة ولا صاحبة. ولا شركاء ولا أقرباء. ولا ذكر ولا أنثى. ولا بلاد ولا عباد. ولا أثاث ولا عقار. ولا ثوب ولا إزار. ولا حذاء ولا رداء. ولا خبز ولا ملح. ولا طير ولا وحش. ولا هوام ولا حيوان. ولا نبات ولا جماد. ولا إنس ولا جن. ولا ملك ولا نبي. ولا ضار ولا نافع. ولا حر ولا برد. ولا نار ولا جنة. ولا جوع ولا عطش. ولا بحار ولا أنهار. ولا جبال ولا أرض. ولا سماء ولا نجوم. ولا شمس ولا قمر. ولا ليل ولا نهار. ولا صباح ولا مساء. ولا زمن ولا خلود. قيل: يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين فبالله عليك كيف تتصور ما وصفت وقد أخرجتنا عن عالم الحِس إلـى ما لا يدرك. فهل ننزه بما لا يدرك؟

قلنا: نعم لما قصر العقل الآدمي عن أوصاف الإله فقد وجب عليه أن ينزه بما لا يدرك. لكون الحق تعالى لا يدرك. أما من قال أدركت شيئًا من معاني الحق تعالى دون التجليات الذوقية والكشفية فقد افترى على الله كذبًا وأعظم الفرية. في هذه الدار. لكونه لا يدرك في هذه الدار. إلا ذرة مما وقع لنبينا ليلة المعراج. عليه السلام.

ومن هنا كفرت الكرَّامية بقول إمامهم أبي عبدالله محمد بن كرام الذي دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم مماس للعرش له حد ونهاية وبداية من تحت وفوق. وأنه ملاق للعرش من تحته.

وهذا شبيه بقول الثنوية القائلين: إن إلههم الذي أطلقوا عليه اسم النور

متناه في الجهة التي يلاقي الظلام وأنه لا يتناهى في الخمس جهات الأخرى.

قال ابن كرام في كتابه المسمى (عذاب القبر) إن المعبود أحديٌّ الذات أحديّ الجوهر وإنه مماس للعرش من الصفحة العليا وجوز عليه الانتقال والتحول والنزول.

ومنهم من قال: إنه على بعض أجزاء العرش. وقال بعضهم: امتلأ العرش به.

وصار المتأخرون منهم إلى أنه محاذ للعرش. وقال ابن الهيصم منهم: إن بينه وبين العرش بعدًا لا يتناهى.

وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا نعني بكونه جسمًا أنه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم. وظنوا أن حكم القائم بذاته متجاور أو متباين.

فقضى بعضهم بالتجاور الإلهي مع العرش وقضى الآخر بالتباين الإلهي عنه. وحاشا له سبحانه وتعالى عما يشركون.

وربما قالوا كل موجود فإما أن يكون أحدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر. وإما أن يكون بجهة منه. ثم أعلى الجهات وأشرفها جهة فوق. فهو مرئي من تلك الجهة. وهذا جهل مركب.

ومن ثم اختلفوا.

فمن المجسمة من أثبت له النهاية من الجهات الست.

ومنهم من أثبتها من جهة واحدة.

ومنهم من أنكرها مطلقًا.

ولهم في معنى العظمة خلاف:

فقال بعضهم: معنى عظمته أنه مع وحدته على جميع أجزاء عرشه. والعرش

تحته. وهو فوقه كله. وقال بعضهم: معنى عظمته أنه متلاق مع وحدته من جهة واحدة. أو هو ملاق لجميع أجزاء العرش.

وهم بلا جدال أهل كفر وإلحاد وزندقة أعاذنا الحق تعالى وإياك منهم.

وقال شيخنا في سر المعية: وسأل (ﷺ) الجارية أين الله: فقالت في السماء. قال: فمن أنا؟

قالت: أنت رسول الله.

قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

وكلمة الوفاق بين العلماء المسلمين سلفًا وخلفًا من أهل السنة أن أين الله بفرض أنها وردت كذلك ليس معناها أن الله تبارك وتعالى له مكان والرسول (ﷺ) يسأل عن المكان الذي هو متحيز فيه. ولا خلاف في أن ذلك باطل مردود.

فإنه سبحانه خالق الأكوان بما فيها المكان ووجوده سابق عليها فكان قبل الأمكنة بلا مكان وجل سبحانه عن أن يتغير أو يتبدل فلما خلق المكان فهو هو سبحانه على ما عليه كان غني عن المكان والأكوان.

وحيث أن من الكافرين من يعتقد أن الحق تعالى جالس على العرش في السماء الجلوس المعروف فقال النصارى: إنه أصعد ولده فأجلسه بجواره على العرش (انظر أناجيلهم) فإذا سألت أحدهم: أين الله؟ فسيجيبك في السماء وواضح أن قوله في السماء لا يدل على أنه موحد له فلا يزال على كفره في اعتقاد الولد له سبحانه عما يقول الظالمون. ومن الواضح البين أن الرسول عليه السلام إنما كان يسألها سؤالًا يفيد جوابه نفي الشرك وحيث إن السؤال بأين الله بمعنى السؤال عن المكان والجواب في السماء لا يفيد ان نفي الشرك. فنحن نجزم بأن هذا السؤال لم يصدر منه (ﷺ) على هذا الوجه. فإن صح في اللغة أين الله بمعنى تعيين المعبود لا تعيين المكان كان ذلك هو المقصود كمن

يسأل ولدًا عن أبيه مثلًا وهو لا يعرفه أين أبوك من هؤلاء القوم؟ وهو لا يريد أن يسأل عن مكانه وإنما يريد أن يعينه له فالجواب: هذا أبي وروي أن الحق سبحانه وتعالى ينادي يوم القيامة: (أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع)؟

ومعنى هذا يا من كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع هلموا - فيقوموا.

وبديهي أنه ليس سؤالًا عن مكانهم. وقد ورد أنه (ﷺ) سأل حصينًا: كم إلهًا تعبد؟

قال: ستة في الأرض وواحدًا في السماء.

فمثل هذا إن سأله سائل أين الله فسيقول في السماء ولا يزال على كفره وشركه فلا يدل السؤال والجواب على أنه مؤمن. وإنما السؤال الذي يدل جوابه على التوحيد كأن يقول لمالها من ربك أو من تعبدين؟ فتقول: الله أو أعبد الله. وقد قال (ﷺ): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله). ولم يقل: حتى يقولوا. إن الله له مكان في السماء.

وحيث إن الروايات قد تكون باللفظ وقد تكون بالمعنى أي بمعنى ما فهم الراوي وقد ورد أن الجارية كانت عجماء. وأن جوابها كان بالإشارة. وقد صح في حديث آخر لمن أراد (ﷺ) معرفة إيمانها بلفظ: من ربك؟

وكان هذا هو السؤال الذي يعين التوحيد فنحن نجزم بأن أفصح الخلق الذي أوتي جوامع الكلم لا يصح أن يسأل وهو يريد معرفة توحيد الجارية. سؤالًا يريد به وجهًا لا يعين التوحيد. ونرد فهم من ينسب إلى رسول الله (ﷺ) ذلك ونعتبره وهمًا وسوء فهم. أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي سلمة عن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه أن أمه أوصت أن يعتق عنها رقبة مؤمنة فسأل رسول الله (ﷺ) عن ذلك. فقال عندي جارية سوداء نوبية فأعتقها؟ فقال: أنت بها فدعوتها فجاءت فقال لها: من ربك؟ قالت: الله فقال: من أنا؟ فقالت: رسول الله (ﷺ). فقال:

أعتقها إنها مؤمنة وكذلك رواه البزار.

فهذا هو السؤال والجواب الذي يتعين فيهما التوحيد والإيمان.

فإما أن يكون (ﷺ) سألها من ربك؟ كما مر في الحديث وروى الراوي بما فهم من معنى الإشارة. فقد أجازوا الرواية بما يفهم من المعنى - أو أنه (ﷺ) قال لها: أين ربك؟ وإنما يريد سؤالها عن الإله الذي تعبده.

وهل هي تعبد الأصنام التي يعبدها الكافرون. وقد عرفت أنها كانت عجماء فتكلمت بالإشارة.

فالمراد بالسؤال والجواب هنا هو المراد في الحديث الآخر حتى على فرض من أن السؤال كان بأين والحديث يفسر بعضه بعضًا وخير الفهم والتفسير للحديث ما كان بحديث المعصوم (ﷺ) لا بالآراء المخترعة والأهواء.

والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال لا يصح به الاستدلال. وقد اتفق المحققون على أن الأصل في الروايات التي تروى بالمعنى أن تتوارد على معنى واحد مهما اختلف التعبير. وقد اختلف في اسم الصحابي في الرواية التي فيها أين الله. وإذا احتملت الرواية وجوهًا فلا يصح الأخذ إلا بالوجه الذي يتفق مع الكمال والعلم والحكمة. وبهذا قد تبين أن الاستدلال بهذه الرواية على أن لله مكانًا أو أنه سبحانه يتحيز في جهة هو دليل سوء الفهم وعدم الفقه عن الله وعن رسول الله (ﷺ) وهو خطأ والاستدلال به معلول. وقد تقدم في بيان عقائد القوم رضي الله عنهم أنهم يؤمنون بكل ما ينسب للحق عز وجل إلى نفسه. من غير تكييف لا على الوجه المعروف في الحوادث فكما أن ذاته لا تشبه شيئًا من الذوات وصفاته تعالى لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقات ولا فعله يشبه فعل الخلق. وهذا أمر متفق عليه ليس بين المسلمين فيه خلاف.

وبينا أن الفعل إذا نسب للحق تجرد عن الزمان فيريد ويشاء إذا نسبت للخلق دخلها الحال والاستقبال.

فإذا نسبت إلى الحق زال منها الزمان فلا حال ولا استقبال لأنها نسبت إلى خالق الزمان فهي إرادة مطلقة أزلية أبدية غير مقيدة بالزمان.

وكذلك الظرف إذا نسب للحق زالت منه الظرفية لأنه تبارك وتعالى خالق الظروف والأمكنة فكان قبل الأمكنة بلا مكان.

وجل سبحانه عن أن يتغير ويتبدل فإذا سمعت قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ فالأصل في لفظة (في) أنها إذا نسبت إلى ما يجوز عليه الظرفية. كانت بمعنى الظرفية. وإذا نسبت إلى من لا يجوز عليه الظرفية انتفت عنها الظرفية. فكانت بالمعنى المنزه اللائق بالمنزه سبحانه. ومتى عرفت أن ذاته تعالى ليست بجسم ولا تشبه الأجسام في سائر صفاتها أيقنت أنها ليست بالمعنى الجسماني. وإنما هي بمعنى آخر يليق بالذات الأقدس. وعرفت أن قوله (ﷺ): (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) وقوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾. هو نزول ومجيء إلهي بعيد عن كل وصف في النزول والمجيء المعروف عن الأجسام.

ومن الناس من أثبت للحق سبحانه المعية المعروفة في الجسمانيات.

وهذا يلزمه الحلول والتجسيم. ومثبتة بلا خلاف بين علماء المسلمين في كفره.

ويعتقدون أنه سبحانه حال في كل مكان. كحلول الماء في العود والروح في الجسد. وهذا ضلال بيّن وهو سبحانه كان قبل كل شيء بلا مكان. وهو على ما عليه كان. منزه عن التغير والتبدل. وأن يحل في مكان أو يتجسد أو يتحد بمخلوق.

وأراد آخرون أن ينزهوه عن هذا القول فوصفوا فوقيته على كل شيء بالوصف الجسماني. فجيزوه في ناحية من الكون. فوقعوا فيما فروا منه. ويقولون قال فلان هو فوق كل شيء بذاته. ومع كل شيء بعلمه. وهل علمه ينفصل عن ذاته؟ وهل (بذاته) وردت في آية من كتاب الله أو حديث

رسول الله (ﷺ)؟ لم ترد. ولماذا قلدوه في العقيدة وهل في العقائد تقليد؟

والأصل في ذلك أنهم لم يقطعوا بأن الحق منزه عن الجسمية ولو نزهوه عنها لسقطت جميع لوازم الجسمية من خيالاتهم.

وبيان ذلك أنك لو فرضت أن فوقية الذات على العرش هي الفوقية المعروفة فيما نشاهد فلا يسعك إلا أن تربط بينها وبين المجيء والنزول اللذين نسبا للحق في الكتاب والسنة فتقول إنهما كذلك المجيء والنزول المعروف لنا فيما نشاهد.

فإذا جاء ونزل إما أن تقول إنه ما زال على الفوقية المعروفة فتكون قد نفيت النزول المعروف. فإنه لا يوجد شيء من الأجسام يكون فوق شيء فينزل ولا يزال على فوقيته. فكأنك قلت ينزل ولا ينزل وهذا هو الجمع بين الضدين وهو محال. أو تثبت المجيء الحقيقي المعروف فتكون قد أزلت عنه الفوقية المعروفة.

فإن أولت المجيء والنزول وقلت بالفوقية المعروفة فقد افتضحت. وإن أولت الفوقية وقلت بالمجيء المعروف فقد افتضحت وإنما يلزم التناقض من ظن أن فوقيته سبحانه الفوقية الخلقية ونفى عنه الفوقية الإلهية التي لا تشبه بوجه فوقية الخلق وظن أن المجيء هو المجيء الخلقي ونفى عنه سبحانه المجيء الإلهي المنزه.

وهذا هو الضلال المبين. الذي ينسبه تناقض الكفار القائلين ثلاثة هي واحد وواحد هو ثلاثة في وقت واحد.

ولا ندري ما الذي دهى عقولهم حتى حملوا النصوص على الفوقية التي تجامع فوقية الخلق. وقد نفاها الشرع والعقل. مع أن الباحثين في المادة حتى الملاحدة بدأوا يغيرون رأيهم في الأجسام المادية ويردونها إلى أصل غير الأجسام.

وقد قرر بعضهم أن الأثير نصف مادي.

فالمؤمنون أولى بترك الجمود الجسماني. والمجيء والفوقية والمعية المادية مكيفة. أما غير المادية فلا يتطرق لها كيف. وهذه هي السلفية الصحيحة.

ولماذا لم يحملها هؤلاء على الفوقية المنزهة التي تفارق فوقية الخلق. ولدينا النصوص التي تعين ذلك.

وكذلك المجيء وغيره. وبذلك يخرجون من التناقض الذي هو آية ضعف التفكير. ودينا هو الدين الواحد الذي لم ينفك دين غيره عن التناقض والتهافت. والتحقيق العلمي في ذلك أن الحق سبحانه ليس بجسم. فما نسب إليه ليس بجسماني. فهي فوقية ليست بجسمانية. وتزول ليس بجسماني. ومجيء ليس بجسماني. ومعية ليست بجسمانية.

وقوله تعالى: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ أما الإحاطة الحادثة فهي كإحاطة السور بالمعصم. والإحاطة الإلهية منزهة عن أن تشبه الإحاطة الحادثة.

وقرب الحق من عباده ثابت ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.

أقرب إليهم من أنفسهم فإنه سبحانه قيومهم. لا يشاءون إلا أن يشاء. هو الذي يتصرف فيهم كيف يشاء.

ولا حول لهم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. القرب المنزه عن جميع صفات القرب الحادث.

سبحانك أين كنت؟ أي حيث كنت ولا مكان وأين تكون كما كنت ولا مكان. وحديث الترمذي أنه سئل (ﷺ): أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان في عماء. اهـ.

والعماء غيب وقد فسره السلف أي ليس معه شيء. وهو الموافق لما جاء في الأحاديث الصحيحة. فليس هناك أي جمع بين ضدين ولا نقيضين. ومن الجهل المركب أن يقول بعض الضالين إما أن يكون داخل الكون أو خارجه ويزعم الجاهل الكاذب على ربه أن نفيها معا وصف له بالعدم. وهو منتهى

الغباء. وهو دليل على أنه مجسم ضال. فإن ذلك لا يلزم إلا في التجسيم. فإننا ننفي عنه سبحانه دخوله في الكون الدخول الجسماني وننفي عنه سبحانه خروجه عن الكون الخروج الجسماني. ونثبت له سبحانه الفوقية الإلهية والقرب الإلهي والإحاطة الإلهية المنزهة عن الصور الجسمانية بسائر أوصافها من حلول واتخاذ وتداخل وامتزاج ومكان ومسافة. فإن ذاته منزهة عن الجسمية ولوازمها. فوصفه منزه عن ذلك كله. ونسلم الأمر لله حقًا. ونفوضه له صدقًا. لا تفويض المنافقين الذين يحرمون التقليد في الفروع وهم مقلدون في العقائد لقوم لا يجدون مضاضة في مخالفتهم في الفروع.

فيا سبحان الله

أولئك الذين يظهرون التفويض زورًا ويبطنون التجسيم الوثني الذي جاء الإسلام بتحطيمه.

واعلم أن من لم تزل آثار التجسيم من قبله فما زالت آيات الوثنية فيه. فإنه سبحانه ليس كمثله شيء. من جميع الوجوه. آمنا بما أنزل الله على مراد الله. وهذه هي عقيدة السلف الصالح قاطبة لا تكييف ولا تشبيه.

قال الشيخ محيي الدين الطعمي:

اعلم أيها الصفي أعزك الله بعلمه وعلمك بخالص معرفته. أنه يجب على طالب الحق تعالى أن يخلص التوحيد حتى يأتي الله بقلب سليم. وبصر حديد. وثوب توحيد فريد. وحتى يندرج إلى هذا الخلوص التوحيدي فإنه يجب عليه أن يهمل في حق الذات أربع أصول شركية.

- الأصل الأول: ينسى أنها جسم أو جوهر أو عرض.

- الأصل الثاني: ينسى أنها في مكان وأينية

- الأصل الثالث: ينسى أنها مقيدة بزمان.

- الأصل الرابع: ينسى الإحاطة الوصفية بالتجسيم في حقها وانتفاء الظرف

عنها. وكل معنى يتعلق بالخلق العدمي. كالحلول والامتزاج والمماثلة والفوقية والتحتية. الخ.

ولو تحققت يا بني بأصل واحد فضلًا عن تحققك بالأربعة أصول لزال شكك. وقوي يقينك وهذا براهينه قوية في تدهور شكوكك. فإذا نسيت هذه الأصول الأربعة من مخيلتك أو معظمها فقد أصبحت عبدًا ربانيًا محضًا نورانيًا مكاشفًا بأسرار التوحيد. ومن ثم ذهب المشرع سبحانه فجعل من هذا الآدمي دليلًا على معيته نسيها أكثر الخلائق وما عقلها سوى أرباب الذوق. وفتيان المعرفة. فخلق آية على معيته السرمدية: **عقلك ووهمك ونفسك** وقلبك وهمتك وروحك. فإنك ما أحطت بشيء من أسرار هذه الأصول الستة فضلًا عن إحاطتك ببعضها. أو واحدًا منها. فجهل الآدمي حقيقة عقله. فرأى عقله كلما ازداد علمًا زاد جهلًا وضلالًا. فكيف يطلب الإحاطة بخالق العقل. ورأى من حيرة العقل أنه قابل للحفظ والتخزين العلمي ما يعجز عنه الحس الفراغي الذي لو وضع فيه علم العقل لما وسعته الدنيا بأسرها. ولا السموات والأرضين السبع. فكان الشرف الإلهي محتويًا على هذا الآدمي وهو بجهله أعلم من العلم بكنهه.

لذا قال النبي معبرًا لهم عن هذا الذوق: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله). فإذا ما أصاب النور الإلهي بصيرة العارف المحقق رأيته يستخرج سر المعية من نفسه بأسرار نفسه. فأنت لعمري يا ولي الله قد حويت من آلاء الله شيئًا ما أجهلك به. أما سلطان وهمك فأنت أعجز عن إدراكه. إذْ هو أعظم عوالمك التي حويتها وجهلت العلم بها. حويت بها الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم. وما لا نهاية له من المعلومات الإمدادية. ما حيّر مخيلتك وفتت كبدك فكيف تتطلب كشف سر المعية.

ما يقال لك إلا ما قد قيل. فارجع البصر إن شئت؟ هل ترى من فطور؟

أي ولي لو سلطت سلطان وهمك على العوالم لأحرقتها. وقد جهلت هذا القدر.

أما سلطان نفسك فأنت جاهل به أكثر. ما سر النفس الأمارة؟

ما سر النفس الماكرة اللوامة؟

ما سر النفس المطمئنة الراضية المرضية؟

فهل عملت هذه المقامات النفسية؟ وفي أي مقام أنت؟ حتى تتعدى على حرمات الإله فتبحث فيما لا يعنيك؟

هل علمت مراقي النفس وعقبات كؤود؟ وجب عليك قطعها؟

هل علمت ما حقيقة نفسك؟

وما أنوار كل نفس؟

وكيف تتخلص النفس من عقبات كل مقام؟

إلى مقام أسمى؟

هل علمت دواء كل مقام؟ وما أذكاره؟

هل علمت حقيقة المجاهدة؟ والأرواح التي تعينك عليها؟ والأرواح التي تقاومك فيها؟

هل رأيت ظلمات النفس الأمارة؟

وتشكلت لك تلك الظلمات؟

وهل تشكلت لك النفس؟ ومقامات النفس؟ فإن علمت هذا فستعرف شيئًا من أسرار المعية؟ وإلا فخير لك أن لا تبحث فيما لا يعنيك.

وأما حقيقة قلبك؟ فأين أنت منها يا مسكين. وقد قال الحق تعالى في حضرته: ما وسعتني سمائي وأرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن.

فهل علمت الوسع القلبي؟

هل رأيت بعين الفؤاد ؟

هل علمت ما يحويه يقين القلب من موارد إلهية وواردات ذوقية؟

هل تحققت من علم جنود القلب؟

هل ملكت سر التوبة؟

هل أوتيت خاتم القفل القلبي الذي تقفل به وتفتح على الفؤاد. فلا يتطرق إليك وهم وشرك؟

هل طالعت الملكوت بسر العين القلبية؟

هل يقنت البصر العيني والبصيرة القلبية؟

هل خاطبك القلب وخاطبته بسر آلامك؟

هل علمت التجليات القلبية المنبعثة من هذا العالم؟

وما عددها ؟

وما تنازلاتها؟

وما دركاتها؟

وما ترتيبها ؟

هل أحرقك قلبك بأنوار التجليات وقوة الواردات؟

أما همتك يا بني فأين أنت من علم الهمة؟ وأنت طفلٌ رضيعٌ غِرٌ غريرٌ بأصول الذوق؟ فاسكت خيرًا لله؟

هل ملكت الكون بالهمة. الكون يناديك املكني قبل أن يملكني غيرك؟

وأنت محجوب عن ندائه قاصر عن سر مخاطباته. هل علمت حقيقة الهمة

المحمدية القائلة: أنا سيد ولد آدم ولا فخر؟

هل علمت همة الفرد الجامع المالك الكون بنظره وهمته. فهو بين يديه كالقصعة؟

هل علمت سر ضعف الهمة؟ وما قوتها؟ وما تعلق العلم القدري بالهمة؟ وكيف تخرق الهمة المشيئة النسخية؟

هل علمت سر الهمة المجردة والتي لا تجرد فيها؟

وهل علمت قدر الهمة من توافق الروح والمزاج؟ وأين موطنها؟ وأين نورها؟

أما روحك يا حبيبي؟ فقل الروح من أمر ربي؟ هل كشف الله عن هذا المقام؟ وماهيته؟

وأنه أقوى العوالم؟ وأشرفها؟

هل كشف الله عن سلطان الروح المجرد؟ وقوته؟ ومدى أثر الأرواح على بعضها؟ وقوة سريانها في أنفسها؟ وأسرار تداخل الأرواح؟ وامتزاجها وتنافرها؟ وقوتها وضعفها؟ ورقتها وغلظتها؟

وحقيقة خلقها؟

وسر نعيمها؟ وسر عذابها؟

وموطنها في البرزخ؟

وموطنها في الحشر؟

ومقامها في رؤية الحق تعالى؟

وسر اتصالها بالجسد؟

وسر تحريكها له؟ وسر انفصالها عنه حالة الموت؟ وما تلاقيه من آلام وما

يلاقيه الجسد من عذاب أبان النزع؟

فمن أنت أيها الطفل حتى تبحث في سر المعية وقد خلقك من قبل ولم تك شيئًا؟ فهذا دليلك من نفسك قد أبان عجزك مقر بهبوط ذوقك وفكرك. وحيرك ولوعك على أنك جاهل لا محالة لا كرامة لك إلا بالتكريم الإلهي. المعبر عنه بمعيته معك. عجبًا كيف يبحث العدم في حقيقة من خلقه؟ والعين لا تعلو الحاجب أبدًا.

وكان شأن الكامل أنه كمل من معرفة حقه وذاته ومن ثم أراد التعرف على الحقوق الإلهية. فلا يدخل إلى حضرة الحق تعالى ناقصًا حتى لا ينتقص فيرد على أعقابه من حيث أتى؟

فعلم سر نفسه وعقله وروحه وقلبه وهمته ووهمه. فقيل له تعرف علينا.

فذاك الداخل إلى حضرة التعريف بقدم التشريف. فاكمل وابحث.

واختبر الروح المحمدي (ﷺ) شأن الجارية بقوله: أين الله؟ وقوله: ومن أنا؟ قيل: ما سره أيها العارف؟ قال العارف المحقق: هذا سؤال تكلفي محل صدوره حضرة الاختبار بحقيقة المقام التي يجهل فيها الكلام؟ فهو استنكار يتضح به سر الموحدين. ومن هذا المقام قول فرعون لموسى: وما رب العالمين؟

فأوقعت الحضرة السؤال المحمدي على لسان الفرعون. وهذا من ذاك لا غير. ألا ترى أن موسى لم يسكت فأجابه بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ وفي مقام آخر قال الفرعون: فمن ربكما يا موسى؟ فأجابه: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وعلم العارف المحقق هنا سر محمد وموسى. فموسى سُئِلَ؟

ومحمد (ﷺ) سَأل؟

ففاق المقام المحمدي ورقي المقام الموسوي ذوقًا؟

ولما علِم الفتى موسى سر السؤال الفرعوني علم شرفه. فتصدر الرد.

فكان شرف الجارية هو شرف موسى؟ إذ بحث الكمال استشراف هذا الذوق. وأما الشرف المحمدي فكون صاحبه (ﷺ) سأل ما سُئِلَ عنه موسى فقال لها: من أنا؟

فعلم المحقق الذائق أن أشرف البحث ما صدر عن سؤال استفهامي؟ إذْ لا يعرف مقدار إلا عن استفهام. وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى جنون الموحدين فليراجع.

والمستفهم فاهم ولكنه استفهم لإعلاء ما هو عالٍ وليس عن جهل بما استفهم عنه. إذ لا يعقل أن المقام المحمدي سألها عن مكان الحق تعالى المرئي على ظاهر السؤال: أين الله؟

وهذا حال من استفهم عما يعلم ليؤكد قوة المقام.

أما المعية فوجدت الكائنات معها أزلًا صفة وذاتًا. وذاك قوله في عالم الميثاق: ألست بربكم؟ قالوا: بلى قد شهدنا. وما أشهدهم إلا لكونه مربوطًا بهم وهم مربوطون به.

وحال الموجد أن يرى ويسمع ويخاطب ويلازم من أوجد لكونه به أولى وإن كان ينافيه وبخلاف وصفه.

وإلا فعدم ملازمة الخالق لمن أوجد عجز في هذا المقام. فقام الدليل على أنه ملازم في كل مكان لمن أوجدهم بذاته وصفاته.

فمن قال هو بصفته فقط فقد انعدم ذوقه. ولكن الأدب أن يقال هو ملازم بصفاته تنزيهًا للذات. ولكن لا يمنع الأدب المعية المطلقة للكائنات بالذات والصفات.

ومن هنا أمرنا المشرع بالدعاء في السجود والإكثار منه لكونه أقرب المواضع إليه. فعلمنا أن قربه قد يكون بالانخفاض لا بالعلو. وهذه نكتة

توحيدية أذهلت أهل الجحود. لما خرق لهم المشرع العوائد. وأفهمهم أن قربه لا يكون بعلوه. بل هو بالذل والانخفاض أقرب. ألا تراه أنه في مواطن الكرب والضيق أقرب إلينا كمواطن القتال والظلم والصوم ونزول الغيث. لذا أمرنا الشارع أن ندعو في هذه المواطن. فدل على أن قرب الحق تعالى مخالف للحوادث جملة. وبهذا بهتهم الحق تعالى. ومن ثم خلق لهم الهواء والأثير والضوء والصوت والشعاع النووي.

فدل الدليل على أنه غير محاط لكون مخلوقاته محيطة بغيرها وهو عكس ما خلق.

فترى الصوت والشعاع النووي مخترق للحواجز كالبنايات والجبال والبحار والأرض. فيعلموا به ما وراء الغيب من أسرار الحجب. التي بداخل الأرض كبحثهم عن البترول في البحار وباطن الأرض فيسلطوا شعاعًا ليستدلوا به بعد ذلك على وجود ما أرادوه أو انعدام وجوده.

ورأينا الهواء احتوى كل خلق حتى الحجر والحديد فيهما نسبة هواء ورطوبة. فكيف لا تلازم الذات والصفات ما خلقت من خلق. فهي الأجدر بهذه الملازمة. وذاك قوله: وهو معكم أينما كنتم. فإن قال المعاند فهل هو معنا في مواطن الحياء والنجاسات كالنكاح والتغوط؟ قلنا: نعم إلا أنه تنزيهًا له نقول هو بصفاته ولكن صاحب الحياء أولى بالحياء. وإن وجد بصفاته وذاته.

أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم والبيهقي: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك. قيل: إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: فإن الله أحق أن يستحيا منه من الناس.

فدل الخبر على أن الحق تعالى في معيته ملازم لكنه حيي عن مواطن الحياء منزه عن مواطن النجاسات. أن يطلع عليها. لذا أمرنا أن نكون مثله فلا نطلع على عورة. روى أبو داود والنسائي إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر.

وروى الحاكم عن جبار بن صخر رضي الله عنه: إنا نهينا أن ترى عوراتنا.

والطبراني عن العباس رضي الله عنه: نهيت أن أمشي عاريًا.

والطبراني: يا أيها الناس إن ربكم حيي كريم فإذا اغتسل أحدكم فليستتر.

فدل الخبر على معية الإله حيث كنا بذاته وصفاته إلا أنه حيي كريم ستير أي ولي وإذا لم يوجد الحق تعالى في كل ذرة من الكون بذاته وصفاته فقد خلت تلك الذرة من أثره وحاشا له هذا الوصف سبحانه وتعالى عما يشركون.

وإذا لم يحط بكل محيط فقد غلبه ما خلق وحاشا له هذا الوصف.

.وإذا لم يلازم بلا كيفية فمن الملازم والرازق والضار والنافع.

وفي هذا المشهد العجيب قلنا:

ماذا أقول وأنت وصفك تائه ... عن كل مدركة وحائط فكرة
فجمال وصلك قد أحاط جمالنا ... وجمالنا نقص مكمل رقعة
فجمالك الباقي ونحن كواسب ... وجمالنا اللحظي لحظة متعة
تفًا لصب قد يخاطر نفسه ... بجمال غيرك لذة في خلوة
لولاك لم تحط العقول بشهوة ... ودلال حبك حاشه من شهوة
والعاشقون ملاحة لجمالكم ... وغرامهم سلك بري من حبة
والخلق قد رأوا النقائص زينة ... ورأوك حسنًا دون مصل الحلقة
عرفوك نقصًا في إحاطة وهمهم ... أوهامهم وهم أحاط بشبهة
لا أنت مرفوع فدونك محدث ... أو أنت مخفوض نزهت برفعة
أو أنت محمول فعجزك بين ... بل أنت قيوم بآية قوة
أو أنت محجوز فنورك محجب ... أو أنت مفروق أحطت بخفية
أو أنت ملموس فغير مرتق ... سحقًا لطين إذْ يصفك بخطرة

كتاب
النور القُدْسي والجمال الأُنْسي
في شرح آية الكرسي

الحمد لله المنزه عن كل نقيصة. سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. والصلاة والسلام على الكامل المبعوث رحمة لنا عروس القيامة وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

فهذه رسالة بديعة. ونبذة سريعة. ضمناها بعض خواطرنا وليس كلها. في تفسير بعض أسرار آية الكرسي.

قال الله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

الله الاسم الفرد. الذي كل اسم تحت حيطته. ولولاه لما بدا اسم في الأسماء الإلهية مطلقًا لكونه استوى على منصة الأسماء. والأسماء مندثرة فيه. والهوية ضائعة في حقه. فإذا قيل الله ضاع كل معنى واندثرت كل صفة وجهل كل قدر إلا قدره تعالى. لذا أشير إليه بالعماء المحض الذي لا وصف فيه ولا ذوق فقيل: هو الله. فوضع سر الله في الهوية. وما الهوية؟ العماء لا غير. فمن نقب ونبش رمي بسهام الغيرة القاتلة.

أما قوله (لا) فاعلم أنه لولا اختراعه تعالى لكلمة «لا» وكذا كلمة (إلا) لما وحَّده مخلوق أصلًا على ظهرها. وهذا سر الأسماء المحقق لدينا.

إذْ سر (لا) هو سر النفي.

وسر (إلا) هو استثناء المقام.

فالموحد يقول لا إله فلو سكت لكفر لولا إضافة لفظة إلا المثبتة للمقام. فافهم

أما قوله (هو) فهو العماء. فما هو؟

وما شأنه؟

وما حقيقته؟

فإلى هنا يا ولي الله تنتهي المعرفة. والخلق في سر الهوية في عماء محض.

فلولا أن قال الحي القيوم. لما تعرفنا عليه. فلو قيل الله لا إله إلا هو. لقيل هو ما وصفه وما شأنه؟

فرحمهم من الحضرة التنازلية التعريفية فقيل لهم: هو الحي القيوم.

فبعد أن ضيَّعهم في عماء الهوية تنازل لهم عن المقام وقال الحي القيوم.

أما حياته سبحانه. فخالفت حياتنا جملة وتفصيلًا وقيوميته كذلك. كونه قائمًا أزلًا وأبدًا بشأنه وشأن العوالم.

وقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾.

أي لا تأخذه أي شبهة خلقية عدمية. أما سر الأخذ فهو أعلم به. وهو من باب العلم الإلهي المكري الذي مقامه قيل فيه في الحضرة: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

وهذا الأخذ إملائي يملي لهم فيأخذهم على غرة أو بعلم منهم وكله متحقق في العلم المصون.

ألا ترى النبي عليه السلام قال: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ الآية رواه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه. فهذا العلم الأخذي من علم الذات المصون متحقق في الأعيان لذا وصف نفسه فقال: ﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾. فوصف ذاته أنه مقتدر ومعتز بهذا الأخذ لقوته ولانعدام أن تأخذه سنة وهي النوم الفتوري وهو مقام بين اليقظة والنوم أو سواء نوم أو موت أو عجز. أو خلافه. وقوله تعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

ولما قال له ما في السموات وما في الأرض فقد ثبت امتلاكه لكل دقيق وجليل في الكون وثبتت معيته المطلقة الملازمة للأعيان بذاته وصفاته. وهذا مقام قيامه بالنفس وبالخلق بغير تعب أو ملل أو عناء. بل هذا شأنه قائم فيه. وعن هذا المقام قيل في الحضرة: ولله ميراث السموات والأرض. وحقيقة الميراث العلم الساري لكون الملك فانٍ ولا يصح له امتلاك الفناء. فافهم بل هو مقلب للفناء. ألا ترى أن الشمس ستكور والنجوم ستنكدر والسماء ستطوي والبحار ستسجر. الخ. ولا يبقى في الأعيان إلا علمه الساري فيهم. وانقيادهم لتقرير مشيئته فيهم.

ومن القوم من ينسب لنفسه قوة وشفاعة محضة أو غير محضة. وهذا جعل بحقوق الباري.

فاعلمهم أنه ما من ملك أو نبي أو ولي أو جبار أو متسلط فعل ما فعل إلا بإذنه. ورضائه.

وهذا سره سريان العجز المحض في العدم المحض. وقوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ هو ما بين أيديهم الآن. كل على قدر مقامه. أما علم ما خلفهم فهو المعبر عنه بالسر وأخفي فقال: ﴿يعلم السر وأخفى﴾ وفي آية: ﴿يعلم السر وما يخفى﴾. فهو يعلم السر الذي غاب عنهم في هذه الدار وأخفى منه.

فاعلمهم جهلهم المحض لولا تكريمه لهم بسر كرامته. فافهم.

فكل سر علموه في هذه الدار فهو من العلم الذي بين أيديهم. ولا يدخل في العلم الذي خلفهم. فهذا لعمرك يا ولي سر قوله وما خلفهم.

وكذا كل ما أحاطوا به فهو من العلم الذي بين أيديهم. حتى علوم الأولياء وأسرارهم من جلة العلم اليدوي هذا. أما علم ما خلفهم فهو المقول فيه: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾. سواء نبي مرسل أو ملك مقرب.

وقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض﴾.

ولما قال ولا يحيطون فقد أثبت إحاطته بالأشياء إحاطة تنزيهية لا كإحاطة الخاتم بالأصبع أو السوار بالمعصم. فحاشا له هذا. وهذا إثبات أيضًا لمعيته للأشياء منذ خلقها حتى يحاسبها وتخلد. فما دام محيطًا فهو أحق بتلك الملازمة وتلك المعية المطلقة التنزيهية عن كل معية تخطر في الوهم.

وفي هذا إثبات أيضًا أن الأعيان لا أثر لها ولا حس ولا معنى في الجناب الإلهي فكل ما يخطر في خواطرهم في حقه هباء منثور وذاك قوله ولا يحيطون بشيء. أي لا يحيطون به بأي شيء تصوروه به أو حاولوا أن يدركوه به. فمذهب المجسمة والحلولية والجبرية والقدرية هباء منثور في حق هذه القاعدة الشريفة. فمنهم المجسم ومنهم الذي قال بحلوله أو حلول شيء فيه ومنهم من أجبره ومنهم من انتقضه في قدرته. وهذه أوهام الأشياء التي لا إحاطة لها به. سوى إحاطة وهم عاجز مريض ظن أنه أدرك شيئًا من حقوق الباري.

ولما علم عجزهم وحبهم له في آن واحد. فكيف يخرج لهم من عماء المحض الذاتي إلى حقوق تعريف المكانة. رأفة بهم وحبًا لهم. فهو يحبهم أكثر من حبهم له. لكونه أكسبهم تلك المحبة الشريفة.

ومن ثم ذهب وتنازل وسعًا وتوسيعًا لمجال التعريف به منهم.

فقيل على لسان تلك الحضرة: ﴿إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض﴾.

فشاء لهم في هذا المقام ظهور الأسماء والصفات في مقام التنازلات الرحمانية رأفة بهم. فمن ثم علموا في هذا المقام رحمته وعلمه وقدرته وبطشه وجوده وعزته وتكبره. إلى ما شاء الله.

ولما تنازل خاطبهم على قدر عقولهم فقال: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ وقد وسع ما هو أعظم.

ولما لم يعلموا ما هو أعظم فإنه تركه ولم يخاطبهم به. لقوة حجابهم.

فالكرسي في هذا المقام سميت به هذه الآية فقيل آية الكرسي.

وحقيقة الكرسي العلم القديم الشريف الذي قامت به الأعيان. ومن ثم تحققنا أن اسم هذه الآية الحقيقي هو: (آية العلم). فعلمنا شرف العلم الإلهي.

وقل من يتحصل مقامه.

وقوله تعالى: ﴿ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾. أي لا يثقله حفظ من خلق لكونه عليًا عظيمًا.

فثبت معيته للأشياء المخلوقة. وإلا فكيف لا يثقله حفظها؟ وثنّى الحق تعالى فقال حفظهما أي إشارة إلى السموات والأرض. والمعنى لا يثقله حفظ كل زوجين لكونه خلق الأشياء زوجين اثنين. فما من مخلوق إلا له ما يزاوجه في مملكة الحق تعالى. فلم يعرف فرد إلا الحق تعالى في الكون. وبهذا صحت فردانيته في العوالم وعلى العوالم. وصح أن يصمد للأعيان وأن تنجذب فيه كانجذاب الحديد إلى المغناطيس مع حفظ كل مقام وتنزيه الحق تعالى عن قيل وقال. ودل الاسم الحفيظ على الملازمة المطلقة من قبله سبحانه للأعيان تكفلًا بهم في كل وقت ومكان بذاته وصفاته.

كتاب
تأويل قانون وحدة الوجود

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد :

ليت شعري يا ولي الله من المتحد بالآخر وطالب للوحدة الرب أم العبد. أم كلاهما ؟.

وما سر شفوفهم في هذه المرتبة. وطلبهم لها طلبًا محضًا هم فيه مرغمون. وعلى أقدامهم إليه سائرون ؟.

أما سر هذه المزية فلا تعطَ في شؤونها وبراهين عيونها إلا لأجلة الذوق. وأرباب الفتق والرتق وسادة العشق. وتلبس المغاني الذوقية أحال رتبة هذه المزية إلى معنيين: معنى سلم به من ادعاه ومعنى هلك به من اقتداه.

ولما طلب منهم الحق تعالى هذه المزية فقد عرفها لهم أزلًا بقوله لهم: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها).

فعرفهم هناك في البدء الأول سر الوحدة الأزلي. الذي هو بدء بطلبه طلبًا محققًا منسقًا في أرواحهم ومعانيهم. أما المقام والذات والصفات والأسماء فليس لها اتحاد مع العبد. وهذا يستحيل في قانون الوحدة بين الرب والعبد. ألا تراه قال لعيسى عليه السلام: ﴿إذْ أيدتك بروح القدس﴾. وتارة يقول فيه: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾. فلما ظن سفهاء القوم أن عيسى هو الحق على

التوكيد قيل له من جناب الحضرة الإلهية: ﴿ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الناس قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾. فأعلمهم حقيقة المقام العيسوي في العبودية.

لكن أهل القربة لهم من دون ذلك مقام الخلق في ضياع عنه. في مقام وحدة الوجود. وإني سأفصح لك عن طلائع بداياته. كي تتحقق لك رواياته.

فاعلم يا حفي أي يا صفي: أن أهل الدلال والشوق الحلال قد أعطوا سؤالاتهم في الحضرة. فهم في مقام آيته: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). فطلبوا ارتقاء معارج الوحدة لما صح من مقام المعرفة والمحبة. فأعطوه ذاتًا وصفاتًا ومقامًا وذوقًا. لكونهم روح الحضرة ولا طعم لصفاء الحضرة إلا بهم. فهم متمنون لمعاني ذاك المقام. لكن على قدرهم. فالرب رب والعبد عبد. وهذا المقام له وجهتان.

الوجهة الأولى صاحبها يسلم له حاله لقوة رسوخه.

والوجهة الثانية صاحبها مقتول كحلاج لضعف حاله.

فالمقتول ما أباح لازدياد الحال. وهو أوطأ من الأول. غير كامل في هذا المقام. أما كماله المقامي فهو من أهله. إلا أنه لم يكن ثابتًا في هذه الحضرة لكونه يسارق الأسرار ويبيح منها بغير وجه وحق. وهو مغلوب متعوب.

وهذا نهايته غير مأمونة إلا بقتل. فهو أضحية أسرار الرب كما يضحي بالفداء. يفدي نفسه لما أباحه فهو أضحية أسرار. أما الوجهة الأولى فكان من أصحابها الجنيد بن محمد القواريري كان في سماع فقام القوم كلهم ولم يبقَ سواه وظهرت الأحوال ومزقوا الخرق وعلا الصياح وهو جالس لا يتحرك فسئل: لماذا لا يفعل مثلهم؟

فقال: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾. فهذا شأن الفتى المتمكن في مقام الوحدة.

أما حقيقة الاتحاد فهي غير متحققة حتى يلج الجمل في سم الخياط إنما هو معنى مذاقي هم بشربه متلذذون وبجليبه مستمتعون وكل له معنى في هذا الحال.

وكان من الرجال من يطلع على هذا المقام بوقار فلا يفشيه سرًا. ولا يتحدث به. كان منهم شيخنا عبد المجيد الشريف قدس سره. كنا نسميه الكنز المقفول. لقوة سكوته. وضياع الأحوال في حاله. وقوة بقائه وفناء الأحوال في بقائه.

وقد كان هذا المقام من خصوصيات محمد (ﷺ) عليه السلام لما قيل له: ﴿وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى﴾ أما أحداث المقامات وظاهرية المتشرعة فلم يتنبهوا لهذه الخاصية المستحقة لأبي القاسم (ﷺ) فعبروا على رسومها بلا ذوق.

ولو حدثهم بها هو لضحكوا قليلًا ولبكوا كثيرًا لما عبر هو عن نفسه: (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا وضحكتم قليلًا) والله أعلم.

كتاب
فناء اليقين

لما نبشت عن هذا المقام رأيت أقطابه اندثروا ولا أثر ولا إثر لهم. لتمسك العموم ببقاء اليقين.

إذْ حقيقته فوق مقام حق اليقين. الذي هو أُرسخ المقامات الثلاثة علمًا وعينًا وحقًّا ومن بعد حق فناء.

أما خبر هذا المقام فاندثاره تحت آثار الوصول وفناء الحلول. فأين اليقين. هناك هناك لا علم ولا عين ولا حق في اليقين. لبقاء التجريد. وما علمت من شم طعم هذا المقام أصلًا في الوجود. لعزته وندرته وضلال الرجال في شعابه وتيههم في نصابه.

إذ عامة أهل السلوك بعد ذوقهم لحق اليقين متوقفون ولا طلب ولا جد وقيل لأبي القاسم (ﷺ): واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. فأين كان قبلها اليقين في أنفاسه؟ ما كان إلا في فناء اليقين قبلها وحق روح القدس؟ فإذا أتاه اليقين فلا عبرة ولا حاجة له به. لكون وجوده عنده كعدمه.

فهل ذقت أيها الفتى الخاشع الصامت هذا المقام وهل أنت من رجال حيطته. ومن ليوث سطوته؟ فإذا كانوا هم مع رب اليقين فلا حاجة لهم بيقين لكونهم مع رب اليقين فليذهب عنا فإنا قد سأمنا منه. ألا تراهم إذا

نظروا إلى وجه الحق تعالى في الدار الآخرة سقط مقام حق اليقين. إذْ لا مقام مع صاحب المقام ههنا ؟

فإذا هم قد وصلوا ذاته وعاينوا جمالاته فقد تخلوا وتجردوا هناك هناك عن أثقال المقام والمقامات. لذا ليس هناك من عزة كعزتهم في يوم مثله ذاك اليوم الذي يكشف لهم فيه عن ساق.

أما المتحقق المتذوق فهو عينه. وكنه فنه الرب أشوق إليه منه إليه. قال له يا سمعي ويا بصري ويا يدي التي تبطش بها ويا رجلي التي تمشي بها.

وهذه القربة حصلت من الشبر فصار ذراعًا والذراع صار باعًا والمشي صار هرولة.

فالسائر باليقين لا يزال بيقينه حتى إذا لاقاه الحق تعالى مهرولًا طرح أثقال اليقين وفني في الرب. هناك هو هو لا غير والسلام.

كتاب
ترك التصرف في الوجود لمن أُعطي هذا المقام

فأما من أُعطي هذا المقام فهو أستاذ الوجود بحق وفتاه وطلسمه. قطب تربع على منصة الحكم. بمعالي الهمم. زهد كل الكل. أُعطي ما قتل القوم أنفسهم على تحصله فرفضه ودحضه. وقال ليس لي سواك. فهو غوث تقطب وتنقب واستحى وانزوى. وانطوى.

قد قدمه رسول الله (ﷺ) إلى مشيخة الديوان فأبى أن يقول إلا: (إن الحكم إلا لله) لا لي. فصفة هذا الفتى عزيزة في الوجود. فهؤلاء هم الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله. قد امتحن الله قلوبهم للتقوى ولهم مغفرة وأجر عظيم.

فالسائر إلى المقام الانتهائي له الحكم الشمولي. وهؤلاء لا مقام لهم بل هم السائرون دومًا على التحقيق دون تعلق بمقام أو توقف عند همة متعينة.

فهؤلاء أهل الملامة حقًا شيخهم أبو بكر الصديق عتيق قدس سره. لا يرون أنفسهم أهلًا لشيء هم له حائزون. ولمعرفة هم لها نائلون. قد احتجبوا بحجب مكرية. وصفات ربانية وصبغة ملامتية.

وقد كان من هؤلاء من يسبق شيخه كما كان لأبي السعود بن شبل أن أعطى مقام التصرف في الوجود فنبذه وقال: تركنا الحق تعالى لكي يتصرف لنا أما شيخه عبد القادر فأعطى مقام التصرف فتصرف.

وكان من شيوخنا عبد المجيد بن خليل الشريف قدس سره لما أُعطي هذا المقام أباه وقال: نحن لسنا أهلًا له تركنا الحق تعالى كي يتصرف لنا فيه. وأظهر هذا المقام الحسن بن علي بن أبي طالب لما تنازل لمعاوية عن الحكم. فلو تمسك بمقام الظهور لما نال مقام البطون. فهو قطب ظاهر وباطن. ولكنه شيخ الملامتية.

كان مقامه أرقى من مقام الحسين أخيه. لكونه أُعطي التصرف والخلافة فتنازل. أما الحسين فطلب الخلافة وقتل دونها وأبى أن يتنازل عنها برغم ما نصحه به كثير من أجلاء الصحابة بترك هذا الشأن.

ومن رؤساء هذه المقام من يعطى مقام المعلم فيتركه ومنهم من يعطى مقام التصنيف فيزهد فيه. ومنهم من يعطى مقام الظهور فيتركه.

وهم رجال العجز على التحقيق. الذين آيتهم: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ومن أقطاب هذا المقام من يبدو في خلاف ثوبه. كبدوه في التصرف وهو لا يتصرف مع قدرته على التصرف. كأحمد رضوان صاحب الأقصر كان لا يحمل أحدًا حملات من أولياء عصره مع تكلفه بتحمل زنة الابتلاء بمفرده.

ولما عز هذا المقام ظن الظان أن المتصرف أكثر فتوة ممن لا يتصرف ولم يعلم أن من ترك التصرُّف كملت فتوته أعظم ممن لم يترك التصرف.

فمن الفتوة ترك التصرف وإبداء العجز. كما كان هذا بعض روائح المقامات المحمدية العزيزة النادرة التي كانت لأبي القاسم أستاذ هذا المقام (ﷺ).

وكان من أعزاء هذا المقام حمدون القصار شيخ هذا المقام وشيخ الملامة

وسئل عن طريق الملامة فقال: خوف القدرية ورجاء المرجئة. ومما بلغنا عنه أنه قال: عندي أن من ظن نفسه خيرًا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر.

وممن أُعطي التصرف في الوجود فنبذه الشيخ أحمد الرفاعي صاحب أم عبيدة كان مقامه الذل المطبق على مشربه وعياله. مع قوة عزة نفسه وضميره.

كتاب
الأولياء الأنبياء المحمديين

الحمدلله أن جعل من هذه الأمة أولياء حازوا مقام النبوة وبراهين الفتوة. لم يكن إلا لسواهم. وانعدم فيمن عداهم أهل الحظوة أساطين الخلوة والخطوة تنزهوا كما تنزه مليكهم. وترفعوا كما ترفع سلطانهم أين هم في الأرض. تاهوا فضاعوا عن المحجوب إلا عن أهل الذوق الرطيب وعين حبيب.

(أراك طروبًا ذا شجى وترنم ... تميل إلى ذكر المحاسن بالفم)
(أصابك عشق أم رميت بأسهم ... فما هذه إلا سجية من رُمِي)
(ألا فاسقني كاسات خمر وغني لي ... بذكر سليمي والرباب وتنعم)
(أغار على أعطافها من ثيابها ... إذا لبستها فوق جسم منعم)
(وأحسد كاسات تقبل ثغرها ... إذا وضعتها موضع اللثم في الفم)
(فلا تحسبوا أني قتلت بصارم ... ولكن لحاظًا قد رمتني بأسهم)
(ولما تلاقينا وجدت بنانها ... مخضبة تحكي عصارة عندم)
(فقالت وألقت في الحشا لاعج الهوى ... مقالة من للحب لم يتكلم)
(رويدك ما هذا خضابٌ خضبته ... فلا تَكُ بالبهتان والزور متهمي)
(ولكنني لما رأيتك نائمًا ... وقد كشفت كفي وزندي ومعصمي)
(بكيت دمًا يوم النوى فمسحته ... بكفي فابتلت بناني من دمي)
(فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... لكنت شفيت النفس قبل التندم)
(ولكن بكت قلبي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم)

(فلا تعذلوني في هواها لأنني   وحق الهوى فيها كثير التألم)
(بكيت على من زين الحسن وجهها   وليس لها مثل بعرب وأعجم)
(لها علم لقمان وصورة يوسف   وبلوة أيوب وقصة آدم)
(فلا تقتلوها إن قلت بها جوى   بلى فاسألوها كيف حل لها دمي)

وصلى الله على فتى الإيوان. وشيخ الديوان روح العالم وكرسي المعالم. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين وبعد.

ألا تنظر يا ولي الله إلى قول نبينا في عمر: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) رواه الترمذي عن عقبة. وقوله لعلي بن أبي طالب: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص. فهذا سر هذه المقولة المحمدية إلا أنها تفخر برجالها فالحمد لله الذي قطع نبوة التشريع وأبقى نبوة الإلهام. فالولي منبأ عن ربه بإلهامه بقوله: حدثني قلبي عن ربي. هناك الولي طارح للسوى متصل بالسر بربه. فهو بكر عنده علم بكر. وذاك قول أبي القاسم (ﷺ) فيه: إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر. فهذا نبي إلهام فهو نبي موحى إليه في غير تشريع. وبغير وحي تشريعي بل هو ملهم فيما دون مادة نبيه في شرعته.

وإن تنزلت على صاحب هذا القدم ملائكة إلهام فهم متنزلون بغير وحي. وذلك لقوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾.

فلما ثبت عندنا تنزل الأملاك على من دون أهل النبوة فقد ثبت كلامهم لأهل الولاية بقولهم لهم: (أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

وقد بلغنا نزول جبريل على جملة من أرباب المقامات من هذه الأمة. منهم أبو خليل أباظة الصيداوي. حكى عنه النبهاني في جامع كرامات الأولياء أنه

قابله بالقسطنطينية وهو قادم من مصر فرآه غضبان فسأله عن السبب؟

فقال: إنني غضبان لدخول الإنجليز إلى مصر وقد نزل عليَّ جبريل عليه السلام لكي ينشرح صدري ولم ينشرح.

فإن كانت نبوة التشريع قد انقطعت فإن نبوة التحقيق لا زالت أعلامها حتى قيام الساعة. ومن هنا كانت ولاية النبي أفضل من نبوته ونبوته أفضل من رسالته. وقد عبر عن هذه المقولة ابن عربي قدس سره بقوله:

(مقـــام النبـــوة في بـــرزخ فـــويـــق الرســـول ودون النبي)

ولذا اشتق الحق تعالى للولي اسمًا له عنده على اختلاف مناصبهم سواء نبي تشريع أو نبي تحقيق لكونهما وليين وربهما ولي.

أما النبوة فليس لها اسمًا مشتقًا في الحقوق الإلهية. فعلم فضل التولي الإلهي الذي لولاه لما كانت نبوة.

أما الذي قصم ظهور أهل الولاية فكون تلك النبوة التي هي نبوة التشريع لم تكن لتنال بمجاهدة. بل باجتباء محض قد انقطع نهائيًا بعد محمد (ﷺ).

أما المذاقات التي يغبطون عليها فهي المذاقات البكر التي ظهرت من بعد ختم النبوة على أيديهم ولم يظهرها نبي التشريع. ألا ترى الإنكار زاد على أهل هذا الذوق من بعده (ﷺ) لكونهم لا دليل لهم من ظاهر سنته. وذلك أن علمهم لا دليل عليه. فالمحدث بقلبه يحدث بلا اختيار منه. ويشترط عليه أن لا يطالب بدليل. ولا يطلب منه السامع دليلًا.

والقاعدة مع أهل هذا الفن لكونهم سائرين مع دائرة الابتداع الإلهية التي لم يكن ليعجزها مخلوق. ولا يوقف عجلات اختراعها نبي مرسل ولا ملك مقرب. فهي تهب كل يوم ما يحير من سبق. وظن المحجوب أن ثواب مقام النبوة لبعض أولياء الأمة المحمدية مستحيلًا وهذا لقصور نشاطه العلمي. فإن من أطلق عليه حقيقة النبوة كأبي حامد الغزالي عندما باهى به النبي (ﷺ)

موسى وعيسى ليس له من حقيقة المقام شيء ولكن له حقيقة الجزاء والثواب في أصل النبوة فقط. أي له ثواب نبي لا مقامه فافهم يا ولي الله. وكان فخره أن نال مقامات الثواب من أنبياء دون نبيه من أنبياء الأمم السابقة. ألا تراه (ﷺ) عبر عن هذا الذوق بقوله: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل.

بل من أولياء هذه الأمة من يعطي ثواب أربعين مقامًا من مقامات أنبياء بني إسرائيل. فهناك يغبطهم الأنبياء.

فرأى العراف والعارف والمتعرف المتذوق والذواق والذائق أصول هذا المقام لما عاين بحور الحقائق وكنوز الرقائق الإلهية التي لم يكن هناك ما ينهيها ولا يستوعبها مستوعب وذلك قول الحق تعالى وهو يعبر عن نفسه بقوله: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾.

فهم متوارثون في قطرة من قطرات هذا البحر. ولا يظهرون إلا ما جدّ من هذه القطرة دون تكرار.

وقد حققني الله بهذا المقام الشريف فرأيت النبي (ﷺ) فيما بين النوم واليقظة وهو يقول لي أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء. كان ذلك في سنة ثمان وأربعمائة وألف.

وكان من أرباب هذا المقام عبد القادر الجيلاني وهو القائل: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تأتوه.

وكان من سلاطين هذا المقام أبو يزيد البسطامي وهو القائل خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله.

وسئل الشيخ أحمد التجاني قدس سره عن قولهم دائرة الولي أوسع من دائرة النبي فأجاب رضي الله عنه بقوله المراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط والمراد منه من أمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم فهم الذين دوائرهم أوسع

من دوائر الأنبياء واتساع الدوائر وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى فكل رسول من الرسل من غير نبينا (ﷺ) رسالته خاصة بموطن أو جنس أو بلد لا يتعدى إلى غيره ورسالة نبينا عامة في جميع البلدان والأقطار وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار فالأولياء الداعون إلى الله من أمته دعوتهم تعم كعموم رسالته (ﷺ) فلا تخص بلدًا ولا جنسًا ولا أهلًا بل هي عامة كعموم رسالة نبينا (ﷺ) فهذا اتساع دائرة الولي على دائرة النبي ثم هذه الدعوة إلى الله في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر لقوله (ﷺ) بلغوا عني ولو آية الحديث وبقوله (ﷺ) مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنما هي بالاذن الخاص كإذن الرسالة فمن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب ووقع الإقبال من الخلق عليه والاستجابة له ووقع امتثال أمره واجتناب نعيه في الخلق وأطيع وحلا كلامه في القلوب ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله بالإذن العام ليس له شيء من الإذن الخاص ولم ينتفع بكلامه ولم يقع عليه إقبال فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال على بساط الحقائق ما أمرناك بهذا ولا أنت له بأهل إنما أنت فضولي. اهـ.

وسر هذا الولي النبي المحمدي أنه مظهر من وراثة نبيه ما لم يظهره سواه حتى من مضى من أهل النبوة قد لا يظهرون ما يظهره هو ألا ترى أن الخضر وهو ليس بمحمدي أظهر ما لم يوجد عند موسى. فكيف بالولي المحمدي وهو أرقى من السابقين. فاقه في بسط الحقائق والأذواق؟.

ومن هذا المعنى قيل في عمر بن الخطاب رضي الله عنه على لسان أبي القاسم (ﷺ): (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) رواه الترمذي عن عقبة بن عامر.

وفي هذا المعنى قيل في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من جهة اللسان النبوي: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي

بعدي). رواه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص. فصحت لها أي لعمر وعلي نبوة التحقيق لا نبوة التشريع ألا تراه قال غير أنه لا نبي بعدي سدًا لباب نبوة التشريع.

ولسنا نقول إن النبي المتحقق أعلم شمولًا من النبي المتشرع. بل المتشرع أعلم على الشمول والإحاطة. ونبي التحقيق أقل في فن المقام.

وأعطي الصديق الأكبر ذوق هذا المقام لما قيل فيه على اللسان المحمدي الشريف: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر) وهذا سر الخلة التي حظي بها من أبي القاسم لما اتخذه خليلًا. ألا تراه يجدد هذا المقام بقوله: (ما فضلكم أبو بكر إلا بشيء قد وقر في صدره). ألا وإن الشيء الذي وقر هو التحقق بعطايا المقامات وسني المكرمات.

فهذا يا ولي الله سر الولي المحمدي الذي تنبأ من بعد نبيه بعطايا المواهب وفرائد العجائب والرغائب.

ولما كانت دائرة الإعجاز الإلهية تبدي كل يوم ما بعد وغرب عن الأول الذي تحقق به. فإنه مستغرب لكونه ظهر بغير دليل في المعرفة. وهذا أشد ما يزعج أهل المعرفة أن يعرف غيرهم ما لا يعرفونه هم أنفسهم وإن كان أقل مقامًا منهم. ولكن قانون المعرفة يظهر قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾.

فلم يكن ليتوقف عند شأن بعينه عاجزًا عنده. والمعلومات هي هي: بل التحف لم تزل هابطة عليهم تفكهم من جديد إلى جديد. إلى ما شاء الحق تعالى. وهذا قانون الإبداء في الإعجاز البديعي في بساط الحقائق.

وسر النبي المتحقق أنه لا يخرج عن الشريعة لكونه مقلدًا لشريعة نبيه. ولا يخرج عن حقوق الشريعة وإلا لما تحقق.

ومنهم من تحقق بشريعتين كالخضر عليه السلام. وقد ذكرت هذا في كتابي المسمى طبقات الخضريين.

أما من ادعى أنه تحقق في أجزاء النبوة ففاق النبي المتشرع فهو زنديق على التحقيق لا غير. لكونه لا يصل إلى قلامة ظفر من هذه الدعوى الكاذبة التي نطق بها.

ومن ادعى نزول ملك عليه بنهي أو أمر شرعي أو رسالة من بعد نبينا (ﷺ) فقد عظمت فريته في بساط الحقائق والشرائع. ومبلغ العلم في نزول الملك بالبشرى وأمور أخرى دون الوحي الشرعي الذي لا يحق إلا لمن أوحى إليه من الأنبياء.

وقد كان من أولياء هذه الأمة أولياء يرون ملك الموت ويرون أملاكًا آخرين كإسرافيل صاحب الصور وجبريل. كشيخنا ابن عربي تقدس سره. وهذا مقام لا يصح إلا لمن قارب في الحقائق الملائكة وتنزه مثلهم عن العلائق. وضاهم فافهم يا ولي الله.

كتاب
طبقات أقطاب الظاهر والباطن

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾

الحمد لله رب العالمين المتفضل بجوده على الكل فلم يدع منهم أحدًا إلا وأصابه بفضله ملك عُرِفُ بدون أن يرى وقُصِدَ بدون تعرف فما أعزه من مليك.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه سيد الإنس والجن نجم أشرق وإمام صدق ما أعزَّ من والاه وما أسعد من اتبعه.

وبعد

فقد ظَنَّ الظان الجاهل أَنَّ الملكَ هو ملك الظاهر فقط وغابَ عن أهل الحجاب مملكةُ الباطن وملوكها، رضي الله عنهم. ولم يعرف أن ملك الظاهر لا شيء بدون ملك الباطن وملوكه.

قيل: كيف ذلك يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين؟

قال الحكيم: كانَ ذاكَ في عالم البدء الأول قبل المقادير وعيون الأعيان. وذلك أن قدر المُقَدِّر أن يجعل خليفةً في الأرض فعورض من قبل الملائكة بأن قد يكون الخليفة مفسدًا.

فلما أنعم الحق تعالى على الصورة الآدمية بعلم الأسماء حَقَّ لآدم أن يكون أول خليفة في الأرض عن الحق تعالى ظاهرًا وباطنًا.

وكان من المقدر في الألواح أن يلي الأمر غير أهله بغير الأمر الإلهي فمن هنا بزغت دولة الباطن التي جهلها أهل الظاهر.

وذلك قول النبي (ﷺ). «الخلافة بعدي ثلاثون عامًا ثم يكون ملكًا عضوضًا».

فأما صفة الخليفة المحظي بالخلافة الظاهرية والباطنية فله التصرف على أهل الباطن والظاهر.

أما المتصرف فيما ظهر فقط فهو خليفة الظاهر وقد انقطع نسبه من دولة الباطن ولا حكم له عليهم وإنما حكمه على ما ظهر.

ولما كان علم الظاهر علمًا يخالف في أحكامه علم الباطن فقد جهل العالم هذا العالم الباطني وظنوا أنه غير موجود ولا صفة ولا أثر له.

ولما آلت الخلافة إلى غير أهلها من أهل الظلم والجبابرة كفرعون وهامان ونمروذ فقد آلت دولة الباطن إلى الحق تعالى ونصب لها رجالًا لا يخرجون عن حكمه ولا يميلون عن قوانينه.

فإن قيل: فمن مَلكُ الباطن أي خليفة الله في أرضه؟

قلنا: هو القطب الجامع المنعوت بالغوث.

ولا تصرف لأحد عليه حتى سلطان الظاهر نفسه بل التصرف يكون له هو على أهل الظاهر وسلطانهم وكذا يكون له التصرف على كل أولياء عصره فيما عدا الأفراد وهم قوم خرجوا عن نظر القطب.

واعلم أيدني الله وإياك أنه لا ظهور للقطب في مملكة الظاهر لكونه مكتومًا ولا بدو له في هيئة المظاهر قط. إذْ لا تناسب بينه وبين أهل المظاهر حتى أنَّ القطب الجامع يأخذ العهد والمواثيق على أولياء عصره لكي لا يعرفوه بين الخلق ويفشوا سره لأهل الظاهر حتى أنني لما كنت في صعيد مصر بفزارة سألت الشيخ محمدًا أبا بطانية رضي الله عنه عن قطب الوقت. فقال: رأيته في

اليقظة وهو طائر على منصة في الهواء والأولياء كلهم يشيرون إليه وهم يقولون: هذا القطب هذا القطب فلما ذهبت لأتحقق من ملامح وجهه حجب وجهه بيده فلم أتحقق.

قال الشيخ رضي الله عنه: والتحقق من معرفة القطب واسمه صعب الغاية إلا لأهل الديوان الكاملين.

وللقطب وزيران من الكمل وهما الإمامان إذا مات خلفه أكملها وأجمعها لأسراره. وهما على هيئة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وهما وزيرا النبي (ﷺ) كما ورد بذلك الحديث النبوي الشريف.

ومن دولة الباطن الأوتاد وهم أربعة وهم يتلون الإمامين في المقام. يحفظ الحق تعالى بهم الجهات الأربع المشرق والمغرب والشمال والجنوب.

ومن دولة الباطن الأبدال وهم سبعة ويتلون الأوتاد في المقام يحفظ الحق تعالى بهم الأقاليم الأرضية السبعة.

ومن دولة الباطن النقباء والنجباء وغيرهم تركنا ذكرهم في هذا المقام وصفة القطب رضي الله عنه الكمال على أبناء عصره. فهو أكمل أهل الدائرة بل أكمل الوجود الحي على الإطلاق في وقته.

وأعلمهم بالحلال والحرام وأعظمهم مقامًا.

وانما سُمّي القطبُ الجامع لكونه تفرد بجمع مجموع الصفات الربانية الحميدة. وعرفها ذوقًا وتفصيلًا وله فيها براهين عجيبة.

ومن صفته رضي الله عنه كونه قوي الشهوة لا يصبر عن مضاجعة النساء وحاله الاعتدال وظاهره السنة. ولا يعرف عن إخوانه ولا تميز له أصلًا عن مجلسه ويغلب عليه التواضع والحياء القوي. واحتمال أذى الخلق ومداراة عباد الله.

ومن صفته رضي الله عنه قيامه في علم القدم وتكوُّن قدمه على قدم نبي

من الأنبياء. وأولياء العصر في يده كالخاتم في الاصبع.

أما أهل الظاهر فلا عِلمَ لهم به ولا برجال دولته ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾، ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾.

ومن صفته رضي الله عنه إحاطته بذرات الوجود فيمدها بروحانيته فما من حركه في الوجود ولا سكنة ولا خطرة إلا وله علم بها تحقيقًا ذوقيًا وكشفًا بصائريًا.

ومن صفته رضي الله عنه تحمله لبلاء الأعيان الهابط على الأرض على كتفيه لكونه حاملًا الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ومن ثم حملها هو على كاهله.

ومن صفته رضي الله عنه أنَّ الكون قد وُضِعَ بين يديه كما توضع القصعة بين يدي الآكل. فهو أخبر بطرق الأرض والسماء من المرآة يرى صورتها كما حكى ذلك الشاذلي رضي الله عنه عن نفسه.

ومن صفته رضي الله عنه أنَّ أنفاس الوجود كله مستمدة من أنفاسه والأولياء كلهم مستمدون منه لا صفة لهم إلا به هو ملك مهرجانهم ومتلقي ديوانهم. أنفاسه قد عمت الكون بركة وروحه هي روح الوجود لا يسعه ملك ولا ملكوت. وقدمه على رقبة كل ولي في عصره متفاخر دومًا بمقامه ومقامه الحمد والشكر عزته غلبت عزة الرجال وبرغم هذا لا يعرف طعم العجب والتكبر. قد جمع الأضداد كلها وليس به من ضد.

تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

الوجود كله يسير بأنفاسه ومدده. ورعاية عينه التي لا تغفل فهو خليفة الحق تعالى في الأرض ولو انقطع نفسه سويعة عن الوجود لهلك وهذا الخليفة الباطني أي القطب له أن يعزل من يعزل من السلاطين والملوك. وله أن يولي من يولي منهم بالأمر الإلهي وكان هذا المقام مقام ابن عصيفير والشيخ محسن

من رجال الطبقات الكبرى للشعراني. مر ابن عصيفير على الأمير سودون وهو يعمر في خرابة بدار ليعمرها قصرًا فرجه وقال: أنتم فرغت مدتكم ما بقيتم تلحقوا أن تسكنوا فسافر الغوري لقتال ابن عثمان فقتل وخربت دور عسكره كلهم.

ولما سافر الأمير جانم إلى الروم شاور ابن عصيفير فقال: تروح وتجيء سالمًا ففارقه وراح للشيخ محسن فقال له: إن رحت شنقوك وإن قعدت قطعوا رقبتك.

فرجع إلى الشيخ ابن عصيفير. فقال: تروج وتجيء سالمًا وكان الأمر كذلك فراح تلك السفرة وجاء سالمًا. ثم ضربوا عنقه بعد ذلك فصدق الشيخان.

وكان هذا مقام المبتولي. روي أن وزيرًا رتَّب على فاكهة غيطه مكسًا فاستعفاه فقال: هذا مال السلطان فوقع تلك الليلة في الخلاء فاندقت عنقه ومات. وأراد الأمير حاتم التاجر إحداث مظلمة على جماعته وقال: إنْ كان شيخًا ينفخني. فقال: أنا ما أنفخ وإنما أفوق سهمي فدخل الخلاء فأبطأ فوجدوه ميتًا.

وكان على هذه القدم إبراهيم الجعبري فإنه كان كالنار الموقدة على الظلمة وحبس الوزير حمل صابون لجماعة الشيخ للمكس فأرسل للسلطان ليطلقه فأبى وقال: هذا مال العسكر فحبس بول السلطان وصار يتلوى كالثعبان وعجز الأطباء إدراره فأطلق صابونه فأرسل الشيخ له إبريقًا. وقال: استنج ففعل فانطلق بول السلطان. وكان من أصحاب هذا المقام شمس الدين الحنفي.

ومن أقطاب هذا المقام سعيد بن جبير الذي مات الحجاج بسبب دعوته وهو مقام كثير من أرباب الأحوال. وسادات الأولياء وأباطرة الأصفياء.

قيل: ولما سمي القطب فردًا؟

قلنا: لكونه انفرد على أهل عصره. فلا يوجد مثله بينهم في المقام والكمال

لذا فهو منفرد في كماله عنهم. وإذا اكتمل العارف في مقام العرفان صار غريبًا في الأكوان.

فصفة القطب الغربة عن أهل زمنه أي كالدرة اليتيمة التي لا يوجد مثلها فهي غريبة في ندرتها. واعلم أنه لا تغيير بيد القطب لمظاهر الفساد الظاهرية أي أنه لا يغير القضاء الإلهي.

فاللوح أمامه هو شاخصٌ إليه ببصره. ينفذ ما يصدر من أحكام الحق تعالى وما ينسخ فيفعله فهو العبد المجرد المحض المنفذ لقضاء الحق تعالى إن شئت قلت هذا قيل: لما لا يقتل القطب اليهود ببيت المقدس وينصر المسلمين؟

قلنا لهم: أنسيتم قول الحق تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وكان هذا في حق النبوة فكيف في حق القطب الذي لا يبلغ شيئًا من كمالات النبي؟

ولما كان الحكم لله تعالى لا لمخلوق.

فقد أنفذ الحق تعالى قدره في الأعيان. وأهل الحق لا تعارض بينهم وبين أحكامه سبحانه وتعالى بل هم متقبلون لأحكامه تعالى بالرضى والقبول.

ومن ذلك: أنَّ سلطان الظاهر قد يكون بغير رضى أهل الباطن في الطاعة للحق تعالى. ولكن لا تعارض بين مملكة الظاهر والباطن. فلا عِلمَ لأهل الظاهر بدولة الباطن ولكن العلم كله معلوم عند أهل الباطن بما يحدث في دولة الظاهر. تفصيلًا وتحقيقًا. قال الشبلي: لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها لقلت إنه ممكور بي.

لذا كان لا سلطان لأهل الظاهر على مملكة الباطن مهما تلكف أهل الظاهر الأمر.

بل نجد السلطان الأكبر لأهل الباطن على أهل الظاهر. وهمة الإمام الجامع أي القطب جعلته يصرف أمور العوالم في المملكة الالهية. فهو خليفة الحق

تعالى في الأرض بحق وهو الذي ارتضاه الإله بحق واصطفاه بحق وما أهل الظاهر بالنسبة له إلا مظاهر عابرة.

فإن الاصطفاء الحق في الباطن فإن تعدى مَلَكَ الظاهر فيكون حينذاك غوثًا إمامًا متحققًا في البطون والظهور قطب ظاهر وباطن ولكن يَد الحق تعالى اقتضت خفاء القطب في الغالب لأمور كثيرة مهمة وهو نفسه يدافع عن نفسه كي لا يظهر فلا يعرف.

فهو عبد يكره الشهرة غير مولع بها أخفاه الحق تعالى تحت تخوم الخمول.

ولما كان الملكُ الظاهريُ قد استأثر عنوةً وأُخِذَ ظلمًا ومُلِكَ بالقوة فكان هنا لا مجال للقطب في ملك عضوض بغير رضي الإله وإجماع القوم عليه.

من هنا انبثقت دولة الباطن وارتُضِيَ رجالها كي يقوموا مقام الحق تعالى في الأرض ونيابةً عن رسول الله (ﷺ) ورئيسهم قطب الوقت الفرد الجامع المعبر عنه بالغوث وفرض عليه الحق تعالى في الحضرة وعلى معظم الأقطاب ألا ظهور لهم فاستأثروا بالخفاء قيل: اذكر لنا بعضًا مجملًا من أقطاب الباطن؟

قلنا: منهم آدم وهو أولهم وكل نبي يكون قطبًا ويَرِث هذا المقام ومنهم الخلفاء الأربعة ومنهم الحسن البصري والجنيد وخاله السري السقطي ومنهم معروف الكرخي ومنهم عبد القادر الجيلاني وإبراهيم الدسوقي والبدوي والرفاعي وأبو الحسن الشاذلي وأبو يعزى وأبو مدين وابن عربي وشاه نقشبند وابن خفيف والحلاج وسهل التستري والحكيم الترمذي والمحاسبي وأبو يزيد البسطامي وأحمد بن هارون الرشيد السبتي رضي الله عنهم جميعًا.

ومنهم: أبو سعيد الميهني وابن سبعين وعمر بن الفارض والغزالي والإمام النووي والسيوطي وعبد الكريم الجيلي والنفري صاحب المواقف وأبو طالب المكي والهجويري وعبد الغني النابلسي ومصطفى البكري وأبو الحسن البكري وعفيف الدين التلمساني وزروق الفاسي وابن عجيبة وشمس الدين الحنفي وعلي وفا وعلي الخواص والشعراني وإبراهيم المتبولي وأبو العباس المرسي وابن

عطاء الله السكندري وياقوت العرش والقنائي رضي الله عنهم جميعًا.

ومنهم جملة من أهل قرني منهم: الشيخ صالح الجعفري وأحمد رضوان صاحب الأقصر وعبد الجواد المنسفيسي وأبو العزائم وعبد السلام الحلواني ومحمد أبو خليل ومحمد أمين الكردي وسر الختم وعبد الجواد الدومي وحسن كامل الملطاوي والشيخ محمد أبو بطانية والإمام محمد زكي إبراهيم والغوث عبد الفتاح القاضي والعارف علي عبد الفتاح علام والغوث الكبير شيخنا عبد المجيد الشريف. رضي الله عنهم أجمعين.

قال الشيخ رضي الله عنه: ولا حكم لكل هؤلاء في الظاهر بل معظمهم نال خلافة الباطن ونصب فيها قطبًا.

قيل: فمن حكم في الظاهر والباطن اذكر لنا بعضًا من أقطاب الظهور والبطون ممن حظي بالخلافتين معًا.

قلنا: لا يقتضي أنَّ كلّ نبي نال الخلافة ظاهرًا وباطنًا بل معظمهم في الباطن أعظم.

وكذا لا يقتضي أن أهل الحكم الباطني والظاهري أعلى ممن أقيمت له خلافة الباطن فقط.

ولكن اعلم أنّه من المتحقق في علومنا أن آدم أول قطب بإجماع أهل الولاية نال الخلافة الظاهرية والباطنية لكونه كان سلطان الأرض.

وكان من الأنبياء ممن حظي بالخلافة الظاهرية والباطنية آدم وشيث وداود وسليمان ويوسف صلوات الله عليهم جميعًا.

وكان على هذا المقام من رجال هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العزيز وجعفر المتوكل ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وعمر الفوتي سلطان الدولة الإفريقية وعثمان ابن الفودي رضي الله عنهم.

وقد ذكر الشيخ الأكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه مراتب الأولياء وطبقاتهم في الباب الثالث والسبعين من « الفتوحات المكية » قال:

« فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو النيابة وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطبًا كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمنه على أبناء جنسه وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة.

ولكن الأقطاب في المصطلح هم من يكون لهم هذا الاسم مطلقًا من غير إضافة ولا يكون منهم في الزمان الا واحد وهو الغوث أيضًا وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكل ومنهم من حاز الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في الظاهر كأحمد بن هارون الرشيد وكأبي يزيد البسطامي وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر ». اهـ.

واعلم أن الأقطاب أساس مقامهم البطون على صفة الحق تعالى في هذه الدار وإنما استدعاهم إلى الظهور القهر الإلهي ولم يظهروا بمراداتهم إلا لاستدعاء الداعي الإلهي لهم فكانوا أقطاب ظهور وبطون فحظوا بالخلافتين ولو تركوا لظلوا مجهولين في هذه الدار على صفة الحق تعالى.

سر الحظوة من خزانة القدس

وإنما نال وحظي بالخلافة من حظي بها ظاهرًا وباطنًا لأسرار تتعلق لها عدة أوجه سأسردها لك فيما سوى الخلفاء الراشدين:

الوجه الأول: كونه وارثًا جامعًا للخلفاء الراشدين كعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي كان على قدم عمر رضي الله عنه في المقام. وإطلاق العدل وهذا المقام صعب جدًا وشاق يندر أن يكرره الوجود وما كرره الإمرة واحدة لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لكون الأرواح لا

تطيق صفة هذا المقام والقيام مقام الخلفاء الراشدين.

الوجه الثاني: التنازل منه عن الخلافة لكونها وصلت إليه بغير حق وهذا مقام معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي نال الخلافة ظاهرًا وباطنًا ثم تنازل عنها وبقي معاوية بن يزيد في الحكم أربعين يومًا وتركه بعد أن أعلن رأيه في جده معاوية وفي أبيه يزيد فقال صادقًا في شهادته: «أيها الناس إن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله (ﷺ) وهو علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهينًا بذنوبه وأسيرًا بخطاياه ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل وصار في قبره رهينًا بذنوبه وأسيرًا بجرمه وإن من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله (ﷺ) وأباح الحرم وخرب الكعبة وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم». وهذا المقام شاق أيضًا على الرجال وهو زهد الرياسة كما قيل: «آخر ما يخرج من صدور الصديقين من الشهوات شهوة حب الرياسة» وهذا السر لم يتكرر في المقام إلا لمعاوية بن يزيد.

الوجه الثالث: التنازل عن الخلافة لأجل إصلاح فئتين من المسلمين وعدم إقامة الصراع بين طائفة المؤمنين وهذا مقام الحسن بن علي رضي الله عنهما وهذا لم يتكرر في عمر الأمة المحمدية إلا للحسن بن علي فقط رضي الله تعالى عنهما.

ولما قتل الإمام علي رضي الله عنه مطعونًا ولي الحسن رضي الله عنه من بعده وبايعه الناس واستجابوا لبيعته وظل معاوية غير مبايع له.

فكتب الحسن إلى معاوية يرشده ويدعوه للدخول في السلم والطاعة ولا ينازع الأمر أهله وبيّن له أنه ليس أهلًا للخلافة لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الإسلام محمود.

ورد معاوية وقال إنه أطول ولاية وأقدم تجربة وأكبر سنًا وطلب أن

يدخل الإمام الحسن في طاعته ويكون له الأمر من بعده.

وبعد أخذ ورد في الرسائل المتبادلة سار معاوية بجنده إلى العراق وسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة للقائه إلا أنه أي الحسن تمرد بعض جنوده عليه وخانه بعض قواده فلم يطمئن إلى تماسك جيشه، أو إلى عزوف الناس عن مفاتن الدنيا وخاف على دماء المسلمين أن تسفك من الفريقين فتم الصلح بينه وبين معاوية وسلم ولاية المسلمين لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وسيرة الخلفاء الراشدين وعلى ألا يعهد معاوية لأحد من بعده عهدًا بل يكون أمر الخلافة من بعده شورى بين المسلمين وعلى ألا يدبر للحسن أو أخيه الحسين غائلة لا سرًا ولا جهرًا أو يسيء إلى أحد من آل البيت أو أنصارهم أو يخيف أحدًا منهم في أفق من الآفاق.

الوجه الرابع: إرسال من يجدد الدين ظاهرًا وباطنًا ويظهر السنة والشريعة والعدل. ويجدد ما مات وما اندثر من حقائق الملة والشريعة وهذا كان مقام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأجمعوا على أنه كان مجدد القرن الأول الهجري. وكان رجل قد رأى في منامه كأن قائلًا من السماء ينظر إليه ويقول: أتاكم العدل والدين وإظهار العمل الصالح في المصلين فقال له الرجل: من هو يرحمك الله؟ فنزل إلى الأرض وكتب بيده (ع م ر) أي عمر فاستخلف عمر في تلك الليلة ورد مظالم بني أمية وأحيا العدل وسنة النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين.

الوجه الخامس: قمع الفتن الكبرى المتعلقة بعقائد المسلمين وهذا مقام عسير في الوجود وقد كان للمتوكل رضي الله عنه حيث قمع وأخمد فتنة القول بخلق القرآن وورثة المتوكل عن أبي بكر رضي الله عنه حيث قمع فتنة أهل الردة.

روى الخطيب البغدادي بسنده في «تاريخ بغداد» عن علي بن الجهم قال: وجه إليَّ أمير المؤمنين المتوكل فأتيته فقال: يا علي رأيت النبي (ﷺ) الساعة

في المنام فقمت إليه فقال لي: «تقوم إليَّ وأنت خليفة»؟

فقلت: البشرى يا أمير المؤمنين أما قيامك إليه فقيامك بالسنة وقد عدك بين الخلفاء قال فسر بذلك.

قال الشيخ رضي الله عنه:

وقول النبي (ﷺ): «تقوم إليَّ وأنت خليفة» لكون المتوكل نال الخلافة ظاهرًا وباطنًا.

وروى الخطيب بسنده عن محمد بن خلف قال كان إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة يقول: الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له وعمر بن عبد العزيز رَدَّ مظالم بني أمية والمتوكل محا البدع وأظهر السنة.

وروى الخطيب بسنده في «تاريخ بغداد» أيضًا عن بعض الزمازمة الذين يحفظون زمزم قال غارت زمزم ليلة من الليالي فأرخناها فجاءنا الخبر أنها كانت الليلة التي قتل فيها جعفر المتوكل واعلم أنه قلما يظهرُ خليفةٌ ظهورًا يقمعُ الفتن لأنَّ الغالبَ على طبائع ملوكِ الظاهر إقرار الفساد في الأرض وألسنة الأكوان تشهد بذلك وهي لنا قائلة: «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها» ولا يحقق العدل إلا من تحقق بملك الظاهر والباطن معًا دون انفصال.

الوجه السادس: إرسال قطب مجاهدة. وهو المعبر عنه «بالمجاهدة الصغرى» ويغلب حال المجاهدة على صفة هذا القطب وهذا مقام الأيوبي صلاح الدين الملك الناصر وأستاذه نور الدين زنكي رضي الله عنهما فإنه ما عرف بعد الراشدين من له فضل في الجهاد كمثلهما. وفضائل صلاح الدين مجموعةٌ في «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لابن شداد حتى قال ابن شداد في النوادر: لم نرَ بعد عمر بن عبد العزيز ملكًا أتى مثل الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي. أهـ.

قلت: والمحقق في ذوقي أنَّ صلاح الدين الأيوبي ونور الدين زنكي مقامها «المجاهدة الصغرى».

أي جهاد العدو فإنها كانا من كبار أقطاب هذا المقام الشريف. وقد فَصّلَ ابن الأثير في «التاريخ الباهر» مناقب نور الدين زنكي ونور الدين هذا هو الذي أنقذ قبر رسول الله (ﷺ) من وصول يد الإفرنج إليه.

فقد حكي أنَّ رسول الله (ﷺ) جاء إلى نور الدين في المنام وهو غضبان فسكت فأتاه في اليوم الثاني وهو غضبان فقلق وقال: ماذا أفعل؟ ونام ولم يفعل شيئًا. فأتاه في اليوم الثالث فقال: لا ينبغي السكوت.

فجمع الجند وتوجه إلى المدينة وقال ماذا أفعل. فأمر بجمع الغرباء في المدينة فجمعهم فشك في اثنين من الروم فقيل له: هؤلاء اثنان من عباد الروم المسلمين لهم سنة وهم في عبادة ومجاورة وهما مستجابان الدعوة. فقوي الشك عنده فعذبها فاعترفا أنهما استأجرا بيتًا وعملا سردابًا منه موصلًا إلى قبر الرسول (ﷺ) حتى ينبشاه ويخرجا جسم النبي (ﷺ) فتبطل عقيدة المسلمين.

فأمر بقتلهما وحفر حول القبر وصب الرصاص المذاب حتى يصعب اختراق تربة القبر وإنما استدعى القطب الباطني سلطان الظهور لكون هذه الأوجه الستة لا يتحقق ظهورها مطلقًا إلا ببروز القطب الباطن إلى عالم الظهور فافهم.

قال الشيخ قدس سره وممن سينال وسيحظى بالخلافة الظاهرية والباطنية عيسى ابن مريم والمهدي المنتظر عليهما السلام. واعلم أن صفة الإمام القطب الجامع لشمائل الظاهر والباطن معًا ظهوره وبطونه والتحقق من هذه الصفة هامّ. وليس أَعْدَلُ في ملك الحق تعالى من قطب ظاهر تحقق بمقامه ويتمكن في الباطن كما تحقق به في الظاهر.

كتاب
صفة الديوان

اعلم أن الديوان الذي يجتمع فيه الأولياء وهم رجال الغيب من أهل الدائرة والعدد وهم أهل التصرف وعددهم كعدد الرسل وعدد أهل بدر وعدد الصحابة الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة. هو غار حراء الموضع الذي يجتمعون فيه وهو الذي كان يتحنث فيه رسول الله (ﷺ) ووقت اجتماعهم في الساعة السادسة من الليل وهي الساعة التي ولد فيها رسول الله (ﷺ) وأول أقطاب هذه الأمة المحمدية سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أن الديوان كان من لدن آدم عليه السلام معموراً بالملائكة وقد كانوا نوابين عن أولياء هذه الأمة ويتصرفون كتصرف أولياء هذه الأمة إلى أن بعث الله نبينا (ﷺ) ولذلك كان (ﷺ) يتحنث في غار حراء لأنه كان يجتمع بالملائكة الذين هم نوابون عن أولياء هذه الأمة وقد كانوا يستمدون منه في عالم الأرواح قبل ظهور عالم الأشباح فبقي الديوان معموراً بهم إلى أن انقضت مدة الخلافة الحسية وهي ثلاثون سنة كما قال عليه الصلاة والسلام: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً» فانقضت مدتها بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه وهي ستة أشهر وقد كان وُلِيَ الخلافة باتفاق الصحابة رضي الله عنهم فلما بلغ معاوية أن الحسن ولي الخلافة جهز عساكر وقدم إلى المدينة فخرج إليه الحسن رضي الله عنه وتنازل فلما زهد في الملك الحسن عوضه الله تعالى بالخلافة المعنوية وقد

انحقنت دماء المسلمين ببيعته لمعاوية لأنه سمع النبي (ﷺ) مرارًا يقول إذا دخل الحسن «يصلح الله بولدي هذا بين طائفتين من المسلمين» وكان كما قال (ﷺ).

والمراد بالخلافة المعنوية هي القطبانية العظمى والغوثية الشهرى فأول من دخل الديوان من هذه الأمة المحمدية الحسن بن علي رضي الله عنه فكان أول الأقطاب ولذلك إذا انتهت سلسلة إليه قيل عن أول الأقطاب فلما دخل الديوان وولاه الله تعالى الخلافة المعنوية ارتفع الملك الذي هو بمنزلة الغوث فجلس مكانه ثم إذا أخذ عنه الطريقة مريد وبلغ في الولاية ما بلغ دخل ذلك الولي إلى الديوان وجلس في مكان مخصوص فارتفع ملك وهكذا حتى امتلأ الديوان بأولياء الأمة المحمدية.

وهذه وراثة معنوية وخلافة ديانية لا يستحق التطبع بها إلا من أخذها بحقها عن أهلها من أهل الديوان الكمل وكيف يدخل دار قوم من لم يكن منهم أم كيف يرث أسرارهم من لم يكن من أولادهم ولا تشترط هذه الوراثة في أولاد الأصلاب وإنما تشترط في أولاد الروح غير أنها تارة تجتمع في أولاد الأشراف كما هو مشاهد من أهل هذه الطريقة لذلك يقال لها طريقة الأشراف أعني طريقة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وتشترط الوراثة السير في مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكون الأنبياء يرثون النبوة والرسالة وأما الولاية فإنها تشترط فيها الولاذة المعنوية ليرثوا العلوم المدنية والأسرار الجبروتية والمعارف الربانية حتى لا تنقطع إلى يوم القيامة.

ولما حاز أولياء هذه الأمة الشرف المؤثل والمطمع المؤمل فإنهم اختصوا بخصيصة الديوان سوى من هم سواهم من أولياء الأمم الغابرة لذا انضم من بقي على قيد الحياة إلى قانون شريعتين كالخضر النبي الولي الحي. وقد صنفت فيه مصنفي المسمى «طبقات الخضريين» وحاز ما حازه من شرف السبق

بتخلقه بخلق أولياء هذه الأمة وصار له حضور في الديوان. وكانت كرامات أوليائنا كمعجزات من مضى من الغابرين من أهل النبوة من إحياء الموتى وإماتة الأحياء وشق البحر وطي الأرض وتقريب البعيد وطالع إن شئت جامع كرامات الأولياء للنبهاني ترى فيه معجزات الأنبياء تحققت كرامات لأولياء أمتنا المحمدية.

وأعطوا من خصائص الكرامات ما هو معجزات لغيرهم ومعجزات لهم من حضرة الحقيقة المحمدية. وأُعطِيَ أفرادٌ منهم مقام النبوة في حقيقة الثواب من نبوة من غير من أنبياء الأمم السابقة وهذه خصيصة هي من شئونهم دون غيرهم فافهم يا ولي الله.

فهذا سر الولي الذي هو على التحقيق نبي من رجالات هذه الأمة. وممن حازوا مقام النبوة من أولياء هذه الأمة: «أبو يزيد وحلاج وابن عربي وعبد القادر وعدي بن مسافر الذي قيل فيه لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر».

وممن حاز هذا المقام: «الحكيم محمد بن علي الترمذي وأبو سعيد الميهني وأبو السعود بن شبل وأبو الحسن الخرقاني وأبو الحسن الشاذلي ومحمد وفا وسرّ الختم وعبد الغني النابلسي». والله أعلم.

كتاب
ثمن الصدق

الحمد لله الصادق الذي تفضل بصدقه على عباده المخلصين. فأحياهم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد،

فإن منشأ العمل الإخلاص للحق تعالى ومنشأ الإخلاص الصدق. فلولا الصدق لما كان الإخلاص.

قال القائل: فما ثمن الصدق يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين؟

قلنا: لما كانت النية هي جذر كل شيء مس القلب. ودخل وخرج فيه ومنه. فليس كل صادق مقبولًا في عرفان الحق تعالى.

قالوا: أخبرنا كيف ذلك يا حكيم؟

قلنا: دليلنا هو قول الحق تعالى: ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾.

قالوا: وكيف يسألهم وقد عرف أنهم صادقون يا حكيم؟

قلنا: هو سائل كلَّ صادق سواء الكافر والمؤمن. إذْ يجوز الصدق في حق الكافر كما هو جائز في حق المؤمن. ولكنه باطل في حق الكافر. وذلك قول الحق تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا**﴾.

إذْ ثمن الصدق مفقود فلا يصح وجوده مع الكافر. وثمن الصدق هو الجنة والجنة لا يدخلها كافر وإن صدق وعلة الكفر الجحود وعلة الجحود إنكار الربوبية.

فإذا افتقد هذا الشرط سقط كل شرط وسقطت كل فضيلة منعوتة فافهم وذلك معلوم في قول الحق تعالى: ﴿فيومئذ لا ينفع نفس إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل﴾

إذ الفضائل مربوطة بالوقت المعلوم وهذا كمن تاب وهو يغرغر أو كمن تاب بعد طلوع الشمس من مغربها.

وهذا يقوم على قدرة الخالق. فالحق تعالى قادرٌ على أن يجعل الذهب ترابًا والتراب ذهبًا. ولكن ليس في هذه الدار. وإن وجدت قدرته لكونه ألزم نفسه بقسمه وما كان له أن يخالف قسمه.

وذهب الجاهل العنيد وقال لو أن الحق تعالى خالف لكان قادرًا حقًا. ولكن لعجزه أعرض وهذا كمن قال من اليهود: ﴿يد الله مغلولة﴾. وكمن قال منهم: ﴿إنَّ الله فقير ونحن أغنياء﴾. فكذا الصدق يا ولي. له رسومه وفنونه وحدوده فإن خرج عن هذا بطل.

قيل: يا حكيم الأولياء فما معنى قوله: ﴿وسعت رحمتي كل شيء﴾.

قلنا: الوسع له وإن كان في الأعيان فتحقق من قولنا هذا وهذا علمٌ دون علم الجزاء إذْ الجزاء متبوعٌ بما ارتضاه الحق تعالى من صدق. قيل: فكيف ينال ثمن الصدق؟

قلنا لهم: ثمن الصدق ينال بشيئين.

« أولها » المنة.

« وثانيها » المجاهدة.

فأما أهل المنة فقد حظوا بثمن الصدق بلا تعب المجاهدة. قد زالت عنهم آثار المجاهدة. وغبار الخوف والجوع فهم في أكناف المليك رتع. لا تعرف جسومهم خشن. ولا أعينهم سهر. ولا أيديهم وسخ ولا أفواههم خلوف ولا أمعاؤهم جوع ولا جلودهم حر وبرد فهؤلاء أهل الدلال والجمال.

وأما أهل المجاهدة فوصلوا إلى بر الأمان من بعد تعب شاق وجوع وخوف وبرد وحر. قد أنهكتهم فنون المجاهدة. فلم تترك إلا جلودًا على العظام وثيابًا رثة. ومعالم وسخة وجفونًا مقرحة ودموعًا غزارًا تشكو الأيام الخالية. فهذه صفة الأشعث الأغبر المدفوع بالأبواب الذي لو أقسم على الله لأبَـرَّه. وبغير هذين المسلكين لا يُنَالُ ثمنٌ للصدقِ قَط لكون الصدق لا يظهر إلا بهما.

فإن قيل: هل يقتضي ظهورَ الصدق في المظاهر على الأحوط.

قلنا: خفاء الصدق أعظم من ظهوره. إذْ أن نشأة الصدق البطون وملازمة الصدق للبطون أعظم. ويجوز الظهور في حق الصدق إذْ نتائج الطاعات هي ظهور الصدق.

ولا بُدَّ للطاعات من نتائج. ولا بد للنتائج من ظهور ومحل الظهور هو الصدق بعينه فافهم.

قيل: فما هي حقيقة الصدق؟

قلنا: حقيقته خلع الرياء الباطني وطرح المداهنة واستواء العلانية والسريرة حتى يكونَ العارفُ كلسان الميزان.

وإنْ كانَ ثمنُ الصدقِ غاليًا. فإنَّ ثمنه في عرفان الحق تعالى التعذيب والعذاب. وفي الآخرة يوفي العارف على نتائج صدقه ما لا يتوقع من الإتحافات الإلهية وعلى قدر الصدق يوفي الصادق واعلم يا ولي أنَّ العارف المتحقق من صدقه هو الخالع لريائه جملةً.

إذ الصدق لا يعرف الرياء. فافهم.

قيل: فما صفة المقهور الذي يريد أن يصدق ولا يستطيع ذلك. أخبرنا عن هذا الوصف بربك؟ قلنا لهم: هذا مع ما لحقه فهو صادق أيضًا. ولكنه لم يطهر بعد في الحسبان. بل ينقصه شيء من الأدب الباطن حتى يقتل شبح هواه فيكون متجردًا لا عبدًا مستأسرًا.

فهذا صفته كمن يرى النور وهو في الظلام ويستغيث من الظلام ولا يقدر أن يلحق بالنور طوعًا أو كرهًا. لذا فإننا ان صدقنا قلنا التوفيق الإلهي هو الصدق الحق الذي يقود بيد العارف إلى ساحة الحق تعالى فإن علوم المجاهدات لا تكفي لوصول العارف إلا إذا وفقه الحق تعالى وكتب لهذا الفريق النجاة إلى بر الصادقين. وذاك قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: «وما توفيقي إلا بالله».

وذهب الجاحد المنافق وقال: إذا صدقتُ فلمن يكون صدقي فأنا أفعل ما بدا لي.

قلنا له: الصدقُ مخزونٌ في خَزائنِ الحقِ تَعالى ومحفوظ وله أهله القائمون به وعليه. ونتائجه في الدار الآخرة أعظم من نتائجه في هذه الدار. فمثل الجاحد المستهتر أنه خلع رداء الآخرة ووقف مع هذه الدار ليتمتع وقتيًا فإذا زال السبب جاءه عذاب ربه.

هناك صدق اليقين لا غير وهو رؤية الصدق بالبصيرة. وهذا أعلى مراقي الصدق يا ولي.

إذْ أنَّ مراقي الصدق العليا تقتضي رؤية الصدق في عالم الخيال بالبصيرة.

وهذا كمن رأى مقامه في الآخرة وهو في هذه الدار في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

فهذا قطب تحقق من صدقه لما رآه مجسدًا.

قيل: كيف ذلك يا مليك الأولياء؟

قلنا: هذا مثاله رؤية الصفات مجسمة في عالم المعاني. وأقطاب الذوق من أهل الولاية مشاهدون لهذه المعاني بذوقهم. فالمحب يرى حبه مجسدًا في عالم المعاني والصادق يرى صدقه مجسدًا في عالم المعاني والفاني يرى فناءه مجسدًا في عالم المعاني والصابر يرى صبره مجسدًا في عالم المعاني. والشاكر يرى شكره مجسدًا في عالم المعاني والطائف يرى طوافه مجسدًا في عالم المعاني وكذا الصائم والمصلي والمزكي والمتصدق. فهذه مراقي الصدق يا ولي الله فاعلمها والزمها. رعاك الله.

ومن ثم ذهب المجادل وقال: الصدقُ لا ثمرةَ له. فأنا صدقتُ ولم أرَ ثمرةَ صدقي.

قلنا له: لكونكَ استعجلتَ وطلبتَ الثمنَ قبلَ تسليمِ البضاعة.

وهذا مرفوضٌ في معرفةِ الحقِ تعالى. لكونه لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألون.

وهذا كمن دعا اللهَ تعالى وطَلَب منه مَطالبَ ولم يعطها له سريعًا. فخاب ظنه في مولاه فهذه صفة الأحمق المرائي الذي يَصدقُ لأجلِ هواه لا لأجلِ مولاه.

إذْ أن مضمون الصدق العطاء بلا انتظار ومراعاة ذلك بلا ثمن.

إذْ ثمن الصدق لا يطلب إلا إذا تصدق به الحق تعالى على الصادق مفاجأة من عالم الغيب.

فخير المواهب ما بزغ من عين الوهب بلا وقت فكان بلا حسبان معروف ولا وقت موصوف وصِدْقُ رسولِ الله ﷺ كانَ غيرَ معلولٍ بل ابتغى به وجه الحق تعالى لا لجنة ولا لثوابَ بل لأجل كنه الحق وذاته وكريم صفاته وسموّ أسمائه.

فَعلَّمَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه الصدقَ بلا ثمن. وعلمهم أن لا ينتظروا ثمنَ صدقهم من جناب الحق تعالى بل الثمن مرسل إليهم في البريد الإلهي مفاجأةً من مكنون الغيوب.

وهذه النكتة مقولة في قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾.

فما دام هو قد اشترى فلا يسألون من بعد ذلك شيئًا في حق أنفسهم لكون الشراء قد انعقد وفض فهم باعوا وهو اشترى ولا رجعة في هذا الشأن فافهم.

نہ اس دنیا میں بندہ اللہ تعالیٰ سے قیمت بہت جلدی مانگتا ہے۔
اپنے آپکو اللہ تعالیٰ کے حوالے کیئے بغیر۔ اور اگر اس کو نہ دیا جائے
تو وہ اللہ تعالیٰ کے ساتھ برا گمان کر لیتا ہے۔ اور یہ کبیرہ گناہ ہے۔
بلکہ اللہ تعالیٰ جب چاہتا ہے دیتا ہے۔ صحیح موقع پر اپنی مرضی سے نہ
کہ بندے کی مرضی سے۔ بلکہ حضور نبی کریم صلی اللہ علیہ وسلم نے ہمیشہ اپنے عمل
کی وجہ سے نہ جنت مانگی ہے نہ ثواب۔ انھوں نے ہمیشہ اللہ تعالیٰ کی رضا
مانگی ہے۔ سو حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنے صحابہ کو یہ تعلیم فرمائی ہے
کہ اپنے صدق کی قیمت نہ مانگو بلکہ وہ دے دی گئی ہے۔ لیکن
غیب میں ہے۔ (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم)

كتاب
العارف المحض

قيل: بالله حدثنا يا حكيم أهل الولاية وفتى الرواية والدراية عن صفة العارف المحض؟

فاعلم أنك عن جليل سألت وعن فريد نقبت. فلله درك من فتى سما ونبا. فأما صفة العارف المحض فإنه المكتوم عن الوصف المختبىء عن كل وصف. فان العارف المحض هو المتجرد عن الوجود. الغير عابث به أو راجع إليه فافهم يا بني، فهذا المحض لا أستاذ له ولا شيخ بل شيخه رسول الله ﷺ. بل لا فضل لمخلوق عليه إلا قدم نبيه ﷺ.

وقد حظيت بهذا المقام بحمد الله عندما رأيت رسول الله ﷺ فيما بين النوم واليقظة عام ١٤٠٨ من الهجرة وأخبرني حضرة المصطفى عليه السلام في هذه الحضرة قائلًا لي في حالة الفناء فيه: «أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء»، وصفة هذا الفتى المحض كونه لا استمداد له من أحد إلا من إمامة رسول الله ﷺ وهذا العارف طارح لزخارف المقامات ومظاهرها فلا اعتراف له بإخلاصه أو عمله أو صدقه أو عبادة وعلم وغير ذلك بل هو متجرد من كل هذا إلا ذله وعجزه فلسان حاله قائل في الأكوان: يا أنا من أنا؟

فتجرد هذا العارف من المقام والحال ولا مقام ولا حال بل عبادته كهباء

منثور. أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فلا تسأله من هو؟

ذاك المحض الذي أذاب الركائز وهدم القوانين مجهول الأرض معروف السماء عامر الوقت.

وهذا الفتى العارف المحض هو الذي لا يعترف بطريقة أصلًا ولا بشيخ لكونه غير مكترث بالوجود. فريد وقته ونسيج وحده وسلطان فنه، وملك رسمه وسمته لا يوجد في الوجود منه سواه. ولا يكرر الوجود من هو في مستواه لكونه فرد الوقت بل هو غريب الوقت والسمت. نسخة أسرار الرجال إليه المرجع والمآل. متحقق بالأسماء العوالي. وكرائم الحروف الغوالي تراه محضًا في كل خُلُقه يأتي بكل جديد وتجديد وعلم فريد وعبادة وتوحيد إذا جالسته حيرك أو ناقشته أذهلك. يعبر ببصيرته عما ليس عندك ولا هو فيك يقينه مؤثر وبصيرته تغير. يفخر بنفسه طويلًا ويترجم عن أمجاده جليلًا موضع نظر الحق تعالى في الملكوت ورؤيته في الجبروت والرحموت بل هو عين اللاهوت والناسوت.

فربما كان أميًا ويعبر من المخزون الفائض. أي الكنز الغير غائض. فيسحرك بأبكار أفكاره. ويضحكك ويبكيك بنفائس أسراره. هو مُحَدَّثٌ من الغيب وغير متكلم بما يلاحظ بل هو كنز مؤصد وجوهر منضد تكاد تنطق كل شعرة فيه أنه ولي الله قد قربه وأدناه وأمره ونهاه. وأماته وأحياه. وأضحكه وأبكاه حتى صار هكذا.

يأتي رزقه إليه في زوايا الأرض لكونه محجوبًا عن الأبصار ربما أنكر عليه في الأرض وهو سيد في السماء. أو هو عبد في الدنيا ومليك في الآخرة أو محتقر فيها وذو عز في الدار الآخرة. ومن أوصاف هذا العارف المحض كونه يخيب ظن من تفكر فيه لكونه مخالفًا للحوادث. فيبدي من الغيب ما لا يتوقع أو يتصنع فهو على قدم مخالفة الحوادث والخواطر. يحب السبق فهو سابق غير مسبوق. إذا نزل الحلبة فإنه لا يجد من ينازله فيها ولا يسابقه

إليها. تجالسه ولا تعرفه ويكشفك ولا تكشفه لكونه أخفى في حجب الصون ومد بجيوش العون. هو المريد والشيخ في آن واحد. يتأدب ويؤدب تتعلق أرواح شيوخ العصر به وتطوف حواليه وتنجذب إليه مسلكه بكر وعلمه سحر.

قد يخالف شيخه إذا كان الحق معه كعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خالف شيخه ﷺ في مسألة الأسرى يحقق الرب له كل مسائله وينفذ له مطالبه لا يرى في الوجود إلا الحق لا يسير مع ركب بل هو سائر على حِدة منفردًا عن أوطانه مشردًا وبأسراره معربدًا وعن هذا المعنى قلت:

قم واطرب القوم حادينا بنادينا ... فإن داعي الهوى أضحى ينادينا
هذا النسيم نسيم الوصل فينا سرى ... هذا الحبيب أتى يسقي المحبينا
لا يعجب الناس منا إننا نفر ... يميتنا الشوق أحيانًا ويحيينا
تلومنا في الهوى قوم لتردعنا ... عنه ولم تدرِ أن اللوم يغرينا
لا يستفيق ولا يصحو منادمنا ... ولا يمل من النجوى منادينا

كتاب
المراشف الخمرية
اللاعقة لرضاب التائية

الحمد لله الذي أحبنا بلا قصد وغرض★ فأحببناه نحن كذلك بلا غرض وقصد إلا الذات المحض★ لأجله هو هو★ نسينا من نحن لأجل هو★ لا تقل نفسي★ فإن نفسي ما هي إلا علة تعسي★ وارحمتاه للقوم تاهوا في بحار العشق وغرقوا في تياره★ وضاعوا بين أمواج أنهاره★ ولم يعرفوا ليله من نهاره★ ما سر هذا السحر العذاب والسكر المذاب★ إلا المراشف السحرية★ والعيون البابلية★ والأعطاف الردفية★ والخصور النحيلة★ والجفون المريضة★ والشفاه الذابلة★ والأرواح الجاذبة★ دعني وإياه★ فكل يبكي على ليلاه★ وعلى سبب بلواه★ فإن ليلى ما هي واحدة★ بل وحدة تكاثرت★ وظباء تنافرت★ وأطيار على أفنان المحبة تناغت★ وبكل لسان غريب عذب تناجت★ سألوا عنك حتى أعرفك قدري★ فإني أفنيت فيك عمري★ فأين عمري★ واهًا لقد ضاع إذا مكرت بي★ وصددت عني★ إذًا أحببتك بلا غرض أظهرت لي الغرض★ فإذا وضح الغرض نزهتني عنه★ وشردتني منه★ ما هذا المكر★ وماهية السحر★ حكمة بالغة فما تغني النذر★ أغرقتني في اليم ولم تنقذني★ ويحلو لك غرقي★ وجرات عشقي★ ونيران شوقي★ ودموعي★ وزفرات ضلوعي★ .

ألا تذكر تذللي وهواني على الناس لأجلك★ وضياعي وتعبي★ وغربتي

وحيرتي★ وبكائي ومرير عبرتي★ وسهري وجوعي★ وبردي وحري★ وتشردي عن أوطاني★ وأهلي وخلاني★ كل هذا ألا يرضيك★ ويشفي غليلك★ فأنا عبدك افعل لي كما تشاء★ وصلى الله على بديع الجمال★ صاحب الكمال★ وعرش الخصال★ برزخ الكون وعرشه★ وكرسي العالم وقدسه★ النور الأسنى★ والشهود الأبهى★ مولانا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذه تائيتي المسماة «المراشف الخمرية الراشفة لرضاب التائية» أودعتها خبرة غرامي★ وعشقي وهيامي★ وعذابي وانتقامي★ وخمري ومدامي★ ووجدي وهيامي★ فهنيئًا لمن رشفها★ وعشقها★ وبسهام الغرام رشقته ورشقها★ وفيها أقول:

١ - «تائية ليلى»

«دع عنك أحوال الصبابة كلها ... وتعال فانهل من صفاء مودتي»
لو ذقت كأسًا من صفاء عيونها ... قدر القلامة غبت عن إنسية
وتعالى نسري في بحار رحيقها ... ونغوص غوصًا لا خروج لمهجتي
وترق فاكتل من نوادر نشره ... من غير كيل فالترقي ناقتي
وتهنَ وحدك في حنان وصالها ... فالكل صعقوا من شهود حقيقتي
والخلق جنوا من ظواهر فعلنا ... وبواطن الأفعال لب قضيتي
فإذا نزلت بحي من أهواهم ... فاترك سلامًا قد يذكر لوعتي
لو جلت قسطًا في زجاجة صفوفهم ... لصفوت صفوًا بعد طول الغربة
لو نلت حظًا من بقية شربهم ... لبلغت منها العرش جنة منتي
وصفاء نفس الخل صعبٌ نوله ... موت لعمرك في نفوس أحبتي
أرواحنا جمرات نار سعرت ... والماء سرى فوقها بالخلة
خطرات أنس قد يطير شعاعها ... فتطير روح من جمود الطينة
فهواها أضحى لا محالة مهجتي ... فهل الجسوم غنية عن مهجتي

وظللت أسعى في هواها جاهدًا كيما أفوز بنظرة عن خلسة
فعرفت أن هواها لم يك صورة ملموسة أو قبلة عن شهوة
لكنه ألطاف حب قد خفي لم يخفَ إلا من تعاقب غمة
لو نلت ريقًا من نمير لعابها لغدوت كاسًا بارقًا في الظلمة
ودواء جسمي أن ينحله الهوى من غير ريش قد سكنت بمهجتي
وحجاب قلبك فاسع في تمزقه من غير سكين فنصحك منيتي

٢ ـ « تائية سليمى »

« كسرت قيود الشرك عن عنق ملتي لكون قيودي قد أذلت بصيرتي »
هناك انطلقت في سماء إرادتي ورحت أجول في ميادين عزتي
هناك شربنا والشراب بقيتي وقد أسكر الخمار قومًا بفضلتي
شربنا رحيقًا غير أني لم أغب لشربي وغيري غائب في بقيتي
صفائي صفاء نوره من زجاجة وضوء سناها قد أضاء بهمتي
أحبة قلبي والغرام ملوعي أراكم بقربي في بعادي وغربتي
دعوا القلب يشرح والغرام يحدث أحاديث ليلى والرباب وعزة
ففي خبر سلمى ثم مية قصتي وفي هجر لبنى ثم زينب راحتي
لذاك تراني كنت أكتم عبرتي إذا ذكر العشاق صونًا لدمعتي
وفي باطني قلب تمزق لبه وإن دماه من دموعي السخية
فبعدكم قرب وقربي بعدكم فتعذيبكم حلو فرفقًا بمهجتي
ديار لليلى في بلاد بعيدة أراها بجنبي رغم بعد المسافة
يظن عذولي أننا في تباعد ويحسد شوقي إذ يراني بلوعة
ورغم بعاد في المسافة بيننا ترانا نقبل بعضنا بحرارة
وذا عجب من قربنا وبعادنا وما عرف العشاق معنى المسافة
تلاحظني ليلى بعين خفية وكل مناها أن تنال محبتي
وتكتم حبي عن عيون عواذلي وتنطق جهرًا إن ظفرنا بخلوة

٣ - « تائية لبنى »

« أحسب فتـاة الحـي كـلي بجملتي | وأخضـع إذلالي إليهـا وعـزتي »
وأرضي بذلّي فـي هـواهـا ومنيتي | أذيقت عذابًا في هواها استحقت
ونفسي تهـواهـا فتـاة خليعـة | أراها استقامت في خصال خليعـة
ولم أرَ منهـا في حيـاتي راحـة | سوى قبض عيش في هواها استحلت
وكـل أراه مـن جميـل خصـالها | يـوافي بـديعًـا فيـه كـل صبابتي
ولست مقرًا مـن بـديـع بـديعهـا | سوى قبض عيش في هوانا استلذت
تـراني أمـوت حسرة مـن جمالها | لفـرط دلال قـد أذل جلالتي
أسـائـل عنهـا في ديـار بعيـدة | فأطوي الفيافي كـي أفـوز بنظـرة

٤ - « تائية عزة »

« عيون القلى تبدي نفوسًا مريضـة | وعينك ليلـى في الحنـان اطمأنـت »
أذوب غرامًـا إن نظـرت جمالكـم | وأفنى فأنسى كـل شـوقـي ومتعتي
فيكمل أنسي بعـد طـول تصـبري | وأحظى بـوصـل نلتـه بعـد بلـوة
جننـا بليلى وهـي جنـت بغيرنـا | ومـن غيرنـا جنـوا بنـا في المحبة
أصـول الهوى منـا تبـدت لغيرنـا | فكـل محب قـد فنـا في محبتي
وبالدف والألحان قد نلت حظـوتي | سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي
سل القس والرهبان عن صنف ملتي | سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي

٥ - « تائية مي »

وإذا رأيتهـم عـرفـت خصـالهم | من غير مقسم بـالنـزاهـة عفـت »
كم من محب قد شكـى مـن بعـدكم | إلا أنـا إني رضيـت بقسمتي
لو كنت صبًا صـادقًـا لقصـدتنـا | فـالقصـد عنـدهـم افتقـار القـوة
وغـذاء روحـي أن يـرى محبـوبـه | في كـل طـرف إن بصرت بمقلتي
ورثـوا الكمال عـن الكمال محمد | وكمال طـه صـرفـه لأحبتي

ومن المشوق وقد ظللت ببابهم   أخطو الرقاب فلم أصل من زلتي
لولا افتقاري من خصالك نقطة   لرضيت عني بعد تلك القسوة
كم قد تجافي ثم أدنو سائلًا   أين الحبيب لقد نأى عن وجهتي
جفو الأحبة ما يكون بفضحهم   بين الدنا ترضيك طول الذلة
كما من حب قد تفتت كبده   وجماد صخر قد يحن فيخبت
أنفاسهم ريح السموم إذا طغت   وصفاؤها ماء النسيم بسحرة
وإذا الأحبة جاهروا بعتابهم   أفشوا سرائر وصلهم عن غلظة
لكن عتبي ما يكون لغيرنا   بيني وبينك سره عن خلوة
حتى إذا مت وماتت سيرتي   نسي الخلائق سرنا يا منيتي
قف ثم عرج نحو درب أحبتي   وأنس همومي ثم ضف لها حرقتي
واذكرني عندهم ولو في خطرة   خطرت ببالك علني قد أبخت
أنت الذي أسقمتني وهجرتني   وتركت سقمك في العظام يفتت
أغريتني بدنو وصل رمته   فسلبتني حق الوفا واحسرتي
ما هكذا يزجى الشغوف دلاله   فدلاله حرق الصفا واغلوتي
لولاك لم أصبر فدع لي منيتي   تحيا بها بين الخلائق صورتي
وخرست من لحظ الصنائع قدرة   يسري بها الملكوت طوع إرادتي
من شاهد السريان أمسى ميتًا   من وقع أقدار بواطن لكمة
خفيت على الثقلين -رحمة ربهم-   وبواطن الأحكام نفس النية
قد أظهرت في طور موسى لحظة   لم يحتمل إظهارها مع رأفة
وقد اكتست من روح أحمد هيكلًا   جلت عن المعنى المحاط بخطرة
يا من يراني والغرام مهتكي   وأزال ستري فالعواذل تشمت
وتغني خلي من لحون دلالهم   فلحونهم خمر حلال النكهة
فالخمر عندكم زوال الصحوة   والخمر عندهم صفاء اللذة
والخلق خمر قد تخمر فكرهم   ونقائص الأغيار لجة فتنة
والأولياء سفينة في لجة   خلصوا إلى بر رقيق الموجة

٦ ـ « تائية حفصة »

ماذا أقول وقد حوتك أضلعي ... وأراك تنأى ثم تأخذ بضعتي
ماذا أقول وأنت وصفك تائه ... عن كل محدثة وحائط فكرة
فجمال وصلك قد أحاط جمالنا ... وجمالنا نقص مكمل رقعة
فجمالك الباقي ونحن كواسب ... وجمالنا اللحظي لحظة متعة
تفًّا على صب يخاطر نفسه ... بجمال غيرك لذة في خلوة
لولاك لم تحط العقول بشهوة ... ودلال حبك حاشه عن شهوة
والعاشقون ملاحة لجمالكم ... وغرامهم سلك برى من حبة
والخلق قد رأوا النقائص زينة ... ورأوك حسنًا دون وصل الحلقة
عرفوك نقصًا في إحاطة وهمهم ... وكمالهم وهم أحاط بشبهة
لا أنت مرفوع فدونك محدث ... أو أنت مخفوض نزهت برفعة
أو أنت محمول فعجزك بين ... بل أنت قيوم بآية قوة
أو أنت محجوز فنورك محجب ... أو أنت مفروق أحطت بخفية
أو أنت ملموس فغيرك قد خفي ... سحقًا لطين إذ يصفك بخطرة

انتهت التائية

كتاب
سر إيمان الحق تعالى بنفسه

الحمد لله المؤمن★ المتمكن★ الذي أحب لعباده الإيمان. وأبغض منهم الجهل والطغيان. سبحانه فإنه يؤمن بنفسه إيمانًا لا معرفة لنا به. ولا بحده ولا بكيفه ولا بقدره. جلت أسراره. وبهت في الأكوان أنواره.

ولأجل إيماننا به تغاضى عن الخطايا والمعاصي. فهو يغفرها ولا يبالي. كما ورد شأن الرجل الذي قتل مائة نفس فغفر له في صحيح البخاري ولأجل إيمانه لم يعتبر بحسنات الكفار وإن كانت مثل الجبال. بل وأطنان الأثقال.

فانظر ذاك الإيمان الصرف المنبعث من حضرة المحض يا ولي الله. هو العبرة ولا عبرة إلا به. والإيمان بذاته لأجل ذاته. فناء في عين الذات. ولم تحظ بذرة منه عقول الأذهان. ولا يقبله عقل ولا برهان ساخ في شاشة الوجود وجوده. ولم تظهر لنا تلك الشاشة ظل جوده. ذاك ليس بعلم ولا يسمى علمًا. ذاك ليس بذوق ولا يسمى ذوقًا. ذاك ليس بكشف ولا يسمى كشفًا. هو نوع لا يسمى بل هو المعمى بل المكنى.

أحبك إلهي لأنك تحبني لأجل ذاتي كما أحبك لأجل ذاتك. فشكرًا لك لأنك آمنت بي كما أنا مؤمن بك. فأنت معلمنا علمتنا أن نؤمن بك لأجل ذاتك المحض. كل ما في الوجود يناديك إيمانًا بك حتى فرعون وهامان ونمرود.

من علم الأعيان الإيمان به. دعنا من إيمان المظاهر. هو خدعة وخداع. أعيان تتشاحن. وأشباح تتقاتل. وهياكل تزني وتسرق. وأبدان تتصارع. وأوهام تتشحط. وعقول تنحط.

فسحقًا لطينة العدم المرذولة. وأفٍ لنشأة الآدمي الضعيفة ﴿ولقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾.

المؤمن هو المقدس عن أوهام الآدمية. ألا تراها نزهته بضعفها الفقير. وبذلها الحقير. فهو قابل ما يقبل منها الكبرياء والخيلاء. والتلبس بردائه وإزاره. يسحقه جحوده. ويفنيه تمرده. فإيمانك ضعف بادٍ منك فيك. فكلما آمنت به ازداد ضعفك وعظم عجزك. فأعظم المؤمنين أعظمهم ضعفًا وحيرة.

كما روي عن حضرة أبي القاسم (ﷺ) أنه قال: «اللهم زدني فيك تحيرًا» وقال (ﷺ): «لا أحصى ثناءً عليك» وعن هذا المقام عبرت الملائكة الأكابر بقولها: «لا علم لنا إلا ما علمتنا». هناك في مهرجان الحضرة يكون الضعيف قويًا. والعاجز قادرًا والفقير غنيًا والعكس صحيح مقبول. من هو المؤمن في الأكوان. ليس هناك مؤمن على الإطلاق والحقيقة سوى الحق تعالى.

قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته والسماوات مطويات بيمينه سبحانه﴾ هو يغار أن يؤمن به كمثل إيمانه سواه. ويغار أن يكفر به كل الوجود وإلا أفناه. فإنَّ للحق إيمانًا بمقامه لا يبلغه كل الوجود.

بل لا يبلغ ذرة من ذاك العالم. لا نبي مرسل ولا ملك مقرب. وهذا من دواعي الربوبية. فإن حيطة الربوبية لو أطلعت الأكابر على ذرة من مخزون ذاك المقام لفسدت دواعيها. ولذا رحمنا الحق تعالى فجعل إيماننا به غيبًا. وعلقنا بالغيب لكون الحس يرفض حقيقة الإيمان. فإن الإيمان معدوم أصله.

مجهول عينه لا حقيقة له ولا يحققه سوى التعلق بما لا وجود له في الحس. بل بالوعد الذي عينه الحق لنا في الدار الآخرة وهذا الوعد لا شيء منه في هذه الدار.

فمن تعلق بوعد الحضرة الذي جهل عينه لنا في الحس فهو المؤمن المحض. لكونه آمن بما لا يراه واعتقده أقوى من الذي يراه في الحس.

فالحس مكر في الإيمان. لا تعلق له بحقيقته وكنهه. وهذا السر هو الذي أضاع مهج الكفار وحجبهم عن كنه الإيمان وعلى هذا الدهريون والشيوعيون. قالوا لا نؤمن إلا بما نراه. فهم بهذا لا إيمان لهم. بل لم ينالوا من حقيقة الإيمان كخردلة لا شيء لهم من حقيقته مطلقًا.

فحقيقتهم في الإيمان معدومة ولهذا استحقوا لفظ الكفر والجحود وعذبهم الحق تعالى بالنار الكبرى جهنم فمن كان غيبًا محضًا فذاك المحمدي الإلهي المحض ومن كان حسيًا محضًا فذاك المادي الجهنمي المحض. فانظر يا ولي الله قدر هذا العالم واعرف مقامك فيه من الوجود.

كتاب
حبل الله المتين في عقيدة الشيخ محيي الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

أشهدكم وأشهد الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والمؤمنين في العالم والكون وما وراءه: (أنني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله (ﷺ). وأن الله واحد لا شريك له ليس كمثله شيء على الإطلاق ولا يدركه سمع ولا بصر ولا قلب ولا آلة. وأنه يدرك كل هذه الأشياء وأنه لا ولد له ولا والد ولا شريك ولا صاحب ولا صاحبة ولا معين وأنه الفرد الصمد الوتر الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية. قائم بنفسه بالذات. ولا معين له على قيامه بنفسه، بل هو معين للمحدثات على أن تقوم بنفسها. ليس هو بجوهر ولا جسم ولا عرض مقدس عن الجهة والمكان والزمان وكل صفات المحدثات.

فكل ما خطر ببالك فالله دون ذلك. استوى على عرشه كما قال وعلى المعنى الذي يليق به والذي هو يعرفه لا نحن نعرفه، إلا من عرفه الله من أصفيائه، كان ولا شيء معه، هو يحيط بالكون لا الكون يحيط به، وهو يحيط بالزمان لا الزمان يحيط به، غير مجبور في أفعاله ولا يجبر الكافر ولا العاصي على اقتراف المعاصي والذنوب، وهو ليس ظالمًا ولا حقودًا لم يخلق الخلق لكي يستفيد منهم، بل هو الغني المطلق عن كل شيء بخزائن جوده. ونحن أهل الفقر المطلق إليه بمحض العدم، يعلم السر وأخفى ويعلم الجزئيات والكليات

على السواء. وهو عالم الغيب والشهادة، ويعلم الأشياء التي لم تخلق بعد، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور غير ممتزج بشيء، ولا فان في شيء، ولا مرفوع على شيء، ولا مخفوض تحت شيء، ولا منفصل عن شيء، ولا متصل بشيء. كما أن سمعه بغير أذن وبصره بغير عين وإرادته بغير قلب وقدرته بغير جوارح ولا آلات ولا جيوش وعلمه بغير اطلاع ولا مذاكرة ولا عن جهل أو عدم فهم وكلامه بغير لسان ولا حروف ولا صوت.

وحياته خارجة عن الزمان غير مرتبطة به ولا متعلقة بروح، وذاته سبحانه لا تقبل الزيادة ولا النقصان، وصفاته وأسماؤه لا تقبل الزيادة ولا النقصان لأنه منزه عن هذه المعاني، له سبحانه وتعالى الإرادة المطلقة والقدرة المطلقة، وهو قادر على كل شيء كما قال عن نفسه في كتابه. ولكنه لا يفعل إلا ما قدره وكتبه في اللوح المحفوظ. إن أنعم فهو عدل وإن عذب فهو عدل.

لو اجتمع الخلائق كلهم على أن ينفعوا الحق تعالى كقدر مثقال حبة خردل أو يضروه لما استطاعوا بل هو المتصرف في الخلق والكون على الإطلاق بغير عجز ولا خوف ولا ظلم ولا جور وإنه يجب على المكلف أن يعرف أن لله تعالى عشرين صفة وهي تنقسم إلى (نفسية) و(سلبية) و(معاني) و(معنوية) وأن الحق تعالى له (صفة نفسية واحدة) وهي الوجود. وله (خمس صفات سلبية) وهي القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية. وله (سبع صفات من صفات المعاني) وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والكلام والسمع والبصر وله (سبع صفات معنوية) كونه تعالى قادرًا ومريدًا وعالمًا وحيًا ومتكلمًا وسميعًا وبصيرًا. ويستحيل على الله تبارك وتعالى عشرين صفة وهي أضداد العشرين الأولى وهي العدم والحدوث والفناء والمماثلة للحوادث والافتقار إلى المحل المخصص والتعدد والعجز والكراهية والجهل والموت والصمم والعمى والبكم وكونه عاجزًا وكارهًا وجاهلًا وميتًا وأصم وأبكم وأعمى. وأشهدكم أنه يجوز عمل الممكن وتركه لله تعالى ولا يجب عليه تعالى عمل شيء فهو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأصول الدين من حيث الاعتقاد ثلاثة وهي: الإلهيات والنبوات والسمعيات.

وأشهدكم أن صفات الذات ليست عين الذات لأن الموصوف غير الصفة وليست غيرًا منفكًا عن الذات فلا تثبت في حال وتنفى في حال ولا هي قائمة بنفسها وإنما هي ملازمة لها على ما يليق بالله سبحانه وتعالى.

كما أشهدكم وأشهد الله وملائكته ورسله وعامة المؤمنين، أنني أؤمن أن سيدنا ومولانا محمدًا عبدالله ورسوله وخاتم الأنبياء، لا نبي بعده، أرسله الله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأن القرآن كتاب الله كل ما جاء فيه حق محض وأنه غير مخلوق وهو آخر الكتب السماوية. كما أؤمن بكل ما جاء به محمد (ﷺ) وهو حق محض. وأؤمن بكل الأنبياء والملائكة والكتب السماوية والصحف المنزلة من قبل الحق على الأنبياء، والإيمان يزيد وينقص.

وقد ذكر من القرآن خمسة وعشرين نبيًا. وأولو العزم خمسة، وأؤمن بمعجزة النبي وكرامة الولي، والخارق للعادة ستة أقسام (معجزة وإرهاص وكرامة ومعونة واستدراج وإهانة) كما أؤمن بالعرش والكرسي واللوح والقلم. وأن الجنة حق والنار حق، وعذاب القبر حق وفتنة الموت والقبر حق، والبعث والنشور حق والصراط حق، والميزان حق والحساب حق وتطاير الكتب حق، والحوض حق، والكوثر حق، وخلود أهل الجنة وأهل النار حق ووعد الله حق والساعة حق ورؤية الباري في الدار الآخرة حق وأنه لم ير أحد الحق في هذه الدار سوى رسول الله (ﷺ)، وقد قام إجماع الأمة على أنه (ﷺ) رآه ليلة الإسراء والمعراج، كما أنني مؤمن بوجود الجن وإبليس ووجود السحر الحسد. فقد أنكرت المعتزلة وجود السحر.

كما أنني مؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره. ومؤمن بشفاعة النبي (ﷺ)

لعصاة هذه الأمة يوم القيامة. والحسن والقبح واضح لكل عقل ولب كما بينته الرسل وبينه الكتاب والسنة.

والعقول ضلت بإرادتها واختارت القبح لذواتها بكامل إرادتها. واختارت الحسن لذواتها بكامل إرادتها والحق تعالى لا يجبر أحدًا على شيء.

كما أقول وهو مذهبي بعدم وجوب الأصلح على الله سبحانه وتعالى لأنه لو وجب عليه تعالى فعل شيء أو تركه لما كان مختارًا ولأن الألوهية تنافي وجوب المختص بالعبودية ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾. ولأنه مالك والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وأجمع أهل السنة وغيرهم على أن نصب الإمام على الأمة واجب على المسلمين شرعًا لإجماع الصحابة على ذلك وقد قدموه على دفن رسول الله (ﷺ) إذ به تقام الحدود وتسد الثغور ويحفظ النظام وقد اتفق أهل السنة على أن نصب الخليفة فرض كفاية وله عليهم الولاية العامة والطاعة التامة.

هذا وإنني لا أنكر على أحد من الأولياء فإن الإنكار على أولياء الحق سم يسري في الدماء لا يتبدل.

وإنني أحترم مشايخي وأوقرهم في غيبتهم وحضورهم لحقوق لهم عليَّ.

هذه عقيدتي بخط يميني إلى يوم لقاء الله سبحانه وتعالى.

والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الأخيار آمين.

كتاب
سدرة المنتهى
في شرح أسماء اللَّه الحسنى

الحمد لله ذي العز الأبهى. والسلطان الأسنى بديع ليس يوصف وجميل قل أن يُعرف. بهرت الوجود آياته. وتشعشعت في الملكوت تجلياته.

ليس في الكون سواه ولا جميل إلا من عين بهاه ليس هناك كون. وإنما هو الكون.

فافهم يا ولي هذا اللون. فإن ههنا ديار ليلى ومنازل سلمى. فإنه ليس بيننا غريب ولا محجوب غريب. فإن هنا أطيار الذوق تصدح. وبلابل العلم اللدني تفصح. فألق نفسك وانزل خبثك. وتعالى إلى ديارنا وعلق قلبك بآثارنا. واترك علومك ولا تعتز بفنونك ولا تتجمل بفتونك. فإن ههنا تضيع العلوم والفنون والفتون.

سليمى لا تنسي معالمنا	وحبًا دهرنا صانا
وذكرى في ربوعهم	وخلًا قلما خانا
وعهدًا طالما وثقا	وصبًّا دهره عاني
سليمى طالما مزحت	بحب مره زانا
وكأس الوصل إن صدقا	فمر الحب قد هانا
ويشرب كل ربعهم	وكل الرسم وافانا
ووجه الصبح إن سفرا	تباوحنا شكايانا

وذرف الدمـــــع هــماع وطــول الصــبر أبلانــا
وحــين النــأي أشجــان وطــير البــين فتــانــا
قصــدت القــاضي ينصفنــا وينصر كـل مـن عــانــى
أقـــاضــي إنـنــي آتٍ لأشكـــوك رزايـــانــا
فقــال النــأي مــذهبنــا دواء النـــأي داوانـــا

وصلى الله على أستاذ الوجود وعرش الشهود. مولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فهذا كتابي المسمى «سدرة المنتهى في شرح أسماء الله الحسنى». قد ضمنته شرحًا لأسماء الله الحسنى يليق بأهل المعرفة. وشيوخ الخرقة. من أخبوا هذا اللون وفنوا فيه. وجروا عليه. وتعلقوا به قد حوى فرائد الأفكار. وتجليات الأسرار. فإن الحق تعالى كل يوم هو في شأن. ولم تتوقف أسرار القوم عند زمان ولا حددها مكان. ولا جمع العلوم كلها عارف. ولا انجمعت في كتاب. فإن الحق تعالى يبدي كل يوم وليًا في أصفيائه. ويقول له: اخرج للناس وحدثهم عني بمقام ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فهذا الولي يوجد عنده ما لا يوجد عند كل من مضى من أهل الله حتى يغبطه الأنبياء والمرسلون يوم القيامة. وكذلك الأمر سيأتي بعد هذا الولي ولي آخر يكون عنده ما ليس عند هذا الولي. فإذا علمت هذا أيها الولي المتحقق والصديق المدقق. علمت عدم انتهاء العلم الإلهي المكنون. والدر اللوحي المصون. فإن الحق تعالى لم يتجل بتجليين متشابهين. ما كان وما ينبغي له هذا. فكل ما خرج من حضرته جديد بحت. ليس فيه نعت تشابه ولا صفة توافق فإن يد الخالق قديمة ولا تخلق إلا جديدًا. فهنيئًا لهذه الهياكل بتلك الحضرة القدسية التي تجد ولا تتجدد وتخلق ولا تُخلق.

والسلام على روح القدس المصون. وعلى نفس الرحمن الساري المكنون.

١ ـ « الله »

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الله هو عرش الصفات وسقف الأسماء. ولكن الأسماء احتارت في أن تصفه. وتعرفه وأين ماهيته فإنه الهو المطلق. وما هو؟ بل وما هويته؟

لا شيء سوى المجهول فما لنا معرفة على الحقيقة بالله أي لهذا الاسم وما ماهيته سوى الجهل المطبق. والعماء المطلق. وهذا من أسرار حجابه وعدم بدوه لنا في هذه الدار. فإذا قيل لنا الله طارت حجب هو منا إلى صفاته وأسمائه مثل الرحمن والغفور والشكور ليس سوى هذا ولكنه سبحانه ما هو هذه الأسماء في حقيقة اسمه « الله » فإن الاسم « الله » ليس له من معانينا شيء أصل وهذا قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فما هو على الحقيقة الرحمن ولا الغفور ولا الشكور بل هو شيء آخر عجيب فأين نحن من الله في الأسماء سوى التسع والتسعين اسم الحجابية التي تغطت بها حقيقة الاسم « الله » وما هي حقيقة الله أصلًا بل هي الظاهر وما أريد بالظاهر من الباطن إلا الحجاب المغطى والسر المعمى فافهم.

٢ ـ « الصادق »

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الصادق هو عرش تجليات الصدق في العوالم، وسره هو الذي جعلنا نصدق الرسل وهو الذي أقام الصديق في صدقه، وهو سر ناموس الإخلاص فإنه لولا الصدق لما كان إخلاص أصلًا، ولما شم الصادقون طعم الإخلاص فبالصدق كان الإخلاص. والقطب المتربع على عرش الأخلاق الإلهية الكاملة ليس له في التحقق سوى قيامه بصدق الحق تعالى، وإن أعظم مقامات هذه المرتبة من صدق نفسه بنفسه وإن زندقه وكفره كل من حوله فإنه كالجبل العملاق قائم راسخ في نفسه ومن حوله كالبعوضة تنفخ عليه أتراه يتزحزح؟.

ولذا قيل إن الصديق هو ذاك الرجل الذي يحكم بزندقته سبعون صديقًا فلا تتم صديقيته إلا بهذا الشأن. فهذه الصفة هي صفة الرسول الذي يبعث في قومه ولا يجد على ظهر الأرض من يؤمن به إلا هو قائم يصدق نفسه بنفسه وإن أجمع كل من حوله من قومه على كفره وضلاله. وقد قيل لأبي القاسم (ﷺ) إنه ساحر وشاعر، فلم يلتفت إليهم ولا أذعن إلا لنفسه فهو قطب الوجود ورحاه وعمود الكون وهيكله في تصديقه بذاته.

٣ ـ المصور

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى ما صور الكون إلا على صورته وجعل هذه الصورة مجموعة في العين الإنسانية فهو مجمع الأكوان، بل هو العين الإلهية ونسختها، ولذا قال أبو القاسم (ﷺ): «إن الله خلق آدم على صورته» رواه مسلم في صحيحه وإن من شيء في الوجود له صورة إلا وله صورة إلهية قد نُسِخَ منها وعنها ذلك الشيء، لكن بلا تخيل وتوهم فحاشا للعقل الآدمي أن يدخل في هذا الميدان بل هو كالطفل يرى أباه وأمه ولا يتذكرهما إذا كبر فهو يرى ولا يتذكر، وهذا من أعجب درر ويواقيت هذا الباب فافهم.

واعلم أن المصور أي الذي جعل العالم على صورته والعالم انجمع في النسخة الآدمية، فإن آدم هو العالم المصغر الذي هو نسخة طبق الأصل صُورت عن العالم الأكبر ولم يُصوره الحق تعالى صورة بالتجسيم وإنما صوَّر المعاني. فإن نسخة الصورة الجسمانية في معناها ليست هي المقصودة فهي تعني الظهور والحق له البطون في هذه الدار.

فعلمنا أنه لم يبق لنا إلا التصوير المعنوي غير الملموس من بقايا هذا الاسم.

٤ - الصبور

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الصبور هو محل تجليات صبره في العباد وقد أفرغ مراد هذا المعنى فيه أي في هذا الاسم.

وذاك القطب المتحقق لا يتربع إلا بتحققه بصبر الحق تعالى على العباد وما الذي يجعل الخالق الأعظم الذي هو قائم بذاته ومخالف للحوادث أن يصبر ولمن يصبر وعلى من يصبر وإلى متى يصبر وهل صبره متعلق بالزمان والمكان.

فإن علمنا المحض الذي لم يخرج لأحد من الحضرة سوانا من أولياء هذا الزمان رضي الله تعالى عنهم هذا العلم اقتضى علينا أن الحق تعالى لم يصبر أصلًا إلا لأجلنا لا لأجله وعلينا صبر وإن صبره تعالى غير متعلق إلا بفترة الدنيا فقط وقبل خلقها لم يصبر أصلًا وفي الآخرة لا صبر أيضًا فكان صبره كصفة غير محدث، ولكن التعلق محدث بالزمان والمكان فالزمان هو زمان الدنيا والمكان هو الدنيا. وكذب من قال عنه سبحانه إنه يصبر في حق نفسه فبقية الصفات تلغي صبره في حق ذاته المقدس، لكن يصبر لأجل المخلوق لا لأجل الخالق.

وعندنا صفة مخالفته للحوادث قد ألغت صبره في حق ذاته وصفاته. وكذا عندنا صفة اسمه الخالق قد صبرته على خلقه وجعلته صبورًا علينا ولأجلنا.

وأعظم الخلق تحققا باسمه الصبور هم أنبياء الرسالة فإنهم أهل التحقق الكامل باسمه الصبور وأعظم تحققا القطب الكامل عملاق الوجود مولانا رسول الله (ﷺ) ألا تراه كان إذا اشتد صبره جاءه ملك الجبال وقال له: دعني أطبق عليهم الأخشبين فيقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» ثم يقول: «عسى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله».

٥ ـ القوي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن القوى الكونية جميعها سواء القوى الآدمية والحيوانية والجمادية والنباتية كلها مستمدة من حضرة هذا الاسم ولو سلبها الحق تعالى لحظة واحدة من أعيانها لصارت هباءً منثورًا لا يتحرك ولا يحركه شيء أصلًا.

فإن المحرك الأعظم في الأكوان هو الحق سبحانه وتعالى وهو غذاء الكون الأصلي الذي يسري فيها بغير رؤية فهو ليس خارجًا ولا داخلًا فيها حاشاه.

والقطب ذلك الفتى صاحب هذا الاسم هو المؤتمن على خزائن القوى في العالم قد صرفه الحق تعالى فيه وائتمنه عليه صاحبه ائتمانًا مطلقًا فهو ينوب عن الحق تعالى في التصرف بقوته.

كان من أقطابهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فإن أحواله تدل على أنه من عظماء هذا المقام وجهابذتهم فإنه كان صاحب تصرف باهر في الأكوان، كما يحكى عنه أنه أرجع الشمس حتى صلى العصر.

وهناك صنف من أقطاب هذا المقام نالوه وبطنوه وأخفوه وناموا في المقام وستروا أنفسهم بالعجز الكامل والضعف الشامل.

وكان مع شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه من تصرفات هذا الاسم ما لو شاء أن ينقل به الجبال ويهدم السماء على الأرض ولكن تركه وادّعى مقام العوام المحض.

ولكن مقام القطب المكتوم قد ألغاه حتى قال: أنا العامي المحض وعكس من مضى من أقطاب هذا الاسم الأقطاب الظاهرون الذين أبدوه في الظاهر وكان منهم عبد القادر الجيلاني وهو أقل مقامًا من الطبقة الأولى التي سترت أسرار هذا الاسم. غضب ذات يوم ببغداد فنشب حريق هائل دمر بغداد لولا أن جاءه الخليفة العباسي وقال له: اصفح يا مولانا أهلكت الخلق فلما

هدأ انطفأ الحريق وإذا نظرت في المناظر الإلهية رأيت صورة القطب الجامع المنفرد وقد حمل أثقال الكون على عاتقه بسر هذا الاسم وهو مقام صعب ثقيل يذوب تحته الرجال ولكن بسر هذا الاسم تذوب العوالم والأكوان تحت قدم القطب الجامع المنفرد.

٦ ـ الكريم

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الكريم هو الذي يكرم نفسه قبل أن يكرم غيره ولنا قال لنا النبي (ﷺ) معبرًا عن هذا المقام: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» فإنه إن لم يبدأ بنفسه هلك وفسد أمره. فإننا لم نعرف الحق تعالى إلا وهو المثل الأعلى المنزه عن النقائص الكلية صاحب المجد الكامل الكلي .وهذا غاية الكرم الإلهي في حق الذات الإلهية والصفات. فمن أكرم نفسه بنفسه فليخرج إلى العوالم وليكرمها من كرمه فإنه حينذاك ينفق من عين لا تنفد ألا وهي عين الجود الإلهية التي هي محل الكنوز القدسية.

وإذا رأيت القطب البارع المتحقق بهذا الاسم وأسراره رأيته متجليًا مكتملًا متكاملًا في أبي القاسم (ﷺ)، الذي قيل فيه: «أجود من الريح المرسلة» فإن سر التعبير بلفظ الريح له سر باهر ومقام ساحر فإن الريح ما تركت مكانًا ولا زمانًا إلا وقد انتشرت في كل ذرات الوجود وجزئياته.

وهذا يسمى في علمنا البقاء الكامل للمظهر المحمدي من قبل ومن بعد ظهوره الحسي الشبحي المتمثل في عمره الدنيوي فإن الذات المحمدي هو أصل الأشياء وصاحب الكرم الكامل الذي خرج من الحضرة ليكرم العوالم جلة ويهبها من فيوضاته ويمددها من وارداته فهذا سر الكرم المحمدي ووجوده في كل مكان وفي كل زمان.

٧ ـ المتكبر

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن المتكبر هو الذي لم يجد من يماثله، فعلا عليه بإرادته وأفهمه ذلك بكلامه وإشارته ورمزه.

وذاك القطب المتكبر ما تكبر إلا عن صفة الحق تعالى فيه تكبر وله تكبر وإليه تكبر وفيه تكبر.

أما من ادَّعى الكبر عن غير الإذن الإلهي فهو ممكور به قد تطفل على الحضرة ودخلها من غير بابها.

وعلم أن المتكبر لم يخرج عن قدره أصلًا وإن رآه الرائي أنه خرج عن قدره. ألا ترى أن النبي (ﷺ) قد قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». أي بلا فخر وتكبر هذا هو قدري ومقامي المحض.

وأقطاب هذا المقام لا صفة لهم في حظوظ النفس إلا التعلق بالنفس الإلهي الخارج من مقام الكبرياء والقعود عليه فهؤلاء حقًّا هم أقطاب الدنيا والآخرة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٨ ـ العزيز

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن العزة الكاملة الجمعاء لله تعالى وإن أعظم أهل الأرض عزة، لو أُلقي في بحر العزة الإلهي لصار ماء. ولو أُلقيت قطرة من بحر العزة الإلهي على هيكل الكون لصار وردة كالدهان.

وكان من شيوخ هذا المقام شيخنا عبد المجيد الشريف قدس الحق تعالى سره، فإن العزة الإلهية كانت متحكمة فيه تحكمًا كاملًا، فكان لا يخاطب أحدًا إلا وهو في هذا المقام.

وكان أبو يزيد رضي الله عنه ممن حظوا بخلع هذا المقام فقد حُكِيَ عنه أنه خرج من معبده فرآه تلميذ له فمات حالًا فسُئل عن ذلك فقال: خرجت إليه بصفة ما يحويه قلبي من عظمة الحق تعالى فلم يحتمل تجلي الحق تعالى فمات.

واعلم أن أعظم شؤون الحق تعالى في مقام العزة مقام عزته بنفسه فإنه سبحانه وتعالى ما يعتز بشيء مثل اعتزازه بنفسه، قال تعالى: ﴿وما قدروا

الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته والسماوات مطويات بيمينه﴾ فما عرفه على التجريد أحد سواه. فهذا سر مقام اعتزازه سبحانه وتعالى بنفسه.

٩ ـ الحكيم

اعلم أيدك الله أن اسمه الحكيم أي صاحب الحكمة المطلقة في الأكوان يبديها ويخفيها. ثم رأينا هناك كلمة لا تحتملها عقول العالم ولا العوام ولا الخواص ولا أهل الرسالة ولا أهل الألوكة ومن هنا انقسمت الحكمة لدينا في نظمنا إلى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: حكمة العوام وآيتها قوله تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فهي غير محجوبة بل لكل الناس.

المرتبة الثانية: حكمة الخواص وآيتها قوله تعالى: ﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ وهي للأنبياء والمقربين من الرسل والملائكة.

المرتبة الثالثة: حكمة الحق تعالى وآيتها قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ليس كمثلها شيء ولا أحد يعرف عنها شيئًا أصلًا اختص الحق تعالى بها نفسه وخلا بها بنفسه وهذه الحكمة لا يعرف ذرة منها أي مخلوق وهي من علوم الغيرة المحضة. فافهم هذا السر يا ولي الله.

١٠ ـ الجبار

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى ما تجبر إلا على أهل التجبر لكون صفاته سبحانه وتعالى لها وظائف كونية تختص بها فكل عين من الأعيان الموجودة تأخذ ما يحققها من صفات الحق تعالى وما يلائمها وما يراه الحق مناسبًا لها فليس في الإمكان أبدع مما كان.

وإن خرجت العين الوجودية المؤمنة عن نطاق أدبها خرج لها من عين الجبروت ما يؤدبها به الحق تعالى ويرجعها إلى سلوكها القويم.

ولذلك وجدنا في علومنا أن أعظم أهل الولاية تحققًا بهذا الفن هم أهل الذل التام كان منهم أحمد الرفاعي صاحب أم عبيدة كان إذا نظر تلك العين ذاب حتى يكون ماءً ثم يجمد فترجع بشريته فيقول لأصحابه: لولا لطف الله لما رجعت لكم.

واعلم أن صفات الجلالة الإلهية لا تقاوم ولا ينبغي لعارف أن يقاومها وإلا أرجعته إلى حده كي يعلمه الحق تعالى كيف يتأدب معه ألا ترى إلى ذلك النبي الصديق يونس عليه السلام عندما ذهب مغاضبًا وظن أن الحق تعالى لن يقدر عليه، كيف أرجعته تلك العين إليها فقال: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ فهناك هناك تحقق ذاك العارف يونس عليه السلام، ما قدر تلك العين ومدى قوتها ومقاومتها فرجع آيبًا تائبًا.

١١ ـ السلام

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن الحق تعالى لن يترك عينًا برأها بيديه إلا وقد سالمها وعن هذا المقام قال: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾.

وفي الحديث القدسي: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب: «سبقت رحمتي غضبي».

وإن عظمته اقتضت مسالمته سبحانه وتعالى وهذا من أعظم الدلائل عندنا التي تقتضي عظم مكانة الأخلاق الإلهية والتي أمر الحق تعالى رسله وأصفياءه أن يتخلقوا بها سرمدًا إلى يوم أن يلقوه بها. وذاك القطب الفرد الجامع محمد (ﷺ) ألم تره قد سالم المؤلفة قبل أهل الصفة فكان يعطي الغنائم للمؤلفة قلوبهم ويكل أهل الصفة لإيمانهم.

وتراه يقول لمن آذاه وعذّب أصحابه: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ويقول لمن جاء كي يطبق عليهم الأخشبين: «اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

هذه أخلاق ذلك القطب المسالم المسلم المستسلم عين الأكوان محمد بل هو

عين السلام الإلهية التي قيل فيها في عالم البدء الأول: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ هو عرش الإله وكرسيه وعين سر ذاته. فإن عندنا محمدًا (ﷺ) هو عين سرّ الذات ومن قال بغير هذا من أهل العرفان أخرجوه وكفروه.

١٢ - الولي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى قد تولى الأكوان بمن فيها على الإطلاق لكونه الولي الأعظم فهذه عندنا هي الولاية العامة.

أما الولاية الخاصة فلها ديوانها ورجالها وأقطابها المميزون فهم في ولايته تحت ولايتين عامة وخاصة.

وبسر هذه الولاية أنه تعالى قد قام بنفسه فإنه سبحانه لم يقم به أحد بل هو قائم بنفسه وقائم بكل أحد، ولما صحَّ له عز وجلّ أن يتولّى نفسه فقد تولَّى الكل، والولاية لا تصح إلا معنوية، فإن ولايته سارية في الأكوان وقائمة بشؤون العوالم.

وذاك القطب المنفرد على قدم الحق تعالى قد تولى شؤون العوالم يصرفها معنويًا، وقد قرأت في كتاب «المنن» للشعراني وكان من أقطاب هذا المقام أنه كان يطوف الأرض كلها في سويعة. وعن هذا المقام تحدث أبو بكر الشبلي لما بلغه فقال: لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها لقلت إنه ممكور بي ويُروى عنه قوله أيضًا: لو تحركت ذرة في العالم دون علمي بها لقلت إنني ممكور بي.

١٣ - المتعال

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه المتعال أي الذي هو متعالى في كل لحظة، بل من اللابداية إلى اللانهاية فإنه سبحانه تعالى فيما لا نعلمه نحن ويعلمه هو. وعلى من يتعالى؟ إذا كنا لا نفهم تعاليه ولا يفهم سر هذا التعالي أحد، هذا من خصائص أسراره العليا ومن علوم الحقيقة المحمدية

الكبرى والتي لم يكشف لأحد عنها سواها.

ومن يتعالى بجواره خسف به في الدارين ولا يبالي. وإذا كان من اللابداية إلى اللانهاية في تعال، فإنه قد خرج بهذا عن وصف المكان والزمان، لكون هذا التعالي لا يعني جهة العلو وإلا دخل تعاليه سبحانه في حدود المسافات وحاشا له ذلك ونحن نبرؤه من هذا.

وذاك القطب البرزخ يتعالى في كل لحظة على صفة خالقه فهو في ترق مطلق حتى بعد انتقاله إلى العالم الآخر، فجعل الخالق هذا المخلوق هو عينه، ألا ترى أبا القاسم عليه السلام قال عن هذا المقام: «الأنبياء أحياء في قبورهم» فدلت حياتهم على بقاء ترقيهم في عالم القدس الأكبر، واستمرار تعاليهم مع الحق تعالى.

١٤ ـ الجميل

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الجمال الإلهي هو نتائج ما ظهر إلى الوجود وما حملته صورة الأعيان، كل هذا ذرة من محيط الجمال الإلهي.

والمتحقق لدينا أن الجمال يتناقص كلما كان مجسمًا ويتزايد كلما كان معنويًا، ولذا لا علم لنا بالجمال الإلهي في هذه الدار لكونها دار أجسام وجمادات، ولا نعلم مقام جماله إلا حين تجليه لنا في الجنة في الدار الآخرة وإنما علمنا جماله لما علمنا جمال المحسوسات، فالحس لولاه لما علمنا جمالًا قط. وإن نهاية الجمال المحسوس هو بداية الجمال المعنوي، ولذا كانت صورة الجمال اليوسفي هي بداية جمال أبي القاسم (ﷺ). ولا قياس في هذا على جمال المصورات المحسوسة، فإنه لما قال أُعطيَ يوسف شطر الحسن، أي شطر الجمال المعنوي الذي لو تجسد لكان أبو القاسم (ﷺ) قد حظى به كله.

وإن أهل هذا الدار لا يقيسون الجمال إلا بمادة الحس ونحن لا نقيس بهذه الكيفية، فربما عندنا أجمل الناس صورة في الحس هو أقبحهم صورة معنوية، فهذا سر قوله عليه السلام: «أعطي يوسف شطر الحسن».

١٥ ـ البديع

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس، أن البديع مرتبة أرقى من مرتبة الجمال، فإنه لا يقتضي أن يكون كل جميل بديعًا، ولكن كل بديع جميل، فإن الإبداع هو الظهور بما لم يعرف من قبل من تكرار ما لم يتكرر ولن يعرف أصلًا.

أما ظهور ما يعرف وما عرف من قبل وتكرار ما تكرر فلا يسمى بالبديع في علومنا، ولهذا سمى نفسه سبحانه بديع السماوات والأرض، أي الذي يظهر فيهما كل يوم ما لم يتكرر من قبل بل في كل لحظة، وعن نفسه قال: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ أي في الإبداع فهو البديع الأكبر. ولولاه لأصبح الوجود صورة جامدة ساكنة لا إبداع فيها.

وأعظم من تحقق بهذا الاسم هو نبينا عليه السلام فإن دينه نسخ كل الأديان وأبدع في هذا ما لم يبدعه مخلوق سواه فهو محط الإبداع الإلهي ومرآته، الذي قيل فيه: «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك».

١٦ ـ الخبير

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس، أن اسم الخبير، هو الذي خبر الحقائق كلية من قبل وجودها ومن بعد تحققها وتجسدها، خبرًا لا ينقص هذه المعرفة من قبل تحققها عنها يوم تحققها أو عنها بعد تحققها بل هو هو في علمه بها ولهذا قال مخبرًا عن نفسه: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾. أي في بقاء الحقائق وثباتها في العلم الإلهي، فإن العلم الإلهي ثابت باقٍ لا يدخله تردد أو تلوين أو تزعزع أو تزحزح إلا إن اقتضاه علم النسخ.

١٧ ـ القدوس

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه القدوس أي القائم بحق تقديس الذات والصفات لنفسه بنفسه، ومن ثم تجلى على ذاك الآدمي فسماه

قدوسًا مثله لما نزهه وقدس ذاته وصفاته. وعلى هذا فإن الأعيان المقدسة هي عين الحق تعالى في مقام التقديس فإنه لا شك أن العبد يقدس ربه والرب يقدس نفسه فلا فرق في المقام فإن العين واحدة.

١٨ - الحي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحياة السارية في الأكوان ما هي إلا قطرة من البحر المحيط الأعظم في الحياة الإلهية السرمدية، أمدَّ الحق تعالى بها الأعيان منذ أن خلقها إلى أن تنتهي الأكوان.

أما الحياة السرمدية التي تتعلق بالجناب الإلهي المقدس فقد خرجت عن نطاق الزمان وأين الزمان منها، وقد انبثق الخلق عنها وإن الخلق لقطرة من بحار ذاك المحيط الأعظم.

١٩ - النور

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه النور هو علة أنوار الوجود والعوالم الذي لولاه لما أضاءت الأكوان، ولما أشرفت النجوم والكواكب وإن الواسطة هي التي أعطتنا حق ذلك النور، ألا وهي الذات المحمدية، فإنها ولولاها لما أبصرنا ولكانت العوالم ظلامًا دامسًا تامًا.

وإن حقيقة الذات المحمدي أنه عين اسمه النور وعرش الأنوار الكبرى وعنه تولد كل شعاع وضوء فإن العين الإلهية ما أعطت صفة نورها إلا للذات المحمدي الشريف وألبست أثواب الأنوار الكبرى عليها وتوجتها بتاج شعاعها وجملتها بهندام بهائها وأقامتها في أعراس حضرات أنوارها فهي نور الأنوار الأعظم. وناموسه المطلسم.

واعلم أيدك الله أن الحق تعالى هو نور الأنوار الكبرى فإن العدم لا نور له أصلًا إلا إذا انتسب إلى الحق تعالى فإنه حينذاك بنور إذا اكتسب منه صفة النور وتلبست به تلك الصفة. فعلمنا في لسان ذوقنا أن الكون كله

ظلام دامس وما أضاءه غير اسمه النور فإنه هو الموكل بهذا العمل.

ووجدت القطب المتربع في هذا المقام أصل النور في الكون وعرشه الأعظم وهو المضيء لدياجيره ودجاه وقد كان على هذا القدم مولانا عبد المجيد الشريف قدس سره فإن الشعرة في لحيته كان فيها من الأنوار ما يهدي كل أهل الكفر الذين على وجه الأرض.

فإن هذا القطب هو الموكل بنور الأنوار والحامل لسر النور الأعظم في كل عصر لولاه لانطفأت أنوار الكهرباء وتوقفت عن الإضاءة نجوم السماء وعن هذا قيل من قدر نبينا أبي القاسم (ﷺ) ﴿قد جاءكم من الله نورٌ﴾ فلم يذكر الهيكل الجسماني له ولا الروح الصرف بل نكره على أنه نور محض صرف فانظر يا ولي الله قدر هذا الاسم في العالم وعظم أثر وظيفته في الأكوان. جزء سادس سورة مائده

٢٠ ـ القيوم

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن القيوم هو الذي قام بنفسه وبكل شيء سواه. فهو القائم بمجموع الذرات الكونية وجزئيات الوجوب بل يسري فيها سرياناً لا فراغ منه ولا يحد بعامل الزمان والمكان، فإن قيوميته لا غنى لنا عنها ولا غنى له عنها ولو غابت عنا لحظة لهوى العالم وتضعضع الوجود فإن قيومية الحق تعالى هو قوة الوجود التي أقامته وإنه سبحانه قد قام بالأشياء وقام أيضاً بالعرش الذي استوى عليه وصح في علمنا أن كل ذرة في الوجود قد أخذت حق القيومية الكبرى في الحقوق الإلهية ومن مقدار هذا الاسم الجليل.

٢١ ـ الملك

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الملك يملك العالم في أمره وأن الحق تعالى يملك الوجود وما وراءه في طي قبضته وهذا يتحقق يوم القيامة له

ولمكانته قال الله تعالى: ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وأعطى هذا الآدمي ذا الجرم الصغير حقوق الملكية في وجوده وأكوانه فجعله ملكًا يحكم في الأرض وإن كان غير مؤمن به وقد يسود على من يؤمن به فإن الأعيان على صفة مصورها وباريها هي عينه في الأسماء ومنازلاتها.

وجعل الإله جل جلاله الآخرة لا يملكها إلا أعزاؤه وأقسم بهذا في المحكم حيث قال: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

فجعل المؤمنين ملوك الآخرة كما جعل الكفار ملوك الدنيا كما قال أبو القاسم (ﷺ): «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». وإن عظمة ملوك الآخرة أي أهل الإيمان أنهم ملكوا الدنيا كما ملكوا الآخرة فزهدوها وجعلوها سجنهم فمن أعظم من هؤلاء الملوك؟

٢٢ ـ القهّار

اعلم أيدني الله وإياك أن هذا الاسم من جلائل الأسماء الإلهية البارزة في حضرة القدس فإن العبودية في الأعيان ما تمت إلا بالقهر لهم، فالعالم مقهور للحق تعالى فمن هنا علمنا أن العالم هو ما سوى الحق سبحانه فإنه تعالى قاهر لا مقهور، وما القهر في الأسماء الإ سر المراد الإلهي من العالم، فإن الحق تعالى أراد من العالم أشياء ما حققها إلا القهر، وهذا سريان الحق تعالى في العالم، حتى مقام الرضا ما تم إلا بالقهر، فإن الراضي ما وُلد راضيًا إلا بسلطان القهر وهذا سر قد أطلعتك عليه فاعلمه يا ولي الله.

وهذا القطب المتمكن على قدم الحق تعالى قد قهر الأكوان فاستجابت له وإليه، وآية هذا القطب المنفرد من الكتاب قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾.

٢٣ - المهيمن

اعلم أيدك الله بروح منه أن الهيمنة مقام أرقى وأعلى من مقام الكبرياء قال تعالى: ﴿ومهيمنًا عليه﴾. فإن الهيمنة نوع راق من الكبرياء لا يوصف بالحرف الظاهر ولا بالعبارة الكلامية ولا يملكه إلا سلطان الذوق، هنا يهيم ذاك القطب المنفرد في مقام فوق الكبرياء لا وصف له في مظاهرها إلا لذاك القطب فإنه الهائم في كبريائه هيام تمكن وتمكين.

وأقول لك إن هذا المقام قد فاق مقام العزة أيضًا، لما فاق مقام الكهرباء، فلا تلحق كبرياء ولا عزة بمقام الهيمنة، ذاك عالم غريب صرف محض من أنواع الكبرياء والعظمة الراقية جدًا نحن في حجاب مطبق عن تذوق خلسة منها لا يكون إلا للحق تعالى فقط فإنه هو المهيمن على الأكوان بمجموع الأسماء والصفات الكلية فإن مجموع الأسماء والصفات قد خضعت لاسمه المهيمن فهي تحت حيطته، وإن الحق تعالى ما هيمن علينا إلا بهن فافهم.

٢٤ - الظاهر

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى هو الظاهر في الكون والعوالم فإنه ما سمى اسمه الظاهر عبثًا فإن العالم على صورته وهو عين العالم. إذ الظهور لا يجوز في حق العدم أصلًا إلا إن اقتضاه اسمه الظاهر، فظهر العالم بالحق تعالى وظهر الحق تعالى بالعالم. ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي أن الحق تعالى يسبح نفسه بنفسه ظهورًا وبطونًا. فافهم لغتنا يا ولي الله فما ظهر لنا على التحقيق سوى الحق تعالى فإن الكون أصلًا ما هو سوى العدم الجامد وظهوره هو تحريك الحق تعالى له كي يقوم بمرادات الحضرة وما اقتضته منه فلولا ظهور العالم بتلك الحركة ما تمت مرادات الحق تعالى من هذا العالم ثم أقول إن الحق تعالى عين كل شيء فإنه ما تحرك ثم إلا به وما برز من جموده إلا بظهور الحق تعالى فيه. وذاك القطب الفرد الظاهر

حمل هذا الاسم وأعطاه الحق تعالى مقام الظهور في العالم والظهور بالعالم، فأعطى كل شيء قدره من اسمه الظاهر فمن ثم ظهر في مقام الحق بالحق وفي مقام الباطن بالحق تعالى أيضًا فليس الظهور هنا كالبطون. فمن فهم هذا العلم ورث هذا العالم.

٢٥ ـ الباطن

اعلم يا ولي الله أيدك الحق تعالى بروح القدس، أن اسمه الباطن هو روح اسمه الظاهر، فإنه لا ينبغي ظهور بغير بطون كما لا ينبغي بطون بغير ظهور، وجهل من ادّعى غير هذا الذوق فإنه اسمه الباطن هو المحرك لظاهر العالم، ومن كمال الخالق تعالى في مرتبته ومقامه لم يبد لنا في مقام البطون ولا ينبغي لنا أن نراه فيه. فإن الحق تعالى ما كتب على عامة الناس سوى رؤية المظاهر الكونية دون رؤية المحرك الباطن بها. وهذا لا يراه إلا أرباب المعرفة الذوقية هناك يرون العالم جامدًا كدمية وما تحركها على التحقيق إلا يد القدرة، فالعالم كما تعلم ما يحركه سوى أصابع القدرة. وهل رأيت قلمًا يحرك نفسه بنفسه إلا إن حركته أصابع الكف، فكذا العالم وما ظهر فيه، ما هو سوى الجماد المحض والسكون المحض وما حرك نفسه بنفسه وإنما حركته قدرة الحق تعالى الخفية والمعبر عنها في علومنا باسمه الباطن.

٢٦ ـ الفتاح

اعلم أيدني الله وإياك بكمال معرفته أن اسمه تعالى الفتاح، أي الذي فتح ما انغلق من الأشياء العلمية والذوقية والكشفية والمرادية في العوالم فإن العوالم ما أرادت الانغلاق على ما هي عليه وإلا أصابها العجز والقدرة حاشاها من أن تعجز فافهم، فكل ثانية زمنية من زمننا يكون العالم فيها في انفتاح وتوسع يحركه بسر هذا الاسم، فلولا هذا الاسم لظل العالم مغلقًا على هيئته الجمادية. ونظرنا في علومنا فوجدنا العالم في كل مثقال ذرة ثانية زمنية يكون في توسع في اللاكون، فالفضاء الكوني يتوسع في اللاكون وهو الحق تعالى أي (اسم)

سر توسعه وانفتاحه، حتى يكشف لنا سبحانه عن مراداته وعلى قدر هذا العقل الآدمي الذي لا يحتمله دفعة واحدة.

٢٧ ـ الحق

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أن اسمه الحق هو ميزان استخراج نسب الحقوق من الأسماء الإلهية وللأسماء الإلهية فلولاه لضاعت تلك الحقوق.

فعلمنا أن اسمه الحق هو الذي تحقق به الحق تعالى من نفسه ومن العالم، وهذا من كمال شؤونه العليا سبحانه وتعالى ومراداته من نفسه ومن العالم، وبهذا علمنا أن الله الخالق الأعظم هو الحق الأول، وكذلك هو الحق المحض وما خلق الباطل إلا لإظهار هذا الاسم منه، فإنه لو لم يخلق الباطل لما تحققنا بالحق فإن الأمر لا يظهر إلا إذا ظهر نقيضه فما رحمنا سبحانه وتعالى إلا بخلقه للباطل وتعريفه لنا أنه باطل ضده هناك لزمناه هو على أنه الحق المحض الذي لا محيد عنه فافهم هذا السر يا ولي الله.

٢٨ ـ الكبير

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه سبحانه وتعالى هو الكبير في مجموع الفضائل الأسمائية ولا يكون سبحانه وتعالى كبيرًا في القبائح، فحاشا له ذلك تعالى الله عما يشركون.

والناظر في لوح الحقائق لا يرى الكبير إلا الحق تعالى في كل شيء وأين العدم الفاني والصلصال الطين الآني حتى يكون كبيرًا معه. وعن مقام اسمه الكبير سبحانه وتعالى لا يقاس في علومنا بقانون الحجوم ولا الفهوم ولا المسافات ولا المساحات فإنه سبحانه وتعالى كبير لا بقانون الكبير عندنا فإنه ما أضاع البشر إلا قياسهم مقام الحق تعالى بما يخصهم هم من مقامات وعلى الحقيقة هم في واد والحق تعالى في واد. فإنه تعالى ما هو كبير على ما نحن عليه، بل ربما كبره هو ما يراه العالم والخلق ضعفًا وهذا قانون عجيب في

مبادىء العلوم اللدنية، وهذا العلم سار في قانون النبوة فإنه ما من نبي بعث في قومه وأراد أن يكون الحق كبيرًا في نظر المبعوث إليهم إلا واستضعف استضعافًا عظيمًا.

أما حقيقة عين صفة اسمه الكبير فلا اطلاع لنا عليها، إلا هو بهو فإن كبره وكبرياءه لا يعلمها إلا هو. وليس من فيه عين الصفة كمن ليست فيه فافهم.

٢٩ ـ ذو الجلال والإكرام

اعلم أيدك الله وإياي بروح القدس أن جلال الحق تعالى لم يرتبط بإكرامه إلا لكون الكرم الإلهي لا يعطي إلا من حضرة الجلال وهي الحاكمة فيه وهنا نكتة بديعة لم يتنبه لها معظم أهل الله وهي أن الكرم غير المنة، فإن الكرم يختص بالجلال والمنة تختص بالجمال. وبين المقامين مقام الوسط وهو يختص بمنزلة العطاء، فهو أعطى دون كرم ومنّة، ثم له التجلي إن شاء تجلى سواء بمقام الجلال وفيه الكرم وإن شاء تجلى بمقام الجمال وفيه المنّة، فمن هنا الجلال يختص بالكرم، ثم إن جلاله أعظم من كماله وجماله في الكرم وتوريثه وإنزاله في منزلة الخلعة الإلهية في بطائن القدس المخبوءة وهذا المقام فيه الجلال أقوى فافهم يا ولي الله.

٣٠ ـ المنتقم

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن مقام انتقامه ليس من أحبابه وخواصه، بل ممن عادوه وجحدوه. فلأجل هذا اختار الحق تعالى لهم هذا الاسم من مجموع أسمائه ولا يجوز في حقه تعالى أن ينتقم ممن أحبوه، ألا تراه أنه يدخل الجنة كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان. فإننا وجدنا في علومنا أن مقام انتقامه غير مقام عذابه فإنه قد يعذب محبوبه ولكن لا ينتقم منه.

وانظر هذا القطب المنتقم، انتقم للحق تعالى باسمه وبسلطان هذا الاسم، فلو حاد قدر قلامة ظفر، وانتقم لنفسه لخسف به المنتقم الأعظم سبحانه وتعالى عما يشركون. وقد كان هذا من مقامات الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم.

٣١ ـ الباعث

اعلم أيدك الله وإياي بروح القدس أنه تعالى بعث كل خواطر ومناظر وحركات وسكنات وجزئيات وذرات وتجليات وعلوم وفهوم هذا العالم عن الذات المحض، وما أراده من العالم، وما يرضى الأسماء والصفات من مجموع الأعيان، فبعثه بعثًا فيهم وشحنهم به، فهم على التحقيق مرادات الحق تعالى لا غيّر، وكل عين هو مبعوث الحق تعالى، ولكن أعظم من بُعث هم الرسل والأنبياء فإنهم بعثوا بشحنة أقوى من مرادات الحق، ولكن كل عين في نظرنا هي مبعوث الحق تعالى حتى الكافر، فإنه مبعوث بما أراده الحق تعالى فيه لكن بنسخة ضعيفة، ما عدا أهل النبوة فإنهم أعظم من حمل شحنات البعث الإلهي في لوح الإرادة.

وهذا الفتى المبعوث محمد (ﷺ) قال لهم: والله لو وضعوا الشمس عن يميني والقمر عن شمالي على أن أترك هذا الدين ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، فإنه (ﷺ) ليس هو الناطق بهذا بل الناطق على الحقيقة هو باعث الحق تعالى فيه وما شحنته الحضرة فيه فافهم يا ولي الله.

٣٢ ـ المعيد

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه المعيد هو الذي أعاد هيكل ما فني وصورته وبناءه الجزئي والذري من مجموع أعيان العالم والكون، فلو شاء لهدم هيكل الكون، ثم يعيده كما كان صورة طبق الأصل في كل ثانية زمنية، ثم نكتة أخرى أفشيها لك يا أخي وهو إن إعادته لا تتوقف على قانون

الزمان فإنه ما خلق السماوات والأرض في ستة أيام عجزًا، أو أن هذا هو منتهى القدرة فيه، بل خلقها في ستة أيام لأجلنا لا لأجله، ألا تراه يطوي سلطان الزمان وقانونه في اسمه المعيد، ألا تراه انمحى وذاب. ونظرنا في شاشة التجليات فرأيناه يعيد الصورة الأصلية فقط ولا يعيد سواها وإن كان أعظم منها وأرقى فافهم هذه الدرة النفيسة يا ولي الله.

وكان من أقطاب هذا المقام خليل الله إبراهيم عليه السلام فإنه أعاد الصورة الأصلية بعد فنائها وعنه قال الحق تعالى: ﴿وإذا قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحي الموتى﴾ الآية وكان عيسى عليه السلام أيضًا من أقطاب هذا الاسم قال له الحق تعالى: ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾.

٣٣ ـ المتين

اعلم يا ولي أيدك الله وإياي ببارقة من مشكاة أنواره، أن المتين هو الذي لا يخترقه شيء ولا ينفذ منه شيء، وآية هذا المقام قوله تعالى: ﴿يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾. أي لا تنفذون إلا بسلطان اسمي المتين ورأينا أبا الحسن علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ممن أوتي مقام اسمه المتين، فإنهما لم يهزما في معركة قط ولم يخترق جناب لهما.

٣٤ ـ المحصي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه سبحانه هو الذي أحصى كل شيء سواه لكونه عز وجل لا يُحصَى، فإن الذي يُحصَى هو الذي دخل في قانون الأعداد، وقانون الأعداد هو الذي يتعلق بالعالم، فإن الحق تعالى هو ما سوى العالم، والعالم هو ما سوى الله. ومن في العالم عجزوا عن إحصاء العالم وذراته وجزئياته وما فيه من أنواعه الجمادية فوجب عليهم ها هنا أن لا يقربوا الحق تعالى لعجزهم عن أنفسهم، فأين هم من الحق تعالى.

فما سمعنا عن عالم أحصى مجموع ذرات الكون أو مجموع جزئياته أو مجموع نجومه أو نحله أو قمحه منذ خلق إلى وقتنا هذا.

ثم إن البشر لهم عجز ينتهون عنده وحد يقفون عنده في قانون الأعداد، ومن هنا فإن قانون الأعداد غير نهائي من حيث الإطلاق ونهائي من حيث التقييس، فالآدمي لم يحسب مجموع ما يختص به أي بالمادة فهو عاجز في قانون المخلوق، فكيف لا يعجز في قانون الحق ورغم هذا يدّعي معرفة الحق تعالى وهو جاهل على الحقيقة بها ولسان الحال يؤيد هذا فالفاني لم يحص الفاني، فهل تراه يقدر أن يحصي غير الفاني وهو الحق تعالى.

٣٥ ـ الوارث

اعلم أيدك الحق وإياي بروح القدس أن الإرث الإلهي سار في مجموع الكائنات والكون والتكوين، فهو سبحانه الوارث المطلق على الحقيقة وهو الوارث لنفسه ولخلقه، قال الله تعالى: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ وهو في كل مكان قال تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فلما كان الحق تعالى في كل مكان وأيضًا في اللامكان فقد ورث نفسه وخلقه ثم إن إرثه لكل ذرة في مجموع أعيان العالم، وفي هذا المقام يستوي المؤمن والكافر، ثم قام العلم الإلهي فجعل الكافر يرث في الإرث الإلهي كما يرث المؤمن، ولكن حقيقة هذا الإرث هو إرث المظاهر لا إرث النبوة والولاية فإنهما إرثان يمتنعان إلا لمؤمن، ثم هذا الإرث من حيث التفصيل فيه مادي ومعنوي والقطرة من إرثنا المعنوي تعمل أطنانًا من الإرث المادي. فإن الأنبياء ونحن معهم معاشر الأولياء حُرم علينا في حضرتنا أن نرث إلا الإرث المعنوي.

وعن هذا تحدث أبو القاسم عليه السلام فقال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

٣٦ ـ الباقي

أي هو الباقي لنفسه ثم لنا فمن له ولنا إذا لم يبق هو، وهو سر جليل أطلعتك عليه يا ولي وهو من روائح الأزل القديم ثم بقي هو بغير ظهور وإن ظنَّ قوم أن الباقي هو الظاهر فقط فهذا هو عين الجهل المركب، بل ما خفي كان أبقى كالهواء غير ظاهر وبقاؤه موجود غير منقطع فافهم. ثم إنه سبحانه يتجلى بالظهور علينا في مقام بقائه في الدار الآخرة.

ثم رأيت هذا القطب الباقي الفرد الجامع تجلى عليه الحق تعالى في بقائه فبقي كالشمس المشرقة على الكائنات ملاحظًا لشؤون الكون والعالم وما وراءه، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين بسر الحق تعالى وإذنه.

٣٧ ـ الرشيد

وإنه سبحانه هو المرشد لكل عين فيما أراده منها، فهو أعظم المرشدين ومقام الإرشاد الإلهي على مراتب فأعظمه مرتبة الرؤية والكلام وكانت لمحمد ليلة الإسراء والمعراج، رأى الحق تعالى وكلمه وخاطبه بالإرشاد وهذه المرتبة لم تكن إلا لمحمد (ﷺ) ثم مرتبة الكلام دون رؤيا وهي لموسى عليه السلام وأرشده فيها الحق تعالى، ثم هناك مرتبة الوحي بالواسطة بين الحق تعالى وأهل الرسالة والنبوة ويكون الواسطة بينهم جبريل يبلغهم إرث الحق تعالى وما يريده منهم، وثمرة هذا الإرشاد الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء وهي إرشاد لكل أصناف الخلق مؤمنهم وكافرهم. ثم هناك مرتبة الإرشاد بالحديث القدسي، وهناك مرتبة الإرشاد بحديث النبي لقومه، فهذه خمس مراتب للإرشاد الإلهي.

٣٨ ـ المقسط

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح منه أن اسمه المقسط أي صاحب العدل الكلي وهو توزيع أجزاء العدل وذراته على مجموع العالم السرياني، فيسري عدله

ويصيب كل جزء وذرة في الأكوان، فمهما بدت لنا مظاهرها فما البادي لنا سوى عدله وهو عين قسطه. وهذا طائر الأزل يلحن أنشودة قسطه فوق شجرة ملكه وينغمها نغمًا شجيًا لذيذًا، فرأى هذا القطب الفرد الجامع المقسط كل ما يلحنه هذا الطائر جميلًا في باطنه وإن ظهر بشعًا في ظاهره. هذا الإله العظيم لو انقطع قسطه لحظة عن العالم لانقلب العالم ورجع إلى حقيقته العدمية الأولية، فما لنا على الحقيقة في البدو سوى عين القسط الجامعة التي رحمنا بها الحق تعالى.

٣٩ ـ الجامع

اعلم أيدك الحق تعالى بروح القدس وإياي، أن اسمه الجامع أي من انجمعت فيه مجموع الأسماء والصفات العليا الكاملة والفضائل والمحاسن والكمالات القصوى الشاملة، فهل هي عين الذات أم غير عين الذات. وانظر ترى الكون نسخة اسمه الجامع قد انجمعنا نحن له فنحن عين اسمه الجامع. وهذا القطب الفرد الجامع ما سُمي الجامع إلا لكونه عين الحق وعين اسمه الجامع فهو نسخة الكمالات ونهاية العلوم الجامعات المتجمعات، فكل فريدة إلهية ودرة علوية تجدها في هيكل هذا القطب الجامع قد تجلت فيه وتجلى بها الحق تعالى عليه ولما خلق الحق تعالى العالم وهو عينه لا محالة فبهذا كان العالم هو اسمه الجامع وهو هيكل اسمه الجامع، ووجدنا الذرة التي لا ترى إلا تحت الميكروسكوب هي عين اسمه الجامع لكونها وحدة الكون المصغرة. بل إن شئت قل هي الكون المصغر فافهم هذا السر يا ولي الله.

٤٠ ـ المقدم

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن اسمه المقدم أي الذي تقدم هو بنفسه قبل الكل الفاني، فعرّف الفناء نفسه لما تقدم فهنالك لولا تقدمه لما عرفناه أصلاً.

ثم إنه سبحانه اصطفى من شاء من عيون الأعيان الصالحة للتقدم وإنه سبحانه ما تقدم بنفسه إلا ليعرفنا به، فلولا تقدمه لما عرفناه ومن الذي كان سيعرفه لولا أنه تفضل بالتقدم إلينا كي نتعرف به. ثم هذا القطب المتقدم رأيناه تقدم كي نتعرف إليه وكي يعرفنا بالحق تعالى فهو المتقدم عن الحق تعالى عنه به وهو مقام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين تقدم بعد رسول الله (ﷺ) لخلافة المسلمين، فكان هو عين رسول الله (ﷺ) ورسول الله هو عين الحق، فلا نقول ها هنا إلا أن أبا بكر هو عين الحق أيضاً. ولا ينبغي التقدم بقانون الزمان فربما هو بقانون التأخير أعظم، ألا ترى إلى رسول الله (ﷺ) كان أفضل الأنبياء وبرغم ذلك كان آخرهم في التسلسل الزماني فأين ها هنا قانون الزمان من قانون التقدم فافهم يا ولي الله.

٤١ ـ المؤخر

اعلم أيدّني الله وإياك بروح القدس أنه سبحانه هو المؤخر لحقائق الوجود على غير الصفة التي نعرفها، فإنه أخَّر نبيه محمداً (ﷺ) عن الظهور الزمني وجعله آخر الأنبياء ظهوراً، فكان تأخيره هو عين تقديمه، قال تعالى مخاطباً له من عين هذا المقام: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾.

ثم رأينا في منظر التجليات عجباً عجاباً في تأخير الحق تعالى لنفسه من الظهور، أقصد التجلي لنا في هذه الدار، فكان المخلوق عينه وعلى صفته في الصفة، فلا يلبث أن يتجلى لنا ويظهر في تلك الدار الآخرة. فهذا يا ولي الله قانون الحق تعالى في كون أن التأخير هو عين التقديم وهو مذهب أهل النبوة، لا بد لهم منه قال لهم الحق تعالى مخاطباً إياهم من هذا المقام: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾. فيتركهم في عين التأخير في نظر المناظر وهو عين التقديم والنصر والظهور في حقائق الباطن فافهم.

٤٢ ـ الحميد

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الحميد، أي هو الذي علم حمد نفسه فقط، كيف يحمد الذات المطلق غيره هو وليس هذه العبارة تنطبق على الحقيقة والتحقيق سوى عليه هو فقط فافهم. وعن هذا المقام قال أبو القاسم معبراً: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

فهو فقط الذي علم كيف يقدر نفسه بنفسه أي في مقام الحمد وعن هذا قال: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ثم إنه ذهب واشتق من اسمه الحميد اسماً لأعز مخلوقاته وأشرفهم عنصراً وأفضلهم قدراً، ألا وهو محمد عليه السلام فأسماه محمداً أي مُفعّلاً أي كرّبه وعلى صفته من هذا الاسم، ثمّ إنه حظي من هذا الاسم بالمقام المحمود، أي أفضل من حمد ربه من المخلوقات وأفضل من حمدته المخلوقات وهذا وارد في عنوان الشريعة في الصلاة والتسليم عليه واشتراكه مع ربه في الثناء عليه، فافهم سر هذا الاسم يا ولي الله.

٤٣ ـ الضار

أي هو الذي يضر غيره وغير من يحبه، إذ لا ينبغي له أن يضر نفسه ونفس من يحبه من أحبائه الذين فنوا فيه وتولهوا بحبه، هذه حقيقة ضره لمن كفر به أما حقيقة ضره لأهل العرفان ففي قوله على لسان إبراهيم ﴿وإذا مرضت فهو يَشْفينِ﴾. فحقيقة ضره لأهل المعرفة في الظاهر فقط، أما باطن الضر فهو الخير المحض، فافهم هذا يا ولي الله ولهذا كان الصالحون يشتد فرحهم إذا نزل بهم مرض أو ابتلاء إلهي وهذا كله من باب الضر فافهم يا ولي الله.

٤٤ ـ النافع

اعلم أيدك الحق تعالى أن اسمه النافع، أي هو فقط النافع والذي يُرجى نفعه كما أنه هو فقط الضار، الذي يضر من يشاء من عباده فعلى حقيقة

القدرة، أقول لك العالم كله كدمية ولا يحرّكها إلا اليد الإلهية. فهناك ينتفع العالم ويتضرر ومن طلب النفع من غيره سبحانه فكأنه عبد سواه، أو من ظن الضرر قد لحق به من سواه فقد أشرك معه إلها غيره سبحانه وتعالى عما يشركون، ولكنه سبحانه أعطى مفاتح النفع والضرر لعباد أخلصوا له فصاروا يضرون وينفعون من أمروا به من قبل الحق تعالى بإذنه، وعن هذا عبر رسول الله (ﷺ) بقوله: «إنما تنصرون بضعفائكم». وقال الحق تعالى معبراً عن هذا المقام على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾.

٤٥ ـ المانع

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه المانع، أي الذي منع الحقائق من التعدي على بعضها البعض، فلا هذا يدخل في هذا، ولا ذاك يدخل في ذاك، فإنه سبحانه ما أراد من العالم إلا الذي اقتضاه عليه وطلبه منه طلباً في العلم والقدرة والإرادة. فعلى هذا يدور قانون اسمه المانع، فكل عين في الكون تمتنع عن النفوذ في غير اختصاصها في العلم والقدرة والإرادة، ثم إن هذا العلم أطلع الحق تعالى عليه أبا القاسم عليه السلام لما منع المشركين واليهود والنصارى من الدخول إلى جزيرة العرب، فإنه ما منعهم إلا بسر هذا الاسم، ثم إنه قال: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم». فما امتنع الشرك إلا بسر هذا الاسم ثم قال عن المشركين في غزوة الأحزاب، (ﷺ) «لن يغزوكم مرة أخرى». فامتنعوا عن الغزو بسر هذا الاسم.

٤٦ ـ الهادي

أي الذي أعطى العباد حقيقة الهدى لكن بغير إرغام قال تعالى لنبيه معبراً عن هذا المقام: ﴿إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾. فإن الهدى الإلهي ما خرج عن حقيقته إلا بقسم إلهي فقال: ﴿لأملأنّ جهنم من الجنّة

والناس أجمعين﴾ . ثم قال: ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾ . فأقسم ها هنا بخروج حقيقة اسمه الهادي لمن يستحقه وامتناعه عمن لا يستحقه فافهم يا ولي الله.

٤٧ ـ العفو

أي الذي يعفو عن كل ذرة في الأكوان، فإن علم العفو لو اطلع على حقائقه العارفون لحكموا بالزندقة والرجم على أهل العرفان وهو قال عن هذا المقام: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ . وطلب الذنب كي تظهر مغفرته فلو سكت الكون عن الذنوب لاختفى اسمه العفو. فذهب أبو القاسم عليه السلام وأخبرنا عن هذا المقام بقوله: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم». فإنه سبحانه وتعالى كتب العفو على الكائنات كتاباً إجبارياً وطلبه من كل عين ثم أعلمها بتقصيرها كي يعفو عنها. حتى الأنبياء أعلمهم بتقصيرهم في حقه هو سبحانه وتعالى فقال لأعظم الخلق وأفضلهم نبينا محمد عليه السلام: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ وقال لعيسى عليه السلام: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ . وقال في حق آدم عليه السلام: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ . وقال في حق موسى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ .

٤٨ ـ الودود

اعلم أيدك الله بعلمه أن اسمه الودود، أي الذي ابتدأ أحباءه بالمودة قبل بزوغ هياكلهم إلى حضرة الوجود، فقال عن هذا: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ .

والود منزلة أرقى من منزلة المحبة، يبتدىء الحق تعالى أحباءه بها. قبل أن يبتدأوه هم فهو الودود أي الذي جذبهم إليه بهذا الاسم. كي يفنوا فيه، ويتصلوا به. فهو الذي آواهم إلى حضرته بسلطان هذا الاسم. وغرس لهم غرساً من ناموس هذا العلم.

٤٩ ـ المعز

أي صاحب العزة المطلقة التي لا ينازعه فيها أحد وإلا أهلكه هلاكاً أبدياً. وقتله قتلاً سرمدياً. قال الحق تعالى معبراً عن هذا الذوق: ﴿بل لله العزة جميعاً﴾. ومن يعتز بنفسه إلا هو لبزوغه في عروش الكمالات. واستوائه على قمم الصفات. وعلوه في شئون الجمالات. وهذا القطب المعتز بنفسه ما اعتز أصلاً سوى بالحق تعالى ورأى عزة الحق تعالى هي عزته وعزته هي عزة الحق تعالى فهذا القطب حق له أن يقول بلسان الحق تعالى: «لا بل لي العزة جميعاً». وهذا المعتز بنفسه لا يرى سوى نفسه ولا أحد معه والحق فيه وهو في الحق، فلا يصارعه أحد أصلاً في الأكوان، وهو من مقام الفردانية المطلقة في الأكوان ومن مقام العزة صرح الهيكل المحمدي في مجموع الأكوان قائلاً: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». ولكل وقت فرد يقوم بهذا المقام ويتحدث بلسانه ويقوم ببنيانه، ويشير عليه ببنانه. كان منهم شيخنا العارف الكبير الشيخ عبد المجيد الشريف قدس الحق تعالى سره، كان هذا الاسم مستولياً عليه ومتمكناً فيه ومنه وقام هو على ذروته.

٥٠ ـ المذِّل

اعلم أيدك الحق وإياي بروح القدس أن اسمه تعالى المذل أي من ذل من استحق هذا الاسم وروحانيته وهو يسري على الخلق مؤمنهم وكافرهم.

أما ذله لأهل الإيمان فحقيقته للتأديب والتربية والاصطفاء وأما ذله لأهل الكفر فحقيقته للعقاب والعذاب.

وكان من رجال هذا المقام سري السقطي كان يقول رضي الله عنه: «اللهم إن عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب».

ومن أهل العرفان من يطلب الذل بلسانه كي يزداد صفاء ومعرفة مع الجناب الإلهي، فيحكى عن أحمد الرفاعي أنه كان يسمي نفسه أحيمدا وكان يفلي الفقراء والمساكين والأرامل كي يزداد ذلاً في جناب الحق تعالى ورأى

كلباً أجرب قد هجره الخلق فأخذه وغسله وعالجه حتى شفي. ومنهم من أمر مريداً له أن ينزح الكنيف بيده كي يكسر شهوة العجب فيه ويطرد عنه أنف التكبر، وأتى مريد لعبد القادر الجيلي فأمره أن يأكل الخبز الناشف وجلس الشيخ أمامه يأكل الدجاج كي يطرح عنه رؤية النفس، ولما جاءت والدة المريد قالت للشيخ عبد القادر: يا شيخ حرام عليك أن تأكل الدجاج وحدك ويأكل ابني الخبز الناشف فقال الشيخ لها على الفور إن استطاع ابنك أن يفعل هكذا فليأكل مثلي وأشار إلى الدجاجة فأحياها الحق تعالى بين يديه.

٥١ ـ الحسيب

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الحسيب من عين اسمه المحصي، لكن لغة الإحصاء أقوى من لغة الحساب. ومقصود الاسم أي انه الذي حسب كل شئون العالم العلوية والسفلية. ولم يدع شيئاً إلا وحسبه وعن هذا قال: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ويكفي ما قلناه وفصلناه في اسمه المحصي فإن حضرة هذا الاسم من عين حضرة اسمه المحصي فليراجع.

٥٢ ـ الشكور

أي صاحب الشكر المغيب عنا الذي هو يشكر به ذاته وهذا الشكر ليس لنا منه كمقدار ذرة، فهو أعلم بشكر ذاته ولما يشكر ذاته وخلقه يشكرونه، فإنه علم تقصير الخلق في حقه وعدم مماثلتهم له فإنه ليس كمثله شيء، ذهب فشكر نفسه بشكر ليس كمثله شيء، ولهذا قالت رابعة: «شكرنا يحتاج إلى شكر» وقصدت شكر الألوهية في حق ذاتها وهو شكر ليس لنا بل للحق تعالى يشكر ذاته بذاته، ثم إنه ترك الخلق كي يشكروه لأجلهم لا لأجله، فإن شكره على الحقيقة لا ينفعه وإنما ينفعهم هم أنفسهم ويرفع درجاتهم لا درجات الحق، فإنه هو رفيع الدرجات قبل خلق العالم والأكوان. فافهم هذا السر يا ولي الله.

٥٣ ـ الوهاب

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الوهاب، أي صاحب الوهب الصرف المطلق المحض. وهو الذي وهب الكون أنفاسه منه، واستعداده عنه. ثم إن وهبه غير منقطع أبدًا وأزلًا. والهبة والوهب لا يجوزان إلا منه، ولا يخرجان إلا عنه. ومن طلب اسمه الوهاب عند غيره، فكأنه عبد سواه، ونظر إلى ما في يد من عداه. وكان من أرباب حضرة هذا الاسم أقطاب ذابوا فيه، وولجوا إليه، منهم خير النساج فإنه كان لا يرى الوهب إلا من الحق تعالى. وكان سيداً حراً، فأخذه رجل وقال له: أنت عبدي وقد سميتك خيراً فقال له: وأنا قبلت، فظل يخدم الرجل سنين حتى استحى منه الرجل وحرره.

ومن أقطاب هذا الاسم طائفة من الفقراء، لو مات أحدهم جوعاً لما طلب لقمة من مخلوق حتى يرزقه الحق تعالى من حيث لا يحتسب كان منهم شيخنا عبد المجيد الشريف قدس الحق تعالى أسراره.

٥٤ ـ المجيب

اعلم أيدك الحق تعالى بطلائع تجلياته وإياي، أن اسمه المجيب أي الذي يستجيب دعاء الأعيان في الوقت الموعود ولا يجبر الحق تعالى على استجابة الدعاء في نفس وقت الدعاء فحاشاه أن يكون مجبوراً. ثم ذهبت العين الإلهية فاستجابت للكل إما مكراً وإما رفعة فإنه سبحانه يستجيب للكافر يمكر به ويستدرجه ثم يستجيب للمؤمن كي يرفع مقامه ويرقيه وهذا مقام قوله تعالى: **﴿قل كلًا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾**.

٥٥ ـ المحي

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس، أن اسمه المحيي أي صاحب الإحياء

الكلي لذرات وجزئيات ومكونات الكون والعالم، فإنه سبحانه وتعالى صاحب هذا المقام فقط، ويندر من يورث هذا المقام من كبار أهل المعرفة إلا بقدر معلوم نادر، أمثال عيسى ابن مريم وإبراهيم الخليل وعبد القادر الجيلاني، هؤلاء ورثوا أسرار هذا الاسم وأحيوا به من أذن لهم الحق تعالى بإحيائه. وعندنا في علومنا الإحياء صنفان: صنف حسي وصنف معنوي أما الصنف الحسي فهو إحياء المادة الطينية الظاهرية، وأما الصنف المعنوي فهو إحياء النفس والفؤاد، وإن كان الأول أعظم عند العوام، فما هو الأعظم عندنا بل الأعظم الثاني، فإن الإحياء المعنوي أرقى وأعظم عند أرباب الأحوال والمعرفة ألا تراه، أي النبي (ﷺ) قال للرجل: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من حمر النعم» والهداية هنا الإحياء المعنوي. قال تعالى: ﴿فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾.

أي أن الحق بصاحب هذا الاسم أحيا العباد إحياءً معنوياً وهو البعث المعنوي لعالم القلوب، والذرة منه تعدل أطناناً في الإحياء الحسي وإن كان الإحياء الحسي هو المستصعب في ظاهره.

٥٦ ـ المميت

اعلم أيدك الحق تعالى ببارق من أنوار قدسه، أن اسمه المميت أي المستولي على أنفاس العالم والكون، بل على أنفاس كل عين حية والعالم كله حي يُرزق في نظرنا وفي علومنا.

قال تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون﴾ ثم نكتة أخرى أقولها لك، فما دام العالم حياً فلها ومتى يميته الحق تعالى، والحكمة أن الموت أصلاً في عالم الظهور، أما في مقام اسمه الباطن فإن الكون على صفة الحق تعالى لم يمت أصلاً ولا يحق له أن يموت، فهو الحي المطلق على صفة الحق تعالى، فإن كل عين هي الحق فاعلم هذا السر يا ولي الله.

٥٧ ـ المجيد

أي صاحب الأمجاد الكلية، وكل ما أقيم له ولغيره من مجد فهو راجع له إن سلماً وإن قهراً، فإن الكون وما فيه من عجائب الصنائع ومتضادات الأمور أكبر دليل وبرهان على قوة مجده تعالى وعظم شئونه، قال الله تعالى متحدثاً عن هذا المقام: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته والسماوات مطويات بيمينه﴾. ورأينا أن المخلوق لا يحتمل الإطلاع على المجد الإلهي وإلا صعق قال موسى: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ أي إلى حقيقة مجدك، فقال له لسان المجد ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل﴾ الذي سيظهر عليه شعاع مجدي. ﴿فلما تجلى﴾ مجد ﴿ربه للجبل جعله دكًا﴾ لكون الهيكل الموسوي تداعى ﴿وخر موسى صعقًا﴾ لكونه تطلع إلى ما لا يعنيه، فيكفيه التطلع إلى مجد النبوة، وليتأدب مع مجد الربوبية فإن جبريل أمين الله قالها لمحمد عليه السلام: «لو تقدمت خطوة واخدة لاحترقت بنور الجبار» لكونه تحقق من أن مجد الحق شأن لا يعنيه. فالمقترب منه إما مصعوق أو محترق، فموسى صُعق وجبريل لو تقدم لاحترق.

٥٨ ـ العليم

اعلم أيدك الله بحقيقة الحقائق الكبرى أن اسمه العليم، أي صاحب العلم الكلي والجزئي، فأخفق من علماء الظاهر من قال إنه تعالى يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وهذا وهم في حقيقة الكمال الإلهي وأعظم العلم، العلم المغيب عنا الذي قال فيه الحق تعالى: ﴿يعلم السر وأخفى﴾ منه. وفُرغ من صحة هذا القانون عندنا فإن لله علماً لا اطلاع لنا عليه أصلاً، ولا يسمى عندنا علماً. فإننا بالنسبة للحق تعالى كالطفل المولود بالنسبة إلى القطب، فانظر النسبة ولله المثل الأعلى.

٥٩ ـ ٦٠ الأول والآخر

اعلم أيدني الله وإياك بروح من سنا قدسه أن اسمه الأول والآخر لهما

ارتباط خرج عن قانون الزمان وقاعدة الدهر ورتبة الوقت. فإن أولية الحق وآخريته ليس لهما القياس المعهود عندنا والمرتبط بمادة العقل، فإن قانون العقل مخالف للقانون الإلهي ولا يعطيه ما يرضيه ولا الذي يكيفه وهذا القانون يعني القبلية والبعدية الإلهية بدون دخول لسلطان الحق فيها. فإن الحق تعالى قبل وبعد الأشياء كلها. هل هذه الكيفية عُرفت لنا؟ لم تعرف إلا بالتشبيه، الذي هو غاية طاقتنا وهمتنا، أما سر التنزيه فهو الستر والحجاب الذي يعني العجز والتوقف عن البحث وهو جميل في حق هذا الآدمي لكونه يوقفه عند حده دون ولوج وبحث فيما لا يعنيه ولا يحقق له مثقال ذرة من الرقي إلى ما لا يريده. أما أئمة الفتح الأكابر فليس لهم من خصائص الحق شيء أصلاً في التعرف على كنهها، والاقتراب من ماهيتها. وهو العلم المضنون به إلا على الحق تعالى نفسه الذي قال فيه ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فأوليته وآخريته سبحانه ليس للعقل ولا الروح ولا القلب ولا الهمّة ولا الكشف إشراف على ذرة من هذه الحقيقة إلا ظاهر التنزيه المحض البحت. فافهم.

٦١ - ٦٢ الخافض الرافع

قال الله تعالى معبراً عن حقائق هذين الاسمين: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وفي هذه الآية، قال أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه لما سأله رجل عن هذه الآية قائلاً: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ إيش يفعل؟

فقال له أبو حنيفة: يرفع أقواماً ويخفض آخرين.

ثم قانون عجيب ها هنا وهو أن رفعه وخفضه قد يدخل فيهما مكره. فتكون حقيقة رفعه هي عين خفضه، وتكون حقيقة خفضه هي عين رفعه، ولذا قال أحد الصالحين «اللهم أورثنا عطاء بلا مكر». فربما مكر في قانون الرفع جعله خفضاً، فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما شاء، ومن هذا الباب كان كلام الحق لموسى أن قال أنا أعلم أهل الأرض لما رجع من مشهد التجلي والكلام، فاختبره الحق تعالى بالخضر عليه

السلام. فمن رُفع فليحذر الخفض ومن خُفض فليرجو الرفع، هذا مذهب أهل الله تعالى الكاملين قال الله تعالى معبراً عن هذا المقام ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾.

٦٣ - ٦٤ الباسط والقابض

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن بسطه مثل قبضه، هذا مذهب أهل الله العارفين، وفيه قال أبو يزيد لما قيل له: كيف أمسيت فقال: «لا صباح ولا مساء». فهذه صفة العارف في مقام عدم تأثره بالحوادث على قدم الحق تعالى مخالف للحوادث، فكذلك العارف لا يهمه حر ولا برد ولا ليل ولا نهار ولا صباح ولا مساء ولا جنة ولا نار. ثم رأينا في مناظر التجليات الحق تعالى بادياً في مقام الانبساط والانقباض في صورة العارف، فالمخلوق عين الخالق إن شاء بسطه وإن شاء قبضه، وحكمة بسطه وقبضه لهذا العارف صنعه واصطناعه له على عينه كيفما يريد وبدوه سبحانه في مقام الهيمنة على هذا الصلصال الفاني. فإنه لا يعرف الحق تعالى هذا العارف إلا بصفة الانزعاج وهو مقام التلوين وتعكير صحة صفاء المقام وهو إدخال هذا العارف في مقام التردد ومروره على أضداد الأحوال حتى يصفو له المقام الثبوتي، فلا يقف هناك عند شيء ولا يزعجه وارد التلوين ولا انجماع الأضداد، بل يلج المقام الذي قيل فيه ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ أي شهداء على ما مر بكم من مناظر الأحوال فإنها ها هنا هباء منثور ومثل عظام أهل القبور للعارف الكبير الراسخ المتمكن الذي لا يقبضه ولا يبسطه الكون كله ولو جاءه بمن فيه، هذه هي حقيقة المقام الوسط أي مقام مخالفة الحوادث وهو من مطالب المقام المحمدي قال عنه أبو القاسم عليه السلام: «أجوع يوماً وأشبع يوماً» كي يكون في هذا المقام سرمداً.

٦٥ - ٦٦ القادر والمقتدر

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه القادر والمقتدر هما اسمان لمعنى

واحد ولكن اسمه المقتدر أقوى في المرتبة من اسمه القادر قال الله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾. فإن اسمه القادر مختص بهذه الدار الدنيا واسمه المقتدر مختص بالإطلاق أي في الدارين الدنيا والآخرة فإن القدرة ليست كالاقتدار، والفاني ليست كالمتفاني.
والقدرة هي مقام التصريح بالاقتدار على فعل أي شيء، إذا وافقت الإرادة وراء العلم الإلهي. فإن القدرة لا تسير منفردة إلا باجتماع الإرادة والعلم حتى يتم المقصود ويجتمع الكمال وتبرز الحكمة الإلهية وتتجلى عيون الحقائق المقصودة.
وهل القدرة مثل القوة في المرتبة، أقصد هل اسمه القادر مثل اسمه القوي، أقول مقام القدرة أعلى وأكمل لكون كل قادر قوياً وليس كل قوي قادراً، فإن القدرة أحياناً لا يلزمها القوة أصلاً خصوصاً في قوانين القدرة الإلهية، فإنه ليس كمثله شيء، ثم القوة الإلهية يلزمها مقام القدرة في كل شيء. ثم قال عن نفسه كثيراً: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ولم يقل قوي وهذا من قانون الرحمة في الأكوان والجمال المعنوي الخفي فإنه لم يحب أن يظهر كبرياءه على كلية الأشياء ويستضعفها بقوته فيقول لها: «إن الله على كل شيء قوي» بل قال قدير لكونه أرقى وألذ وأكمل وأعلى فافهم يا ولي الله هذا السر رعاك الإله.

٦٧ ـ ٦٨ الغني والمغني

ثم إنه لو لم يكن غنياً لما كان مغنياً، فمقام اسمه المغني أرقى لكونه يصرح بأنه غني في نفسه، ثم أغنى العدم المفتقر إليه، أغناه وهو لا شيء فمقام اسمه الغني لنفسه فقط وفي حق ذاته ومختص به، أما مقام اسمه المغني فله ولخلقه وفي حقه وحق خلقه ومختص بالجانبين الإلهي والمخلوقي.

٦٩ ـ ٧٠ الغفار والغفور

ولاسمه الغفار رتبة أقوى في مادة المغفرة من رتبة اسمه الغفور فليس فعول كفعال حتى قال عن نفسه سبحانه معبراً عن هذا المقام: ﴿فعال لما

يريد﴾، فهو مقام اللامبالاة الإلهي وآيته قوله في الحديث القدسي: «قذفته في النار ولا أبالي».

ثم إن الحق تعالى طلب المغفرة في كل عين ظهرت وبزغت إلى شمس الوجود، رغماً عن أنفها، ألا تنظر إلى أعظم الأعيان ومن سادها شرفاً وعنصراً، أبا القاسم (ﷺ)، قال له لسان هذا المقام: «ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ولم يذنب أصلاً ولكن خاطبه الحق تعالى بلسان هذا المقام، حتى يدخله حضرة هذا الاسم. فإن الحق تعالى طلب المغفرة بذنب أو بغير ذنب. وكتب الحق تعالى الذنب على الأعيان الذي هو مادة الغفران أصلاً، وإلا كيف يغفر ثم يفسد هذا الاسم؟!

٧١ - ٧٢ - ٧٣ الرحمن والرحيم والرؤوف

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة، ولكن الرحمن أوسع في الشمول والرحيم مختص بالتقييد. فإنه سبحانه الرحمن بمجموع أعيان العالم وآية هذا المقام قوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وكذا إنه سبحانه رحيم لخواص، واختصهم بهذا الاسم من مجالي أسماء الرحمة، وعن هذا المقام قال: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ فما وهب له هارون إلا بحضرة اسمه الرحيم فبه رحم الحق موسى عليه السلام.

ونظرنا في شاشة الحقائق فوجدنا الحق تعالى له رحمتان، رحمة عمومية لم يتنازل عنها ورحمة خصوصية تنازل عنها، فالأولى لم يتنازل عنها لكونه أقسم أن عين هذه الرحمة لا بد أن تصيب كل ذرة في الكون والوجود، وهذه الرحمة من مبدأ رحمة الأم لولدها وإن عصاها وجحدها، فهي العاطفة الصرفة المجزدة التي لا تقوم على المصالح والمنافع، وهي من حضرة اسمه الرحمن وبه اختصت، وهي الرحمة العمومية. والرحمة الثانية وهي الرحمة الخصوصية تنازل عنها الحق تعالى وطرد من لا يستحقها، وأبقى المستحقين لها من خواصه

والمقربين له وهي من حضرة اسمه الرحيم.

وأما اسمه الرؤوف فهو اسم رتبة من اسمه الرحمن والرحيم فليست الرأفة كالرحمة، بل هي بدايتها. فإن الرأفة أدق والرحمة أوسع والرأفة للمؤمن فقط والرحمة للمؤمن والكافر على السواء، ولذا قال الحق تعالى في حق أبي القاسم عليه السلام: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

٧٤ ـ الحكم

اعلم أيدك الحق تعالى أن اسمه الحكم، أي الحاكم المطلق بين العباد والعالم المطلق بدقائق الاحتكام إليه والفاصل المطلق بينهم، فيما هم فيه يختلفون قال الله تعالى: ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾. ثم وجدنا الأعيان تفر بذرات وجودها إلى الحق تعالى كي تحتكم إليه وتتخاصم بين يديه وتطلب ذلك طلباً قهرياً لا مفر منه حتى تشهد الجوارح الآدمية على صاحبها بما كان يفعله، فهل ترى احتكاماً إلى الحق تعالى بعد ذلك.

ورضيت الأعيان باحتكامها إلى الحق تعالى وإن كانت هي جائرة ولما علم الكافر هذا قال: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾. وإن تفاصيل شئون العالم والوجود لا تحل رموزها ولا تظهر خباياها ولا تتجلى دفائنها إلا بالوقوف لذرات الكون بين يدي الحق تعالى. ثم إنه سبحانه يفصل في كل شيء والمجموع الذري والجزيئي للوجود والكون ثم يخرج حكمه تعالى إلى العالم المعنوي وهو أرقى، ولا يحاسب الحق تعالى عليه إلا المقربين وأهل المعرفة الكاملة فيحكم بينهم في خواطرهم وأوهامهم وإرادتهم ومعانيهم الباطنة، فإنهم أصحاب هذا العلم دون غيرهم، وغيرهم لا يحاسب عليه أصلاً لكونه لا يعرفه ولا يشم ذرة منه وآية هذا المقام قوله: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾. ثم يحكم الحق تعالى بين العالم الجمادي والحيواني

والنباتي والجاني كما ورد في الحديث: «لو بغى جبل على جبل لدكه ربُّ الجبل».

ثم مقاصد الحق تعالى من اسمه العدل إرجاع الأصول الكونية إلى مراتبها البدائية، فيعطيها حقوقها بسر هذا الاسم حتى الحجارة الخبيثة ترجع إلى أمها جهنم فيكوي بها أهل النار.

قال الله تعالى: ﴿**نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**﴾ ومن ثم ترجع الحجارة الشريفة إلى الجنَّة قال (ﷺ): «أحد جبل يحبنا ونحبه» فإن الأصول الجمادية الشريفة كانت في مواطنها، ولا يخطرن لك أنها لم تكن بها ثم ستكون، قال (ﷺ): «الحجر الأسود من الجنة وسودته خطايا أهل الشرك» ثم قال (ﷺ) مخبراً عن الأصول النباتية وعن سر مواطنها الجحيمية والنعيمية قال عن شجرة الغرقد «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» وقال (ﷺ) عن العجوة وبيان أصل موطنها الجناني النعيمي وصحة شرفها: «العجوة من الجنَّة» وقال عن الحناء: «سيد ريحان الجنة الحناء».

٧٥ ـ العدل

ومن أسمائه العليا اسمه العدل فإنه سبحانه وتعالى عدل بين المجموع الذري للوجود، وإن لم يتدخل هذا الاسم احترق الوجود بأسره وتنازع، ومن ثم طلب الوجود هذا الاسم من الحق طلباً باطنياً، وإن لم يطلبه ظاهرياً. فإن الوجود وجودان، وجود باطني ووجود ظاهري. فالوجود الباطني للأسماء تطلبه منها الأعيان وتصرخ به وتناديه وإن نازعه الوجود الظاهري وجحده في العرفان. فمن الأعيان من يرى العدل الإلهي ظلماً ومنهم من يراه عدلاً. ومن الأعيان من يرى ظاهر الوجود ظلماً ومنهم من يراه عدلاً. ونقول: «ليس في

الإمكان أبدع مما كان» فإن القدرة أوسع مما ظهر به الوجود ولكن العلم والإرادة يرفضان، فلا قبول إلا لما نحن فيه فافهم هذا السر يا ولي الله.

٧٦ ـ الوكيل

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه الوكيل أي الذي وكله الكون عن شئونه والقيام بأعبائه كله، وكله عنه مؤمنه وكافره، طيبه وخبيثه، قويه وضعيفه بإرادة مجموع الأعيان أو بغير إرادة المجموع وعن هذا المقام قال للسماوات والأرض: ﴿ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ بتوكيل شئوننا إليك، فإن الوجود العدمي لا يستطيع أن يحيا ثانية بغير وكالة الحق تعالى وإلا رجع للأصل الابتدائي له وهو السكون والعدم، فهنا بالوكالة الإلهية حركه النفس الإلهي والروح القدسي فجعله ذا حركة ونشاط فصار يأكل ويشرب ويجامع ويلبس. ولذا علمت الأعيان الشريفة المتسيدة أن أعظم الشئون هو التوكل على الله فقيل لأشرفها أبي القاسم: ﴿وتوكَّلْ على الحيِّ الذي لا يموت﴾ أي استمسك بحق وكالة الحق تعالى، ثم لما تحقق بمعرفة هذا الاسم وصار قطباً فيه صار على صفة الحق تعالى فيه في التحقق فصار وكيلاً كالحق تعالى فقيل من الحضرة في حقه:

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾. وقيل: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقيل لنا كي نعرف قدره (ﷺ) في مدى التحقق بمعرفة هذا الاسم: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾.

٧٧ ـ ٧٨ المبدىء والواجد

اعلم أنه سبحانه وتعالى هو الذي بدأ وأبدى هذا الكون على حقيقة العلم وعلى سر مراد الإرادة منه فعلى هذه الحقيقة أبداه قال الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾.

فهو على الحقيقة أراد للعالم أن يبدو في أيام، وعلم هذا، لا عجزاً منه فحاشاه أن يعجز بل هو على كل شيء قدير.

ثم إن اسمه المبدىء والواجد، اسمان لمسمى واحد فله سبحانه وتعالى الإبداء والإيجاد المطلق لما أراده ولما طلبه العلم الإلهي في حقيقة هذين الاسمين اللذين هما اسمان لمعنى واحد، فأبداه في المعنى اللغوي أي أوجده أي أظهره وخطىء من قال لا يجوز إطلاق حقيقة الموجود إلا على الأعيان فقط، فإنه سبحانه كما هو واحد فإنه موجود، وكما هو مُبْدِىء فهو أيضاً مُبدَأ.

٧٩ ـ الماجد

أي المجيد لكن المجيد أقوى في صيغة التفعيل وقد تحدثنا عن مجده آنفاً في الكلام على اسمه المجيد، فإن المجد الإلهي هو المهيمن على عرش الأسماء والصفات وله البروز والشموخ المطلق عليها في كل الفضائل، فإن نتائج العلو في الأسماء والصفات لهذا الاسم وكونه شرف الأسماء وتاج الصفات. ثم إن اسمه الماجد أرقى من كل اسم جمالي وكمالي وجلالي مثل اسمه المتكبر والرحمن والجميل والجبار والمحيي والقوي والحكيم، لكون الماجد أو المجيد يجمع كل هذه الأسماء والصفات، وكل صفة منفردة لا تجمع أي واحد منها ما عدا اسمه الله.

فهذا الاسم الماجد هو عرش الأسماء والصفات ونهاية الكمال والجمال والجلال الأسمائي والصفاتي.

٨٠ ـ البرّ

اعلم أيدني الله وإياك أن اسمه البرّ أي صاحب الإحسان العظيم قال الله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ من ضرائب الحق التي طلبها من ذوات الأعيان الحسية والمعنوية.

فإن الحق تعالى لن يسري إلى الأعيان شيء من بِرّه دون لا شيء إلا بالإنفاق الحسي والمعنوي وكل على قدر مقامه من الأعيان.

٨١ ـ المؤمن

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أن اسمه المؤمن أي صاحب الإيمان الكامل بنفسه وبما برز عنه من الأعيان، وليس لعين صفة هذا الإيمان سوى الحق تعالى في الإيمان بنفسه وبخلقه وقد صنفت في هذا الاسم كتاب «سر إيمان الحق تعالى بنفسه».

وإنه لما كان هذا المخلوق على صفة الخالق الأعظم بل هو عينه فإنه سبحانه وتعالى أعطاه نصيباً وحظاً في الإيمان الإلهي وجعله سر الشرائع في العبودية وغيرها يفسدها ويجحدها ولا يقيمها. وجعل سبحانه إقامة العالم وذراته على هذا المبدأ في الإيمان أي إيمان تلك الذرات بالحق تعالى وبنفسها.

ثم هناك إيمان معنوي لا يعرفه الظاهريون وهو إيمان الكل بالحق تعالى طوعاً أو كرهاً وآيته من الكتاب قوله تعالى: ﴿إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾.

وجعل سبحانه الإيمان به معنوياً هو عرش الإيمان وإن لم يكن حسياً، وإن كان هو أضعف الإيمان، فعلى الحقيقة هو أقواه وبلغ منه أشده قال (ﷺ) معبراً عن هذا المقام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

أي أقواه عندنا في لغتنا فإن القلب ومقامه أقوى من اليد واللسان وهي لغة أهل المعرفة المقلوبة التي تطلق الضعف على القوة والقوة على الضعف.

ونظرنا إلى القطب المؤمن المنفرد الشعرة منه بالكون كله في قانون الإيمان. ألا ترى إلى بلال الحبشي لم يحجبه مجموع أهل الكفر عن النطق بهذا الاسم فجعل يقول: «أحد أحد» وكلما عذبوه قوي نطقه بهذا الاسم وتمكن

منه وسرى فيه أعظم من قبل. ألا ترى إلى هذا القطب عين العالم محمد عليه السلام لما قال لهم محيراً ومخبراً بحقائق هذا الاسم: «والله ولو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

٨٢ ـ الرزاق

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الرزاق أي القائم بأرزاق الوجود الحسية والمعنوية، فإن هناك عيوناً من أعيان الوجود ليس لها من الرزق سوى الرزق المعنوي الوهمي كالملائكة فإن رزقها هو الرزق المعنوي من الذكر والتمجيد وجعل للآدمية الرزق الحسي والمعنوي معا وطالبهم سبحانه أن يخلعوا الرزق الحسي تدريجيا طالبين الرزق المعنوي تشبهاً بالملائكة، والفرار من الرزق المادي الطيني لكونه يؤخر الترقي الروحي ويجذب الروح إلى البقاء في سجن الهيكل الجثماني والتعلق به وعدم مفارقتها له والحنين لهذا الهيكل الترابي.

وانظر إلى هذا القطب سليمان كيف قام بهذا الاسم فصار هو الرزاق نيابة عن الحق تعالى لذرات الوجود في وقته من إنس وجان وحيوان وحشرات.

٨٣ ـ ٨٤ السميع والبصير

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه السميع والبصير اسمان لمعنى واحد عند أهل الكشف، ولكن الاختلاف ما ظهر إلا في عالم المظاهر والفرقان، فإن القطب الوارث لهذين الاسمين يسمع كما يبصر ويبصر كما يسمع بكل جسده وبكل ذرة وجزء من عالمه الجسماني. فهو على صفة السمع والبصر الإلهي ليس له موطن، بل هو يسمع ويبصر سبحانه في كل مكان من العالم وعن هذا عبر أبو القاسم عليه السلام بقوله: «اعتدلوا فإني أراكم من خلفي». وليس لهذا القطب السماع والإبصار فقط لعالم الحس بل تمكنه أعظم

في عالم المعاني والوهم واللاحس فهذا هو أصل عالمه الذي فيه ولد ومنه شمخ وبه برز. فافهم.

٨٥ ـ اللطيف

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أن اسمه اللطيف أي القابل لكل الأوهام والمعاني واللامحسوسات وعن هذا المقام عبر في الحديث القدسي فقال: «أنا عند حسن ظنّ عبدي بي» فإنه سبحانه لما كان ليس كمثله شيء، فإن المخلوقات التي تعلقت به كثرت أوهامها ومعانيها في التفكر في جماله وكماله، ثم قبل هذا الاسم كل هذه الأوهام والمعاني، وإن كان هو سبحانه المتنزه الأعظم عنها فهو قابلها من باب حسن ظن أحبائه به.

لم يلطف بهم إلا من هذه الثغرة فلما بان لطفهم بان لطفه بهم فهم قبلوا وهو قبل.

٨٦ ـ الحليم

اعلم أن اسمه الحليم هو الذي أبقى العالم وحفظه من أسماء الجلال وسطوتها فإنه سبحانه لولا حلمه لهلك الوجود، فإن الحلم هو الصبر بصفة الجهال، وكان الحسن بن علي بن أبي طالب من أقطاب هذا الاسم، تنازل بسببه لمعاوية عن الخلافة، وقال فيه أبو القاسم عليه الصلاة والسلام معبراً عن سر تقطبه بهذا الاسم: «إن ابني هذا يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين»

ثم إنه سبحانه لم يتضح لنا حلمه إلا لاحتجاب نوره الأعظم عنا الذي قال فيه رسول الله (ﷺ): حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

٨٧ ـ العظيم

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه، أن اسمه العظيم أي صاحب العظمة

الكلية بالأسماء والصفات الإلهية والعظيم بها على خلقه، فإنه سبحانه وتعالى ما أعطاه العظمة إلا أسماؤه وصفاته فهذا الاسم هو ثمرة مجموع الأسماء والصفات.

ثم جعل الحق تعالى العظمة إزاره، أي حجابه عن حقيقة الجلال فإنه لو كشف للعالم عن حقيقة الجلال لفني واحترق الوجود فجعل هذا الاسم حجاباً لنا كي يحجبنا به عن حقيقة الجلال المطلق. وقال سبحانه عن هذا المقام: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منها قذفته في النار ولا أبالي».

٨٨ - العليّ

أي صاحب العلو المطلق الذي لا يخضع لجهة فليس علوه في السماء فقط لكونها جهة علو بالنسبة لنا بل علوه أيضاً فيما سفل لنا كالأرض قال تعالى معبراً عن هذا المقام: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾. أي هو في السماء كما هو في الأرض لا ينقصه قانوننا بل له قانون يعنيه وشأن يغنيه.

ثم إنه يعلو سبحانه بغير حركة ولا جهة؛ فإنه لا يعرف هذا في علوه وهو منزه عنه سبحانه وتعالى. فهو العالي بقانونه هو لا بقانون البشر. وهذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، كان من أقطاب هذا المقام ورؤسائهم، سُمِّي علياً لتقطبه بهذا الاسم، فإنه لما علا على كتفي النبي (ﷺ) وكسر الأصنام سمي علياً من العلو والرفعة والشرف. فإن الهيكل المحمدي ما علا كتفه سوى عليّ وهو رمز منه عليه السلام لتحقق علي بهذا الاسم.

٨٩ - الحفيظ

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس، أن اسمه الحفيظ، أي الحافظ لما خلقه والقائم على حفظه فإن الوجود محفوظ بالحق تعالى، ولا يغيب هذا المشهد عن

الكون لحظة واحدة وإلا حدث له ما حدث، قال الله تعالى معبرًا عن هذا المقام: ﴿يمسك السماء والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾. ووجدنا في الكشف العرفاني أن كل ذرة وجودية في الأكوان لها نصيب من حفظ الحق تعالى. فالهيكل الجزئي للكون محفوظ في تركيبه الذري.

ثم إنه سبحانه وتعالى حفظ عالم المعاني من أن يطغى على الحس وبالعكس، وحفظ الحق تعالى الشريعة من أن تطغى على الحقيقة وبالعكس وحفظ الأذواق من أن تطغى على بعضها البعض وحفظ الألوان من أن تطغى الألوان على بعضها البعض. وهكذا في كل أصناف العلوم حفظها من طغيانها وهذا العلم اسمه علم التفصيل قال تعالى عن هذا العلم: ﴿وفصلناه تفصيلًا﴾.

٩٠ ـ المقيت

واعلم أن حقيقة هذا الاسم أنه المقيت للوجود، أي الذي أشبعه قوتًا حسيًا ومعنويًا، وكان قطبه المتمكن فيه هو سليمان بن داود عليه السلام. فإنه كان المتكفل بقوت الوجود الحسي والمعنوي من إنس وجان ونبات وحيوان وهوام وهذا القطب يعطي للوجود ما يكفيه من كل قوت إما الحسي وإما المعنوي. وراجع كلامنا في اسمه الرزاق.

٩١ ـ الجليل

اعلم أن اسمه الجليل أي صاحب الجلال المطلق، وهو ضد الجمال فإنه سبحانه تجمعت فيه الأضداد قال عبد الكريم الجيلي في عينيته.

تجمعت الأضداد في واحد البها   وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

وجلاله سبحانه وازن صفة الجمال والذي وازن هو صفة الكمال، فإن الكمال الإلهي له شقان جمال وجلال ولولا الجمال لهلك الكون من جلاله سبحانه وتعالى، ولولا الجلال لصعق الكون من جماله سبحانه وتعالى، فأتت صفة الكمال فوازنت وأعطت الأسماء ما يحقق للوجود الموازنة الذوقية وعدم

الميل به إلى أحد شقيه.

وعن هذا الناموس تجد ذرات الوجود حملت سر الموارنة بداخلها وانظر تركيب الذرة وما به من عناصر سالبة وموجبة ومتعادلة فالإلكترون سالب والبروتون موجب والنيترون متعادل.

٩٢ - الرقيب

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الرقيب، أي المراقب لشؤون الكون وتطوراته وذراته وجزئياته ومعانيه وأوهامه وجعل هذا العبد الصالح على صفته مراقبًا كمثله، فهو يراقب عبده وعبده يراقبه فما دام هو يراقب عبده وعبده يراقبه فكلاهما يتذكر الآخر وهذه حكمة المراقبة وسر هذا الاسم.

فكان اسمه المراقب برهانًا بين الحق والعبد قال الله تعالى في حق يوسف وهو من أقطاب المراقبة: ﴿فلولا أن رأى برهان ربه﴾ فقوة المذاكرة بين الحق والعبد جعلها برهانًا بينهما، وهو من أسرار هذا الاسم ولهذا قال عيسى للحق تعالى عن قوة تجلي هذا الاسم في ذاته: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾. ثم قال الحق تعالى لأحبائه: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ أي فراقبوني كي أراقبكم وهذا لا يمنع أن الحق تعالى مراقب لمجموع الوجود ولكن مراقبة تتميز عن أخرى فشتان بين مراقبته للخواص ومراقبة الخواص له وبين مراقبته للفجار ومراقبة الفجار له.

٩٣ - الواسع

اعلم أيدك الحق وإياي بروح منه أن اسمه الواسع، أي الذي وسع الوجود وما وراءه فإن الوجود وراء عالم وعلم لا يعرف لنا والحق تعالى وسع كل هذا قال الله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾. فأصلًا الحق تعالى يوجد في كل مكان واللامكان. فإن الوجود مكان ولا مكان. فهو سبحانه الوجود أصلًا فما هو الوجود وأين المكان واللامكان فيه ومنه سبحانه وتعالى.

٩٤ ـ الشهيد

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الشهيد، أي الذي يشهد حقائق الوجود الكلية، وما أراده منها وكيف تتم مراداته فيها، ثم إنه سبحانه يشهد ذلك عليها ويفصل هذا العلم فيها، وعن هذا قال القائل ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ فما طالب سوى الشهادة الإلهية لعلمه بعلو مقامها ولم يطلب الشهادة البشرية لكون الزور والزيف قد يدخلان فيها. ثم إذا كانت الشهادة خلاف الغيب فإن الشهادة هي علم ما ظهر والغيب هو علم ما خفي قال الله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي عالم الباطن والظاهر فإن حقيقة اسمه الشهيد ليست كذلك، بل هو المطلع به على كلا العالمين الظاهر والباطن، فإن الأسماء الإلهية قابلة للتضاد، فإنه سبحان وتعالى يعلم الظاهر والباطن بهذا الاسم.

ثم يشهد من هذا الكون ما أراده لا تحيد عنه المعلومات منذ أن أوجدها إلى أن يفنيها كقد رسم الخياط. وهذه الإرادة والمراد يشهدها قبل بروزها وبعد بروزها وفي وقت بروزها ثم التكرار لا يحصى لهذه المشاهدة فإن الأعداد تفنى في الحق تعالى.

٩٥ ـ الواحد

أي الذي أبرز الكثرة عن وحدانيته، فعدَّد أسماءه وصفاته فهو كثير بوحدانيته واحد بكثرته، فرحم العالم بسر هذا الاسم، لما عدَّد نفسه وبرز في صور الوجود الكثيرة فإن المخلوق هو الخالق وهو عينه، روى مسلم في صحيحه عن النبي (ﷺ) أنه قال: «خلق الله آدم على صورته». فكان شرف الآدمية في سر هذا الاسم في قبول الحق تعالى لتعداد صورته في خلقه يقول الله تعالى في الحديث القدس: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعدك وأنت رب العالمين» فإن الحق ها هنا يتكلم بلسان الكثرة، فما هو مرض ولا يجوز في حقه سبحانه المرض. فعلى الحقيقة ما عرف الحق

تعالى سوى نفسه أي خلقه. فمن الواحد سوى الكثير ومن الكثير سوى الواحد.

ومن هذا السر أطعلك على سر جليل لم يفشه أحد قبلي وهو من أسرار الواحدية في كون النبوة كالألوهية، ثم تتسع دائرة الهداية فيها فلا ينطق بها أولًا سوى نبي فرد جامع ثم يكثر عدد من يؤمن به فالواحد ها هنا بزغت عنه الكثرة في الألوهية والنبوة سيان. فافهم هذا السر يا ولي الله.

٩٦ ـ الصمد

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه الصمد، أي الذي صمد الوجود إليه، أي توجه بما خرج عن أنفاسه وفاض عن روحه بما أعطته له الحضرة الإلهية من مراداتها التي اقتضتها من العالم ثم إن العين الإلهية هي المقصودة بالتوجه إليها دون سواها، فإن الوجود لم يكن له قصد إلا عين الصمد الأزلية القديمة ولم يقصد يومًا سواها فهو إن قصدها من شيء آخر، فما توجه إلا لسواها على الحقيقة والتحقيق لكون كل شيء برز فالحق البارز أصلًا وليس سواه.

فإن الوجود متوجه إلى الحق تعالى على مراتب أعلاها مرتبة التوجه الذاتي أي توجه الوجود بذاته للحق تعالى وفناؤه في عين التوجه ولا قصد له سوى الذات المحض وأدناه التوجه الرمزي كتوجه الجماد والحيوان بغير قصد بل على مجرد الجذب الإلهي للتوجه إليه قال تعالى في هذا التوجه: ﴿إئتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾.

وهذا القطب الفرد الجامع الصمد صمدت إليه همم أولياء عصره بالتوجه إليه وطلبته طلبًا لا مفر منه، فهو على قدم الحق تعالى لحظته العيون وهتفت باسمه الظنون. وتفننت في وصفه الفنون. فرضي الله تعالى عن هذا القطب الكامل والغوث الشامل.

٩٧ ـ الوالي

أي هو الوالي الحقيقي للوجود، فإن الوالي الترابي الآدمي للممالك والبلاد هو الفناء المحض ولا يبقى إلا الحق تعالى فهو الولي والوالي والذي تولى العالم ونظر فيما يصلحه لأجل العالم نفسه لا لأجل الوالي نفسه، فإن الوالي الآدمي يطلب ما يصلح مزاجه هو قبل إصلاح الوجود الذي هو يتولاه، أما الحق تعالى فلا ينفعه هذا ولا يطلب منفعة من البشر على ولايته لهم، فطاعتهم لا تنفعه ومعصيتهم لا تضره. فإن الوالي الرباني هو المتحقق بهذه الخصلة من خصال الحق تعالى، فلا يطلب شيئًا من شؤون العالم لمصلحته هو بل يطلبها طلبًا محضًا لمصلحة من تولى عليهم.

كان من أقطاب هذا المقام عمر الفاروق رضوان الله عليه، كان لا يطلب من الوجود شيئًا إلا لمصلحة الوجود نفسه ويهمل نفسه إهمالًا ظاهرًا لزهده وهو شيخ هذا المقام وأقطاب هذا الاسم عيال عليه فيه.

٩٨ ـ ٩٩ ـ الخالق والبارىء

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن اسمه الخالق هو عين اسمه البارىء كأنهما يؤديان في الحقائق إلى جوهر واحد في عيون المقاصد الإلهية.

وكان إبراهيم الخليل عليه السلام من أقطاب هذا المقام ومن أوتاد هذا الاسم ومعه عيسى ابن البتول ثم عزير عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى في حق عيسى عليه السلام متحدثًا عنه في هذا المقام فقال: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني﴾.

فعيسى خالق على صفة الخالق الأصلي يستمد منه سر هذا الاسم وينفخه في العوالم ويبثه.

ثم قال عنه ملبسًا له المقام الآخر: ﴿وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني﴾ أي تخلقه من جديد على الصفة الأصلية له.

فها هنا عيسى هو البارىء كما أن الحق تعالى هو البارىء الأصلي على صفة الحق تعالى.

فالخالق والبارىء عين واحدة برزت من القديم إلى المحدث وظهر بها الفناء والعدم كما ظهر بها البقاء والوجود فها هنا الحق هو الظاهر في الفناء والعدم لا غير كما هو الظاهر في البقاء والوجود عين واحدة سياق الأمر.

فهذا الآدمي يخلق كما يخلق الحق ويبرأ كما أن الحق يبرأ فالمخلوق عين الخالق.

١٠٠ ـ التواب

اعلم أيدك الله أن اسمه التواب أي من يتوب على الوجود ولا يقطعه ذلك على استمرار سيره، فإن خطايا الوجود لو أخذ بها الحق تعالى لما سار لحظة واحدة قال تعالى معبرًا عن هذا المقام: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا﴾.

فإن الحق تعالى يطلب توبة الوجود في كل نفس من أنفاسه وإلا هلك الوجود، فإن لم يتب بعض الوجود فهناك من يقوم بالتوبة قيامًا فرض كفاية.

١٠١ ـ مالك الملك

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه مالك الملك أي المستولي على الوجود ملكًا في طي قبضته قال تعالى معبرًا عن هذا المقام: ﴿لمن الملك اليوم﴾ فلم يجبه أحد سوى نفسه فأجاب «لله الواحد القهار». وقال تعالى مثبتًا هذا المقام لنفسه: ﴿والأرض جميعًا قبضته والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وهذا القطب الفرد الجامع مالك الملك على صفة الحق تعالى: الكون بين يديه كالقصعة بين يدي الآكل، هذا القطب أعرف بطرق السماء منه بطرق الأرض، روحه تجول حول العرش وتطوف عند سرادقاته.

كتاب
الناموس الأعظم

الحمد لله الظاهر بغير ظهور والباطن بغير بطون سبحانه أرعدت هيبته بغير هيبة. وأخاف بغير بدو. تخلى عن الشبيه. فما له مثيل. وليس كمثله شيء أتعب من أحبه. وحيره ودله. وأقلقه وتبله وولهه وصببه بغير رؤية. ما ألذ قهره وما أبدع سحره.

إلهي افعل بي ما يحلو لك. ويلذ فيك منك إليك. هذا عالم اللاوصف أنا أنت بلا شك قد اشتريتني مني إليك. حق لك الوجود المطلق. فريد الوصف ووحيد الرصف. هنا لا يصح نعتك بمثل أو شيء. فإنه ليس كمثلك شيء.

إلهي الحروف تشتكي العجز الحجابي لكونها غير قادرة على نوال الوصف منك. والتشفي من حسنك. فالحرف حجاب إلهي لا تحجبني بحرف ولا كلام ولا بظاهر القرآن. بل اجعلني لا أشبع غوصًا من باطنه.

إلهي هذا محيط الحروف تتلاطم أمواجه. وتهيج رياحه. وقفت على الشاطىء ولا شاطىء. فغصت في ذاك المحيط فرأيت الحرف ذاب وانمحى وصار لغة تتكلم. ولسانًا يترجم.

إلهي انقذني من حيرتي وشكي. وجهلي وحجابي. وضياعي وتيهي. وعجبي وذنبي. وبلوتي وشماتة الأعداد بي. وظلمات إمارتي. وغياهب نفسي. وران قلبي وسواده.

إلهي ما أضعفني وأحقرني خذ بيدي إلى الفهم عنك والفهم بك والتناجي معك وحدنا على بساط الأحبة وكثبان المودة.

إلهي اجعلني عبدًا صمدانيًا فردانيًا محضًا غير خاضع لشيء سواك في الوجود. ولا متعلق إلا بك أنت أنت يا أنا يا أنا يا أنا. ويا نحن ويا نحن ويا نحن.

إلهي لا تجعلني متعلقًا بلذة ولا نعمة ولا أم ولا أب ولا ابن ولا بنت ولا أخ ولا أخت ولا صديق ولا حميم ولا بيت ولا زوجة ولا مال ولا خيل ولا ركاب ولا ولي ولا نبي سواك أنت أنت يا منيتي ولا تجعلني متعلقًا بجميل ولا بديع ولا ملك ولا جنة ولا حياة ولا فاكهة ولا طعام ولا لباس ولا نوم ولا نكاح إلا تعلقي بك أنت أنت يا روحي وكلي.

إلهي أنا الجرم الصغير والمخلوق الحقير قد أحببتك أنت الجبار الكبير فهل تراني أقوى على ذاك إلا إن قويتني.

إلهي اجعل خواطري بك مشغولة. وحواسي بك مذهولة وجوارحي بعشقك مقهورة.

إلهي بحق عزتك اجعل غدراتي وذنوبي مستورة عن كل عين إلا عينك. وضعني في حماك إلى يوم لقياك في حجب الغيرة وخيام المكانة.

إلهي اجعل مقامي مكتومًا دنيا وأخرى وإن ظهر. فلا يظهر شيء منه.

إلهي لا تجعلني أتوجه لمخلوق إلا لك أنت ولا أعتز بشيء سواك.

إلهي لا تذلني لمخلوق إلا لأحبائك وأصفيائك.

إلهي اجعلني غنيًا بافتقاري إليك وفقيرًا بغناي بك.

إلهي لا تجعلني متعلقًا بمقام ولا حال ولا أدب ولا جاه ولا علم ولا وصف ولا خاطر ولا محاسن سواك.

إلهي اجعلني من أهل العجز الكلي إليك. والافتقار السرمدي إلى حضرتك.

إلهي اجعلني عبد بابك. وذليل حضرتك. وخادم أوليائك.

إلهي عرفني حقيقة نفسي حتى أعرفك فإنه ما عرفك حق المعرفة سوى من عرف حقيقة نفسه وذاك قوله (ﷺ): «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

إلهي اجعلني من الذين يتأدبون من نبيك محمد (ﷺ) ومع أنبيائك وأصفيائك وأوليائك عليهم السلام.

إلهي لا تجعلني مغرورًا بعلمي أو مالي أو جاهي أو سلطاني أو عبادتي.

إلهي اجعلني ممن يفهمون عنك بالرمز والإشارة والكلام.

إلهي لا تجعل حركاتي وسكناتي وخطراتي وإرادتي وزفراتي وخطواتي وقدراتي إلا خالصة لوجهك أنت أنت بلا غرض كائنًا ما كان.

إلهي أوصلني إليك بلا تعب. في طرفة عين واجعل وقتي كبريتًا أحمر منقضيًا في معرفتك. وارزقني العافية والمعافاة. إلهي لا تحجبني بأهلي ولا زوجتي ولا لذتي ولا ولدي ولا مالي ولا بيتي ولا جاهي ولا علمي ولا سلطاني ولا عبادتي.

إلهي لا تجعلني ممن يحبون الجنة لأجل اللذة المحضة بل اجعلني أحبها لأجل أنك فيها وأراك فيها.

إلهي لا تجعلني ممن يخافون النار لأجل نارها بل لأجل أنك لست فيها ولو كنت فيها لأحببتها كحبي للجنة.

إلهي لا تجعلني ممن ينازعون أولياءك في المقامات والأحوال والرتب إلهي اجعلني ممن يقتدون بنبيك محمد القدوة وحبّبْ إليَّ الصحابة والتابعين والصالحين.

إلهي إني تركت لك حظّي وتنازلت لك في حقي ومقاماتي وأحوالي ومالي وولدي ونفسي وبدني وصحتي وتركت لك ذلك كله فتصرف فيه كيف شئت.

إلهي اجعلني من الذين يتوكلون عليك حق التوكل لا التواكل وعرفني حقيقة صبري وتوكلي وعرفني حقيقة الرضا بقضائك وعرفني حقيقة الشكر والابتلاء وصفاتي على الإطلاق.

إلهي اجعلني فيما بين الخوف والرجاء حتى لا أيأس ولا أتكل.

إلهي اجعلني جبلًا لا يبسطه بسط ولا يقبضه قبض. بل وسطًا ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾.

إلهي أدبني برفيع أدبك. وبسنة نبيك.

إلهي اجعلني فارًا من الخلق وشرورهم ونفسي الأمارة وهواها.

إلهي اجعلني غريبًا في الدنيا والآخرة.

إلهي لا تجعل متعتي وأنسي وبسطي على حساب مقامي وحسناتي

إلهي سيرني كما تراه يصلحني لا كما أراه يصلحني.

إلهي لا تجعلني أريد شيئًا أو أهواه إلا إذا أردته أنت وهويته.

إلهي لا تكلني إلى نفسي كطرفة عين.

إلهي أحسن خاتمي وشأني كله وعقباي.

إلهي لا تجعل باطني كظاهري. بل اجعل الباطن خيرًا من الظاهر. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه. وعرشه وكرسيه روح العوالم. وهيكل المعالم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فاعلم

أيدني الحق وإياك بروح القدس أن المادة الناسوتية المتكون منها المجموع الأعيان واحدة أصلها الوحدة وإنما ظهرت فيها الكثرة في المظاهر لا غير. فإن الوجود الباطن لحقيقة المادة الترابية الوحدة المجردة وإن تعددت الأشكال والصور والمسميات فإن الكل واحد لا غير.

فالإنسان والوحوش والطيور والحشرات والأسماك مسميات مختلفة لمادة واحدة مع حفظ مقام التكريم لهذا الآدمي كما اقتضاه الأدب الإلهي الرفيع فقال لسانه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم﴾ الآية. فإن الروح هو حقيقة الوجود لا الهيكل الطيني لمجموع المسميات فعلمنا أن الروح الإنساني هو أكرم الأرواح وأرقاها التي برزت عن حضرة الإمكان. وإذا مات الآدمي ودفن تحلل هذا الهيكل وصار ترابًا ورجع إلى أصله المجرد. فإذا نبت فيه نبات وتغذى على مكوناته التي تسمى الطين الذي هو أصل التربة النباتية ومعادنها وروحها فإن مادة الآدمي تنقل إلى مادة النبات وهيكله بحكم سريان الغذاء من التراب الآدمي إلى النبات. ومن ثم إذا تغذى الحيوان على النبات وأكله فإن مادة النبات تنتقل إلى مادة الحيوان وتبني جسمه فإذا تغذى الآدمي على الحيوان فإنه يصبح جامعًا لمواد الكل الآدمي والنبات والحيوان. ويتجمع بهذا الحكم لكل المواد الحيوانية والنباتية السابقة بحكم تغذية عليها. وكان من بديع الحكمة الإلهية أن المادة الإلهية غير منحصرة في الأشكال بل هي مادة الإطلاق القابلة للكثرة المكثرة والصور المشتتة وبالغة للتصور في صور شتى كآدمي ونبات وحيوان وحشرة وحجر وحديد وجزء من جبل أو حائط بناء وحذاء وثوب وقدر وكتاب وكرسي ودولاب وملعقة وسكين وزجاج وخاتم وحلق وتلفزيون وساعة وثلاجة وخلاط وكمبيوتر وإنسان آلي وطائرة وصاروخ وسفينة فضاء ونظارة وميكروسكوب وبكتريا وفطر وطحلب وشجرة وفيروس وسائل وغاز وصلب وذرة وبخار وقنبلة.

وهكذا تأخذ المادة صور مجموع المظاهر والمبادىء. فالمادة مستغنية بنفسها

عن الله بالله. فهو سبحانه أغناها في نفسها. فهي لا تفنى ولا تستحدث. وإن كان ظاهرها الفناء فإنها سرعان ما تنتقل وتشكل صورة أخرى وتبدو في مظهر آخر. وذاك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا﴾. فأعلمنا الحق تعالى أن المادة الآدمية إذا فنيت ربما ظهرت في صورة آلة حديدية كسكين أو قدر حديدي أو ملعقة أو ربما انضافت إلى حافة جبل أو ظهرت في صورة حجرٍ أو قالب بناء أو ربما صارت جيرًا يبنى به أو أسمنتًا أو جبسًا.

فمذ أن خلق الخالق الأعظم المادة لم تفتقر إلى الحق تعالى سوى تدخل قدرة الخالق في تشكيلها من صورة إلى صورة ومن هيئة إلى هيئة.

فالقدرة ما لها سوى التحليل والبناء بنفس المادة ولا افتقار ولا عجز. وهذا دالٌ على عدم انتهاء الخالق وعدم تناهي إبداعه واقتداره.

فربما أنت تمشط شعرك بمشط وقد كان جزءًا من آدمي مثلك من الآلاف السنين.

وربما أنت تأخذ دواء وهو جزء من جسد كلب من آلاف السنين وربما تستلطف صورة وقد كانت وجه إنسان دميم من قبل. وربما تستنجي بماء طاهر وقد كان خمرًا أو ماء قذرًا من العصور الغابرة.

وربما تقرأ في أوراق مصحف وقد كانت أوراق توراة أو زبور من العصور الغابرة.

وربما تنكح امرأة وقد كانت رجلًا من آلاف السنين. وربما تأكل لحم خروف وقد كانت مادته لحم كلب من آلاف السنين.

وربما تصلي على سجادة طاهرة وقد كانت مادتها ثوب فاجرة من آلاف السنين.

وربما ترى ديكًا جميلًا وقد كان هرة من آلاف السنين.

وربما كانت مادة عينك مادة عين جاموسة من آلاف السنين.

وربما كان تاج الملك قبعة فقير من آلاف السنين أو جمجمة ثور أو كلب.

وربما تأكل لحمًا لذيذًا وقد كان لحم خنزير من قبل.

وربما كان الكرسي الذي تجلس أنت عليه حجرًا جلمودًا من آلاف السنين. أو كان الجلمود حجرًا من آلاف السنين.

وربما كان الحذاء الذي تمشي فيه وجه إنسان من قبل آلاف السنين.

وربما تزوجت امرأة شريفة عفيفة وقد كانت فاجرة قحبة من آلاف السنين وربما كانت القحبة عفيفة.

وربما كانت السبحة التي تذكر الله عليها من آلاف السنين أسنان رجل.

وربما كانت المكنسة التي تكنس بها فروع شجرة.

وربما كان عدوك صديقًا لأجدادك من آلاف السنين.

وربما كان فرج المرأة فرج رجل من آلاف السنين.

وربما كانت حجارة المسجد حائط كنيسة من مئات السنين.

وربما كانت السفينة بيتًا من مئات السنين.

وربما كان الأحمر أسود أو الأسود أحمر من آلاف السنين.

وربما كان الماء لبنًا أو اللبن خمرًا أو الخمر عسلًا من آلاف السنين.

وربما كان الذكر أنثى والأنثى ذكرًا من آلاف السنين.

وربما كان الراديو تلفزيونًا أو التلفزيون راديو من قبل.

وربما كان اللص شرطيًا من آلاف السنين.

وربما كان الجبل مدينة من آلاف السننين.

وربما كانت العمارة السكنية ذات العشرة أدوار من مجموع تلال أو هضاب من مئات السنين.

وربما كان جسد القوى هو جسد الضعيف من آلاف السنين.

وربما كان جسد المؤمن من جسد الكافر من آلاف السنين.

وهذا المنظور الذي أقوله لك أن الجسد الحديث لم يكن كله في الماضي الجسد القديم بل بعضه لكون هذا المتكون الحديث لا يحوي كليات المتكون القديم بل بعض أو معظم مكوناته. فإن المادة الوجودية لم تكن مفتقرة لإضافات مذ أن خلق الحق تعالى الأرض. ما انضاف إليها جزءًا من الكواكب ولا النجوم ولا الشمس ولا الأجزاء السماوية. بل هي حية في جوهرها بتحولاتها وأخذها الصور المشتتة. بالتحلل والبناء التركيبي. وكما قلنا إن هذا دال على عدم انتهاء القدرة وكون الخالق الأعظم أول بلا بداية وآخر بلا نهاية.

وعلى هذا فإن الكون ما هو سوى شاشة متغيرة سرمدًا حتى يرثه الحق تعالى. وهذا لكون التجليات الإلهية لا تشابه بينها. بل هي دائمًا في تغاير وما تجلى الحق تعالى بتجليين متشابهين. وما خلق آدميين متشابهين منذ أن أقام الوجود.

والذي أشبه به مادة الممكنات المحضة أن هناك حجرتين كبيرتين حجرة تسمى حجرة الفناء يودع فيها كل شيء يفنى على سطح الأرض وحجرة تسمى حجرة البقاء يؤخذ من المادة الفانية من حجرة الفناء المادة المحضة ويصاغ منها الشكل الذي يراد صياغته كإنسان أو سفينة أو حجرة أو ملعقة أو تلفزيون إلى آخر الممكنات.

وقد رأينا أن الكون كل يوم في توسع وتمدد بلا توقف فهو منذ أن خلقه الحق تعالى في هذا التمدد والتوسع حتى توقفه يد القدرة بخرابه وتقضي

بدماره. وإذا قيل فأين يكون تمدده وهل هناك كون غير هذا الكون يستدعي تمدد كوننا فيه.

وإذا كان هذا هو عالم الحس فما بالك بعالم الأرواح والخيال وما فوق عالم الخيال. والعالم الأخروي. بل ما بالك بالخالق الأعظم ومكانته؟

وظن الظان أن الوجود هو الحس دون غيره. بل وجدنا أن العالم المخفى له الهيمنة العظمى على العالم الحسي. بل العالم الحسي قطرة من المحيط الأعظم من العالم المخفي.

ومن ثم أطلعك يا ولي الله على ناموس آخر أعظم حيرة وهو القانون المفني أين كل ما مات مند أن خلق الله الكون من آدميين وحيوانات وطيور وحشرات أين جثثهم؟ أي كل ما كان من بيوت وجبال وعربات ومقطورات. وأشجار ونبات وأثاثات وملابس وآثار؟ ألا ترى أن الخالق الأعظم لو لم يسمّ قانون الفناء لما فني شيء أبدًا منذ بدأ الخليقة ولتراكم الخلق وعطلت الحياة فوق سطح الأرض لكثرة الجثث والزحام. ولما تولد جديد يحتمله سطح الأرض.

ولكن الحكمة الإلهية أبرزت من البروز الاختراعي قانون الفناء وجعلت لكل عين برزت من حضرتها وقتًا معلومًا تفنى فيه. لا تستقدمه ولا تستأخره. حتى يتولد عن حضرتها ما جدّ.

فمن هنا علمنا أن المادة لو بقيت بلا فناء لتراكمت ولتعذر العيش على وجه الأرض من شدة الزحام والعفونات.

فالمتراكم لا بد له من التحلل إلى المادة الأولية والعناصر البدائية حتى يأخذ دورته في التخلق والتشكل والظهور بمظهر آخر. أي المادة المحضة- غير تلك التي ظهر بها من قبل.

ولكن ليس كل مظهر وجودي به نفس المظهر الآخر من مكوناته

وعناصره. فإن الحيوان ليس به كل ما في الإنسان في مكونات بدائية والنبات ليس به كل ما في الإنسان والحيوان من مكونات بدائية. فإذا فنيت مواد المظاهر المتباينة من نبات وحيوان وإنسان اختلطت المواد كلها في الكون وصيغت من جديد في مظاهر جديدة. وحينذاك تسمى المادة الجديدة التي تصاغ منها المظاهر الجديدة بالمادة البكر.

فوضح لنا بهذا أن الوجود مستغنٍ بنفسه لنفسه لكن بالحق تعالى. ومن هنا فإن القائل الذي قال إن المادة لا تفنى ولا تستحدث صدق في مقولته.

فإن المنظار البشري عند العوام للغة الفناء غير المنظار البشري عند العلماء للغة الفناء. فالفناء عند العوام هو تحلل المظاهر ودمارها كإنسان أو بيت أو غربة. وليس كذلك شأن الفناء عندنا. فإنه لا فناء أصلًا. لعودة المظاهر إلى أوليتها أي المادة البكر التي ستصاغ مرة أخرى. فالرجوع هو الحياة الباطنية التي منها سر الاستمداد والصياغة الجديدة لمعان وجودية جديدة. ستظهرها يد القدرة الإلهية.

ألا تراه عبر الخالق عن هذا القانون بقوله: ﴿**يحي العظام وهي رميم**﴾ فإن العظام الرميم هي التي تفتت وإحياؤها بصياغتها في التخليق الباطني وإبداؤها في مظاهر جديدة كما وضحنا ذلك من قبل في أي مظهر سواء نباتي أو جمادي أو حيواني. فإن الحق تعالى قد قال «يحي العظام وهي رميم» ولم يقل يحييها إلى إنسان فلم يحصر في القالب الآدمي فقط: بل ترك الإطلاق التخليقي في الأكوان.

ومن ثم علمنا أن الكون كله مجموع مواد متباينة ما هي في العين التحقيقية سوى مادة واحدة تفصلها وتنوعها يد الاقتدار. فما هي سوى الوحدة المتكاثرة. فإن المادة فيها نفحة من الخالق. أي التوحد والتنوع. فإن الحق تعالى لو لم ينوع هذه الأعيان لظل مجهلًا بلا تعرف في سماء المجهول فإن تنوع

المادة بعد توحدها مقصود الإله لا غير حتى يتم المقصود المراد من الحضرة الإلهية. فافهم.

فما الذي يحمل الآدمي سوى سيارة أو بغل أو حمار فأخذ الخالق من المادة الصرف وصنع منها ما يحمله.

وما الذي يكسوه سوى الثياب والأزر فأخذ الخالق من المادة الصرف وصنع منها ما يكسوه.

وما الذي يشبعه سوى الطعام فأخذ الخالق من المادة الصرف وصنع منها ما يطعمه.

ومن ثم جعل الخالق الأكبر الإنسان خالقًا مثله لكونه خليفته في الأرض فهو آخذ صفاته وأسمائه. اقتداء به فهو المكنون الأكبر والعالم الأخطر.

ورأينا المادة الناسوتية ميتة بلا تدخل يد الحق تعالى فيها فإن مسها الروح اللاهوتي حييت ودبت فيها الحياة السريانية فإن الحياة الإلهية لم تدع شيئًا إلا وسرت فيه حتى الجماد. وذاك قوله تعالى: ﴿اهتزت وربت وأخرجت من كل زوج بهيج﴾. فأعلمنا أن الارض بغير ملامح يد القدرة ميتة. ولا تحي إلا بمسها بذاك الروح فإنها تهتز وتربو وتخرج كل صنوف المخبآت النباتية وهذا دليل عجيب على حياة المادة الجمادية. فإن الكون كله حي ليس فيه شيء ميت البتة لكونه لا يخرج عن خالقه ميت في حضرته. فالخالق هو الحي الأكبر وكل مخلوقاته حية بالطبع وكل حي نهايته الموت والدمار إلا الحي الأكبر سبحانه والدمار على صورة شتى. إما انصهار أو انفجار أو تفتت أو تحلل أو احتراق أو غرق. وكله مذكور في أم الكتاب. ونظرنا في الكون فوجدناه لا نهاية له ولا يحيطه وهم ولا عقل. لا بالعلم النظري ولا بالعلم الكشفي ولا بالعلم الذوقي فإن الكون لو كان محدودًا لكان خالقه محدودًا ومحصورًا وقد ثبت لنا بالعلم الطبيعي والكشفي عدم نهاية العالم وما رأيت من قال بانحصار العالم من علماء الطائفتين الطبيعية والربانية. وبهذا ثبت لنا شرف

الكون والمكون وهذا دليل على أوليته سبحانه بلا بداية ونهايته بلا نهاية. أي هو المطلق الأعظم. وكل ذرة في الوجود فيها شيء منه. ونفحة منه تحركها تكون حية بها.

وأصل الكون واحد نتج عن الفتق أي فتق الرتق وذاك قوله تعالى: ﴿إن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما﴾.

وقد وجد في السفر الأول من التوراة: «إن الله تعالى خلق جواهر ثم نظر إليها نظر الهيبة فذاب الجوهر وصعد منه دخان ودس منه رسوب فخلق سبحانه من الدخان السموات ومن الرسوب الأرض». وهناك عدة نظريات طبيعية ظهرت حديثًا يؤكد بها القانون القرآني في كيفية نشوء المجموعة الشمسية وكيف انفصل بعضها عن البعض. ولكن لا خلاف عندهم في أن القمر قد انفصل من الأرض بل ويحدد بعض العلماء مكان انفصاله وهو حيث يوجد المحيط الهادي. والأرض وسائر الكواكب الأخرى قد انفصلت عن الشمس والشمس في باديء أمرها لم تكن شيئًا سوى كتلة غازية كسائر النجوم الأخرى. وكذا نظرية انفصال القارات عن بعضها البعض. وبهذا صح الخبر القرآني القائل: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ فالدخان هو الغاز.

فأعلمنا الحق تعالى أنه لولا المادة البكر لما كان الكون أصلًا وهي الجوهرة التي نظر إليها بهيبة. فانشطرت إلى ماء ودخان.

ولكن سر المادة القديمة أنها ليست هي سر المادة الحديثة. حتى رأى الفلاسفة الوجوديون أن العالم هو المادة المحض ولا خالق هناك بل قالوا: ﴿ما يهلكنا إلا الدهر﴾.

وهذا وهم صريح فإن المادة بلا القوى المغيبة ميتة نعم هي مادة لكن ميتة عدمية. ولا يجعلها مادة متحركة إلا النفخ الالهي السبوحي. وهذا لا يفهمه سوى العلماء الربانيين المسلمين. وقد رأينا الماديين لا يؤمنون إلا بما يرونه

وهذا باطل في أدلة المادة. إذ أن المادة يمكن أن تغيب وتظهر ويظهر أثرها في الحس وإن خفيت عن البصيرة والبصر. كعالم الكهرباء الذي هو روح الحياة الآدمية الذي يغـذي التلفـزيـون والراديـو والغسـالـة والمروحـة والتكييـف والكمبيوتر والطائرة والصاروخ وسفينة الفضاء. فلو سلب الحق تعالى منا هذا العالم المخفي أي الكهرباء لتعطل قانون المادة. فعلمنا أن الغيب أقوى من الحس. فأولى بنا أن نؤمن بالغيب الأكبر وهو الحق تعالى.

فإن الغيب قد يتطور ويتجسد كما تتحول القوى الكهربائية إلى قوى حرارية وترى بالحس والعين المجردة. فكذلك وجود الحق تعالى إن لم يظهر لنا في هذه الدار. فإنه سيظهر لنا في الدار الآخرة. ومن هنا يرى سريان الكهرباء في الأسلاك أو يرى الهواء. فأعلمنا الحق تعالى أن الكون كله أشباح ميتة عدمية محضة بلا الحق تعالى وسريان قدرته فيها. فالحق تعالى هو المحرك الأصلي للمادة العدمية الناسوتية. أي الهباء أي العماء.

وقدم المادة والعالم لا يصح القول به. لكونه لا قديم أصلًا في الوجود سوى الحق تعالى. أي له القدم الذاتي دون سواه. وقدم العالم أحد الأوجه الثلاثة التي غلط بها أبو حامد الفلاسفة. والناظر يرى سر التداخل العجيب بين الخالق والمخلوق مع حفظ مكانة الخالق. فإنه ليس كمثله شيء ولكنه عين العالم. حتى قال الحق « ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » فإن المخلوق قد حوى خالقه مع صغر جرمه وما حواه العالم بأسره لكون الحق تعالى هو ما دون المادة وهو ما دون العالم. فليس في الكون شيء يشبهه.

ومن ثم جعل الحق تعالى العوالم تدل عليه وعلى أحدية المادة بكون ثبوت الذرة والخلية. فإن الخلية النباتية هي الحيوانية هي الإنسانية لا فرق مع وجود فوارق تافهة. والذرة التي هي أصل الوجود والأجزاء لا فرق بينها في مختلف الأجساد. فالذرة هي العالم بعينه والخلية هي العالم بعينه والعالم هو عين الحق لا غير. والله أعلم.

رسالة
الثغر البديع
في فضل الصلاة على الشفيع

ألا تنظر أيها الولي. والصفي الملكي. والهيكل العرشي. والناسوت الرحموتي. واللاهوت الكمالي. إلى حقيقة عين الوجود. وكنز مرصود. ما رأيت حقيقة من عرفها. ولا توصل إليها بشيء إلا الاضمحلال. أو سراب بقيعة الخيال ألا وهي حقيقة أبي القاسم.

أيها البلبل من أين تغرد بشجوك. وما سرُّ تحرّكك أيها البحر أين أولك وآخرك. أيها الورد ما سر عذب عرفك. وفتنة رائحتك. أيها الثغر البديع ما سر ابتسامك. وأيها الطرف المليح ما سر فتورك. وأيها الغادة اللعوب والغانية الخلوب. ما سر تهتك العاشقين فيك. واقتتالهم عليك. أيها الخصر ما أدقك فمن دققك وبراك. فتعساً لمن قلاك. أيها الرشأ فمن أعطاك هذا العجب بالنفس. والاختيال والترفل والنعس. أيها النسيم من أين لك هذه الرقة التي خطفت بها أفئدتنا. فتركتها ضعيفة محيرة في سر حسنك وبديع ظرفك.

نظرت في تلك الشاشة القدسية. والحضرة الإلهية. فما رأيت من يجيب سوى عين البر المحمدية. فالكل انتشق وانشق عنها. ليس سواها.

قالت تلك العين وحقي ما عرفني سواي وخالقي كنت معه في الأزل. وأنا معه إلى الأبد. الكل متنازعون على قطرة من بحري. وكلمة من فيضي ونقطة من كمالي. ضاع فيَّ الرجال وضيعت أهل الكمال. هنا يذوب كل فتى. ويختفي

فناء أهل الهوى. تعبت في حقيقتي الرجال. فما نالهم سوى تعب القلب.

وما برز لهم من حضرتي سوى مثقال من جبلي وذرة من طودي.

هل تدري من أنا. أنا الذات المحمدية.

« فصل شرعي في فضل الصلاة على النبي (ﷺ) »

يقول الله تعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾.

وروي أن النبي (ﷺ) جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول لك أما يرضيك يا محمد ألا يصلي عليك أحد من أمتك مرة إلا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليكِ أحد إلا سلمت عليه عشرًا.

وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: من أراد أن يسأل الله حاجته فليكثر من الصلاة على النبي (ﷺ) ثم يسأل حاجته وليختم بالصلاة على النبي (ﷺ) فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

وسبب تأليف دلائل الخيرات للولي الكبير أبو عبدالله محمد الجزولي الحسني أنه حضر وقت الصلاة فقام يتوضأ لها فلم يجد ما يخرج به الماء من البئر فبينما هو كذلك إذ نظرت إليه صبية من مكان عال فقالت له من أنت؟ فأخبرها فقالت أنت الرجل الذي يثني عليك بالخير وتتحير فيما يخرج به الماء من البئر؟ وبصقت في البئر ففاض ماؤها حتى ساح على وجه الأرض فقال الشيخ بعد أن فرغ من وضوئه: أقسمت عليك بما نلتِ هذه المرتبة فقالت: بكثرة الصلاة على من كان إذا مشى في البر الأقفر تعلقت الوحوش بأذياله (ﷺ). فحلف أن يؤلف كتابًا في الصلاة على النبي (ﷺ). ونقل ابن عابدين عن العبد الصالح الشيخ أحمد الحلبي القاطن دمشق وكان رجلًا عليه سيما الصلاح أن بعض وزراء دمشق أراد أن يبطش به فبات تلك الليلة مكروبًا أشد

الكرب فرأى سيدنا رسول الله (ﷺ) في منامه فأمنه وعلمه صيغة صلاة وأنه إذا قرأها يفرج الله تعالى كربه فاستيقظ وقرأها ففرج الله تعالى كربه ببركة النبي (ﷺ).

يقول ابن عابدين وقد جرب هذه الصيغة فوجدها فعالة في تفريج الكروب.

وروي عن ابن عمر أنهم جاءوا برجل إلى النبي (ﷺ) شهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم فأمر النبي (ﷺ) بقطعه فانصرف الرجل وهو يتمتم ثم ما لبث أن ظهرت براءته فأرسل النبي (ﷺ) في إحضاره ثم سأله يا هذا ما قلت آنفًا وأنت مدبر؟.

فأخبره فقال قلت: (اللهم صلِّ على سيدنا محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء وسلم على سيدنا محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء وبارك على سيدنا محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء).

فقال (ﷺ): لذلك رأيت الملائكة محدقين بتلك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك

ثم قال (ﷺ): لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر.

عن أبي الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال: قولوا اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد رواه الثلاثة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صلِّ على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد رواه أبو داود وعنه أن رسول الله (ﷺ) قال من

صلى عليَّ واحدًا صلى الله عليه عشرًا رواه مسلم.

عن حسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ. رواه الترمذي.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال: ما شئت قلت الربع قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قلت فالثلثين قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال إذن تُكْفَى همك ويغفر لك ذنبك. رواه الترمذي.

عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة رواه ابن حبان وروى ابن عساكر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله (ﷺ): أكثروا الصلاة عليَّ فإن صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم.

وروى البيهقي بسند حسن عن النبي (ﷺ) أنه قال: أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة.

وروى ابن ماجة في سننه عن النبي (ﷺ) أنه قال: أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحدًا لن يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم (ﷺ) أيما قوم جلسوا مجلسًا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي (ﷺ) كانت عليهم من الله تِرَةٌ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: من نسي الصلاة عليَّ نسي طريق الجنة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض فلا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلي على النبي (ﷺ).

وروى القاضي عياض بسنده في الشفا عن فضالة بن عبيد أَنَّ النبي (ﷺ) سمع رجلًا يدعو في صلاته فلم يصلِ على النبي (ﷺ) فقال النبي (ﷺ) عجل هذا ثم دعاه فقال له إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصلِّ على النبي (ﷺ) ثم ليَدْعُ بما شاء.

كتاب
قانون الحب الالهي
او تعريف المريد
بأُصول الحب الالهي الفريد

المقدمة

الحمد لله المتفضل على عباده المخلصين بمحبته. فرزقهم حسن طاعته. فقدروه حق قدره. فأخلصوا له المحبة الصافية فهم أهل وداده. وكأسه وصفائه وعشقه وشرابه فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

والصلاة والسلام على سيد الإنس والجن صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود وعلى آله وصحبه وأزواجه حق قدره ومقداره.

وبعد،

فاعلم أيها الولي الحميم والخل القديم أن علم المحبة يعد من ارقى العلوم وأذوقها عند السادة المتقين المخلصين إذْ لولا المحبة لما وصل واصل إلى المشاهدة فضلّا عن المراقبة. وهذا العلم علمٌ قديم لقوله تعالى: ﴿إنَّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾.

فمحبته سبقت منه لهم لا منهم فقام فاصطفاهم وأقامهم في هذا القدر وقد ألهمني الحق تعالى أن أصنف رسالة في المحبة ليست بالقصيرة المخلة ولا بالطويلة المملة. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وسميناها « تعريف المريد بأُصول الحب الإلهي الفريد » والله الموفق.

فصل
في أصل المحبة

لما سألني الخليل الودود عن أصل المحبة قلنا له أصلها الحياة الأولى والنشأة الكلية لكون الحياة لم تقم عبثًا بلا محبة وذاك قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

ولما قامت الأكوان من العدم أقامها المليك بسر الحب الذي هو سر الأسرار. إذْ أنَّ معنى الحياة المحبة السارية في المكونات طوعًا أو كرهًا. ولو قامت النشأة على كراهية لنقضت دعائم الوجود وهياكله.

ولما لم يكن الرب تعالى وهو المكون الأعظم كارهًا أو مكروهًا أو مستكرهًا فقد أقام الأعيان بمفتاح الحب. منذ عالم البدء الأول والميثاق الذي أخذه على مجموع الأعيان.

وكان استخلاف الحق تعالى للخليفة الأول آدم بأسرار المحبة التي علمها هو ولم يعلمها أحد، من الملائكة. فقيل لهم من قبل الحضرة: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾.

فهذا أصل المحبة التي لولاها لما عرف المخلوق الرب.

ومن ثَمَّ ذهب المجادل وقال فضيلة العلم أقوى من فضيلة المحبة في النشوء. وهذا وهم، إذْ أنه لولا محبته لهم لما علمهم. قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾. والتقوى هي المحبة التي لولاها لما كانت تقوى أصلًا ولولا المحبة لما كان علم.

أي بالحب قامت الأكوان ونشأت ومن أجل الحب قامت. وإلى الحب وله وعليه وبه ومنه تعلق نشوؤه[1].

فهذا سر السائل عن أصل المحبة.

فصل
حوى فنونا في المحبة

اعلم أن المحبة نوعان:

نوع قديم.

ونوع محدث.

فالذي أحب القديم لو أدخل معه المحدث لأفسده.

أما المحب للمحدث فلو أدخل معه القديم لأحياه.

فالمحب للقديم هو المحب للحق تعالى لا غير. يكون القديم واحدًا لا غير وهو الحق تعالى. أما المحدثون فقد سرى فيهم التعدد. فكل ما دخل على القديم في المحبة أفسده من المحدث وهو إدخال حب المخلوق على حب الحق تعالى. أما دخول القديم على المحدث ففي منازلاتنا هو يلقي حب المحدث من القلوب ويجددها.

ولو سأل سائل وقال: أليس حب الرسول ﷺ محدث. وقد قُرِنَ حبه عليه السلام مع حب الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

فاشترط عليهم في محبتهم له اتباع رسوله ﷺ.

فلما اتبعوه حق الاتباع قيل لهم من حضرة القدس: ﴿يحببكم الله﴾.

فكيف يتم هذا الأمر؟

والجواب أنَّ المحبَّ للقديم قَدَّمَ محبته. فلما صحت وصح التقديم. أحب المحدث الشريف كحب نبيه عليه السلام كرامة للقديم لأمره بهذا.

فذهب الحق تعالى فاشترط عليهم محبة المحدث كرامة للمحدث. حتى قُرِنَ هذا بحبه هو. فقال: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

ولما أحب القوم الحق تعالى ادعوا فيه دعاوي كلها صحت.

فالمحب لا يكذب. لكونه أخلص وفنى.

فمنهم من ادعى محبته.

ومنهم من ادعى عشقه.

ومنهم من ادعى الفناء فيه.

ومنهم من ادعى التعلق به.

ومنهم من ادعى عدم الوفاء في المحبة.

ومنهم من بلغ مبلغًا لا يقال.

وذهب رسول الله ﷺ فأطلق في حق الإله صفة الحب لا غير. ولم يخرج عن هذا الوصف. وهذا هو الكمال في عرفنا ومذهبنا.

ولما وصلت المحبة بأهل المحبة وصولًا بليغًا تكلفوا ألفاظًا كالفناء والعشق لم تكن على عهد النبي ﷺ. وتكلفهم لهذه الألفاظ، لكون محبتهم في الحق تعالى صحت فلم يدعوا دعوى باطلة.

والطبقة الجنيدية هي أول من أرسى دعائم المحبة في تنويع ألفاظها. وإن كان أفراد قد نوعوا قبل الجنيد وطبقته.

وإن ذهب ذاهب وقال: ما حكم العشق إذا وقع بين الرب والمربوب؟

قلنا: يجوز للمربوب أن يعشق ولا يجوز للرب أن يعشق.

إن قيل: لما هذا الحكم؟

أجبنا: لكون معاني العشق تعطي وصفًا ليس هو في المحبة قط.

فالعاشق للمحدث يرى أن معشوقه هو الغاية في المحدثين وهو ذروة الإبداع. وهذا باطل لكونه أعطى معشوقه أعظم من حقه فافهم.

لهذا فإن العشق في عرفنا مرض وهمي أصاب النفوس المريضة الواهية. ولا يصح في نفس مطمئنة مهما بلغ حالها إلا إذا ادعته في حق الرب تعالى. فهو منها مقبول.

أما وقوع العشق من قبل الحق تعالى فهو مردود غير مقبول جملة لكون الحق تعالى لا يقع في حقه نقص قط. وما يصح في جنابه تعالى فهي المحبة لا غير. لقوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾. وهذا هو الكمال.

ولما رُفِعت شروط الأدب لكون المحبة صحت عبر القوم بفنون معانيهم في محبتهم له تعالى. فقالوا ما قالوا وقبل منهم مقولا عنهم.

أما سر المحبة في المعنى القرآني الذي لم يخرج إلى عشق أو فناء. فكون هذا اللفظ قبل من المعاني ما لا يطاق من الفنون.

فقامت المعاني فيه في بحر لجي. لا ساحل له. فتاه أهل المحبة في هذا البحر فعبروا بأوصافهم كيف شاءوا حتى يتميزوا.

أما الكامل فلا يدعي إلا الحب لا غير. تشبهًا بالسنن والقرآن.

والفناء في طبعه كالعشق لا يجوز وقوعه في جناب الرب تعالى. لكونه نقصًا.

أما ادعاؤه من قبل المخلوق فمقبول مصرح به في كتب القوم. كرسالة القشيري.

أما صفة العشق في كونه مرضًا إنما قلنا بهذا لاستيلاء المحدث على المحدث جملة وكلية. فلا يبقى فيه شيء قط.

وكان من أسرار التعشق المحدث الفناء في كلا المحدثين. ومن ثم الاجتماع في النشأتين. وهذا سره عظيم عندنا.

وإذا عظم العشق فلا شفاء منه إلا باجتماع العاشق والمعشوق. وإلا فالهلاك

محقق لكليهما إذا لم يجتمعا ومن نوادر هذا المقام إذا مات أحد العاشقين لحقه الآخر وربما دفن معه.

وهذا كان يحدث كثيرًا لعشاق العرب في الجاهلية والإسلام. مثل قيس وليلى وجميل وبثينة ومي وذي الرمّة. واجتماع العاشق والمعشوق في النشأتين الدنيوية والأخروية واقع في الجمادات والحيوان كذا.

وقد قيل في عشق الجماد أن نخلتين كانتا متقابلتين. فقطعت إحداهما فماتت الأخرى.

أما المخلوق المدعي عشق الرب فهذا أمر آخر.

إذ الادعاء لما وقع من المخلوق فقط فقد سقطت قاعدة العشق. وإن ادعاه في علوم الأحوال المخلوق. لكون العشق لا يقع بينهما بأي حال من الأحوال.

إذْ تكاليف العشق سرت على المخلوق ولم تسرِ على الخالق. وقد فصلنا هذا الأمر في كتابنا «تكملة الفتوحات المكية» في باب تعلق المحبة بالابتلاء. والقاعدة العلمية في فتحنا اقتضت وقوع العشق بين المجسمات. لهذا فقد انتفت صفة العشق عن الحق تعالى لكونه ليس بجسم حتى يَعْشِق أو يُعْشَق.

لذا كان الفناء أقوى من العشق لكون العاشق تعلق بالأجسام أو أجزاء الأجسام أما الفاني فقد ترك هذا الحدّ وفَنِيَ في المعشوق. وترك الرسوم والحدود وخلعها جملة من الحسبان.

أما المحب فهو أرقى من العاشق والفاني وهو سيدهم وشيخهم.

وأما المخلوق العاشق للقديم وهو الحق تعالى فقد ادعى هذه الدعوى وصحت منه وإن كان أصلها البطلان رجوعًا للقاعدة السابقة لكونه عشق الرب وهو ليس بجسم. وأقل شيء أنه عشق شيئًا لم يطلع عليه. وهذا مقام، عالٍ عندنا لكونه تعلق بما لم يره.

ولكن ساداتنا الكاملين يرون هذا المقام على علوه فيه نقص كبير.

أما حدودُ الحبِ الإلهي فهي لا ساحلَ لها. والمحبُ الفاني للمخلوق تائه فيها متضعضع كالهباء المنثور أو كاللقمة الممضوغة.

أما صفة المحبوب فهو الحق تعالى صاحب الأوصاف في المحبة. وأقل وصف له لو اطلع عليه المحب لهلك ولما عاد له وصف، بعد ذلك. لذا أحبوا ظاهر الوصف دون تطلع على بواطن الأوصاف.

ولما قيل لهم إنَّ الله جميل يحب الجمال.

قالوا: وما جماله؟

قيل: جماله في هذه الدار مظاهر التجليات. أما باطن الجمال فلا يظهر إلا في الآخرة. عندما يتجلى لهم ويكلمهم وينظرون إليه.

فحين ذاك يطلعون على حقيقة وصفه تعالى. أما في هذه الدار فهم غير مطلعين على هذا الوصف إلا ما كان لنبينا ﷺ في ليلة المعراج. فقد اطلع على حقيقة الوصف.

أما الناظرون إلى الأوصاف الإلهية في الآخرة فهم على مقامات على قدر مقاماتهم في هذه الدار في المكاشفة والذوق.

أما دعوى من ادعى أنَّ الحبَ الإلهي قد شغله عن حب المخلوق كحب النبي ﷺ. فهذه دعوى نقص لكون الوصول لا يتم إلا ببركته ﷺ. حتى أن الله تعالى قرن حبه بحب نبيه عليه السلام.

ومن المحبين كأمثال رابعة وابن الفارض شغلهم حب الخالق كلية وذهب بهم مذهبًا عظيمًا في الوصول والجاهل من يظن أنَّ هؤلاء نسوا رسول الله ﷺ في محبتهم. فهؤلاء حالهم في المحبة حب الإله. حتى تكلفوا هذا الحب قهرًا مع نظرهم إلى محبته ﷺ.

أما ادعاء الحب الإلهي الصرف فهذا عظيم لا يقدره قدره إلا الإله نفسه. فما عرفه مثله.

وما قدره حق قدره إلا هو.

والكامل الأول هو الهيكلُ المحمديُّ الذي وزع صنوف المحبة على مقاماتها ورتبها فأحب نفسه وأحب ربه.

فكان يفتخر بنفسه فيقول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

وكان يصلي على نفسه ويبين لنا قدر الصلاة عليه. ويسلم على نفسه ويبين لنا قدر السلام عليه وكان يفضل نفسه على العالمين.

وهذا بحق هو الحب.

فما قدر حب رسول الله مثل رسول الله نفسه ﷺ.

فهذا هو الحب في الكمال. وهذا هو الكمال في الحب.

والحب لأجل الحق تعالى مقامٌ ودرجةٌ عند المحبين الوالهين في ذات الإله.

وذاك ما عبر عنه حالًا لسان أبي القاسم عليه السلام بقوله: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله».

فحب الرسول ﷺ فرع من حب الإله وهو الأصل الموصل.

وحب المؤمنين والأولياء كالصحابة فرع من حب الإله وهو الأصل الموصل.

وحب الوالدين فرع من حب الإله وهو الأصل الموصل.

فهذه صفة الحب لأجل الذات العلية فلا يقدرك الإله إلا إذا أحببت لأجله. وهو مقامٌ سامٍ.

ولو أتينا إلى تفصيل نشأة المحبة بين المخلوق والإله. لرأينا عجبًا. لما يقدرُ الإلهُ العظيمُ ذاكَ المخلوقَ الضعيفَ.

وما قدره الحق تعالى إلا لكونه أحبه وأخلص له في محبته.

فإذا جاء المخلوقُ الضعيفُ الحقَ تعالى بمحبته أدبه الحقُ تعالى كي تصحَ المحبةُ. فإذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب.

فهناك لا تشترط للأدب شروطٌ قط. وإذا أدب الحق تعالى المحب. فليصبر المحب على أدب المحبوب وهو الحق تعالى ولا يؤدب محبوب إلا الحق تعالى في جلة المحبوبين.

وإذا تعامل الربُّ مع المخلوق في المحبة لاقى المخلوق تعبًا عظيمًا وصفهُ في محبته. فكيف تسلم المحبة بدون تجاريب واختبارات. ووجدنا الاختبارَ الإلهيَ مكرًا صرفًا لا مناسبة بينه وبين مكر البشر لقوله تعالى: ﴿والله خير الماكرين﴾.

وهذا المكرُ الإلهيُّ المستخرج من حضرة العماء الإلهية قاتلٌ لهوى النفس عند المريد ودخانها.

فإذا ذهب دخان النفس وسعيرها وصفت النفس فإنها حينذاك تسلم في المحبة وقوانينها.

وهذه صفةُ المريد في الوصول اليأس من الوصول. حتى إذا يأس وصل.

وهكذا هو في التربية قائم حتى يمنَّ الحقُّ تعالى عليه فيصل. بعد أن يقاسي من أهوال التربية شيئًا عظيمًا في المحبة.

أما صفة الشيخ مع المريد في المحبة فنوعان:

شيخ يمكر بمريده ويختبره. وشيخ لا يمكر.

والأول أقوى وأعم وأشمل. ويمكر الشيخ في المحبة بخيطٍ من مكر الإله تعالى. لا يطلع على فنه المريد قط ومكر الشيخ علم يلقيه الحق تعالى على يد الشيخ في أصول التربية. فافهم.

وأعلم أنَّ شرط المحبة تعلق الروح بالمحبوب والقلب والجوارح والمعاني وإلا فلا تصح محبة في جناب الإله. أما حب الإله فأعظم من حب المخلوق ولا

يصح وصفه لكونه خرج عن حد الوصف.

فإنَّ الحقَ تعالى لا وصفَ لحبه مطلقًا في التطاول لعدم التحديد.

أما المخلوق فمحدود الوصف فلا فهم ولا إدراك لمعاني الحب الإلهية.

والمكون أحب وأرحم عن كونه وخلقه حتى هذه الصفة تلبست بالكافر يقينا كالمؤمن.

فإن الكافر كالمؤمن مرحوم. لكنه غير محبوب. لكون لعنة الحق تعالى قد أصابته وقد اقتضت الحكمة العليا أنّ التكوين الكوني في الأعيان كله مرحوم لقوله تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾. ولقوله: «سبقت رحمتي غضبي» وهذا السبق هو الرحمة الكلية والمحبة الجزئية فالعلم مسبق بالمحبة ومعها الرحمة للمؤمن ومسبق بالرحمة فقط للكافر فالرحمة أشمل من المحبة واعلم أنَّ مبادىء الرحمة والحب تتبدى في الموقف يوم القيامة لأهل الموقف.

ومن نوادر المحبة تشكلها وتخيلها في عالم الحس. وقد يرى هذا التشكل الكُمَّل من أهل المحبة. فتتهيأ لهم محبتهم في الصور الحسية فيرونها.

وقد حكى ذلك الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدس الحق تعالى سره عن نفسه في «الفتوحات» وكان من أقطاب هذا المقام.

ومن نوادر المحبة ذوبان المحب من قوة الحب والتجلي بقوانينه على هيكل المحب.

وهذا بعيدٌ عن الكمال.

إذ الكامل لا يذوب في محبته لكون هيكله يتصدى للمحبة. وهذا حال النبي ﷺ.

وكذا حكي عن أحمد الرفاعي قُدّسَ سِرُّهُ أنه كان إذا تواضع وزاد في مقام التواضع ذاب ولم يحتمل قوة المقام.

وقال قوم: ما حكم إفشاء المحبة وكتمانها؟

فأجبنا: كتمان المحبة حالٌ قويٌّ هو أعظم من البوح.

ولا يصبر على كتمان المحبة إلا أقوياء الرجال لعدم استفاضة هذا الحال بهم. لكون حال المحبة إذا فاض لزم البوح والتصريح أو التلويح والكتمان في عرف المحبين حال قوى وهذا أتى من قوة إخلاص المحب. فإذا قوي الإخلاص قوي الكتمان والتصريح في المحبة لا سيما أهل الدلال والجمال.

ولهم في هذا تصريح وتلميح.

واعلم أيها الخل الولي. والصديق الوفي أنَّ الحق تعالى يحب الكتمان والتصريح. فكلٌّ له رجال.

فإذا لم يصرح ويكتم له في آنٍ واحد في مملكته. أي مملكة المحبين فأين حق الربوبية في هذا المعنى؟

وهذه قاعدة: ﴿كُلَّ يوم هو في شأن﴾. فالشأن هو التصريح والكتمان في آنٍ واحد.

فالكتومُ يرى المراقبةَ في حاله وقوةَ اليقين وعِلْمَ الحق تعالى بحبه. فلا ينبغي التصريح بل الكتمان أقوم.

فهذا حال الجبال الرواسي المكتملين. والمصرحُ بحبه يرى أنه إنْ لم يصرحْ بحبه فإنَّ هذا الحبَ سيفسده الكتمان. لعدم صبر المحب عن التصريح فيصرح وإلا هلك إنْ سكَت.

فهو قائم في دلاله يصرح بحبه كيف شاء ومنتصب في جماله يصرح ويدلي بفنون عشقه وتصاريح وصفه وأوصاف وقته. فهذا حال الأرقاء المتدللين أهل الشفوف واللين والتيه والخيلاء ومذهبنا على أنَّ التصريح بالمحبة أعظم من كتمانها.

وقد كان الشيخ عبد المجيد الشريف رضي الله عنه من شيوخنا من أهل الكتم الشديد في محبته. فلا يبدي شيئًا قط كقدر خرم إبرة.

فصل
في اوصاف المحبين

واعلم أنَّ المحبَّ الصادقَ هو الذي يفرق بين وصف المحب الإلهي والمحب المحدث وهذا عندنا له فرقانٌ خاص.

فالخوف والضعف بائن في المحب الإلهي والمحب المحدث ولا عبرة للظواهر. ولكن قوة الروح لا تؤتى للثاني في الهيكل.

فالهيكل النحيل عند المحب الإلهي له من قوة الروح ما لا يوصف بوصف قط. بحيث تراه أقوى في نحوله من سمنته لغلبة الروح على الهيكل فضلًا عن النحول.

والمحب الإلهي يغلب عليه ضياع الإرادة في الإرادة الإلهية. وفناء البعض في الكل فلا اختيار له إلا ما يكون من اختيار الحق تعالى له.

والمحب الإلهي نادرٌ في صفته ووصفه لكونه ينافي المحب المحدث.

وكل محب في ذات الإله فقد حُفِظَ من صفة الحدوث في حبه. وإن كان هو حادثًا وهذا من عجائب النكات في سلطان المحبة الإلهية. فإنَّ المحب الإلهي له من فنون المحبة ما لا يطيقه العالمون في الوصف والتصريح. واعلم أيدني الله وإياك بروح منه أنَّ المحب الإلهي له من طاقة التصريف وقوة الهيكل ما يحرق به الأكوان لو أراد هذا. وهذه صفة العارف الحق في المحبة. وأهل الحب الإلهي لهم نورٌ في الوجه لا يدركه أهل الحب المحدث.

وليس في أهل الحب المحدث شيء من هذا النور. لكون الحب الإلهي مختصًا بسلطان هذا النور دون غيره من ألوان الحب. ووجدنا في ذوقنا

وكشفنا هذا النور سيما أهل الحب الإلهي وهم أعلم بشؤون هذا العلم من غيرهم في هذا الباب. فافهم.

ومن نوادر الحب الإلهي كونه يسمن وهذا من مقاماتهم. وقد وقع للشبلي هذا المقام.

حُكِيَ عن الشبلي أنه لما أحب سمن فقيل له في ذلك؟ فقال: حبه أسمنني.

وهذا من أمور المحبة العكسية التي يلاقي صاحبها معاكسات المقادير. واعلم أيدكَ الحقُ تعالى أنَّ المحبَ الإلهي مستمسكٌ بحبه مهما اختُبِرَ وامتُحِنَ لعلمه بعظمة حبه وما سيلاقيه من المحبوب من تحفٍ هي تنتظره.

قيل لنا: فما جزاء الصدق في حب المحدث وهل هو كجزاء الصدق في حب القديم.

قلنا: إن اتحدت الغايات فقد تجمعت واتحدت التوجهات. وإن تعددت الغايات تعددت التوجهات. فوجهة المحب الإلهي هي الحق تعالى فشرفت الغاية. ووجهة المحب المحدث هي المخلوق فسفلت الغاية. فشتان بين الأمرين وإن كان غاية المقصد هو الصدق في المحبة. فإنَّ نهاية الغايات في المحبة تخضع للتوجهات المنطبقة عليها. فافهم.

قيل لنا: فهل يعرف المحبُّ أنه محبٌّ؟

قلنا: نعم يجب عليه أن يتيقن هذه المعرفة وإلا فقد خلعت عنه صفة المحبة. فأين هو منها إنْ لم يتيقنها.

أما المنكر لحبه فهو مقامٌ في عرفنا عزيز في الوجود قد ضاع أقطابه يا ولي فافهم.

فصل
في دلال المحب والمحبوب

واعلمْ أنَّ المحبَ والمحبوبَ لهما دلالٌ عظيم في باب المحبة. وهذا الدلال لا يطاق وصفه. ولا حدَّ لنعته.

وكلا المحب والمحبوب يحتمل دلال الآخر مهما كلفه ثمن ذلك من متاعب ومهالك. ولا يخرق دلال المحبين قواعدَ الأدب مهما بلغوا من أدبهم في هذا الشأن وإن كان ظاهر الدلال خرقه.

ودلالهم له تكاليف عالية وغالية في الثمن الذي هم يتكلفونه. ومنهم من يقسم بدلاله على الحق تعالى فيستجيب له ما أراده. وكان عبد القادر الجيلاني من أقطاب الدلال في المحبة وهو القائل: قدمي هذه على رقبه كل ولي.

والولي المتحقق في مقام الدلال يقال له من حضرة التقديس: افعل ما شئت فقد رضينا عنك وبك. وقد منحهم الحق تعالى دلاله رحمة بهم من عنده لكونهم قطعًا قد يموتون حسرةً وقهرًا إن لم يكن هذا المقام هو مقامهم الذي ترمي عنده دعائم حبهم.

فصل
في ذنوب المحبين

اعلم ولي الله.

أنَّ المحبَ له ذنوبٌ في أحيان. والمحبوب عارف بهذه الذنوب. ولكنه مسامح قيل قديمًا لأهل بدر: «افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم». والغفران في المحبة عظيم الوصف والرسم لكون المحب صدق في محبته. فلا يهتم المحبوب بذنوبه أو طاعته. رجوعًا لقاعدة أهل بدر. والغاية النبيلة الواقعة بين المحب والمحبوب هي الحب وصدق نوال هذا الشأن. والذنب الذي ارتكبه العبد المحب في ساحة المحبوب الذي هو الحق لا يهم الحق تعالى وإنْ بلغ عنان

السماء. وقد قيل في الذكر الأول: «يا ابن آدم لو جئتني بقراب الأرض ذنوبًا لجئتك بقرابها مغفرة».

وقيل: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفروا فيغفر لهم».

واعلم أنَّ هذه المغفرة لا قيمة لها كمثل الذنوب. لكون الحق تعالى لا تهمه مغفرة أو توبة وكذا لا تهمه معصية أو طاعة. ولكن أسباب الجزاء اقتضت هذه الأمور.

وبلغ علمنا حدًا أنَّ لحم المحب لا تمسه النار مهما ارتكب من الذنوب. وهذا ورد نصه في الحديث الصحيح بقوله ﷺ وسلم: «عينان لا تمسها النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله».

وهذا الاقتضاء الإلهي أُخِذَتْ قاعدته من القسم الإلهي في عالم البدء الأول فلحوم المحبين لا تنجسها ذنوب. والمرتكب منهم لذنب وقف لينفذ حكم الحق تعالى فيه لا غير.

أما سعة الكرم الإلهي التي يكرم بها المحبين فهي في غاية لا يبلغها أحد من أهل الموقف.

فيكرم المحب لأجل حبه كرمًا لا وصف له. ومن يكرم يا ولي إذا لم يكرم المحب مهما أتى المحبوب بأمور؟ وقد قيل: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين﴾.

وقد قيل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾.

فاشترط المحبة عليهم لا التقوى ولا الإخلاص.

لكون المحبة جالبة لكل هذه الدعاوى.

فصل
في صفة المحب المتشرع

وإني قائل لك اعلم أنَّ المحبَّ إذا لم يتشرع في محبته فهو ساقطٌ وخارج عن نظر أهل الله تعالى.

إذْ أساس المحبة عندنا في المحب هي التشرع والتخلق بأوصاف المحبوب وطاعة أوامره واجتناب ما نهى عنه والوقوف عند حدوده. فهذه صفةالمحب المتشرع الذي حدته حدود الشرع. وإلا فهو محب مرقع في محبته. وانظر إلى حال صحابة رسول الله ﷺ كيف كانوا أهل شريعة وسنة. فلا يكاد يبدو الحب منهم ولا فيهم إلا لغلبة أحوال الشريعة عليهم.

ولما كان تعريف المحبة عندنا هي ذوبان أوصاف المحبوب في المحب. حتى يمسي المحبُّ كله محشوًّا بأوصاف المحبوب. وحينذاك يرضى عنه المحبوب. إذا تشرع واستن بما أراده. أما المحب الغير متشرع فليس في عرف القوم بمحب. بل هو مدع.

وإذْ من صفة الادعاء مخالفة القوم في رسوم محبتهم. وخلع التشرع والتسنن بما أراده المحبوب.

فصل
في صفة تعذيب أهل المحبة

وسألتني كيف يعذب المحبوب المحب. وقد يكون حب المحبوب للمحب أعظم من حب المحب للمحبوب؟

فكيف يعذب المحبوب المحب ويرتضي له ذلك؟

سألتني كيف يعذبه؟

وسألتني كيف يهجره؟

وسألتني كيف لا يواصله؟

وسألتني كيف يتهمه بالكذب في حبه برغم علمه أنه صادق؟

وسألتني كيف يجعله يبكي في محبته؟

وسألتني كيف يجعله يموت حسرة في محبته؟

بل هذا يا خليل حق ومن حق صدر وإلى حق يعود.

وهذه علامات المحبين. وإلا فلا يتم وصفها ورسمها وبهذا وردت الآثار. وعلى هذا القانون نشأت قوانين المحبين. فإن لم يرتضوا قوانين المحبة فهم في لهو يعبثون.

فصل
نختم به هذه الرسالة

اعلم أيدني الله وإياك به أنه من كمالات المحبين سريان المحبة ظاهرًا وباطنًا فيهم.

فلا يدعي المحب أكثر مما ينبغي له ظاهرًا فلا يتكلف من فنونها شيء قط أكثر مما هو فيه. حتى لا يقع في باب الرياء الخفي فيعاقب.

وعلى المحب أن يتحلى بالصبر الطويل في حبه. فطريق الحب كله ابتلاءات واختبارات ولن يصل محب إلا بصبره الطويل على الهجران والمشاق.

واعلم أن الصبر ترياق المحبين الصادقين وبه يرثون حال المحبة.

ومعدن الوصول إلى الله تعالى هو عنصر المحبة. وأعظم الواصلين عند الله تعالى أعظمهم محبة له. حتى أنَّ الحق تعالى لا يحاسب المحبين يوم الموقف. وهم على منابر من نور يوم القيامة. والمحبون هم الداخلون بلا حساب إلى دار الخلد لما علمه الحق تعالى من صدقهم.

فلا صحائف للمحبين ولا كتاب ولا يمين ولا شمال في استلام الكتب.

ولا ميزان ولا صراط ولا موقف. فأهل المحبة هم أرقى القوم وصولًا فكيف تلحقهم هذه الأمور وقد تعذبوا في حبه عذابًا كبيرًا.

واعلم أنه لا يلاقي عذابًا مثل المحب في الأعيان لكي يصل إلى حضرة المحبوب.

فالصابرون عيالٌ على المحب. فالمبتلون عيال على محب.

أما صفة الوصال عند المحب فهي غير متحققة له في هذه الدار. إلا في الدار الآخرة.

ووصال المحبين في النظر المتمثل في الزيادة. والنظرُ علمٌ لا ذوقَ له أصلًا فيما بلغنا في هذه الدار ولا يتحقق إلا في الدار الآخرة. لعدم التناسب وعدم وجود التكافؤ الآن. والمحب الفريد هو الذي لم يتحقق بعد من مقاصد المحبوب. فتراه غريرًا لم ينضج بعد فيتيقن أشائره ويتذوق مقاصده. وهذه صفة المعارض من المحبين الذي لم تزل فيه بقية من نقص النفس.

أما المحب الذي تعلَّم وترك الغرور في حبه فهو الذي تقلب على مقالب الجمر حتى تعلَّم وفهم مقاصد المحبوب فرضي المحبوب عنه. وهو قول المحبوب: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾.

فالمحب الحق هو الذي وقف على مقاصد المحبوب. ففهم أشائره وتيقنها.

أما المحبة في كونها مكتسبة أو موهوبة بمحض المنة.

فالقول عندنا على أنها منة بمحض الوهب. لكون هذه المعانى لا تكتسب وإنما هي منة توهب من قبل الإله تعالى. وهذا ثابتٌ عند أهل الحقائق. وشكوى المحب للمحبوب فيها قولان عندنا: «فالقول الأول»: على أنَّ المحبَّ كيف يشكو المحبوبَ الى نفسه وهو أعلم بحاله منه. فالشكوى نقص في عرفهم. والقول الثاني: على أنَّ هذه الشكوى مقبولة لأجل التسلية والتخفيف عن المحب.

وقد صدرت شكوى من أُولي العزم لما ضاقوا ذرعًا من حال أقوامهم. فقبلت شكواهم في ساحة الإله. فإن قيل: إنَّ حال المحب دومًا يغلب عليه القبض. فكيف يكون هذا ؟

والجواب: أنَّ المريد بغير هذا القبض لا يستوي حاله. وقبضه هو عين بسطه في علم التحقيق.

فلولا سلطان القبض لما عرف المحب قدر المحبوب قط ولما عرف منه بسط. وبهذه القبض يتحقق رضاء المحبوب على المحب فلا يرضى إلا إنْ علم تعبه وهذا عين بسطه.

قيل لنا: فما حال التظاهر في المحبة ؟

أجبنا: هذا حال إلى الكمال أقرب ما دام الباطن مجمع على كمال المحبة فلا يضر حينذاك تظاهر في المحبة. وكم كان من شيوخنا عندهم هذا العلم. وهو علم مكر في حقيقة معناه. وهو علمٌ في مبادىء التربية قريبٌ وبه ينفذ أهل التربية مراداتهم من المريدين. ولنا أشعار في المحبة أردت إثباتها في هذه الرسالة. فمنها قصيدتنا:

سُليمى لا تَنسَيْ معالمنا ... وحبًّا دهرُنا صانا
وعهدًا طالما وُثِقَا ... وصبًّا طالما عانى
وذكرى في ربوعهم ... وخلًّا قلما خانا
سُليمى طالما مزحت ... بحب مره زانا
وكأس الوصل إنْ صدقا ... فمر الحب قد هانا
ونجد كل ربعهم ... وكل الرسم وافانا
ووجه الصبح إنْ سفرا ... تباوحنا شكايانا
وذرف الدمع هماع ... وطول الصبر أبلانا
وحين النأي أشجان ... وطير البين فتانا
قصدتك قاضي الحب ... تناصر كل من عانى

أقـــاضٍ إنــــي آتٍ لأشكـــوك رزايـــانـــا
فقـال النـأي مـذهبنـا دواء النـــأي داوانـــا

ولنا قصيدة أخرى أرق وأعظم ظرفًا فيها أقول:

حـكـم الهوى دومًـا على عشـاقـه بتـوارث الأحـزان في أحكـامــه
ورضي لهم كـل المهـالــك جملــة حتى المرارة حلـــوة بنظـــامـــه
وجرى بـذاك الحكـم في ألـواحـه ختم الكتـاب وصين مـــن أقلامــه
ورأى بـذاك العـاشقـون ملاحــة هي سلـوة العشـاق مـن أسقـامـه
وتـــوارث العشـــاق ميراث الهوى من قبض سقم كان مـن أوهـامـه
وتـزاور العشـــاق طـــوافــا بنـــا عَلّـي أُشـــاهـــد حسنـــه بتمامـــه
وحيـاةِ خلي كم أبـــوح فلا أجـــد إلا الصـدود وهـذا مـن إنعـامـه
حكـم الهوى دومًـا على عشـاقـــه لعصير عمـر الوصـل في أعـوامـه
وجنـى علينـــا في هـــواه تعلقًـــا ملـك الفـؤاد بـه ولـــبَّ صمامـــه
فغـدى بـه الجسم النحيـل مـــولهًا ورأى نحول الجسم كـل طعـــامـه
وسلاني محبـــوبي فما أدرى أنــــا ماذا ارتكبت فـزاد مـن إضرامـه
وقضى إلينـا الوصـل أنَّ مـذاقـــه حلـو فهـل نشقـى بمر مـــدامـــه
وتعشـق الروح اللطيـف خيـالـــه وغدا جمال الكـون طـوع زمـامـه
وجفـوت كـل الخلـق حتى مهجتي وهـي التي للجسم كـل قـــوامـه
وغدوت من فرط الصبابـة نـاحلًا حتى العظـام تحدثـــت بغـــرامـــه
ومـــررت في حــــي الهوى متنقلًا فتنكـر الخـل بســـد خيـــامـــه
فبكيت وحدي من صريح صدوده ما ذنـب خـلٍ قـد بُلي بهيـامـه؟
وسلبت لبّـي جُـدْ فـرد عقـولنـا فـالقلـب ضـاعَ ولم يـفِ بغـرامـه
وصبرتُ صبرًا في هــــواه تحملًا لـولاه لم أرضَ بكـــل سقـــامـــه
وملكتني روحًــــا وعقلًا والحشى ورضى سقـامًـا أنشئـت بسهـامـه

ولنا قصيدة فيها أقول وهي رفيعة الذوق:

ومـــا الحـب إلا أن تمـوت متـيماً … بحب الذي تهوى وإنْ كان جانيـا
فكـل محب فـالفنـاء حيـاتـه … وبالموت قد يرضي وإنْ ظل صاحيا
وما مـات عشـاق بطـول فنـائهـم … ولو بقيـت روحـي لكنـت مماريـا
فقــومـــا خليـلي لكـيما نميتــه … بكـأس فنـاء لسـت فيـه مغـاليـا
أماري هـواهـا عنـد أهلي وجيرتي … وأطلـق آهـاتي إذا صرت خـاليـا
وكلي نيران لها الصدر قـد حـوى … وقلبي مـدفـون بنـار غــراميـا
ومـا أنـا إلا مـن يلـذ لـه الفنـا … ففيـه لجسمـي نغمـة ستـداويـا
وتلك ديار قـد تـركـت حسانها … ولذت بسلمى وهي كـل مـراديـا
قُتِلْـتُ بسهـم مـن سهـام لحاظهـا … فغبت صريعًا لا أجد من يـداويـا
سُليمَى تداوي كل سقـم بطـرفهـا … ولو حركت لحظًا لأفنت حيـاتيـا
وفيها لأرباب الهوى كل مـذهـب … ومـذهبي فيهـا خفـى منـافيـا
فبح بالحب خلي والغرام ومـت بـه … فكتمانـــه ذنـــب أراه تجافيـــا
ولو أبدت الألحاظ سلمى لنـاظـر … لكـان لـزامًـا أن يموت مقـاسيـا
ولو قيل لي وصل لسلمـى سـاعـة … أحب أم الدنيا ووصل الـغـوانيـا
لقلت وصال مـن سليمـى سـاعـة … أحب إلى روحـي ليطفـىء نـاريـا
وكـل مـرادي أن أمـوت بقـربها … لنحيـا حيـاة في جنـان عـواليـا
وحبي لسلمى ليس حبًـا لـوصلهـا … ففيهـا جمال الروح أغلى الأمـانيـا
ففيهـــا جمال لا أطيـــق دلالـــه … وإنْ رفـض الصبر الدلال تجافيـا
ومـا أنـا إلا ميـت طـوع حسنهـا … تخاطبني دومًـا بطـرف ينـاجيـا
وكلي مملـوك كـأني نسمـة تـروح … وتغــدو أن تطيــل نــدائيـــا
ومـا هـزني إلا فـراق أحبــتـي … وتلك دموعي كـالـدمـاء مـرائيـا
ومـا الحب إلا أن تـذل لـوصلهـا … فــذل الفتى عــزّ أراه تعــاليـا
وكـل الذي تهوى فسلمـى بعينـه … وكـــل جمال أصلــه متنـاهيـــا
ولكـن جمالًا قـد حـواه أحـارني … فما هـــو متنـاهٍ ولسـت مماريـا
فيا ربـة الحسـن البـديع تـرفقـي … بكـل سقيم لا يجد مـن يـداويـا
فلا تلم العشـاق واغفــر ذنــوبهم … فـذلهم ذل عـلى الـرأس جـاثيـا

كتاب
فناء العاشق في المعشوق

اعلم أيدني الله واياك بروح الروح التي هي روح القدس أن العاشق والمعشوق أصلان هما أصل واحد لا غير. وهما شخصان إنما هما شخص واحد كذا لا غير. ومن هنا فني العاشق في المعشوق واتحد المعنيان في معنى واحد.

وهذا آيته من الشريعة قوله تعالى في حديثٍ قدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ» الحديث ومن لم يتحقق له هذا الذوق فقد دخل باب دعاوى الحب لا غير.

يا ولي أنت هو وهو انت لا يكمل العارف عندنا حتى يقول لمن يحبه:

يا أنا. وحتى يتحدا في معنى واحد.

وكيف فني المحب المسكين في المحبوب، إلا لعشقه لأوصافه. وذوبانه في حركاته وسكناته؟

وما هذا لعمري غريب. إذْ نهايتهم التحقق في شرف أعمالهم وإشراقات مذاقاتهم. وقد نالني بحمد الله هذا الذوق تحققًا في محبتي لشيخنا عبد المجيد الشريف قُدِسَ سِرُه. فكنت أفعل ما يفعل من سكنات وحركات ومقالات. فأهوى ما يهوى وكان هو كذلك. فمن ذلك أنَّ بطنه وجعته في ذات مرة فذهبت إلى الزاوية ولا علم لي وكنت أنا أيضًا قد انتابني من فترة ألم ببطني

فقال لي أحد المريدين إن بطن الشيخ بها وجع فعلمت سريان حاله إليَّ وتأتي روحي به.

وكنت إذا مرضت وشفيت وذهبت لزيارته قال لي: لقد كنت مريضاً منذ أيام. فأعلم اجتماع روحينا على حال واحد.

وكنت إذا فكرت في أمر كاشفني به فوراً كما يخطر لي.

ومن أعجب ما وقع لي معه أنني لما كان يملكني حال محبته ويفيض مني هذا الحال فلا أطيقه ويشغفني الشوق حتى أكاد أحترق وأفنى كنت أراه يفعل كل ما أفعله. فإذا ضحكت ضحك، وإذا صليت صلى، وإذا مشيت مشى، وإذا قرأت قرأ، وإذا نمت نام.

وهذا لعمري لم أرَ من تحقق به ذوقًا من أهل المحبة سوانا وما علمناه وقع لأحد فيما بلغنا.

وكنت أرى شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله تعالى عنه في صور أشخاص أعرفهم. يبدو في صورهم منامًا. وكنت أراه في صورتي وأرى نفسي في صورته.

كل هذا فيما علمناه ما وقع لأحد ذوقًا إلا من عظم قدمه ورسخ في هذا الفن.

وصل عشقي ـ أما الرموز التي تقع بين العاشق والمعشوق يقظةً ومنامًا فعلم جليل يرتقي فيه كل من علا ذوقه في هذا المقام.

إذْ لا يعلو الرمز إشارة أو عبادة ونهاية المحبة مقام الرمز. الذي قال فيه القوم: (الحر تكفيه الإشارة). ورمز المحب للمحبوب يغني عن ألف كلمة وإشارة. ولما كان القوم هم ملوك هذا الفن وسلاطين هذا الذوق فقد استنبطوا هذا الباب في فن المحبة الراقي. الذي قل من يتحقق به وكثر من يجعله. وغيرهم أفنى حياته في العبادة والإشارة. وكان من أقطاب هذا المقام

يحيي بن زكريا والصديقة مريم عليهما السلام.

فأما يحيى فقد قال: ﴿رب اجعل لي آية﴾. أي عَيِّنّي في هذا المقام. فقيل له من حضرة الكلام القدسي: ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾.

وأما الصديقة فقيل لها: ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا﴾.

أما الفاني والمُفْنَى فيه فقد رفعت من بينهما شروط الأدب. وانعدم التكلف من بينهما فهما في عالم عجيب انمحقت فيه الماديات. ولا رؤية إلا للعوالم الرقيقة الشفافة. فقد أزيلت ستائر الحس ولزما عوالم الشفوف. وإلا فسدت معنويات العشق والجذب القوي.

ومن أسرار هذا العالم. قيام الجذب الجامع لكلا العاشق والمعشوق قهرًا صرفًا.

وصل حب عذري ـ فقد صحت المحبة وفني الروح في الروح فكل الوجود هو المحبوب في رؤية المحب.

ومن هنا عظم الجذب بين أرواح أهل العشق.

مساكين أهل العشق حتى قبـورهـم عليهـا تـسـراب الذل بين الخلائـــق

هناك تفنى الأرواح وعوالم الحس والمعنى ولا يبقى سوى نقطة العشق القديمة الأزلية التي عينها الحق تعالى ووجهتها سدرة المنتهى ولا منتهى لعاشق بل هو قائم في عشق سرمدي.

ألا تراهم في الجنة أحياء برؤية الحق تعالى فلو حجبوا عنه لحظة لدك كيانهم وصعق وجدانهم.

فلا جنة هناك ولا نار. بل هم ملوك نصبت لهم كراسي المناجاة على عالم الكثيب الرملي خارج الجنة. في مناجاة سرمدية وانفراد بالمحبوب أبد الآبدين.

فما مناهم سوى هذا الوصف ولعمري تعس من طلب غير هذا الوصف. وسرى هذا السريان فيهم أزلًا وأبدًا.

وما هذه الأسرار إلا سريان هذا الحال في أهل الحب المحدث. كقيس وليلى. ومي وذي الرمة. فترى الجذب الجامع يقوم في جمع الاثنين في قبر واحد. ويبعثان سواء بسواء في المحشر. لشدة الجذب المتعلق بالأرواح دنيا وآخرة.

ومن هذا المعنى انجماع أهل الخلة في قبر واحد واتحادهما دنيا وآخرة وهو مقام «رجلان تحابا في الله». وهذا مثاله كمثال دفن الصديق أبي بكر قُدِسَ سره مع النبي ﷺ. في قبر واحد. وهذا لمقام الخلة المنجمع بينهما. والذي جمعهما حياة وأخرى.

وما علمنا لأهل الخلة سوى الجنة سواء أهل الحب المحدث أم القديم بشرط الإسلام ولا يقع هذا لكافر.

أما عالم الفناء العشقي فهو عالم السعادة السرمدية هنيئًا لمن تذوقه واندرج فيه وتعسًا لمن جهله. أما الصفاء المنبعث من هذا العالم فلا يقدره قدر إلا الحق جل شأنه.

ولولا نسيم هذا الصفاء الترويحي المروّح عن الأرواح لهلكت الأرواح من قوة الجذب المنبعثة عن هذا العالم القهري.

وذلك لكون الأرواح انجذبت بغير قصد سبق ومن ثم تحققت بحقيقة الجذب الذي وفقها في هذا الباب البديع.

وذلك لكون هذا العالم لا وقت له في الموافقات التي إذا جاءت قهرت العاشق والمعشوق فجمعتها قهرًا ووحدت الأرواح رغمًا.

وهذا مقام آيته قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قهرًا وفي أي وقت شاء. ألا تراه عليه السلام قال: «لا تزال طائفة من أمتي

ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة».

فجمعهم الحق تعالى رغمًا وفي أي وقت شاء لكونهم جنوده في المحبة ورسله في جذب الأعيان إليه فهم لا يضرهم من خالفهم.

ومن عجائب مقام الجذب الفاني فيه العاشق والمعشوق. اجتماعهما في صورة عين واحدة أمام مرآة الوجود فلا يفكر العاشق في نفسه بقدر ما يفكر في العشوق طوال عمره.

وكذا المعشوق يفنى العمر وهو يلاحظ العاشق بعينه. فيفنى كلاهما العمر في غير أنفسهما وهذا استهلاك النفس لأجل غيرها. وفرارًا من ذاتها للذات المعشوقة. وهو لعمري عجيب قل من يتذوق طعمه إلا أمراء الجمال والمحبة والدلال. وبعد عن أهل الجلال والقهر. فيمن ظهر بهذا المظهر.

كتاب
قانون اللذة
المسمى
انغماس الأَحبة في بحار اللذة

الحمد لله الذي أنشأ الألم واللذة. وأبدع علم الذوق والرقة. فهو في مجده قائم على عرش الاقتدار. صاحب المكانة الكلية والابتكار.

وصلى الله على محمد ختم الوجود وشيخه. وإمامه وقدسه. وهيكله وروحه وعروسه.

وعلى آله وصحبه أئمة الوجود. وأشياخ الهدى والرشاد.

وبعد

فهذه تحفةٌ لطيفةٌ. ونبذة بديعةٌ ظريفةٌ. في فن اللذة. وهو علم قد ذهب بمعرفته أشياخ أهل الذوق والرقة. من أهل المعرفة والعفة.

ولا ينال هذا العلم إلا أهل الذوق الصافي من شوائب شرك النفوس. ولا نعلم أحداً سبقنا الى نسج فكرة كهيئتها في وضع معانيها. وإقامة مبانيها. وتشييد مراسيها. لكونها من العلم البكر. الذي ختامه مسك. من عين تسنيم. التي يشرب بها المقربون وتمزج للأبرار.

وكان مقامنا على مقام الشيخ الأكبر ابن عربي الطائي الحاتمي قدس الحق تعالى سره.

وقدمنا هي قدمه. وعيننا هي عينه. واسمنا على اسمه. ولقبنا فيه أول

حرف من لقبه. وهذا مقام متحقق لنا أزلاً وأبداً.

وسنبدي فنوناً في علم اللذة لم تُبْدَ من قبل. هي فريدة من نوعها.

وقد أسمينا هذا الكتاب

قانون اللذة

المسمى

انغماس الأحبة في بحار اللذة

والله الموفق

«بدء القانون»

اعلم أيها الفتى المتفنن. والذائق المتقنن. أنَّ أصلَ العوالم سريان اللذة فيها مخالفةً للألم. وقد أظهر الحق تعالى هذه الأضداد للإثبات الخلقي. فاقتدر الألم واللذة في علمه كمثل البسط والقبض في مقامات العارفين.

ففنون الاقتدار اقتضت اللذة في النعيم والألم وهو قانون عجيب. وهذا أصلٌ يا ولي الحق من أصول الجزاء. وهو أصل الجنة والنار.

ولولا اللذة لفسدت صفة الجنة ولولا الألم لفسدت صفة النار الكبرى جهنم.

فاقتضت القاعدة العلمية عندنا أصول اللذة والألم. وهي أم القواعد الجزائية. وهذا سره معلوم عند أهل الذوق. واقتضت المكانة الإثباتية حتى تثبت مكانة الإله إقامة العدل في الأكوان. وبدون هذا العدل تضيع حقوقها.

فَأُقيمتْ قاعدةُ العدل بقانون الألم واللذة في الأكوان.

وهذا مذهب الوجود في الأعيان الكونية.

قيل: وكيف يكون هذا هو مذهب الوجود؟

قلنا: لكون معاني العدل ساقطةً بلا قاعدة الألم واللذة. ولا تناسب بين العدل إلا بها.

إذْ أنَّ الوجود المحض أنْ كان الإله ولا شيءَ معه. فاقتضى الوجودُ التوازنَ وعدمَ إيضاح المعاني لعدمِ صدورِها. إلا في الأعيان. لكون الحق تعالى لا يتألم ولا يتلذذ. لكون هذه المعاني لا تناسب الحق تعالى في المكانة الحقية المستحقة له. فأثبتها الحق تعالى في الأعيان ليبدو بها وليس هو فيها أو منها في شيء.

فاقْتُضِيَ جزاءُ الجنةِ للطائعِ أنْ يتلذذَ واقْتُضِيَ جزاءُ النارِ للعاصي أنْ يتألم.

فتيقنت الأعيانُ هذه المعاني وتلبستْ بها.

وكان الحسُّ هو أصل هذه المعاني كلها. إذْ لولا الحِسُّ لجَهِلَ الآدميُّ اللذةَ والألم. فإن قيل: فما حقيقة الحس وكنهه الذي هو به قائم؟

أجبنا: هو استجابةُ الأعيانِ لفطرتها وتفاعلها مع ميولِ الفطرةِ فالعاصي بفطرته العاصية يتحسّس مبادىءَ المعصية ومعانيها فيشرب في قلبه هذه المعاني. كما أشربت بنو إسرائيل حبَّ العجل.

وكذا الطائعُ نجده في علمنا وكشفنا متفاعلاً مع فطرته الطائعة فيتحسس معاني الطاعة فيخرج بمعانيها ويتذوقها. وينقسم الحسُّ عندنا إلى ثلاثة أنواع: النوعُ الأول حس معنوي والنوعُ الثاني حس مادي والنوعُ الثالث حس مزيف. فإذا استجابت الأعيان وتصدرت في الحس قلنا لكلٍ وجهةٌ هو موليها. ولسان الأكوان ناطق يقول: ﴿فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير﴾.

وهذا أحدية الحِس جلبَ الألمَ واللذةَ وحدث عين التعدد من الوحدة فيتحسس الطائعُ في الدنيا المجاهدةَ والألمَ والصبرَ حتى يصلَ إلى الله. أما العاصي فهو متنعمٌ في هذه الدار ومتحسسٌ لذلك. فإذا ورد العاصي والطائع

الآخرة انقلب الحس المزيف فتنعمَ من كان متألماً وهو الطائعُ. وتعذبَ من كانَ متنعماً وهو العاصي. فهذه صفةُ الحِسِ المزيفِ يا ولي الله وهذا قانون انقلابه العجيب.

وهذا يعلمه أَهلُ المجاهدةِ من العارفين والمحاسبة والخوف كالحارث ومن هم على قدمه. فإذا تيقنَ الوليُ العارفُ صفةَ الحسِ المزيف في هذه الدار قبل أن يرحل عَلِمَ أَنَّ أصلَ اللذةِ الآخرةُ فعذبَ نفسه وأرهقها من الآلام حتى يكملَ له قانونُ اللذة في الدار الآخرة. أما المحجوبُ فقد أضاعَ عمره هباءً منثوراً لكونه ظنَّ أَنَّ أصلَ النعيمِ هو هذه الدارُ لا غير. فأخذ حقه كاملاً ووفاه الحق حسابه. لقوله تعالى: ﴿قل كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء وما كان عطاء ربك محظوراً﴾.

فعلمنا أَنَّ قاعدةَ اللذةِ شتتتْ وفرقتْ وأوردتِ القومَ المواردَ لكونهم اختلفوا في تذوقِ حسهمْ. أما المشايخُ فاختلفوا في شأنِ حسِ الكافر:

« فمنهم » فريقٌ قال: إنه يحسُ الحسَ الكاملَ وجحودُه حجبه. « ومنهم » فريقٌ قال: إنه يحسُ الحسَّ المزيفَ والحسَّ الماديَّ ولا يحسُّ الحسَّ المعنوي.

والمذهبُ الثاني هو حكمنا ومذهبنا في حسه.

إذْ أَنَّ أهلَ الذوقِ رضي الله عنهم قائلون بسقوط الحس المعنوي كليةً عن الكافر الجحود جملة لكونه لو كان له حسٌّ معنويٌّ لما وردَ جهنم النار الكبرى نار الأنيار.

إذْ مادةُ الحس المعنوي لها تعلقٌ بالجنة وقانونها. وهو الحس القدسي المطلق المتعلق بأهل الايمان دون غيرهم. وهم في هذا الحس على مقامات آيتها: ﴿قل لو كان البحر﴾.

قيل: فكيف خلعت الحس المعنوي عن الكافر جملةً؟

قلنا: لتعلق أهل الإيمان بالحس القدسي الكلي فلا ينال الكافر قدر جناح

بعوضة من كلية هذا الحس.

فالحس المعنوي عالمٌ شريفٌ وهميٌّ له تعلقٌ بعوالم النعيم. فلا تناسب بينه وبين الكافر. أو مادة الكفر جملةً.

قيل: كيف تثبتون هذه القاعدة في علمكم؟

قلنا: بقوله تعالى: ﴿إنْ هم إلا كالأَنعام بل هم أَضل﴾. وهذا دليل في برهان المبادىء قوي. إذ لو كان لهؤلاء قدر جناح بعوضة من الحس المعنوي لما هبطوا لدرجة أدنى من درجة الأنعام.

قيل: فهلْ للأنعامِ حسٌّ؟ قلنا: نعم ودليلُ ذلك قوله (ﷺ): «إنَّ لكم في كل ذات كبد رطبة صدقة». وكقوله عليه السلام: «دخلت امرأة النار في هرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». فاقتضى الحديث كون البهائم لها حس مادي.

أما مذاقاتنا الخاصة فترى الحسَّ الماديَّ للبهيم بلا رجم يهبط عن الحس المعنوي للآدمي الذي هو على أقل قدرًا من الحس المعنوي ولو كمثقال ذرة منه. إذ أن الذرة من الحس المعنوي تعدل أطنانًا من الحس المادي والحس المزيف. ويعلو على الحس المزيف للكافر. فانحط الكافر بزيفه عن الكل. قيل: فما حقيقة كنه حس البهيم؟. قلنا: هو حِسٌّ ماديٌّ بحت غير معنوي وغير مزيف طابعه لا يركب إلا في البهيم دون الآدمي. قيل: فما حقيقة الحس المعنوي؟

قلنا: وجدنا في ذوقنا الحسَّ المعنوي في كيفيته قائماً في كونه منعدماً من أنعام البهائم وأنعام الإنس. ولا يتذوق كقدر مثقال ذرة من هذا الحس المعنوي إلا أهل الذوق. ويتنوع ويزداد هذا الذوق عند أهل الكمال على حسب درجات الحس الغيبي عندهم ودرجاتهم في الشفوف. وصفة الحس المعنوي في كونه تبرأ من ذرائع المادة وتعلق بالوهم الذي تحسه البصيرة.

وهذا كنداء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسارية وهو على المنبر.

فسمعه. فهذا مثل الحس المعنوي عندنا. وهو إحساس عمر بما يجري لسارية وجيشه من أمور.

ولا صفة للمادة في الحس المعنوي لكون الحس المعنوي مختصاً بالبصائر اللطيفة الشفافة.

واعلم أيدك الحق أنَّ كل معصية وإنْ نتج عنها لذة فهي ليست بلذة في عرف أهل الصفاء.

لكون اللذة غير مشوبة بمعصية. ولا تتفق مع مادة المعصية في شيء.

إذ اللذة ما نتجت عن طاعة خالصة. كالعسل المصفى في أنهار الجنة.

ولما كانت صفة هذا العسل الصفاء دل على خلوص اللذة. فدل على نقاء الطاعات من شوائب المخالفات.

وتحققنا على كون المحقق لذته بعمله بصفاء الضمائر ونقائها من دسائس النقص قطب تحقق في لذته.

والقطب المتحقق بلذته علم فنون التحقق من هذه اللذة وأدركها مقاماً مقاماً ودرجة درجة. حتى بلغ الذروة في هذا العلم. ففاق الأقران. وهذا كتحقق نبينا عليه السلام في فن النكاح. فحبب إليه النكاح لما تحقق فيه فتربع على رتبة هذا المقام في التحقق بل هو قطبه المطلق. والتحقق في درجات الحلال من أعظم القربات عند الحق تعالى. فالمجامع لزوجته يأخذ أجراً على هذا الفعل. وهو أجر قيامه في الحلال وتجنبه للحرام. ولا يقتضي بلوغ المجامع للذوق في الجماع وإن قام في الحلال إلى ما شاء الله. لكون مقامات اللذة مراتب هي فوق طور العقل فافهم. ولا ذوق للعقل في هذا الميدان فافهم. بل السلطان الأعظم للروح. فالروح أبو المذاقات طبعاً وتطبعاً لقوة شفافيته وأنواره.

قيل: فهل يتلذذ الروح عند المؤمن؟. قلنا: ليس في كل أحواله متلذذاً.

لكونه لا يلتذ إلا في مقامات الحلال ومقامات التحريم ينفي عنه فيها التلذذ جملة فإن التلذذ يكون فيها للنفس الأمارة. فإن المؤمن عنده بلا رجم الروح إذ صفت ورقت صارت هي والنفس كشيء واحد. وإذا انحطت النفس خالفتها الروح وقاطعتها لكون الروح عند المؤمن له سلطان باق في التحقق وإن جمد فباطنه سيال شفاف.

أما حدود الروح في اللذة فله السلطان الأكبر في هذا الشأن. لكون الملكوت كله عالم التلذذ الروحي. فالروح اللطيف جوال في الأكوان لكونه غير مقيد بمادة الأعيان التي قيدته في الأشباح.

وقيل في التوراة: ما وسعتني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن. فهذا الوسع هو الوسع الروحي في عالم التجول الكوني وكونه غير مقيد بالأعيان منطلقاً في عالم المعاني. لذا قيل: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

فكان انطلاق الروح هو رجوعه إلى الرب ودخوله في أرواح المتيقن. لكونه تحرر من جمود الطينة. التي هي جالسة لتجوله في المملكة الإلهية.

واللذة عند أهل الحق تعالى على مراتب بعدد درجات أهل الجنة. وتتباين هذه الرتب على أذواقها على حسب أذواقهم هم.

وإذا دخل العارف المحقق إلى عالم اللذة تاه في صفة هذا العالم لكونه لا دراية بما ينتهي إليه هذا العالم.

والمتحقق في هذا العالم يأخذ قدره فقط إنه لا اطلاع له على كلية هذا العالم كما يظن بعض الواصلين أنه اطلع على مجاميع هذا العالم.

فإن قيل: فما غاية اللذة هل هي رؤية المحبوب؟

قلنا: نعم فرؤية المحبوب هي الغاية السامية في اللذة التي ليست بعدها لذة.

إذْ أنَّ غاية اللذة معناها غاية الوصول. وغاية الوصول رؤية الحق تعالى.

وبدون هذه اللذة فالمتلذذ ضائع سادر في بحار الحقائق المضلة.

لذا فانَّ رؤية الحق تعالى هي أم الحقائق في علوم اللذة.

فإن قيل: فما هي أعظم الأعضاء المتحققة في علوم اللذة؟.

قلنا: هي العين. فإن تطورت صارت بصيرة. وفي نهاية المقام لا تطور فالعين واحد. فإن قيل: كيف ذاك؟

قلنا: لكون البصيرة هي محل رؤية الحق في الآخرة. والإدراك إنما يكون بالبصيرة. وما البصيرة إلا البصر المجرد لا غير فخسأ بصر مجرد يرى الحق تعالى بدون بصيرة. وقد تحققنا في علمنا أن من أهل الآخرة من يرى الحق تعالى بكل ذرة في جسمه.

فتنكشف لذرات الهيكل هيئة تجلي الحق تعالى.

وكلٌّ على قدره في هذا التجلي. فمنهم من يرى الحق تعالى ببصيرته وهي محل العين.

ومنهم من يراه بوجهه وعينه.

ومنهم من يراه بوجهه ويده وعينه.

ومنهم من يراه بوجهه ويده وبطنه وعينه.

ومنهم من يراه بمجموعه بكل ذرة من جسده.

وكل على قدر بصيرته في هذه الدار ومقامه.

وهذا كمن يسمع بعينه ويرى بأذنه. أو يرى ويسمع بكله.

والمقام التلذذي اقتضى أن القطب المتحقق بلذته يسمع ويرى ويتكلم بكل جوارحه وذرات جسده.

وهذه قاعدة من علوم الفرد الجامع. ودليل هذا العلم قوله عليه السلام:

«اعتدلوا فإني أراكم من خلفي». إذْ أنَّ مقامه تحقق الرؤية بغير العين فعرَّفهم أنه مراقب من دخل في الصلاة بغير جارحة الإبصار. فكان هذا مقام الغوث.

وأعضاء اللذة في هذه الدار قاصرة على الحدود لكن في الآخرة تتساوى الأعضاء وتتكافأ في التلذذ فلا تطغى جارحة على أخرى في مقدار التلذذ. بل الأعضاء سواسية في تلذذها. وهذا مقامٌ عجيب لا يتكلم فيه إلا كبار أهل الذوق الرفيع.

واللذة العالية تقتضي الصفاء الرفيع في الأعضاء حتى تتحقق بهذا الأعضاء. إذ الجمود قاتل لعنصر اللذة. والتحقق في مقامات الوصول هو التحقق بمقامات النعيم التي نفوذها سارٍ إلى اللذة.

والتلذذ الانقلابي هو امتزاج الألم باللذة. أو كون اللذة هي الألم الصافي.

فهذه رؤية العارف للتلذذ الانقلابي. وليس هذا مذهب الكل. فمذهبنا رؤية اللذة على أنها لذة صافية محضة. لا يشوبها ألم.

ولما تفاعلت عناصر الوجود خُلِقت اللذة وتحققت للأعيان.

إذْ بدون هذا التفاعل لا تتخلق اللذة. وهذا كمثل اللذة الناتجة عن لذة الفرج لا تنتج إلا عن احتكاك الفرجين ببعضها فتتولد لذة الجماع. فتفاعل عناصر الأعيان وَلّدَ اللذة. وهذا مذهب الحق تعالى في الأعيان لا تبدو اللذة فيها إلا عن احتكاكها وتفاعلها معاً.

والتفاعل والسعي هو عين اللذة لكون اللذة قُرِنتْ بالكبد وهو المشقة أي العنت.

فلولا التعب لما تولدت إلى الوجود لذة قط.

وقد قيل في هذا على لسان الحق تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾. أي في تعب أي في لذة.

فكان حصوله على لذته يقتضي تعبه ومشقته. وإلا لن يذوق طعم لذة قط.

فقاعدة التفاعل تقتضي المشقة حتى تتولد اللذة.

فكان التعب هو عين اللذة. فافهم. أما اللذة الأخروية فهي ليست دار مشقة. فنزعت من لذتها التعب. فهي لذة خالصة مستخلصة فافهم. لا تستخلص بتعب.

والعارف المتلذذ يرى التعب في هذه الدار على أنه عين الصفاء ويتلذذ بهذا المقام.

وهذا التعب تراه النفس العارفة الراضية على أنه صفاء محض خالص.

وكلما صفت النفس اشتاقت لهذا التعب وحنت له وتمنت العودة إليه حتى تكمل. فتنسى التعب. هناك مقام اللاتعب. مقام اللذة المحض الذي لا وصف له. ولا ذوق إلا لأرباب هذا المقام. والله يتولى هداك.

كتاب
شطحات أبي يزيد البسطامي
المسمى
جواهر التوحيد
في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد

المقدمة

دع أبا يزيد يا فتى ها هنا يتكلم عن نفسه. ويترجم عن حاله وقدسه. ويعرج في سماء التجليات. ويطير بصفائه إلى عوالم المسامرات. فيصبح نجمًا لامعًا. وكوكبًا بارعًا. قد رفع تكليف الشرع عنه. ومحيت رسوم الشريعة والحقيقة وذابت فيه. أين أبو يزيد لقد فني وما بقي. نفسه يطلبها مع الطالبين ولا يجدها. صار ينعي أطلال ذاته. عندما وقف غوثًا يستغاث به وقطبًا يشطح ولا يحاسب. فكل ما يقوله مقبول. قد أفناه التوحيد. وأذابه الشهود. وغربه عن أوطانه التفريد. قد شرب البحار المحيطات وما روى. ودك الجبال الشامخات وما هوى.

هو عربيد الحضرة دعه يشطح. بل يفلح. ويفرح ويملح. ويصدح والصدور يشرح.

وقد رأيت شيخنا ابن عربي الطائي الحاتمي به معجبًا وبأحواله مغرمًا. وبشطحاته ملمًّا. طالما يتحدث عنه ويصبو إليه.

أبو يزيد. من هو أبو يزيد. ينكر نفسه وصدقه. ويدعي خلاف هذا. فكل صادق فهو أبو يزيد أي على قدمه. وعهده. أبو يزيد يقول الكلمة

فترفعه عند العرش. فلا يرى معه أحدًا في ذاك المقام. قد دخل على مولانا بالذل والافتقار. والتشريد والاحتقار. فهنيئًا لك أبا يزيد على هذه الخصال. هذه حقيقة أبي يزيد الشيخ الكامل. والإمام البرزخ الشامل.

كم أنا أحبك وأحب كل من يحبك. لأنك فتى ملامتي. وفرد صمداني. وهيكل ناسوتي. وعرش لاهوتي. قد ضاع مسكين أنت يا أبا يزيد تشطح لتخفي حقيقة رِوعتك. وذخائر كنوز مقاماتك. تدّعي الخرس والجنون حينًا والشطح حينًا. فأنت غوث الأحوال. وقطب مقامات الرجال. فتعال معي لتشطح لهم وأنا أشرح لهم فأقول: الحمدلله رب العالمين المنعم على قلوب العارفين بإشراقات التوحيد. المتحنن عليهم بمحبته الدائمة فهم في شوق إليه مزيد.

وصلى الله على محمد. فتى الوجود وغوثه. وهيكله وقدسه وطلسمه الأعظم. وعلى آله وصحبه الغر المحجلين من آثار الوضوء. وبعد.

فقد صرح لنا الحق تعالى بجمع شطحات إمام الموحدين وسلطان العاشقين. أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه وشرحها.

وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان.

قال السلمي في «الطبقات»: وكان سروشان مجوسيًا فأسلم ولطيفور أخوان هما آدم وعلي والثلاثة كانوا زهادًا وعبادًا وأصحاب أحوال وهو من أهل بسطام بلد على الطريق إلى نيسابور ومات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل سنة أربع وثلاثين ومائتين.

قال الذهبي في «دول الإسلام»: وفي سنة إحدى وستين ومائتين مات العارف الكبير أبو يزيد البسطامي اهـ.

وكان أبو يزيد من أئمة القوم وسلاطين المحبين. ومن كبار الوارثين علمًا وحالًا. حتى قال الجنيد: أبو يزيد منا بمنزلة جبريل من الملائكة.

لذا فإنني صنفت كتابي هذا في شرح شطحاته وسميته :
(جواهر التوحيد في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد)
والله الموفق

الشطحة الأولى

قول أبي يزيد رضي الله عنه: قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب. أوردها السلمي في «الطبقات». قدس الله روحه العزيز

قلت: وهذا مقام القطب المتأدب الذي ترى قدمه على رقبة كل ولي في وقته. فكان من أدب الحضرة أنَّ هذه القدم لا مكان لها في المد في مقام الذات الإلهية. لكون الأقدام ضائعة في جناب الذات الإلهية وذاك قوله في مقام البقاء: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾. وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾. فلا قدم بجوار قدم الحق تعالى. فهنالك الأقدام ضائعة. فإشارته إلى المحراب أراد بها الحضرة الإلهية. التي يستقبلها الفرد الجامع بصدر أسراره.

وإشارته إلى أنه مد رجله أراد بها مقامه في الديوان. والهاتف أشار به إلى المقولة الإلهية التي سمعها من الحضرة.

والملوك إشارته إلى مقام الفردانية الإلهية وهو مقام الحق تعالى. فهذا مقصود أبي يزيد. يا ولي الله فهل من مزيد؟.

الشطحة الثانية

قول أبي يزيد رضي الله عنه: إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار. روى هذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» بسنده عنه في ترجمته.

قلت: وهذا المقام مقام تجريد المحبة عن العوائق والعوالق. فلا غرض هناك ولا علة. وهذا مقامهم رضي الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة.

واستغاثتهم في الجنة غير واقعة لكونه تعالى لا يخلف لميعاد. بل هو محقق لهم ما يشاؤون وما يشتهون. ولكن لما غمض القصد شبه بالضد.

وكان السري من رجال هذا المقام. وهو القائل: ذلني وعذبني بما شئت إلا ذل الحجاب.

وهذا الفرد الجامع قائم في كل عصر في مقام المراقبة والمصاحبة المستمرة على الصورة المحمدية وهي غاية المرام في الدنيا. أما غايتهم في الآخرة فالرؤية المستمرة السرمدية للحق تعالى بلا انقطاع. وإلا أضحت الجنة عليهم جحيمًا لا يطاق. وما فائدة الجنة بلا هذا التجلي.

وقد كنت أرى الزاوية التجانية بالمغربلين جحيمًا إذا دخلتها ولم أرَ فيها شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه.

وهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟

الشطحة الثالثة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكري إياه فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا.

روى هذا أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» عنه في ترجمته.

قلت: لما غاب عنه غاب في الذكر لا فيه. فلما خنس عن هذه الغيبة وجد أنه كان في لهو إذْ ليس المقصود ذكره بل المقصود هو هو هو. فلما علم هذا المقام تحققًا تاه فيه فوجده في كل حال فناء وبقاء. حتى كأنه هو.

وهذا كمن رأى الصلاة حجابًا. إذْ ليس المقصود مظهر الصلاة وإلا كانت حجابًا للعبد عن الوصول إلى باطن الذوق. وهذا كمن قام بحركات

رياضية كالتي في الصلاة فما الفرق؟ إلا في كون المصلى متحققًا في باطن الحركة.

فهناك هناك تجعل قرة عينه في الصلاة كما كانت قرة عين أبي القاسم (ﷺ). أي ولي الله فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة الرابعة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستَصعبت فتركتها ومضيت إلى الله.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» بسنده في ترجمته.

قلت: وكيف خلعها منه وألقاها على مقلب الزبالة؟.

كيف يمضي العارف إلى الحضرة؟ ونفسه فيه لم تزل بعد؟ وهذا خلع الروح عن النفس يا ولي الله. إذْ لو بقيت الروح على حدة في هذا الهيكل لصفا وصح له اللقا وطاب له الوصول.

وهذا أصعب شيء في بحر المجاهدات. وبه تنتهي سلوك المجاهدات ويطيب لهم الوصول. وهو توفيقي لا بإراداتهم ولا تكلف منهم بل بمحض الفيض والمنن الالهية. فهذ مقصود أبي يزيد فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: العارف فوق ما يقول والعالم تحت ما يقول. أورد هذا الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه في الباب الخامس والأربعين من «الفتوحات» عن أبي يزيد.

قلت: لما كان مقامُ العارفِ الإشرافَ على ما يقول. إذ لا ينطق كذبًا ولا يتحدث هزوًا فإن مقامه الإشراف المتصل. فهو فوق الخلق في كلامه. إذْ هو على قدم نبيه: لا ينطق عن الهوى.

أما صفة العالم المحجوب فهو دومًا تحت ما يقول لكونه مخبئًا عن العالم الأقدس. كلام بلا معنى وخبر بلا ذوق.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة السادسة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: أنا الله. وقوله كذلك: سبحاني.

أورد هذا محيي الدين بن عربي في الباب الخمسين من «الفتوحات المكية» عن أبي يزيد.

قلت: وهذا القول من أبي يزيد رضي الله تعالى عنه حق. صدر من حق وإلى حق. إذْ ما قصد أبو يزيد من قوله هذا أنه يُعْبَد. أو أنه إله، حقًا إذْ مقام التشبه بالمحبوب والفناء فيه من طبعهم مع حفظ الرتبة. فرتبة العبد على حدة بينة. ورتبة الإله على حدة واضحة بينة.

وهذا مقام رجال الحيرة والعجز.

وهذا مقام الفناء من أشرف مقامات العارف الواصل السائر وإن كان ظاهره الكفر الصراح.

والنطق الصادر في هذا المقام لا يصدر تكلفًا من العارف بل يصدر قهرًا في مقام الفناء فهو معذور.

أي يا ولي الله فهذا مقصود أبي يزيد فهل من مزيد؟ قال عبد الفتاح القاضي رضي الله عنه وكان غوث عصره: كان أبو يزيد في جلسة مع ربه ينزهه سبحانه فسمع النداء من ربه بلا كيف أفيَّ عيب حتى تنزهني؟

فأحجم على الفور وأخذ فقال: «سبحاني سبحاني» يعني أنا المعيب وحاشاك أن يكون فيك عيب.

الشطحة السابعة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: المعرفة في ذات الله جهل والعلم في حقيقة المعرفة جناية والإشارة من المشير شرك في الإشارة.

روى هذا أبو نعيم في « الحلية » بسنده عن أبي يزيد في ترجمته.

قلت: إذْ لا بحث في ذات الحق تعالى بمعرفة خارجة عن هذا النطاق. لكون الآدمي غير محيط بسر نفسه فكيف يحيط بسر الخالق الذاتي. وإن تيقن العارف سر نفسه فما أعظم تدخله بمعرفة منه توجب البحث في الذات. وهذا العلم يسمى المجهول عند الكبار من المتصوفين أو يسمونه الذات المحض أو العلم البكر لكونه لا يحزن لمخلوق قط.

أما البحث في حقيقة المعرفة فأعظم جناية. وحقيقة المعرفة هي التوحيد الأعظم وأسراره العليا. والبحث في كشف هذا العلم جناية على المنقب وراء هذا العلم. لكون نهايته القتل والإشارة في غير عالم الإشارة حماقة.

لكون المشير أشار على من لا جهة له. وهي الذات والوجود الإلهي تعالى شأنه. وهذا يتذوقه ملوك التوحيد الراسخون في العلم.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثامنة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: وقد سئل ما علامة العارف؟ فقال: ﴿إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ الآية. وقال: عجبت لمن عرف الله كيف يعبده. وقيل له: إنك من الأبدال السبعة الذي هم أوتاد الأرض فقال: أنا كل السبعة.

روى هذا أبو نعيم في « الحلية » بسنده عنه في ترجمته.

قلت: لما سألوه عن علامة العارف قصدوا أن يبيِّن لهم علامة كمالية فيه.

فبين لهم العيب وقال لهم: علامته أن لا تفسده أحواله. أي الكامل من يملك الأحوال ولا تملكه أحواله.

فأطلق أبو يزيد لفظ الملوك على الأحوال ولفظ القرية على القلب. أي أن الأحوال إذا دخلت قلب العارف أفسدته.

وقوله: عجبت لمن عرف الله كيف يعبده. أي كيف يعبده وهو عاصٍ. وهو في الذنوب غرقان. وقوله: أنا كل السبعة أشار إلى أنه قطب وقته. ومالك أولياء زمنه. وفي قبضته الكل. فهو الكل.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة التاسعة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله.

ورد هذا في «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني».

قلت: قال شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه في «جواهر المعاني»: ويكون الاستغراق للعارف والفناء في ذات النبي (ﷺ) لغيبته عن ذاته في ذات النبي عليه الصلاة والسلام فيتدلى له (ﷺ) ببعض أسراره فإذا كسبت ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبي (ﷺ). ويعلمه الله ببعض ما اختص به نبيه (ﷺ) من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره (ﷺ) فيتكلم بلسان النبي (ﷺ) نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه (ﷺ) فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك بعلمه بمرتبته وسوق هذا المساق في كل ما كان من الشيوخ مما يقتضي أن لهم شفوفًا على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول الدسوقي رضي الله عنه:

أنا كنت مع نوح لما شهد الورى ... بحورًا وطوفانًا على كف قدرتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه ... وما أنزل الكبش إلا بفتوتي

أنا كنت مع أيوب في زمن البلا وما شفيت بلواه إلا بدعوتي

وأكثر من هذا رضي الله عنه فكل ذلك لفنائه في ذات النبي (ﷺ) مترجمًا عن مقامه (ﷺ) وهذا يغني في الجواب ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ولا يأتي عليه القول ولا يحل ذكره لبعده عن الأفهام والسلام وهذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات النبي (ﷺ) ليس هو لكل العارفين ولا في كل وقت من أوقات من يقع له بل هو خاص ببعض الأوقات ببعض العارفين فقط والسلام. والبحر الذي خاضه رسول الله (ﷺ) ووقفت الأنبياء بساحله هي بحار الحقائق التي تجلّى الله بها عليه دون غيره من أكابر النبيين والمرسلين فمن دونهم إلى هَلُمَّ جَرا».

فإن تلك الحقائق لو تجلى الله بها للنبيين والمرسلين ولو بأقل قليل منها لصاروا محض العدم في أسرع من طرفة البصر وإنما وقفوا بساحل تلك التجليات وهي التجليات التي اختصهم الله بها من طلوع الجلال والجمال والعظمة والكبرياء فتلك الحقائق هي التي لهم بالنسبة إلى حقائقه (ﷺ) المنكشفة له خصوصًا كالساحل للبحر فإنهم تكلموا بلسانه (ﷺ) لغيبتهم فيه وفنائهم فيه والسلام. انتهى

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة العاشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: وقد سئل عن صفة العارف؟ فقال: صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيا.

ورد هذا في «الطبقات الكبرى» للشعراني. في ترجمة أبي يزيد.

قلت: ومقصود أبي يزيد رضي الله عنه هنا أنه قلب الضد. وهذه صفة العارف المكابد لأحواله الذي يتقلب على الجمر والأنيار. فلا هو في الجنة ولا

هو في النار. تراه يائسًا من الوصول إلى بر الثبوت والتمكين وفي هذا المعنى قلنا:

فعيش الخل أنيار تقلبه   على كتب على المقلاة كالعدم

ولا تزال هذه صفة العارف حتى يصل إلى مقام التمكين بعد التلوين. فيصبح هنالك رجلًا من الرجال. وقطبًا من أهل الكمال.

هناك تتلقاه ليلى من بعد سفر طويل وعناء جسيم تقول له: مرحبًا بالحبيب المعذب والخل المهجور أدن ادن إلى الكمال. هناك يرخى عليهما ستار الوصال.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة الحادية عشرة

كتب يحي بن معاذ إلى أبي يزيد: إنني سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته. فكتب إليه أبو يزيد رضي الله عنه: غيرك شرب من بحور السموات والأرض وما رُوي بعد ولسانه خارج يقول: هل من مزيد ؟

ورد هذا في «حيلة الأولياء» لأبي نعيم وفي «الطبقات» للشعراني.

قلت: وهذا صفة ملوك المحبة وأمراء العشق. لا يرويهم شيء في الوصال. بل قائلون على الدوام: هل من مزيد ؟.

وهذا أيضًا من صفة القطب الجامع الذي أفنته المحبة وإنما ملك ما ملك بحبه لمولاه تعالى. فهو عبدٌ قائم يجول ببصره في الملكوت بحبه لمولاه تعالى.

وإنما كانوا ملوكًا وسلاطين بالمحبة.

وطالب المزيد في المحبة هذا لا يحجزه شيء في ارتوائه من حب مولاه. بل كل المحبين بالنسبة له كنسبة الشمعة إلى الشمس. فهو قد يبلغ كل محبتهم في جوفه ولا يرويه شيء قط.

ألا ترى أن أبا يزيد قال عن نفسه إنه شرب بحور السموات والأرض وما رُوي بعد ولسانه خارج يقول: هل من مزيد؟.

فهذه صفة مراتب المحبة. ولهم رضي الله تعالى عنهم مقامات عجيبة في المحبة.

وصفة المحب القائم في هذا الحال لا يبقى مع عرض ولا جوهر ولا جسم ولا يطلب شيئًا قط. بل هو طالب لمولاه على الدوام. قائم في هذا الغرض أبد الآبدين لا يعجزه عن ذلك شيء في الأرض ولا في السماء.

فهذا مقصود أبي يزيد فهل من مزيد؟.

الشطحة الثانية عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه وقد سئل عن السنة والفريضة؟ فقال: السنة ترك الدنيا بأسرها والفريضة الصحبة مع الله تعالى. ورد هذا في المطبقات الكبرى» للشعراني.

قلت: السنة والفريضة في عرف الأكابر مرقاها عالٍ لا يطيقه العوام في الفهم والمواظبة على هذا المعنى الجليل. لكونهم ظنوا أنّ مبلغ العلم في السنة ظاهرها. إذْ ليس السنة والفريضة ما ظهر بل ما بطن أعظم. فقد وجدنا قومًا يقولون السنة ما هي إلا المظاهر التي صدرت من رسول الله (ﷺ). والله يتولى السرائر وهم مخفقون في هذا أيما إخفاق.

إذ لو كان فعلهم لسنة رسول الله (ﷺ) كفعله هو نفسه عليه الصلاة والسلام لكانت درجة النبي والرجل من أمته واحدة.

ولكن هناك أمر أعظم من هذا استأثر به النبي (ﷺ) الخواص ولم يخبأه حضرته (ﷺ) بل فعل السنن. والموفقُ أُلْهِمَ على قدر مقامه.

فالحضرة المحمدية لا تكتم شيئًا من العلم بل أبدت ما أبدت وفهم كل رجل من أمته على قدر مقامه.

لكونه (ﷺ) مأمور بالتبليغ لا التدخل في مقام الهداية. وهذا علم من علوم الاقتدار يعرفه الأكابر من أهل التربية. فافهم.

أي ولي الله. فهذا مبلغ العلم في السنة الظاهرية والباطنية. وهذا يجعله معظم الخلق. وقد كان شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه من أقطاب هذا المقام ولكنه كان يكتم هذا ويتستر عليه.

فهذا مقصود أبي يزيد فهل من مزيد ؟.

الشطحة الثالثة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه وقد سئل: عن درجة العارف؟. فقال: ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه. أورد هذا السلمي في «طبقات الصوفية».

قلت: وهذا في دقائق علوم المقامات السامية والدرجات الراقية.

إذْ كل يرتقي بالملموس. ولكن الدقائق والرقائق القلبية لا يطلع عليها إلا أكابر العارفين. التي هي فوق سلطان المقامات.

لذا فإن المريد كان لا يرتقي فوق مقام شيخه لكونه يجهل هذه الدقائق التي يعلم منها شيخه ما لا يسعه المريد أن يعلم ذرة منها.

لذا فإن لحظة من خطرات قلب الشيخ تعدل أطنانًا من عمل المريد الذي يلتزم بفعل المظاهر التي لا يسلكها شيخه غالبًا.

فذروة المقام أن لا مقام ويبقى الرجال متصارعين على الكمالات القلبية التي أطلق عليها أبو يزيد لفظ المعروف.

وهذا أمر يضبطه أهل الذوق الراقي كشيخنا محي الدين بن عربي. قدس الحق تعالى سره.

ومن رجالات هذا المقام النفري صاحب المواقف وأبو طالب صاحب

القوت وابن سبعين. رضي الله عن الجميع فاعلم يا ولي. أن انعدام المقام هذا الذي قصده أبو يزيد هو نفسه مقام لا غير.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الرابعة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: صرت مرة إلى مكة فرأيت البيت مفردًا فقلت: حجر غير مقبول لأني رأيت أحجارًا كثيرة من هذا الجنس. وذهبت مرة أخرى فرأيت البيت ورب البيت. قلت: لا حقيقة للتوحيد بعد. وذهبت مرة ثالثة فرأيت الكل رب البيت ولا بيت. فنوديت في سري. أن يا أبا يزيد إذا لم ترَ نفسك ورأيت العالم كله لما كنت مشركًا. وإذا لم ترَ العالم كله ورأيت نفسك كنت مشركًا وعندئذ تبت. وتبت أيضًا عن رؤية وجودي. ورد هذا في «كشف المحجوب» للهجويري في ترجمة أبي يزيد.

قلت: هذه مراتب الفناء وبدأها عند العارف فكان من شأن أبي يزيد أن رأى في المبتدأ نفسه عجبًا ورأى وجوده وبقية من نفسه. فلم يرَ إلا الأحجار. فرأى حجر البيت كأي حجر آخر وذاك قوله: رأيت أحجارًا كثيرة من هذا الجنس.

وذلك لكونه لم يكن يرى أن شيئًا في الوجود إلا نفسه. وهذه صفة المحجوب.

ولما ذهب الثانية رأى البيت ورب البيت. فعلم أنه قد فني عن رؤية نفسه وبقي تعلقه بأعراض وأغراض أخرى فرأى بجوار ربه أغراضًا فانية. ومقصده أن ينظر فلا يرى إلا ربه في كل شيء.

فلما ذهب الثالثة لم يرَ إلا رب البيت. ولا بيت وهذا أقصى فناء العارفين. وهو قول الحلاج رضي الله عنه: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه. وقد

فصلنا سيرة الحلاج في كتابنا (سيرة الحلاج). فعلى قدر الباطن يكاشف العبد.

ولا تعلق بكونه رأى البيت وحيدًا. أو رأى رب البيت. وإنما عبر عن باطنه بصفة الذوق. التي لا يفقهها إلا أولو العلم الباطن الرباني. وهذا شأن العارفين.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة عشرة

سأل رجل أبا يزيد رضي الله عنه فقال: كيف كانت بدايتك؟. فقال للسائل: لا تحتمل. فقال: قل. قال: مكثت سنة آكل ولا أشرب. ومكثت سنة أشرب ولا آكل. ومكثت سنة لا آكل ولا أشرب. فقال له: وما نهايتك.

فقال له أبو يزيد: لا يحتملها عقلك وليس لك إلى هذا سبيل.

قلت: هذا دومًا حال الأكابر مع ربهم. سواء في بدايتهم أو نهايتهم.

فلا البداية يحتمل تصديقها أحد ولا النهاية يحتمل تصديقها أحد. وعبروا عن هذا المعنى بقولهم: من كانت بدايته إحراق فنهايته إشراق. حتى سأل الشبلي الحلاج عن التصوف وهو مصلوب. فقال له الحلاج: أهونه ما ترى؟ قال: فما أعلاه؟ قال: ليس لك إليه سبيل.

والقوم رضي الله تعالى عنهم أحوالهم جنون. ومقاماتهم فنون. ووصولهم فتون.

والله لو حكينا بدايتنا مع الله لعوام الخلق لحكم علينا بالقتل. فكيف بنهاية الولي المرتقي إلى الحق تعالى. وهذا مقام أبي يزيد كان حسيًا.. فكيف بمقامات المعنى التي هي أرقى وهذا كان من مقامات شيخنا عبد المجيد

الشريف رضي الله تعالى عنه. فاكتم بدايتك ونهايتك يا ولي الله.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السابعة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري. ومعرفته سبقت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي أولًا حتى طلبته.

ورد هذا في «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني في ترجمة أبي يزيد.

قلت: وترتيب هذا أنَّ من طلب شيئًا ذكره ومن ذكر شيئًا عرفه ومن عرف أحب. واختلف هل المعرفة سبقت أم المحبة وأيهما أفضل؟.

ففضل قوم المعرفة على المحبة لكونها أسبق. وفضل قوم المحبة على المعرفة وقالوا هي أسبق.

ومذهبنا أنَّ المعرفة أفضل من المحبة وأسبق. لكون المحب قد يجهل شيئًا من المعرفة. أما العارف فلا يجهل شيئًا من فنون المحبة. ألا ترى أن أول قرآن نزل على نبينا (ﷺ) وسلم: اقرأ.

فعلم الحق تعالى أن المعرفة أولى لا المحبة. لكون المعرفة أصل الأصول التي تقوم عليها فنون الوصول إلى الله تعالى.

والمعرفة مولدة للمحبة. إذْ لا تصح محبة بلا معرفة. وإلا فإن المحبة تصبح جهلًا محضًا بلا معرفة. ومثال هذا كمثال محبة الطفل لثدي أمه.

أما دعاء العارف أنه المبتدأ بحبه وذكره وطلبه ومعرفته فهذا غرور. إذْ أن الحق تعالى وهبه هذا بمحض السر دون إبداء المظاهر. فظن هنالك العبد المحب أنه هو المبتدأ. ولولا ربه لما ابتدأ بهذه المعاني.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثامنة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: ما ذكروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة.

أورد هذا «صاحب الحلية».

قلت: أي ما قدروه حق قدره في مقام تقدير الذكر. وليس غفلتهم رضي الله عنهم كغفلة العوام. فحاشا لهم هذا وإن كان كلام أبي يزيد فيه شيء من هذا المعنى.

أما القيام بخدمته سبحانه وتعالى فهو غني عنها إذْ أنه سبحانه لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة الطائعين.

ومقامات الذكر والخدمة التي صدرت من السادة الصوفية مقامات كمالية بالنسبة لهم أي تكملهم هم ولا تكمل مولاهم سبحانه لكونه كاملًا بغير عبادتهم وعطائهم. لذا كان ذكرهم له غفلة بقدره وخدمتهم له فترة وعجزًا عن بلوغ القصد.

فهذا مقصود أبي يزيد. **فهل من مزيد؟**

الشطحة التاسعة عشرة

قُرِىءَ عند أبي يزيد يومًا ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ فهاج حتى خرج الدم من عينه وقال: من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر لأنه جليسه أبدًا.

أورد هذا صاحب «الحلية» بسنده عنه في ترجمته.

قلت: وهذه صفة الفناء في الذكر. فقال العارف: أيحشر نفسه إلى نفسه أم يحشرني أنا إلى أنا أم يحشر هو إلى هو. فإذا كان الذاكر عنده أبدًا بذكره إياه وقربته له فكيف يحشره وهو في القرب قائم. ولفظ الحشر ومعناه

يقوم في البعد عن اتصال بالحق تعالى كبعد الكافر عن ربه بكفره.

أما المتقون فهم في كل نفس على بساط أنسه. وكف كرمه وعين جوده. فهم غير محتاجين إلى هذا الحشر. وكان هذا المقام للجنيد رضي الله عنه. قيل له في النزع قل: لا إله إلا الله.

فقال لهم: أفنيت نفسي فيه ثم تقولون قل لا إله إلا الله؟ وعَدَّ الجنيد قولهم له هذا حجابًا لكونه أقرب من قولهم إليه.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة العشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: إذا وقفت بين يدي الله فاجعل نفسك كأنك مجوس تريد أن تقطع الزنار بين يديه. وحكي أنَّ الناس اجتمعوا على أبي يزيد فقال: يا رب كنت سألتك الله ألا تحجبهم بك عنك فحجبتهم لي عنك.

روى هذا «صاحب الحلية» بسنده عن أبي يزيد في ترجمته.

قلت: ومقام الوقوف بين يدي الحق تعالى مقام جليل يحتاج إلى سلطان المراقبة. ومنهم من يفنى في هذا المقام.

وكلام أبي يزيد هنا يدل على المراقبة لا الفناء. وإشارته إلى قطع الزنار في كل وقوف بين يدي الحق تعالى إشارة إلى قطع العلائق وتخليص النفس من آفاق الهوى. وفي ذلك يشير إلى قتل غلام النفس. وهذه صفة تجديد التوبة وقيام الإرادة في هذا الشأن. لا سيما أهل البدايات.

أما توبة الأكابر فهي لازمة لهم وإن لم يصدر منهم ما يستوجبها لكونه (ﷺ) كان يستغفر ربه ويتوب إليه في اليوم سبعين مرة. وفي رواية مائة..

أما قول أبي يزيد فحجبتهم بي عنك. فهذا يعرفه أهل الشهرة من أهل الولاية.

فشهرة الأكابر وتعلق الخلق بهم لمقامات. فمنهم مَنْ يَعدُّ شهرته حجابًا غليظًا يحجب الخلق عن ربهم وهو السبب لكونه حجبهم لتعلقهم به. وكان هذا مقام شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله تعالى عنهما.

ومنهم مَنْ يَعدُّ شهرته من مقام الحق تعالى ومن مقام نبيه عليه السلام لما قيل له: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾.

والمذهب الأول أرجح وهو مذهبنا ومذهب شيوخنا. وهذه صفة الداعي يدعو إلى الحق تعالى ثم يختفي فلا يعلم مَنْ هو حتى لا يتعلق به. بل يوجه همته في تعلق المريد مطلقًا بالحق تعالى. وكان هذا من مقامات الإمام الشافعي حتى قال: وددت أن كل ما عملته للناس لم ينسب إليَّ منه حرف واحد.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة الحادية والعشرون

قال رجل لأبي يزيد: علمني اسم الله الأعظم.

قال: ليس له حد محدود إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فادفع إلى أي اسم شئت فإنك تصير به إلى المشرق والمغرب ثم تجيء وتصف.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» عن أبي يزيد بسنده في ترجمته.

قلت: ظَنَّ قومٌ أنَّ اسمَ الله الأعظم يعرفه كل من اطلع عليه. سواءٌ العاصي والطائع. وهذا وهمٌ.

بل ظنهم هذا ينطبق على السحر. أما أسرار المعاني والأسماء العالية فالمتطفل

عليها مطرودٌ بمحض الغيرة. لكونه تعالى لا يطلع إلا من ارتضى.

وكم من عاصٍ قرأ اسم الله الأعظم بفمه ولم ينفعه لعدم وصوله لهذا المقام. وبعده عنه كبعد المشرقين.

ألا ترى أنه (ﷺ) وردت عنه أحاديث في الاسم وتلاها قوم ولم ينتفعوا بها.

فعلم أبو يزيد السائل تفريغ القلب للمولى قبل معرفة الأسرار. ومن ثم لو تمسك الطائع بأي معنى لنفعه. ثم يجيء فيصف لنا هذا المعنى الجليل.

والحد هنا وهم في معرفة هذا الاسم لكونه غير محدود بمعنى. بل معناه فراغ القلب للوحدانية الإلهية. فهناك لا وصف بل التيه قائم. وأيما عبد مستجاب الدعوة فعنده طرف من معرفة هذا الاسم الجليل.

ولكن المحجوب ذهب وظَنَّ أن هذا الاسم محدود كقالب الصخر يمكن أن يحمله كل من أراد. ولكن هذا العلم أعز من الكبريت الأحمر عزَّ مَن يعلمه إلا أهله. الذين ذابوا في وجدهم وفنوا في حبهم قد أتعبهم السهر وأضنتهم الغربة أولئك الأخيار.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثانية والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: كفر أهل الهمة أسلم من إيمان أهل المنة.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن أبي يزيد في ترجمته.

قلت: أهل الهمة هم أهل التوجهات السنية. والأنفاس الشريفة الخارقة. والأنوار الساطعة. منهم طائفة المربين. الذين يربون المريد بهمهم. وكفر هؤلاء ليس كفرًا وإنما قصد به أبو يزيد رضي الله عنه هفواتهم وسيآتهم.

وأهل المنن لم يبلغوا مقام التوجه بالهمة أصلًا في مجموعهم لذا كانت سيئة

صاحب الهمة أشرف من طاعة صاحب المنة. وكما قيل حسنات الأبرار سيآت المقربين. فصاحب المنة تلميذ لصاحب الهمة لكون هذه المنة جاءت من همة الآخر.

وكان شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله تعالى عنه يمدنا بالمنة من همته. حتى أعطانا همته.

وهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة الثالثة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء.

روى هذا القول أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن أبي يزيد.

قلت: التهليلة مقام في وصول أبي يزيد أما تهليله كله فهو في مقام الصفاء. لذا قال لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء.

أي لو صَحَّ لي مقام يبغيه هو ويعرفه لما بالى بعده بشيء في الوصول.

والواصل في هذا المقام حائر. لكونه الأخير فالمعرفة ألا معرفة. فمتى وصل إلى هذا المعنى قيل له قف هذا قدم نبيك.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الرابعة والعشرون

قيل لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ قال: لا صباح ولا مساء وإنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي.

ورد هذا في «الفتوحات المكية» حكاه سيدي محيي الدين ابن عربي قُدِسَ سِرُّهُ في الباب الثاني.

قلت: وهذا مقام الأعراف. وهو انعدام صفة العارف. وهذا من مقامات

القطب الفرد الجامع. الذي حوى المحاسن كلها.

فالعارف غير متحيز. فعنده الكل سواء في الذوق. قد اطلع على عيون الأخبار. وأصبح يقال عنه: وعند جهينة الخبر اليقين.

لذا يعجب إذا قيل له كيف أصبحت؟ ويعجب إن قيل له هل أنت غني أو فقير؟ ويعجب إن قيل له أنت مؤمن أم كافر؟

بل العارف لا يعرف هذه المعاني لكونه معدوم الصفة. وهذا سر قول أبي يزيد في صفة العارف لما سئل عنها فقال: صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيا.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: ما النار لأستندنَّ إليها وأقول اجعلني لأهلها فدا ولأبلغنها. ما الجنة إلا لعبة الصبيان. هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم.

نقل هذا الذهبي في «تاريخه» عن أبي يزيد رضي الله عنه.

قلت: وقد قال هذا أبو يزيد وهو في أوان فنائه في المشاهدة.

فرأى النار ذرة من زفرات العارف. ولو شاء الغوث العارف أن يزفر زفرة على جهنم لأحرقها هي وخزنتها ودركاتها وأركانها ودرجاتها.

وقد سأل الشبلي الحلاج وهو مصلوب فقال له: كيف أصبحت يا حلاج؟

قال: أصبحت لو زفرت زفرة لأحرقت مالكًا وناره. وقد ورد في الأثر أن النار تقول للمؤمن من يوم القيامة إذا جاز على الصراط: «يا مؤمن جز فقط اطفأ نورك لهبي».

وهذا تمكين العارف الغوث الذي لو دخل النار لهدها وما النار إلا المعاصي. وهو الحق المبين الذي هَدَّ بنيان الباطل وجبال المعاصي في الدنيا. فكيف به في الآخرة؟.

فهو يفدي أهل الإيمان لكون الكافر لا يستحق فداءً. وذاك قوله: اجعلني لأهلها فدا. وقوله لأبلغنها أي بالشفاعة لكونه من أرباب الشفاعة وأقطاب هذا الأمر. أما استناده إلى النار فهو متحقق للقطب لكون العالم بين يديه كما يكون الطبق بين يدي الآكل. فتحققه من هذا الاستناد حقيقة لا مجازًا.

أما قوله: ما الجنة إلا لعبة الصبيان. فتعبير عن أن العارف طالب لمراتب أعلى قد غضَّ نظره عن الجنة وقد كشفت له في الدنيا. فاحتقر أمرها. فهي لعبة في قدمه. إذ الوصول غير متوقف على طلب الجنة.

فما زال العارف في ارتقائه فهو طالب للحق لا غير. ولغير الحق لا يطلب مهما كوشف بمعاني دونها اقتضت اختباره.

ولما توسعتْ بصيرةُ أبي يزيد رأى سِرَ القدرِ الأزلي. وأنَّ الكل سواء فرحم اليهود. لكونهم منفذين لأمره سبحانه. وقال عذبني أنا فأنا استحق عذابهم. عذاب محب من محبوبه. وعذاب من استحق بُعْدَكَ.

وهذه صفة العارف يرحم العصاة لكونه مطلعًا على سر الأزل ويحركه مقام فتوته لتحمل سر الأزل فيرحم الكل وهو من مقام: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وقد كان حبيب العجمي رضي الله تعالى عنه يبكي إذا سمع أن أحدًا عصى ربه.

وكان يشتري العصافير من الصبيان ويطلقها. وكان شيخنا عبد المجيد الشريف لا يكاشف أحدًا بطاعة أو معصية. بل كان مقامه السكوت المطبق.

لذا قيل: إذا تمكن العارف خرس. فيرى الكل سائرًا في الكون طبقًا لما اقتضاه المكون فلا يعارض عاصيًا أو طائعًا.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السادسة والعشرون

مشى رجل من أصحاب ذي النون المصري خلف أبي يزيد فقال له: من تطلب؟

قال: أبا يزيد.

فقال: يا بني أبو يزيد يطلب أبا يزيد من أربعين سنة فرجع إلى ذي النون وأخبره فغشي عليه.

(وفي رواية) قال ذو النون إنَّ أخي أبا يزيد فَقَدَ نفسه في حب الله تعالى فصار يطلبها مع الطالبين.

(وفي رواية) جاء رجل إلى باب أبي يزيد فدقَّه فقال: مَنْ تطلب؟ قال: أبا يزيد. فقال: ليس في البيت غير الله.

(وفي رواية) أرسل ذو النون المصري يقول لأبي يزيد: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة فقال لمن أتاه: قل لأخي ليس الرجل مَنْ يسير مع القافلة إنما الرجل مَنْ ينام إلى الصباح فيصبح أمامها في المنزل.

فقال ذو النون: هنيئًا هذا الكلام لا تبلغه أحوالنا.

حكى هذا عن أبي يزيد عبد المجيد الخاني في كتابه «الحدائق الوردية» في ترجمته.

قلت: فإشارة أبي يزيد أنه يطلب نفسه بنفسه دالة على فنائه عن العوالم وعن نفسه. فهو فاقد لنفسه. وهذا مدى ذوقه. وما دام هو جادٌّ في طلب نفسه فقد نفذ إلى طريق اليأس من عدم رجوعه إلى ما كان عليه. لكونه

دخل في مقام التمكين. فحكى عن نفسه أنه دخل هذا المقام منذ أربعين سنة.

ألا ترى أن ذا النون قال عنه: إنه فَقَدَ نفسه فصار يطلبها مع الطالبين في حب الله.

وقيل لا يكمل المحب حتى يقول لمحبوبه: يا أنا. فإن قيل كيف يطلب نفسه فالأولى به أن يطلب ربه؟.

قلنا: طلب نفسه اختبارًا لها. وهل هي باقية على شيء من العوالق. فرأها غير راجعة إلى شيء قط فعلم صدق نفسه. فعبَّر عن أنه وَدَعَ هواه جملةً كليةً لا رجعة فيه. وهذا مثل قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للدنيا: يا دنيا غرِّي غيري طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا.

أما قول أبي يزيد ليس في البيت غير الله فإشارة إلى قطع العوالق وأما مقصده من لفظ البيت فالقلب. أي ليس في القلب غير الله.

وجاء في الأثر قولهم: القلب بيت الرب. فأعلم السائل انقطاعه كليةً عن العوائق والعوالق فهو عبد رباني محض.

وأما قوله: إنما الرجل من ينام إلى الصباح فيصبح أمامها في المنزل. فإشارة إلى علو مقامه عن أحوال ذي النون. وأنه قطب الوقت. وأنَّ الأعمال لا تقدر بالوقت والتعب وإنما بمحض التوفيق الإلهي. فرُبَّ نائم خير من مستيقظ. وهذه أحوال عباد الله الربانيين يدخل فيها صفاء القلب أعظم. ولا خطر لمقدارها عند مخلوق. ونقول فيها: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السابعة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: لما ذكر عنده الزهد. فقال: ما أهونه زهدت في اليوم الأول في الدنيا وما فيها وفي الثاني في الآخرة وما فيها وفي الثالث فيما سوى الله.

ذكر هذا الخاني في « الحدائق الوردية » في ترجمة أبي يزيد .

قلت : وهذه مراتب الزهد عند أهل المعرفة والذوق العالي .

والمراد سرعة الخطر في الزهد . وهذا شأن الأكابر في تخطي مراتب الزهد . حتى يصلوا إلى حضرة الحق تعالى . ألا ترى أن الصحابة كان الواحد منهم يفعل جميع الموبقات قبل أن يسلم فإذا أسلم تجرد عن كل هذا . وزهد في كل هذه المراتب في يوم واحد لا في ثلاثة أيام .

وقد كان عمر الفاروق رضي الله عنه من أصحاب هذا المقام زهد في هذه المراتب التي زهد فيها أبو يزيد طوال حياته في أول يوم أسلم فيه .

فهذا مقصود أبي يزيد . فهل من مزيد ؟ .

الشطحة الثامنة والعشرون

قُرِىءَ على أبي يزيد : ﴿إنَّ بطشَ ربك لشديد﴾ . فقال : بطشي أشد .

ورد هذا في « الحدائق الوردية » للخاني في ترجمة أبي يزيد .

قلت : والمراد أنَّ الحق تعالى أرحم ممن خلق . فلا يوجد مخلوق أرحم من خالقه . وهذه القاعدة لا تسري في علم الصفات الإلهية . حتى أنه سبحانه وتعالى أرحم من الوالدة بولدها .

ولو وَكَّلَ الخالقُ الرحمةَ بالمخلوق لجحد واستكبر . ولأضر بغيره في الرزق والعيش والقتل والفساد . لذا عبر أبو يزيد عن أنَّ رحمةَ ربه أوسع من رحمته . فيكون بطش العبد أضر من بطش الرب سبحانه .

فيقال عن الحقِ تعالى أنه بطش ولطف أما العبد فلا يعرف معاني اللطف الإلهية إلا لمامًا .

فهذا مقصود أبي يزيد . فهل من مزيد ؟ .

الشطحة التاسعة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: انسلخت من جلدي فرأيت من أنا.

أورد هذا الخاني في «الحدائق الوردية» عن أبي يزيد.

قلت: والجلد هنا كلُّ ما سوى الله. ويقال خلعت الحيةُ جلدَها. وذلك لكونها استبدلته بجلد جديد فهي غنية عن الجلد القديم البالي.

فكذا العارف إذا اطلع على مقامات العرفان لزمه خلع جلده والتجرد بالافتقار إلى الحق تعالى في كل شيء. فيتجرد من: النفس والدنيا والناس والمال والشيطان.

فإذا وصل إلى هذا المقام فمثاله كمثال الطفل الذي ولد جديدًا قد خرج من بطن أمه فورًا.

فهذا سر الانسلاخ عن الجلد يا ولي الله.

وقد بلغنا عن الشيخ علي عبد الدايم السيوطي أنه سُئِلَ عن الزهد فأجاب. فسئل عن زهد الزهد؟ فخلع ملابسه كلها وقال: هذا زهد الزهد. وبقي هكذا إلى أن مات. وكان نصفه الأسفل في حفرة ونصفه الأعلى ظاهرًا حتى لا يطلع الناس على عورته.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: قال لي الحق تعالى أخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رآني.

ورد هذا في «الحدائق الوردية».

قلت: وصفة الحق تعالى في العبد هي التي عبر عنها المعنى الحديثي: «حتى يكون عبدًا ربانيًا يقول للشيء كن فيكون».

فالعبد الرباني هو الذي اتصفَ بصفة ربه. فربه يرحم وهو رحيم وربه يجود وهو جواد وربه عزيز وهو عزيز وربه صبور وهو صبور وربه رؤوف وهو ذو رأفة. والنوافل المقربة للعبد من ربه هي الجالبة لهذا المقام فتنصب العبد فيه. فمن رأى هذا العبد وهو عاصٍ انزجر وتاب. لكونه خليفة الله في أرضه. وهذه صفة أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكِرَ اللهُ. ومن رآه وهو ناقص كمل. ومن رآه وهو غافل ذكر. ومن رآه وهو جاحد شكر. ومن رآه وهو غني افتقر. ومن رآه وهو قوي انقهر. فهؤلاء هم القائمون بشؤون الحق تعالى في مملكته. يقبضون ويبسطون. ويرحمون ويعطفون. ويكرمون ويسلبون. لهم العزة في الدارين. والتجبر على المتكبر والتذلل للمتواضع. فهؤلاء خدم الحق تعالى فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الحادية والثلاثون

قول أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: كنت في حالة توهمت أني وصلت إلى غاية الوصال ففاجأني شيخ وقال: يا أبا يزيد نهايتك بداية القوم

ورد هذا في «الحدائق».

قلت: وهذا حدث لأبي يزيد إما قبل وصوله إلى مقام الغوث. وذلك لكون هذا القول لا يقال للغوث. لكونه خليفة رسول الله (ﷺ). وإما حدث له وهو في مقام الغوث فاطلع على مقام معنوي وهذا كالذي حدث لشيخنا ابن عربي رضي الله عنه عندما ظن أنه خاتم الأولياء المطلق ومن ثم رأى الختم في مشهد معنوي فرجع عن هذا القول وصنف كتابه «عنقاء مغرب» في وصف الختم. وقد وصف ابن عربي مقامه بأنه أعلى من مقام أبي يزيد. وله الحق والفضل عليه. والختم فاقهما مقامًا. ويعرف ذلك كبار أهل الولاية والذوق العالي. فأين أبو يزيد في سوق الرجال؟.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثانية والثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: ضحكت زمانًا وبكيت زمانًا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي. ورد عنه في «الحدائق».

قلت: عبر عن نفسه أنه استقر على جبل التمكين وفيه دكت جبال التلوين.

وهذا مثل قوله لما قيل له: كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح لي ولا مساء وإنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي. وقد مَرَّ شرح هذا القول. فالمتمكن يا ولي هو الذي لا صفة له لكونه استوى على الجودي. فهو ككفتي الميزان في الاعتدال لا صفة لها إلى اليمين ولا الشمال في الميل. بل هي في الاستواء قائمة.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثالثة والثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: رب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك.

أورده الختاني في «الحدائق» عنه وأبو نعيم في «الحلية».

قلت: الفهم عن الحق تعالى يكون بعدة طرائق أقر بها الفهم عنه به. وهذا الفهم له إشارات يفقهها أهل الذوق الرفيع.

وقد يفهم العارف عن الحق تعالى بغير الحق. ومنزلة المعرفة عن الحق تعالى به لها مراتب. منها مرتبة المشاهدة في المعرفة التي وقعت لنبينا عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج وهو المقام لم يقع لغيره (ﷺ) في هذه الدار.

ومنها مرتبة الكلام في المعرفة وقد وقعت لموسى عليه السلام. ثم أراد أن يتعرف من الحق تعالى بالمشاهدة فمنع وصعق وناله ما ناله.

ومنها مرتبة بالوسائط وهذه للأكابر كأبي يزيد كمن يرى إشارة معهودة في التعرف.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الرابعة والثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: لم أزل أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى ساقتني إليه وهي تضحك. أورد هذا الخاني في «الحدائق» عنه.

قلت: ومقصود أبي يزيد لم أزل أسوق نفسي بعصا المجاهدة وهي تبكي لمخالفتي لها وضربي لها بهذه العصا كي أقومها حتى قومتها.

فحين عرفت ندمت فقامت هي وأمسكت تلك العصا وساقتني أنا وهي تضحك استبشارًا بقرب الوصول إلى دار الأصول حيث الحبيب في الانتظار. فعجبًا من نفس كانت تبكي فضحكت. وعجبًا من عارف كان عاصيًا فأطاع.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة والثلاثون

قوله: سر في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد وطر في دار التفريد حتى تلحق وادي الديمومية. ورد عنه في «الحلية» في ترجمته.

قلت: والموحد له درجات أعلاها المنفرد. وهو غوث الوقت. وهو أعلى الموحدين. فهو الجوهر الفريد والعقد النضيد. فإذا انفرد كان مخالفًا لكل من في وقته من أهل الكمال. وكل عين كاملة شاخصة إليه.

فهو كربه في انفراده بالكمال. لكن لكلٍّ مقام. وأين الخالق من المخلوق. فالحق منفرد والعبد منفرد. فإذا انفرد صاحب المقام دام الوصال. وطلب الدوام وهناك يطلب الالتحاق بوادي الديمومية أي اتصال الوصال. إذ

انقطاعه محال. وهذا سر قول أبي يزيد: إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار.

فالفتى الفريد المنفرد لا تنقطع مواصلته إلى أبد الآبدين وإلا استغاث. فهو جوهر فريد في وادي الديمومية فمن مثله في ذاك اليوم.

فهذه مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة السادسة والثلاثون

قوله: قلت يومًا سبحان الله فناداني الحق في سري هل فيّ عيب تنزهني عنه قلت لا يا رب قال فنفسك نزه عن ارتكاب الرذائل فأقبلت على نفسي بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل وتحلّت بالفضائل فصرت أقول سبحاني ما أعظم شاني. ورد في «الحدائق».

قلت: هذا القول باطن لكون الظاهر يقتضي التنزيه وقولنا: سبحان الله نحن مأمورون به شرعًا. وهذا يقوله الطائع والعاصي..

أما وجهة أبي يزيد فمراده منها أنه لا يجب تنزيه الحق تعالى حتى ينزه العبد طرفه ونفسه.

وهذا مقام فريد مَرَّ فيه أبو يزيد رضي الله تعالى عنه. فلما تنزه أبو يزيد تعرف على مقام التنزيه الإلهي. فقال: سبحاني ما أعظم شاني في حال غيبته. فكان تنزهه من تنزه الحق تعالى مع حفظ المرتبة.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة السابعة والثلاثون

قوله: دعوت الخلق إلى الله كذا وكذا سنة ثم رجعت إليه سبحانه فوجدتهم قد سبقوني.

أورده ابن عربي في الباب التاسع والستين من « الفتوحات المكية ».

قلت: سبقوه في الوصول إلى الله وظنوا أنَّ أبا يزيدٍ بعيدٌ عنه بينما هو أقرب إليه منهم.

(أو) سبقوه بسرعة مغفرة الله لهم وتجاوزه عنهم. وهو ليس يعرف ذنبًا.

(أو) سبقوه إلى المحشر بينما هو دخل الجنة بغير حساب.

(أو) سبقوه كي يشفع لهم وهو الشافع.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثامنة والثلاثون

قيل لأبي يزيد: ماذا تقول في شخص يسافر من أجل الله وهو معه لماذا يسافر؟. وهل يتحقق مقصوده في مكانه؟.

قال: تتوسل الأراضي إلى الله قائلة: يا إلهي أرني وليًا من أوليائك وأضيء عيني بمقدم حبيب فيوحي الله إليهم بالسفر حتى يتمَّ مقصود تلك البقعة.

ورد هذا في كتاب « اسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد » لمحمد ابن المنور الميهني.

قلت: المعية الإلهية قائمة مع الولي حيث يكون ولا تزيد ولا تنقص.

ولكن مرادنا أن هذه المعية تزداد تجلياتها في الأماكن المباركة كمكة عند البيت الحرام. وعند قبر النبي (ﷺ).

ومقصود البقعة يكون من الغوث الذي تطوف به الكعبة معنويًا وإن كان هو الطائف ظاهرًا.

والبقاع المباركة تتشوق إلى الولي أشد شوق. حتى تشهد كل بقعة لساجدها يوم القيامة. وتشهد الكعبة لمن طاف بها. ويشهد الحجر لمن استلمه.

وما قبلَ رسول الله (ﷺ) ولا عمر رضي الله عنه الحجر إلا لكون الحجر طلب ذلك من النبي (ﷺ) ومن عمر. وهذه البقاع تتشوق من هجر الولي لها فتتحنن أن يقبلها ويزورها. حتى كان حجر بظاهر مكة يشهد للنبي (ﷺ) بالنبوة قبل البعثة. وقد فصلنا هذه المقامات في كتابنا (تكملة الفتوحات المكية). فراجعه إنْ شئت.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة التاسعة والثلاثون

قال أبو القاسم العارف رضي الله عنه في كتابه «القصد إلى الله»: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله سبحانه وتعالى أن لأبي يزيد حالات ومقامات لا تتحملها قلوب أهل العزة لبهتوا فيها وإني نظرت في كتاب فيه مناقب أبي يزيد فإذا فيه أشياء من حالاته وأوقاته وكلامه ما كلت الألسن عن نعته وصفته. فكل من أراد أن يعرف كماله ومنزلته فلينظر إلى نومه ورؤياه التي هي أصح في المعنى وأقرب إلى التحقيق من يقظة غيره فمما حكي: أن خادم أبي يزيد رضي الله عنه قال: سمعت أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول: إني رأيت في المنام كأني عرجت إلى السموات قاصدًا إلى الله طالبًا لمواصلته سبحانه وتعالى. على أن أقيم معه إلى الأبد فامتحنت بامتحان لا تقوم له السموات والأرض ومن فيها لأنه بسط لي بساط العطايا نوعًا بعد نوع وعرض عليَّ ملك كل سماء ففي ذلك كنت أغض بصري عنها لما علمت أنه بها يجري فكنت لا ألتفت إليها إجلالًا لحرمة ربي وكنت أقول في كل ذلك: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ قال: فقلت له: رحمك الله صف لي مما عرض عليك من ملك كل سماء. قال: رأيت في المنام كأني عرجت إلى السموات فلما أتيت إلى السماء الدنيا فإذا أنا بطير أخضر فنشر جناحًا من أجنحته فحملني عليه وطار بي حتى انتهى بي انتهائي إلى صفوف الملائكة. وهم قيام متحرقة أقدامهم في النجوم يسبحون الله بكرة وعشيًا فسلمت عليهم

فردوا عليَّ السلام. فوضعني الطير بينهم ثم مضى فلم أزل أسبح الله تعالى بينهم وأحمد الله تعالى بلسانهم وهم يقولون: هذا آدمي لا نوري. إذ لجأ إلينا وتكلم معنا. قال: فألهمت كلمات وقلت: باسم الله القادر على أن يغنيني عنكم ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته وصفته فعلمت أنه بها يجربني. ففي ذلك كنت أقول: مرادي غير ما تعرض عليّ. فلم ألتفت إليها إجلالًا لحرمته ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثانية فإذا جاءني فوج من الملائكة ينظرون إلي كما ينظر أهل المدينة إلى أمير يدخلها. ثم جاءني رأس الملائكة اسمه لاويز.

وقال: يا أبا يزيد: إن ربك يقرئك السلام. ويقول أحببتني فأحببتك. فانتهى بي إلى روضة خضرة فيها نهر. يجري حولها ملائكة طيارة. يطيرون كل يوم إلى الأرض مائة مرة. ينظرون إلى أولياء الله وجههم كضياء الشمس. وقد عرفوني معرفة الأرض. أي في الأرض. فجاءوني وحيوني وأنزلوني على شط ذلك النهر. وإذا على حافتيه أشجار من نور ولها أغصان كثيرة متدلية في الهواء وإذا على كل غصن منها وكر طير. أي من الملائكة وإذا في كل وكر ملك ساجد ففي كل ذلك أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي كن لي يا عزيزي جارًا من جميع المستجيرين وجليسًا من الجالسين ثم هاج من سرى شيء من عطش نار الاشتياق حتى إن الملائكة مع ...ه الأشجار صارت كالبعوضة في جنب همتي وكلهم ينظرون إلي متعجبين مدهوشين من عظم ما صدر مني.

ثم لم يزل يعرض عليّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليه إجلالًا لحرمة ربي وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ. فلما علم الله تعالى من صدق الإرادة في القصد إليه وتجريدي عمن سواه فإذا أنا بملك مد يده فجذبني ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثالثة. فإذا جميع ملائكة الله تعالى بصفاتهم ونعوتهم قد جاءوني يسلمون علي. فإذ ملك منهم له أربعة أوجه: وجه يلي السماء. وهو

يبكي لا تسكن دموعه أصلًا. ووجه يلي الأرض ينادي: يا عباد الله اعملوا ليوم الفراغ يوم الأخذ والحساب ووجه يلي يمينه إلى الملائكة يسبح بلسانه ووجه يلي يساره يبعث جنوده في أقطار السموات يسبحون الله تعالى فيها. فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ثم قال: من أنت؟. إذْ فضلت علينا فقلت عبد قد مَنَّ الله تعالى عليه من فضله. قال: تريد أن تنظر إلى عجائب الله؟ قلت: بلى. فنشر جناحًا من أجنحته. فإذا على كل ريشة من ريشه قنديل أظلم ضياء الشمس من ضوئها. ثم قال: تعالَ يا أبا يزيد واستظل في ظل جناحي. حتى تسبح الله تعالى وتهلله إلى الموت فقلت له: الله قادر على أن يغنيني عنك. ثم هاج من سري نور من ضياء معرفتي أظلم ضوؤها: أي ضوء القناديل من ضوئي. فصار الملك كالبعوضة في جنب كمالي ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلَّت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إلى ذلك إجلالًا لحرمته. وكنت أقول في كل ذلك: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه فإذا أنا بملك مد يده فرفعني. ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الرابعة فإذا جميع الملائكة بصفاتهم وهيئاتهم ونعوتهم قد جاءوني ويسلمون عليَّ. وينظرون إليَّ كما ينظر أهل البلد إلى أمير لهم في وقت الدخول يرفعون أصواتهم بالتسبيح والتهليل من عظم ما يرون من انقطاعي إليه وقلة التفاتي إليهم ثم استقبلني ملك يقال له: نيائيل. فمد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شاطىء بحر عجاج لا ترى أوائله ولا أواخره. فألهمت تسبيحه وأنطقت بلسانه ولم ألتفت إليه ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلَّت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليه إجلالًا لحرمته وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة والقصد إليه. فإذا أنا بملك مد يده فرفعني إليه. ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الخامسة. فإذا أنا بملائكة قيام في السموات. فسلموا كلهم عليَّ بأنواع اللغات. فرددت عليهم السلام بكل لغة سلموا عليَّ. فتعجبوا من ذلك ثم قالوا: يا أبا يزيد: تعالَ حتى تسبح الله تعالى وتهلله ونعينك على ما تريد. فلم ألتفت إليهم إجلالًا

لربّي فعند ذلك هاج من سرّي عيون من الشوق فصار نور الملائكة فيا التمع مني كسراج يوضع في الشمس. ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه فإذا أنا بملك مدَّ يده فرفعني إليه. ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السادسة فإذا أنا بالملائكة المشتاقين جاءوني يسلمون عليَّ ويفتخرون بشوقهم عليَّ فافتخرت عليهم بشيء من طيران سري ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلّت الألسن عن وصفه ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليه. وكنت أقول: يا عزيزي مرادي في غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه. فإذا أنا بملك مدَّ يده فرفعني ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السابعة فإذا أنا بمائة ألف صف من الملائكة استقبلني. كل صف مثل الثقلين ألف ألف مرة. مع كل ملك لواء من نور تحت كل لواء ألف ألف ملك. طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام وكان على مقدمتهم ملك اسمه بديائيل. فسلموا عليّ بلسانهم ولغتهم فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك. فإذا منادٍ ينادي: يا أبا يزيد: قف قف. فإنك قد وصلت إلى المنتهى. فلم ألتفت إلى قوله.

ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه يجربني. وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ. فلما علم الله تعالى صدق الإرادة في القصد إليه صيرني طيرًا. كان كل ريشة من جناحي أبعد من المشرق إلى المغرب ألف ألف مرة. فلم أزل أطير في الملكوت وأجول في الجبروت وأقطع مملكة بعد مملكة وحجبًا بعد حجب وميدانًا بعد ميدان وبحارًا بعد بحار. وأستارًا بعد أستار. حتى إذا أنا بملك الكرسي استقبلني. ومعه عمود من نور. فسلم عليَّ ثم قال: خذ العمود. فأخذته فإذا السموات بكل ما فيها قد استظل بظل معرفتي واستضاء بضياء شوقي. والملائكة كلهم صارت كالبعوضة عند كمال همتي في القصد إليه. ففي كل

ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليها إجلالًا لحرمة ربي الله تعالى.

ثم لم أزل أطير وأجول مملكة بعد مملكة وحجبًا بعد حجب وميدانًا بعد ميدان وبحارًا بعد بحار وأستارًا بعد أستار حتى انتهيت إلى الكرسي فإذا قد استقبلني ملائكة لهم عيون بعدد نجوم السماء يبرق من كل عين نور تلمع منه. فتصير تلك الأنوار قناديل. أسمع من جوفَ كل قنديل تسبيحًا وتهليلًا ثم لم أزل أطير كذلك حتى انتهيت إلى بحر من نور تتلاطم أمواجه. يظلم في جنبه ضياء الشمس. فإذا على البحر سفن من نور يظلم في جنب نورها أنوار تلك الأبحر فلم أزل أعبر بحارًا بعد بحار حتى انتهيت إلى البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن فلم أزل أسبح فيه حتى رأيت ما من العرش إلى الثرى من الملائكة الكروبيين وحملة العرش وغيرهم ممن خلق الله سبحانه وتعالى في السموات والأرض أصغر من حيث طيران سري في القصد إليه. من خردلة بين السماء والأرض. ثم لم يزل يعرض عليَّ من لطائف بره وكمال قدرته وعظم مملكته ما كلت الألسن عن نعته وصفته ففي كل ذلك كنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. فلم ألتفت إليها إجلالًا لحرمته. فلما علم الله سبحانه وتعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه نادى: إليَّ إليَّ وقال: يا صفيّ أدن مني وأشرف على مشرفات بهائي وميادين ضيائي واجلس على بساط قدسي حتى ترى لطائف صنعي في آنائي أنت صفيّي وحبيبي وخيرتي من خلقي. فكنت أذوب عند ذلك كما يذوب الرصاص. ثم سقاني شربة من عين اللطف بكأس الأنس. ثم صيرني إلى حال لم أقدر على وصفه ثم قربني منه وقربني حتى صرت أقرب منه من الروح إلى الجسد ثم استقبلني روح كل نبي يسلمون عليّ ويعظمون أمري ويكلمونني وأكلمهم. ثم استقبلني روح محمد (ﷺ) ثم سلم عليَّ فقال، يا أبا يزيد مرحبًا وأهلًا وسهلًا فقد فضلك الله على كثير من خلقه تفضيلًا. إذا رجعت إلى الأرض أقرىء أمتي مني السلام وانصحهم ما استطعت وادعهم إلى الله عز وجل ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين. وبقي الحق بلا كون ولا بين ولا

أين ولا حيث ولا كيف جل جلاله وتقدست أسماؤه.

قلت: وهذا الذي وقع لأبي يزيد رضي الله عنه. يسمى معراجًا وهو يقع للأنبياء والأولياء. وقد صنف في ذلك القشيري كتابًا وسماه «المعراج».

وهو يقع لكثير من أهل الولاية منامًا ويقع لهم بين النوم واليقظة. ولا يقع لهم في اليقظة بالبدن الحقيقي.

قال القشيري في كتابه «المعراج» مسألة: فإن قيل: إذا قلتم بجواز الكرامات؟ وما تقولون فيما يطلقه الناس من هذه الطائفة من معراج أبي يزيد البسطامي وغيره؟.

قيل أما المعراج بالبدن فلم يُنْقَل عن واحد ولم يُخْبَر عنه أنه كان له ولا يبعد أن يقال: إن ذلك لا يكون لغير المصطفى بالاجماع (ﷺ).

ولو قيل: إن ذلك في الجواز لكان مذهبًا وإلى وقتنا لم يخبر عن أنه كان له ذلك.

فأما في النوم فغير مستنكر أن يكون لبعض الخواص ذلك. سمعت أحمد الطابراني السرخسي رحمه الله يقول: كنت أرى في ابتداء إرادتي في المنام كل ليلة سنة كاملة كأني أرفع إلى السماء وكنت أرى العجائب في النوم. وأما حالة بين اليقظة والنوم يرى العبد أنه يُحمَل إلى السماء ويرى في تلك الحالة العجائب فهذا معتاد معهود موجود لكثير من الذاكرين الله تعالى في ابتداء أحوالهم. فهذا مما لا يداخلنا فيه شك أنه يكون لأهل الذكر ذلك لتحققنا بذلك بطرق لا يمكن جحدها. اهـ. انتهى كلام القشيري.

وقد أخبرني الولي العارف محمد بن علي بن عبدالله الخليلي أنه عُرِجَ به إلى السماء حتى وصل إلى اللوح المحفوظ فسأل الكتبة: أيزني الولي؟ فقيل له: لا. قال: ورأيت لوحًا لا أول له ولا آخر وهو مقسم إلى خانات في كل خانة اسم صاحبها وكتب فيها عمله وهل هو سعيد أم شقي وهل من أهل النار أم

من أهل الجنة؟. قال: فقلت: أنزلوني ووضعت يدي على عيني حتى لا أطلع على أعمال غيري حياءً من ربي.

وقد وقع لي المعراجُ فعُرِجَ بي إلى السماء حتى رأيت كرسيًا وقد جلس عليه شيخنا غوث الزمان العارف الكبير سيدي عبد المجيد الشريف رضي الله عنه. كان ذلك بين النوم واليقظة، وكان عمري آنذاك أربعة وعشرين عامًا رضي الله عن جميع مشايخنا وقع لنا ذلك في سنة ستٍ وأربعمائه وألف من الهجرة.

واعلم يا أخي أنَّ معراجَ الولي ذرةٌ من معراج النبي ذلك ليعلم منصب النبوة. من منصب الولي. وما دامت الكرامةُ مطيةَ الولي فليفعل بها ما يشاء من خزائن الجود الإلهية ولا حرج على فضل الله تعالى. ولا ينكرُ هذا إلا محجوبٌ عاجزٌ عن أنْ يأتي بما أتى به غيره من رؤساء هذا الشأن.

والمعراج يعرج إليه أهل الولاية على مراتب:

(فمنهم) من يمشي فوقه ولا يقرأ ما فيه دلالًا على ربه.
(ومنهم) من يمشي فوقه ولا يقرأ ما فيه حياءً من أن يطلع على سر غيره.
(ومنهم) من ينظر إلى تخطيط القلم في اللوح.
(ومنهم) من ينظر إلى تحريك اليمين للقلم.
(ومنهم) من ينظر إلى خاناته كصاحبنا محمد بن علي.
(ومنهم) من يعرج فيطلع على الجنة والنار ويرى العجائب فيهما.
(ومنهم) من يعرج إلى الكرسي.
(ومنهم) من يعرج إلى العرش.

كتاب
ما يخالف المريد فيه شيخه

الحمد لله العلي الأعلى. المليك الأسنى. والبديع الأبهى. سبحانه لا تحيطه عيون. ولا تدركه فنون. من مثله؟ وهذه آياته شاهدات على مسارح ابتداعاته. بل على آيات اختراعاته؟.

تَبـدّى لنـا في كُـلِ شيءِ حبيبُنـا فَتِهْنـا كَما تَـاه الكَليمُ بــه عُجْبــا
وَمَـا نحنُ إلا حُجْبُـه وهـو سرنـا وَيَفْهمُ سِرَّ الحُجْبِ من فَهِمَ الحُجبـا

وصلى الله على عزيز الوجود وفتاه. وأوله ومنتهاه. الطود الأشم. والمحيط الأعم. طلسم العوالم. وشيخ المكارم. وسلطان المعالم. وعلى آله وصحبه الراسخين. الأساطين. وبعد.

فإن علم المخالفات من علوم الكتم. ومن أسرار الختم. علم ظاهر وباطن. لا يعلمه إلا فتى ولي كامن. مُلِيء هذا العلم مكرًا. واحتوى عبرًا. فمنه المباح في المقولة. ومنه دون ذلك المكتوم في الملة والنحلة.

وهذا علم إثبات في الذات. فبه يثبت وبه ينفى. وبه يقتفى. فبه يثبت النبهاء توحيد الحقوق الإلهية. ومعالي الأمجاد الربانية. فوقع في العهد الأول أن الكل سيخالف ما سوى الرب. وهذا في حق نبي وولي. وكافر وعامي.

فأما النبي فقول الحق تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾. وقوله تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾.

ولما كان الحق تعالى لا تناسب بينه وبين شيء لمخالفته للحوادث وقيامه بالذات وبالديمومية المطلقة فإن قانون المخالفات سقط في جنابه. فلا يوجد إلا المخلوق. والمخلوق لا شيء بالنسبة للخالق الأعظم. فقانون المخالفات ارتسم في ديباجة الخلق دون الخالق. ووقع للمربوب دون الرب.

فكتب على كل نفس حظها من هذا القانون. والمتحقق في هذا العلم يرى المخلوق يخالف إما المخلوق شبيهه وإما الخالق ربه. وكون الخالق تعالى يخالف فهذا ساقط في علمنا يا ولي. لكونه ليس كمثله شيء. فمن يخالف؟.

فالمخالفات واقعة بين البشر لوقوع التناسب بينهم ووجود التكافؤ الجنسي.

فمنهم مخالف في الباطل وهذا ضربٌ لا يعنينا.

أما المخالفة لأجل الحق فهو ضربٌ يعنينا. وعلم يغنينا فالمخالف ما دام مع قاعدة الحق فإنه سائر إلى الحق تعالى ولا حرج عليه.

فإن خالف المريد شيخه ومعه الحق اليقين شهد له الحق وأهله بذلك. فإن خالفه في الدنيا فله الحق عليه. كأن نازعه في حق غير ديني بل دنيوي. فللمريد أن يحتج ويخالف ويظهر حقه على شيخه.

ويخالف المريد شيخه إذا أمره بما لا يطيقه من أمور أمره بها الشيخ كأن كلفه بما لا يطيق من عبادات أو علم أو إنجاز شغل دنيوي.

ويخالف المريدُ شيخه إذا أمره بأمر مما لا يعنيه فيه شيء ولا دخول ليده في هذا الأمر. كأن يأمره باحتراف حرفة لا خبرة له بها أو لا ميل عنده لها.

وله أن يخالفه إذا تيقن عدم نجاح الشيخ في شيء متعارف عليه في عرف المجتمع كأن يتجر الشيخ فيخسر. أو يحترف حرفة فيفشل. ودلائل المظاهر تؤيد عدم نفوذ بصيرة الشيخ في هذا الميدان.

وله أن يخالفه في أمر ربما تضرر منه المريد في دنياه أو أمر خاص. أو شيء مزاجي سري خافٍ على الشيخ ولا يستطيع أن يكاشف المريد به الشيخ.

وله أن يخالفه في منام رآه لم يرَ للشيخ يقين يوضحه.

وله أن يخالفه في حقوق غيره حتى لا يحمل وزرهم أو يأثم بهم.

وخلاصة المعنى أنَّ الحقَ تعالى أقام أهل الكمال في الأكوان وليس لهم الكمالُ اللوحيُ مطلقًا. بل أقيم من يعارضهم على حسب مقاماتهم. من نبي وولي. ذلك ليثبت مقولة الحق التي لا تعارض. فإذا فقدت منهم مقامات العلم الوقتي. فهي ليس زلة. عند البعض كأولي العزم بل هذا من المقام العالي. والآخرون وقعوا في زلة من أغراض النفس. لعدم اكتمالهم اللوحي.

ولا خوض في معارضة النبي. كمن عارضه كعمر في مواقف له مشهورة. كأسرى بدر. وسر ذلك لعدم نفوذ النقص إلى فهم معارضة النبي. لكونه مقامًا دون مقام المخالفات الأخرى كالصديق والولي.

فعلم أهلُ الحضرة أنَّ واحدَ الوجودِ هو الحق تعالى لا غير دون وصول يد مخلوق إلى حضرة الأوامر المحضة وعدم المخالفة المطلقة التي هي للحق تعالى تنبغي دون غيره. ولا يستحق هذه الحضرة على التحقيق إلا المليك على الإطلاق. ومقام آيتها من الفرقان قول الحق تعالى: **﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**.

وكذا آيتها قوله تعالى: **﴿ما يبدل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد﴾**.

فكل ما نطقت به تلك الحضرة فليس هو مقام فيه جدل بل مقام نفوذ محض. لا يدخل هذه الحضرة تبديل كقدر خرم إبرة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فكان من تلك الشؤون ألا يستحق هذه الحضرة مخلوق قط لعدم مقاومته فيها. وإلا ذاب كذوبان الرصاص. بل مقامه الخلق المحض.

وأما مقامه (ﷺ) فقوله تعالى: **﴿ما ينطق عن الهوى إن هو إلا**

وحي يوحى﴾. فدون النطق نطق. ونطقه مراتب. وهذه المراتب أحاط بها الحق وأسواره.

فأعلى نطقه عليه السلام النطق الفرقاني بلفظه الذي ملكته فيه الرهبة حتى هزه الملك ثلاث مرات ونال منه الجهد فقيل له اقرأ أي انطلق في هذا المقام بهذا المقام. لذا صعب عليه في البدء. حتى أمكن منه.

ومقامات النطق الأخرى أقل رتبة من النطق الفرقاني. عنده (ﷺ) ولكنها منظومة بلسان عصمته. ومسطورة ببيان حكمته. لا هزوَ ولا باطل. ولا ينطق إلا حقًا. ألا ترى أن الحق تعالى ارتضاه كي يعبر عن كلامه بلسانه. الذي هو دون القرآن فأسمعوه الحديث القدسي عندهم. لما علم من شدة تحققه في اللفظ.

رسالة
روح القدس

الحمد لله المتجلي في الوجود ★ بوحدة الشهود ★ هو عين الكائنات ★ وأصل المكونات ★ وأصلي وأسلم على حبر الوجود ★ وأستاذ أهل الشهود ★ النبي الأمي ★ والجبل الختمي ★

وبعد

فإنَّ كبار الكبراء تكلموا عن أنفسهم بحق لا بباطل فهذا سيدنا محمد (ﷺ) قال عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ★ وهو قدوة المُقْتَدَى بهم. وكم من ولي صنف عن نفسه ★ وتكلم عن وصفه مثل ابن عربي وحلاج والبسطامي والشبلي وعبد الكريم الجيلي وعبد القادر الجيلاني والشعراني وسيدي أحمد التجاني وإنني قد وضعت هذه الرسالة إحياء لسلوك قدماء القوم في التحدث عن أنفسهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ★

« درة تجلَّى بها روح القدس على قلبي أنَّه »
« لكل عصر خاتم أولياء وأن مقامه باقٍ إلى يوم القيامة »
« ويورث في كل عصر وتختم به الولاية »
« المحمدية »
في ذلك العصر

وقد رأيت إشاراتٍ ربانية ★ ومبشراتٍ محمدية قاسمية ★ وأخباراً علوية سماوية ★ وأنباءً وحيية ★ ومنامات نبوية ★ على أنني خاتم أولياء هذا

العصر والمجدد المحمدي المبعوث على رأس قرنه ★

المبشرة الأولى: رأيت المصطفى (ﷺ) فيما بين النوم واليقظة وأنا في حالة الفناء فيه وأنا أتكلم بلسانه الشريف وقال لي: أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء ★

المبشرة الثانية: اجتمعت في عام ١٤٠٧ برجل يرى رسول الله (ﷺ) في اليقظة اسمه عبد الرحيم زكي فقال لي ـ وقد أطرق إلى جهة القبلة لحظة ـ أرى رسول الله (ﷺ) الآن وهو يقول لي في حقك: لن يختم لك بخاتم الولاية ولن تكتمل لك دائرة الإحاطة إلا إذا تزوجت ثم يكون لله الأمر ولك ★

المبشرة الثالثة: رأيت مولانا عبد الغني النابلسي رضي الله عنه في المنام وهو يقول لي: اصبر ومقامك عالٍ جداً ★

المبشرة الرابعة: رأيت في عام ١٤٠٨ كأن عرش القطبانية نصب لي فجلست عليه وهو عرش له لمعان وبريق يخطف الأبصار مطعم بأنواع الجواهر كالماس والزبرجد واللؤلؤ ولها شدة إضاءة ولمعان لا يطاق وكان عمري آنذاك ٣٦ عاماً ★

المبشرة الخامسة: رأيت كأنني في الحضرة فنطقت بلساني: أنا فلتة برزت إلى الوجود منذ عالم البدء الأول ★

المبشرة السادسة: لما صنفت كتاب «المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء» رأيت شيخنا محمد بن سيد دلال العقالي رضي الله عنه وهو يقول لي: رأيت رسول الله (ﷺ) وقال لي في حقك: إنك مثل عبدالله بن مسعود أو أبي حامد الغزالي ـ لا أتذكر من هو منهما ـ

المبشرة السابعة: رأيت في المنام مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه وهو يقول لي: اسمك على اسمي ولقبك فيه أول حرف من لقبي فقلت له إنني صنفت تكملة لفتوحاتك فسكت ★

المبشرة الثامنة: اجتمعت في عام ١٤٠٩ هجرية بالولي الكبير الشيخ محمد أبو بطانية وهو من أقطاب أولياء الصعيد فأول ما رآني قال أمام جلسائه: لو كانت مفاتيح السموات والأرض بيدي لأعطيتها للشيخ محي الدين الطعمي ★

المبشرة التاسعة: ذهبت في عام ١٤١١ لمولانا وشيخنا الغوث الكبير سيدي عبد المجيد الشريف رضي الله عنه في بيته فقلت له: ادعو لي فسكت برهة ثم قال: سيعطيك الله كل ما تريد في الدنيا وفي الآخرة ★

المبشرة العاشرة: اجتمعت في عام ١٤٠٩ بالولي الصالح الشيخ صلاح الدين أبو طالب التجاني رضي الله عنه فقال لي: ما وجهتك: فقلت له: القطبانية فقال لي في الحال: لك القطبانية وأكثر ثم مكث وقال لي: ولك الغوثية وأكثر ★

المبشرة الحادية عشرة: لما صنفت كتاب «طبقات الأقطاب» أخذته وذهبت به إلى مولانا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه فقال لي: ما هذا الذي معك قلت له: هذا كتاب صنفته وسميته «طبقات الأقطاب» فسكت برهة وقال: الذي يؤلف طبقات الأقطاب لا بد أن يكون قطباً ★

المبشرة الثانية عشرة: رأيت مولانا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه فيما بين النوم واليقظة فقال لي: فلان قطب فقلت له: وأنا فقال لي: لا أنت حاجة ثانية ★

المبشرة الثالثة عشرة: رأيت في المنام وأنا عمري عشرون عاماً كأنه نصب لي منبر عال فارتقيته ورأيت الخلق بين يديَّ قيام كأنهم في يوم المحشر فقرأت الرحمن علم القرآن في سماعة كانت بين يديَّ فخيل لي أن كل العوالم العلوية والسفلية سمعت صوتي ووصل صوتي إليها وإلى كل ذرة في الوجود ★

المبشرة الرابعة عشرة: في أول أخذي لطريقة سيدي أحمد التجاني رضي الله

عنه رأيته في المنام يعجن لي حلوى على طبلية ويلقمني إياها في فمي ★

المبشرة الخامسة عشرة: رأيت كأنني واقف على باب الجنة أنا والعارف بالله الشيخ صلاح الدين أبو طالب فقال لي: انظر إلى أسماء مؤلفاتك منقوشة على باب الجنة فالتفت فرأيت رموزًا وطلاسم منقوشة على باب الجنة فألهمني الحق تعالى أنها أسماء مؤلفاتي ★

المبشرة السادسة عشرة: أول ما أخذت طريقة سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه مكثت سبع سنين لا أكلم شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه ولا يكلمني فأول ما كلمني قال لي: ما اسمك؟ قلت: محيي الدين فقال لي: عسى الله أن يحيي بك الدين ★

المبشرة السابعة عشرة: لما صنفت كتابي «طبقات الأقطاب» رأيت رجلاً في المنام وهو يقول لي بغضب: لا تذكر سوى الأقطاب ★

المبشرة الثامنة عشرة: لما اجتمعت في صعيد مصر بولي الله سيدي محمد أبي بطانية رضي الله عنه قلت له: إنني رأيت رسول الله (ﷺ) في النوم فقال لي على الفور: وستراه في اليقظة وكان عمري آنذاك ٢٤ عاماً ★

المبشرة التاسعة عشرة: رآني إمام مسجد زيدان بإمبابة وأنا عمري ١٨ عاماً وكان رجلاً صالحاً يحبني محبة تامة كاملة أنا ووالدي واسمه الشيخ محمد عبد الرحمن رضي الله عنه فقال: لو سألني رجل من هو قطب هذا الوقت لقلت لهم: الشيخ محيي الدين الطُعْمي ★

المبشرة العشرون: قال لي القطب الكبير مولانا محمد زكي إبراهيم لما زرته: ما اسمك؟ قلت: محيي الدين. قال: عسى الله أن يجعلك مثل محيي الدين بن عربي فإن العرق دساس ★

المبشرة الحادية والعشرون: رأيت في المنام كأن سيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ) جالس على كرسي وهو رجل ممتلىء سمين أمام بيته فلما قام جلست على الكرسي بدلاً منه ★

المبشرة الثانية والعشرون: رأيت كأن أبا حامد الغزالي رضي الله عنه جالس في حلقة علم وأنا واقف على الحلقة أستمع إليه ★

المبشرة الثالثة والعشرون: رأيت في نومي الإمام الكبير الشيخ محمد متولي الشعراوي وهو بمكانٍ عالٍ جداً فلما رميته بأول نظرة من بصري رأيته نزل وأخذ يتحدث معي ★

المبشرة الرابعة والعشرون: حدثتني والدتي رضي الله عنها قالت: مرضت وأنت صغير فرأيت السيدة مريم العذراء في المنام وقد أتت ووضعت كفها الشريف على جبهتك فأصبحت وقد شفيت من مرضك ★

المبشرة الخامسة والعشرون: رأيت في المنام في عام ١٤١١ هجرية كأن شيخنا الغوث الكامل عبد المجيد الشريف رضي الله عنه يقول لي: أهلاً برحى الحضور في الزاوية التجانية ★

المبشرة السادسة والعشرون: رأى لي أحد الإخوان الصالحين في الطريقة التجانية مناماً كأنه يقول لي: لماذا لا تطبع كتبك أم تخاف أن تقرأ المريدون كتبك فيأتون إليك إذا طبعت ويتركون شيوخ التربية في هذا العصر؟ فقلت له في المنام على الفور: أما تعلم أنني شيخ تربية وكان عمري آنذاك ٢٤ عاماً ★

المبشرة السابعة والعشرون: رأيت كأنني أطوف بالكعبة طوافاً شديداً جداً وأنا مجذوب إليها كالحديد إلى المغناطيس وأدور حولها بسرعة شديدة جداً ★

المبشرة الثامنة والعشرون: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول الشيخ محيي الدين بن عربي هو الشيخ الأكبر فقلت له: وأنا أيضاً الشيخ الأكبر ★

المبشرة التاسعة والعشرون: كان يطلق عليَّ معظم مشايخي لقب الشيخ الأكبر ★

المبشرة الثلاثون: كنت أرى الكون كله أشباحاً تتحرك منذ صغري ★

ديوان
عروج الأشباح إلى منازل الأرواح

الحمد لله الذي حرك قلوب العارفين. إلى منازل الصادقين. وهيأها إلى مقامات الكاملين. وتوجها بتاج المكرمين. وزينها بناموس الفائزين.

الحمد لله الذي ميزهم. وفضلهم. واختصهم. فجهل قدرهم. إلا عن ربهم. فهو أعلم بهم.

فإن القوم ما أهمهم دنيا ولا آخرة. ولا فانية ولا باقية. سوى وجه ربهم الكريم. ورضائه العميم. سبحانه من مليك بديع. وملك شفيع. ملأت آياته الأكوان. وخرج حكمه عن المكان والزمان. من ذا قدره قدره. وتعرف على صحبه. ما هم إلا في ظل الوهم ساجدون. وعن حقيقة عبادته خارجون. هو الغني عن العبادة. والمستغني عن الزهادة. كل يوم هو في شان. ما له حاجة إلى إنسي ولا جان. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. وتعرف على قدر وصفه.

فهيا بنا يا ولي الله إلى ديار ليلى. كي نتوجه إلى معالم سلمى. وفيافي لبنى. ومشارف سعدى.

فإن الكل في عرفنا واحد سيان لا غير. ما هناك ليلى ولا سلمى ولا لبنى ولا سعدى. ما ثم إلا العين لا غير. فافهم أفهمك الله. واختصك الإله.

هناك هناك هناك ترتاح قلوب العارفين. وتهتز أرواح المصطفين. وترقص

أشباح الشاربين. وتعرج أرواح المريدين. إلى حضرة رب العالمين.

ما ثَمَّ غير الله. والباقي فناء يبغي نفسه. وخراب يعزُّ وصفه.

فرضي الله عن القوم ورضوا عنه. ما عرفوا سوى الحق تعالى. انخلعوا عن السوى. وتاهوا في الحمى. وما ذاك إلا لمحبتهم المجردة له. وتوجه بمجموع إراداتهم إليه. وصلى الله على فتى الوجود وقدسه. وروحه وهيكله. المحيط الأعظم. ونفثه وحدثه. وكرسيه وعرشه. وناره وجنته. ولوحه وقلمه. وعلى الآل والأصحاب. ما داع دعى. وعقل وعى.

وبعد

فهذا ديواني المسمى (عروج الأشباح إلى منازل الأرواح). قد جعلت فيه طائفة من شعري. وبنات فكري وعقلي.

كما فعلت في ديواني المسمى (نوح العندليب من هجر الحبيب).

وإني ما قلت الشعر وحق روح القدس إلا عزًّا. ووجدًا. وعشقًا. وهيامًا. فإنَّا معشر الصوفية غير متكلفين ولا متصنعين. بل لغتنا تنطق عنا. وهوانا سره يتكلم بنا. ما ثَمَّ غير هذا المعنى. فافهم كيف شئت. وارو عمن رويت. فإن ألسنة الأكوان ناطقة بنا وعنا وفينا وإلينا. والسلام.

« قصيدة بلوغ العارف إلى ديار المعارف »

كسرت قيود الشرك عن عنق ملتي ... لكون قيودي قد أذلت بصيرتي

هناك انطلقت في سماء إرادتي ... ورحت أجول في ميادين عزتي

هناك شربنا والشراب بقيتي ... وقد أسكر الخمار قوماً بفضلتي

شربنا رحيقاً غير أني لم أغب ... بشربي وغيري غائب في بقيتي

صفائي صفاء نوره من زجاجة ... وضوء سناها قد أضاء بهمتي

أحبة قلبي والغرام ملوعي ... أراكم بقربي في بعادي وغربتي

دعوا القلب يشرح والغرام يحدث ... أحاديث ليلى والرباب وعزة

ففـي خـبر سلمـى ثم ميـــة قصتي — وفي هجـر لبنـى ثم زينـب راحتي
لـذاك تـراني كنـت أكتم عبرتي — إذا ذكـر العشـاق صـونـاً لـدمعتي
وفي بـاطني قلـب تمزق لبـه — وإن دمـاه مـن دمـوعـي السخيـة
فبعـدكم قـربٌ وقـربي بعـدكم — وتعـذيبكـم حلـو فـرفقـاً بمهجتي
ديـار لليـلى في بـلاد بعيـدة — أراهـا بجنبـي رغـم بعـد المسـافـة
يظـن عـذولي أننـا في تبـاعـد — ويحسد شـوقـي إذْ يـراني بلـوعـة
ورغـم بعـاد في المسـافـة بيننـا — تـرانـا نقبـل بعضنـا بحرارة
وذا عجـب مـن قـربنـا وبعـادنـا — وما عرف العشاق معنـى المسافـة
تلاحظنـي ليـلى بعـين خفيـة — وكـل منـاهـا أن تنـال محبتي
وتكتم حبي عـن عيـون عـواذلي — وتنطـق جهـراً إن ظفـرنـا بخلـوة
عيون القلى تبدي نفوسـاً مـريضـة — وعينـك ليلي في الحنـان اطمأنـت
أذوب غرامـاً إنْ نظـرت جمالكـم — وأفنى فأنسى كـل شـوقـي ومتعتي
فيكمـل أنسي بعـد طـول تصبري — وأحظي بـوصـل نلتـه بعـد بلـوة
جننـا بليلى وهـي جنـت بغيرنـا — ومـن غيرنـا جنـوا بنـا في المحبـة
أصـول الهوى منـا تبـدت لغيرنـا — فكـل محب قـد فنـا في محبتي
وبالدف والألحان قد نلت حظـوتي — سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي
سل القس والرهبان عن صنف نحلتي — سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي

« قصيدة العذاب المستطاب والسحر المذاب »

أخذتم فـؤادي مـن حشـاي وسرتم — فردوا فؤادي فـالشغـاف سكنتم
لقد ضاع عمري بعد طول رحيلكم — وطـال انتظـاري والدمـوع سكبتم
أحبـة قلبي قـد ملكتم حشـاشتي — فجودوا بـوصـل فـالفـؤاد شغفتم
حـرام عليكـم كـل ذلي في الهوى — فما أنـا إلا عبـدكم قـد ملكتم
أردتم شرائـي أم مبيعـي فـإنني — أطـاوع فيكـم كـل أمـر حكمتم
رضـاكم رضـاي قـد سلبتم إرادتي — وسخطكم سخطي فكونـوا كما شئتم
أسـائـل ليلى والنجـوم عـن الهوى — ولا ردَّ يـأتي ألخصـام أردتم؟

جنوني قديم في تعشق روحكم ... ودائي عضال والدواء منعتم
أكابد شوقي في هواكم وأنتم ... صدود علينا بالصدود قتلتم
بكيت طويلاً من مرير فراقكم ... فأين فؤادي قد سلبتم وجرتم
ألاحظكم والشوق مني محدث ... ألا سر يا زمان الوصل عدنا وعدتم
ألا لا أعاد الله هجران بيننا ... فما خنتكم يوماً ولا الصب خنتم
رقيق فؤادي ليس يقوى لهجركم ... فرقوا لضعفي والضعيف رحمتم
وهبت حياتي كي أفوز بنظرة ... وكم من دماء في هواكم سكبتم
أنازع وقتي في انتظار رجوعكم ... وأحصي الثواني والوعود خلفتم
أجامل نفسي بالتصبر في الهوى ... وشوقي جمر واللهيب ضرمتم
أقاسي هواكم لحظة بعد لحظة ... وإن دموعي من دما ما جرحتم
أسامركم والنفس تهوى لقاءكم ... وما أتعس الدنيا إذا ما رحلتم
ألا أيها النجم المضيء بحيهم ... سلامي إليهم من محب أسرتم
لقد صار جسمي ناحلاً بعد هجركم ... وذاب فؤادي بالجوى قد أذبتم
دعوني وشوقي فالفؤاد قد اكتوى ... وفاض غرامي والضلوع سكنتم
وكل مناي أن أرى ضوء وجهكم ... فيحيي قتيلاً قتله قد هويتم

«قصيدة فناء المحب المغلوب في أوصاف الصب المحبوب»

رأيت محباً يبكي على إلفه ... ويسكب دمع العين من قلب عطفه
فذكرني حبيباً طالما زرته ... وليس بقلبي سوى جرح سيفه
إذا زرته أوصد الباب ضاحكاً ... وصدَّ صدوداً صده سحر عنفه
يداري هواي كي أموت زيادة ... وإني أموت كل يوم بحتفه
بكيت طويلاً من تتابع ظلمه ... وإني نضجت من تلظي رضفه
رقيق فؤاد غير أن طباعه ... تخالط مكراً من عجائب وصفه
وليس بعيب أن تراه مماطلاً ... فإن دليل المكر من فن ضعفه
جفون ضعاف غير أن وراءها ... جنود المنايا قد أسرن بشغفه
حويت معانٍ أنت فيها مكمل ... وريقك سكر قد سكرنا برشفه

بديع المحيا من تقاطيع يوسف — وجورك عدل من قوانين عرفه
إذا وافقته يبديني أني مخالفٌ — أشد عذابي أن يضنَّ بحرفه
إذ كلمته أبقى الجواب تعمداً — وهجر جوابي من حقيقة كيفه

« قصيدة مسامرة روح القُدس على بساط الأُنس »

أما تراه غربني — عز الأوطان شردني
وبالهجران أتحفني — عن الخلان أبعدني
وكنا قد تعاهدنا — مدى الأيام يصحبني
فغار الدهر تفريقاً — ففرقه وفرقني
غريب طاف بلداناً — لعلَّ الدهر يجمعني
أما تذكر تمازحنا — وروح الروح يبصرني
وماء القدس يغسلني — نسيم القرب أثلجني
لعاب الصب مازجني — وبالترياق بلسمني
فذابت كل بلوانا — وروح الصب قربني
وجمع الجمع أفنانا — فلا أبصر سوى عيني
أنا أنت بلا شك — وما أنت سوى عيني
توحدنا تمازجنا — فلا فرق يكدرني
ولو غبت لحيظات — لكاد البعد يقتلني
جبال الحب حملني — بحار العشق أشربني

« قصيدة إبداء ذرة من الشوق المحتوم إلى جناب القطب المكتوم »
شيخنا أحمد التجاني قدس الله روحه العزيز

قم واطرب القوم حادينا بنادينا — فإنَّ داعي الهوى أضحى ينادينا
هذا النسيم نسيم الوصل فينا سرى — هذا الحبيب أتى يسقي المحبينا
لا يعجب الناس منا إننا نفر — يميتنا الشوق أحياناً ويحيينا
تلومنا في الهوى قوم لتردعنا — عنه ولم تدرِ أن اللوم يغرينا

لا يستفيق ولا يصحو منادمنا ... ولا يمل من النجوى منادينا
ونفحة القدس تأتينا فتسكرنا ... من حضرة الغوث أبي العباس حامينا
تراه في الديوان والأقطاب قبضته ... مدوا الرقاب لقدميه ليرضينا
مقامه الختم الذي من زار حضرته ... ضجت بدعوته الأملاك تأمينا
والله ما دار فينا ذكره وجرى ... إلا ودارت مسرات الهنا فينا
كلا ولا أنشد الحادي مدائحه ... إلا تحكم بالألباب حادينا
كلا ولا نسمت فينا نسائمه ... إلا وعربد بين القوم صاحينا

« الفتح المشهود في مدح عملاق الوجود »

وهي في مدح شيخنا قطب الزمان عبد المجيد الشريف رضي الله عنه

غوث وقطب وفرد في المقاماتِ ... بحر وحبر وختم في الكمالاتِ
صحو ومحو ولوح في البداياتِ ... عشق ومحق وسحق في النهاياتِ
هام الوجود اختيالاً عند رؤيته ... عند التروحن يسري في الجمادات
دك الوجود جبالاً عند رؤيته ... لما أفاق تجلي في الإحاطاتِ
غوث تعالى فباهي كل منفرد ... يوحي الحقائق في أقصى المذاقاتِ
جن الوجود غراماً من حقائقه ... غني ليفشي أسرار المقاماتِ
فرد تغول في أسرار صنعته ... جبل تعمق في قاع المحيطاتِ
غوث تقطب في ديوان حضرته ... يهب العطايا لأبدال الإراداتِ
دعني أغازل فرد الوقت سيده ... إني قتلت بسهم في لحيظاتِ
سائل كؤوس الطلي من ذا يراشفها ... رشفاً بديع اللمى أفناني ساعاتِ
والخمر فارت وراقت وهي صافية ... للقوم تحلو فنفنى في المذاقاتِ
كلي وبعضي وجزئي بل وذراتي ... روح لذاك الفتى آه للوعاتِ
لما رآنا الهوى سحراً بذي سلم ... تهنا دلالاً على أهل السمواتِ
روحي وقلبي وعقلي فيه قد ذابوا ... لما سقاني بكأس الوصل كاساتِ
آه لذاك الهوى آه لآهاتي ... صح التأوه قم عربد بحضراتي
غبنا فنينا نسينا من تواجدنا ... لما حضرنا بديوان الكمالاتِ

بحر الفتـوة يسقـى كـل آنيـة حتى البحور استمدت والمحيطاتِ
عنه فحدث بديوان بغـار حـرا في الأرض تعشقه أهـل السمـواتِ
زلزل ودكرك وارفع من أمرت بـه واخفض بأيد التصرف في الإحاطاتِ
أنت الخليفة غوث الوقـت مفـرده ابـن النبي وعنـه ورثـت تـركـاتِ
كنـز الصفـات وفي الأسماء عملاق نلت المفـاتـح مـن أهـل النبـواتِ
بحر الولايـة في تيـاره غـرقـت كل الفحول وبل كـل المحيطـاتِ
ختم تـربـع في الديـوان مفتخـراً فـوق الملـوك سلاطين المقـامـاتِ
دك الفطـاحـل والأوتـاد والنقبـا لمـا تجـلى لأبـدال الكـمالاتِ
حدث نسيم الصبا عني وقد لعبـت خمر الغرام بروحـي فـانمحـى ذاتي
حتى سألت حبيب الروح عن صفتي قـال اتحدنـا وقـد تمت مـراداتي
لوح الوجـود وعـرش الاستـوا قلم نـار وجنـة فـردوس النهـايـاتِ
إرث النبي كنـوز نلـت جـوهـره بعـت المقـام الأقطـاب المقـامـاتِ
ليس الولايـة في صـوف ومسبحـة عين الولايـة في تـرك الكـرامـاتِ
طلـق سليمـى وليلى كـل ثـانيـة نزه فؤادك عـن حـب المقـامـاتِ
حدث ولمح وغـطِ السر بـرمـوزي فإذا سكرت فصن سري بشطحـاتِ
أنت العشيـق ورب العشـق منفـرد وأنـا القتيـل بـأسيـاف المليحـاتِ
بيني وبينـك سر ليس يعلمـه إلا النسيم جننـا بـالكنـايـاتِ

« رجوع إلى قصيدة إبداء ذرة من الشوق المحتوم إلى جناب القطب المكتوم رضي الله عنه »

طابت بأخبـاره الأرواح وانتعشـت كـأن في ذكـره ورداً ونسرينـا
لما لا نهيم غـرامـاً في محبـة مـن؟ يلـوذ حـاضرنـا فيـه وبـادينـا
هـو الهمام الذي إمـداد همتـه مـن المهمات في الداريـن تنجينـا
غوث الوجود سحاب الجود بدر هدى بنـوره لطـريـق الله يهدينـا
بحر الحقـائـق في تيـاره غـرقـت أولو النهي وبـه هـام المحبـونـا
يسقى نفوس الهوى من بحر همتـه ومن كؤوس شراب الحب يسقينـا

يبري رقاب العدي في سبق همته قطعاً ومن سائر الأسقام يبرينا
لا تعجبوا من جنوني في محبته إني بليلي هواه صرت مجنونا

« قصيدة رشف ثغر الصب على بساط القرب »

دلال الصب أحياني وطول الوصل أفناني
وغبنا في تمازجنا فلا أبصر سوى الفاني
ورشف الثغر يرشفني بلا ثغر وشفتان
فصرنا واحداً يبدو ولا يبدو لإنسان

« قصيدة لامية الدلال »

وخلِ أغراه الحلمُ بعدَ طولِ تجملي
أم اللوعةُ الحرى أجلْ تقطعُ في كلي
وكيفَ يروقُ الخلُ نزراً من النهلِ
سأصرمُ بعدَ العذل إصْري فلا تقلِ
وخلِ أغراه الحلمُ بعدَ مُرِ تذللي
دنا طيفُكَ النائي هَوّنْ رؤى الشكلِ
فَأُريتُ سطرَ النورِ يَسري إلى الظلِ
وأنستُ كلَ الأنسِ أدْنو بِلا سدلِ
فَيحارُ هدبُ الطَرفِ هَمْزٌ بِلا وصلِ
حُوْرٌ جرَحتْ جفوناً تَقتلْ بِلا سَلِ
رَبّاه هذا الدلالُ جَبلٌ من الثقلِ
انظرْ تلكَ اللحاظَ أسْقِمن من نكلِ
أراكَ خفيَّ الطيفِ تبدو بِلاَ ميلِ
أراكَ نحيلَ الخصرِ تأسرْ بِلا كبلِ
أراكَ ضعيفَ الجفنِ حورٌ بِلا كحلِ

هلْ أنتَ مـن الأرواحِ جِسمٌ بِلا ظِـــلِ
هـل تـدركُ الأشبـاحُ نسجـاً مـن الغـزلِ
أينـا سَهِـدَ يطـوي زلفـاً مـن الليـلِ
كم بلبـل يشجـو لحنـاً غير يسلي
هـل يسكـر الأقـداحَ صـاعٌ مـن الطـلِ
إن تنفس الصبـحُ فقد فـزتَ بـالشمـلِ
كـذا مشربُ الأرواح نُهـر مـن السيـلِ
وأنسٌ وقبـضٌ بسـطٌ وجمعٌ وجمعُ الشمـلِ
وأشـواقٌ قـد تطيرُ قد تحصى على الرمـلِ
وغصـتُ بحارَ العشـقِ حتى فنـا أصلي
وزهـدتُ في الأغيـارِ لا أبغـي سـوى وصلي
ويهمسُ ثغـرُ الصـبِ زدني على المهـلِ
وعدنتُ في الروضـاتِ انظـرْ إلى رفلي
ونفـحٌ مـن الطيـبِ مـن حظـيرةِ الليـلِ
وجـاءتْ فتـاةُ الحيِ تمشي على مهـلِ
فهمتْ غزيـرَ القطـر تبكـي على جهـلِ
فشفـت وغيرَ الصـدرِ مـن تـأزمِ الحيـلِ
فأضحتْ تزجي آهـاتِ على غـابـرِ الأمـلِ
فـرحـتُ أكفكفهـا بثـوب مـن السحـلِ
أأكتمُ جفـوَ الكـلِ كـي أنجو مـن النيـلِ
أم أشكـو إلى الخلِ كي أصبو إلى العَـذلِ
حسـنٌ مـن اللهِ عن حسنك لا تسـلِ
إنْ أنـتَ إلا ملـكٌ من يوسفَ في الأصـلِ
إن بـرقـتْ ثنـايـاه كادَ يُمذي بـالعسـلِ
إن كُشِفـتْ ستـائـرُه كـادَ يصرعُ بـالخَبْـلِ
وإنْ أطْلَـقَ الألحاظَ فـالقتـلُ بـالأسـلِ

لوْ أُغْضِبَ المحبوبُ   يا ويلي كلَّ الويلِ
إنْ وزنتْ جبالُ   ما في الحرمِ والحِلِ
لرجحتْ رزانتُهُ   ملءَ الأرضِ مِنْ جَبلِ
إنْ قِيستْ فصاحتُهُ   دَلَّ الكلمُ عن صَقلِ
إنْ أَخْرَجَ الألفاظَ   تاه مع القَولِ
من ينكرْ ملاحتَهُ   إلا خِبٌ ذو خَبْلِ
من ينصفُ المظلومَ   خلٌ بغي قتلي
لو ذقتَ من ريقِ الخِلِ   ذقتَ الخمرَ بالعَسلِ
إنْ طفتَ آثارَ القومِ   لا تحملْ على جَملِ

« قصيدة تقبيل الثغر بقبل الجمر »

دعني أقبل هذا الثغر يا أملي   فإن عشقك قد أمسى يعللني
إني قتلت مراراً من تدللكم   إني أبحت وصالي من يقبلني
هاك الفؤاد وإني لست أحمله   قد فزت أنت به والصبر جملني
من ذا يرق لخل ضاع معظمه   قد ضاع في حب والحب قتلني
أنت المراد الذي لا زلت أذكره   مر الدهور وإنَّ الدهر يبلوني
زاد الدلال فكأسي ليس يقبله   ته في الدلال وإنَّ هواك أنحلني
دعني وشأني فحبي بات يقلقني   أمست لواعجه في الدهر تشجوني
هذه حياتي فخذها أنت مالكها   كلي إليك وهذا ليس يشفيني
بح لي بحب وإني رمته دهراً   فيه حياتي وروحي أنت تحييني
إني أحب وخلي ليس يرحمني   قد بات يسهرني والنوم يهجرني
خذ من هواي دليلاً لست أقبله   كيما تقيم خصاماً عنك يصرفني
ما لي سئمت حياتي فالأسى عذب   لا الماء يرويني والخل ينكرني
أهلاً بأهل الهوى والحي حيهم   قد مارسوا الشكوى والشك يقلقني
إني رقيق فؤاد في الهوى حدث   قد غره الحب والأحوال تنقلني
إني أمج فؤادي في فم عطر   فإن ريقك في ريقي يرويني

لا أستلـذ ولا تحلـو منـادمـة   حتى تلـذ وأنس منـك يفنيني
سل فالأحبة مذ عشقوا وما سألـوا   إن السؤال عـن الأحبـاب يكفيني
هلا نظـرت إلى حـالي وتسـألني   عن صدق حبي وسر هـواك يغنيني
دعنا وعتب فإن النفس قد سئمت   طول العتاب فترك العتـب يغـريني

« قصيدة »

الشرع سـور قـد أحـاط بجانبي   وحقيقتي تخفـى عـن الجهـال
تسعون بحراً قد جـرت في بـاطني   مـا غيبتني عـن حقيقـة حـال
مـوسى كليم الله يحكـم ظـاهـراً   والخضر يحكـم بـالقضـا في الحال

كتاب
الحديقة الزوراء في فضل عاشوراء

هذا جزء قد جمعته في فضائل عاشوراء وما ورد فيها. قال في القاموس: العاشوراء والعشوراء ويقصران. والعاشور عاشر المحرم أو تاسعه اهـ.

قال الفيومي في المصباح المنير في كتاب التاء مع السين والعين (التسع): وقوله عليه الصلاة والسلام (لأصومن التاسع) مذهب ابن عباس وأخذ به بعض العلماء أن المراد بالتاسع يوم عاشوراء. فعاشوراء عنده تاسع المحرم. والمشهور من أقاويل العلماء سلفهم وخلفهم أن عاشوراء عاشر المحرم. وتاسوعاء تاسع المحرم. استدلالا بالحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام صام عاشوراء فقيل له ان اليهود والنصارى تعظمه فقال فإذا كان العام المقبل صمنا التاسع فإنه يدل على أنه كان يصوم غير التاسع فلا يصح أن يعد بصوم ما قد صامه وقيل أراد ترك العاشر وصوم التاسع وحده خلافاً لأهل الكتاب وفيه نظر. لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا قبله يوماً وبعده يوماً». ومعناه صوموا معه يوماً قبله أو بعده حتى تخرجوا عن التشبه باليهود في إفراد العاشر. واختلف هل كان واجباً ونسخ بصوم رمضان أو لم يكن واجباً قط. واتفقوا أن صومه سنّة وأما تاسوعاء فقال الجوهري اظنه مولدا وقال الصغاني مولد فينبغي أن يقال إذا استعمل مع عاشوراء فهو قياس العربي لأجل الازدواج وإن استعمل وحده فمسلم وإن كان غير مسموع. اهـ.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: عشّرت القوم تعشيراً إذا كانوا تسعة فجعلتهم عشرة. وحمار مُعَشِّر: شديد النُّهاق متتابعه لا يكف حتى يبلغ به عشر نهقات. وعندي ثوب عُشارِي أي عشرة أذرع. اهـ.

عن الحكم بن الأعرج رضي الله عنه قال: انتهيت إلى ابن عباس فهو متوسل رداءه عند زمزم فقلت له أخبرني عن صوم عاشوراء فقال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائماً قلت هكذا كان رسول الله (ﷺ) يصومه قال نعم رواه الخمسة إلا البخاري.

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صام رسول الله (ﷺ) يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى قال: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله (ﷺ).

وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله (ﷺ) بصوم عاشوراء يوم العاشر. وروى الأربعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله (ﷺ) يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي (ﷺ) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه. رواه البخاري.

وروى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم فقال رسول الله (ﷺ) فصوموه أنتم.

وروى الشيخان والنسائي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: أمر

النبي (ﷺ) رجلاً من أسلم أن أذِّن في الناس أنَّ من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء.

وعن الرُّبَيِّعِ بنت مُعَوِّذ رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله (ﷺ) غداة عاشوراء إلى قُرَى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائماً فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العِهْن. فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه إلى الإفطار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت رسول الله (ﷺ) يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء. وهذا الشهر شهر رمضان.

هذان الحديثان رواهما الشيخان.

وروى الخمسة إلا البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله.

وروى الطبراني والبيهقي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: من وَسَّعَ على عياله في يوم عاشوراء وَسَّعَ الله عليه في سنته كلها.

وثبت في الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صومه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر.

واعلم أن المشهور الذي عليه الجمهور سلفاً وخلفاً والأئمة الأربعة أن عاشوراء هو اليوم العاشر لا التاسع وهو الموافق للاشتقاق. ولكن قال الشافعي وأحمد: يندب صوم التاسع والعاشر لأن النبي (ﷺ) وإن صامهما منفردين ولكنه نوى صومهما معاً إنْ طالت حياته ولقول ابن عباس: صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود وكان بعضهم يصوم التاسع والعاشر والحادي عشر وهذا أحوط والله أعلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) لم يكن يتوخى فضل يوم على يوم بعد رمضان إلا عاشوراء. رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

وعنه أن النبي (ﷺ) قال ليس ليوم فضل على يوم في الصيام إلا شهر رمضان ويوم عاشوراء رواه الطبراني في الكبير والبيهقي ورواة الطبراني ثقات.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه ومن صام عاشوراء غفر له سنة رواه الطبراني بإسناد حسن. وروى أحمد عن أبي هريرة قال سر النبي (ﷺ) بأناس من اليهود صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا من الصوم فقالوا هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى شكراً لله عز وجل فقال النبي (ﷺ) أنا أحق بموسى ونوح بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم.

وروى أحمد والبزار عن ثوير بن أبي فاختة قال سمعت عبدالله بن الزبير وهو على المنبر يقول: هذا يوم عاشوراء فصوموه فإن رسول الله (ﷺ) أمر بصومه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): عاشوراء عيد نبي كان قبلكم فصوموه أنتم رواه البخاري وفيه إبراهيم الهجري وثقه ابن عدي وضعفه الأئمة. وعن عليلة عن أمها قالت: قلت لأمة الله بنت رزينة يا أمة الله حدثتك أمك أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يذكر صوم عاشوراء قالت نعم وكان يعظمه حتى يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في أفواههن ويقول للأمهات لا ترضعوهن إلى الليل. رواه أبو يعلى.

وعن زيد بن ثابت قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقوله الناس إنما كان يوم تستر فيه الكعبة وتغلس فيه الحبشة عند رسول الله (ﷺ) وكان يدور في السنة وكان الناس يأتون فلاناً اليهودي فيسألونه فلما مات اليهودي أتوا زيد بن ثابت فسألوه رواه الطبراني في الكبير.

وعن قيس بن عبد قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما رأيته مصلياً الضحى وما رأيته صائماً يوماً تطوعاً إلا يوم عاشوراء رواه الطبراني في الكبير.

وروى أبو يعلى عن أنس عن النبي (ﷺ) قال فلق البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء. وفيه يزيد الرقاشي.

وعن عائشة أن النبي (ﷺ) أمر بصيام عاشوراء يوم العاشر رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

كنوز الذهب
وقانون بلاغة العرب

الحمد لله،

الذي أبرز عيون الحقائق البلاغية، وأجلى ألسنة الرموز الفصاحية، وعلمها لهذا الآدمي، ومنذ النشأة علم الأسماء كلها لآدم المصطفى الصفي، فرفع الحق تعالى قدر الآدمية بملافظ اللسان، وأعلى ذكره بروائع البيان، وتوَّجه بأن ذكره بلسانه بجمال الفصاحة، ودعاه بكلمات رقيقة البلاغة والملاحة.

هذا وأصلي وأسلم على ترجمان البلاغة، وقطب الفصاحة، من أوتي جوامع الكلم، وحاز أعلى منازل الهمم، مولانا كعبة الوجود، وعرش الشهود، **محمد** النبي الخاتم، وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

وبعد،

فهذا كتابي في علم البلاغة المسمى «كنوز الذهب وقانون بلاغة العرب» وقد جمعته من عدة كتب من أمهات كتب البلاغة وأصولها مثل كتاب «نهاية الأدب» للنويري وكتاب «الاشارات والتنبيهات» للجرجاني وكتاب «العمدة» لابن رشيق وكتاب «البديع في نقد الشعر» للأمير أسامة بن منقذ وكتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري وقد جعلت فهرست الكتاب كالآتي:

(المطابقة) (الظرافة)

(الجناس)
(المقابلة)
(الموازنة)
(التقسيم)
(جمع الأوصاف أو التعقيب)
(التقعيب)
(التفسير)
(الإشارة)
(الإرداف والتوابع)
(المماثلة)
(الغلو)
(التذييل)
(التطريز)
(الترصيع)
(التوشيح)
(التلطف)
(التشطير)
(التطريف)
(الترديد)
(المضاعفة)
(التسميط)
(القلس)
(الاستعارة)
(التتميم)
(الاحتراس)
(التنكيت)
(التناقض)
(المبالغة)
(الالتفات)
(الرجوع)
(الاستطراد)
(الاستخدام)
(التعطف)
(المجاورة)
(الاستثناء)
(السلب والإيجاب)
(جمع المؤتلف والمختلف)
(النفي)
(التكرار)
(التجريد)
(المناسبة)
(المشاكلة)
(الإرصاد والنقض)
(المزاوجة والجمع)
(اللف والنشر)
(المحاجة)
(التعليل)
(الإطراد)
(الاستتباع والإدماج والتوجيه)
(الحشو)
(التشكيك)
(الانصراف)

(التعليق) (الالتقاط)
(التورية) (التثليم)
(الإيغال) (الإبهام)
(الاعتراض) (التضمين)
(الإغراق) (التفريع)
(التسهيم) (الإبداع)
(التجاهل) (الفلك والسبك)
(الإغراب) (القوة والركاكة)
(التفويف) (النادر والبارد)
(التهجي)
(الانسجام)

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المطابقة: إجماع الناس قائم على أنها الجمع بين الشيء وضده في الكلام مثل الجمع بين الحر والبرد والليل والنهار والإيمان الكفر والغضب والحلم. والطباق في اللغة الجمع بين الشيئين يقولون - طابق فلان بين ثوبين.

قال الزمخشري في أساس البلاغة: في باب طبق - «وافق شَنٌّ طبقة»: عطاءه. وأطبقت الرَّحى إذا وضعت الطبق الأعلى على الأسفل. وطابق الغطاء الإناء. وانطبق عليه وتطبق. ويقال: لو تطبقت السماء على الأرض ما فعلت والسموات طِباقٌ: طبقة فوق طبقة - اهـ.

ومن صنوف الطباق: مما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود﴾ وقوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا﴾. وقوله تعالى: ﴿باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾. وقوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾. وقوله تعالى: ﴿وإنه هو أضحك وأبكى وإنه هو أمات وأحيي﴾. ومن الشعر قول أوس بن حجر:

«أطعنـــا ربنـــا وعصـــاه قـــوم فـذقنـا طعـم طـاعتنـا وذاقــوا»

الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى ويكون تامًا وغير تام.

وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين: بأن التجانس في اللفظ واشتقاق المعنى وتأليف الحروف. اهـ.

والتام منه ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع والعدد والترتيب نحو:

«لم نلـق غيرك إنسـانًـا يلاذ بـــه فلا برحت لعين الدهـر إنسـانـا»

وغير التام نحو:

«يمدون من أيْـد عَـواص عـواصم تصول بأسياف قواض قـواضـب»

ومن التجنيس في القرآن قول الحق تعالى: ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾ وقوله تعالى: ﴿أزفت الآزفة﴾ وقوله تعالى: ﴿وجهت وجهي﴾ وقوله تعالى: ﴿التفت الساق بالساق﴾. ومن كلام النبي ﷺ (عصية عصت الله ورسوله. وغفار غفر الله لها. وأسلم سالمها الله). وعدد الأمير أسامة بن منقذ في كتابه البديع ثمانية أجناس فمنها «التجنيس المغاير» وهو أن تكون الكلمتان اسمًا وفعلًا مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وأسلمت مع سليمان﴾ وقوله تعالى: ﴿وجهت وجهي﴾.

والنوع الثاني «التجنيس المماثل» وهو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين كما قال الله تعالى: ﴿فروح وريحان﴾ وقال تعالى: ﴿وجنى الجنتين دان﴾ والنوع الثالث تجنيس التصحيف: وهو أن تكون النُّقَط فرقًا بين الكلمتين كما قال أبو تمام:

السيف أصـدق إنبـاء مـن الكتـب في حَـدّه الحدُّ بين الجدِّ واللعـب

والنوع الرابع تجنيس التحريف: وهو أن يكون الشكل فرقًا بين الكلمتين ومثاله:

أحبـــابنـــا مـــا بين فـــر قتكـــم وبين الموت فـــرق
جـازيتـمـونـــا فـي بعـــا دكـــم بمـــا لا نستحـــق
أفنيـتم العـــبرات فـابقـــوا وملـكتم رقـــى فـــرقـــوا

والنوع الخامس تجنيس التصريف: وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف كقول الله تعالى: ﴿لكنا أهدى من إحدى الأمم﴾ وكقوله تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا﴾.

والنوع السادس تجنيس الترجيع: وهو أن ترجح الكلمة بذاتها. كما قال الله تعالى: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ وكقوله جل جلاله: ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾.

والنوع السابع تجنيس العكس: وهو أن تكون الكلمة عكس الأخرى كما قال الله تعالى حكاية عن هارون: ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾. والنوع الثامن تجنيس التركيب: وهو أن تكون الكلمة مركبة من كلمتين كقول المعري:

البـــابليـــة بـــاب كـــل بليـــة فتـــوقين دخـــول ذاك البـــاب

وكقول بعض الصالحين: إنما سمي الدينار دينارًا لأنه دين ونار وإنما سمي الدرهم درهمًا لأنه يدر الهم. انتهى كلام الأمير أسامة. وقيل الجناس هو ما اتفق لفظًا في أربعة أمور: نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها وهو قسمان متماثل ومستوفى.

قال الفيومي في المصباح: (الجنس) الضرب من كل شيء والجمع أجناس وحكى عن الخليل هذا يجانس هذا أي يشاكله ونص عليه في التهذيب وعن بعضهم فلان لا يجانس الناس إذا لم يكن له يقين ولا عقل والأصمعي ينكر هذا الاستعمال ويقول: هو من كلام المولدين. وليس بعربي.

قد ذكر ابن رشيق في كتابه العمدة «باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة» وقال فيه: ومن ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين:

كقولهم «جلَلَ» بمعنى صغير «وجلل» بمعنى عظيم. فإن باطنه مطابقة وإن كان ظاهره تجنيسًا وكذلك الجون الأبيض والجون الأسود.

المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب نحو قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا﴾. قال العسكري في الصناعتين: المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل مثاله قوله تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم. انتهى.

قال ابن رشيق في العمدة: المقابلة: هي مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم هذا حد ما اتضح عندي وهي تتصرف في أنواع كثيرة وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطى أول الكلام ما يليق به أولًا وآخره ما يليق به آخرًا. وأكثر ما تجيء في الأضداد. ومما عابه الجرجاني على ابن المعتز من المقابلة:

بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود

لأن الخدود متوسطة وليست جوانب. فهذا من سوء المقابلة. وإن عده الجرجاني غلطا في التشبيه.

الموازنة: ومن المقابلة ما ليس مخالفًا ولا موافقًا كما شرطوا إلا في الوزن والازدواج فقط فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة:

أخلاق مجد تجلت ما لها خطر في البأس والجود بين الحلم والخبر

التقسيم: وهو استيفاء أقسام الشيء.

قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن التقسيم هو أن يقسم المعنى بأقسام تستكمله فلا تنقص عنه. ولا تزيد عليه. كما قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾. انتهى.

وقال العسكري في الصناعتين: التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة

مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه. انتهى.

وقال ابن رشيق في العمدة: اختلف الناس في التقسيم فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به كقول بشار يصف هزيمة:

بضربٍ يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجّى الفرار مثالبه
فراح فريق في الأسارى ومثله قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه

فالبيت الأول قسمان: إما موت وإما حياة والبيت الثاني ثلاثة أقسام أسير وقتيل وهارب. فاستقصى جميع الأقسام ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر.

وزعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر لجعفر يصف فرسًا:

أما إذا استقبلته فكأنه باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٌ قموصُ الوقع عارية النّسَا
أما إذا استعرضته متمطرًا فتقول هذا مثل سِرْحَان الغضا

واختاره أيضًا قدامة وليس عندي بأفضل من قول امرىء القيس إلا بشرف الصفات:

إذا أَقْبَلَتْ قلت دُبَّاءَة من الخُضْرِ مغموسة في الغُدُرْ
وإن أدبرت قلت أُثْفيَّة ململمة ليس فيها أثرْ
وإن أعرضت قلت سُرْعُوفة لها ذَنَبٌ خلفها مُسْبَطِرْ

جمع الأوصاف أو التعقيب: هو نوع من التقسيم ذكره ابن رشيق في العمدة وقال: زعم أبو العيناء أن خير تقسيم قيل قول عمر بن أبي ربيعة:

تهيم إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر
ولا قرب نعم إن دنت منك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت صابر

واختار قوم قول الحارثي:

فلا كمدي يَفْنى ولا لك رقةٌ ولا عَنْكِ إقصار ولا فيك مَطْمَع

وزعم الفرزدق أن أكمل بيت قالته العرب - أو قال: أجمع بيت - قول امرىء القيس:

له أَيْطلا ظبي وساقا نعامةٍ وإرخاء سِرْحَان وتقريب تَتْفُل

هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف وسماه بعض الحذاق من أهل الصناعة التعقيب - العين قبل القاف -.

التقعيب: وأما التقعيب فمكروه في الكلام. بتقديم القاف على العين والتقعيب مثل التقعير وتقول: قعب فلان كلامه قعره وهما بمعنى واحد. قال الزمخشري في أساس البلاغة في «قعب» إياك والتقعيب في الكلام وفلان مُقعِّبٌ: للمتشدق الذي يتكلم بأقصى حلقه ويفتح فاه كأنه قَعْبٌ والقَعْب إناء ضخم. انتهى.

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجبًا بقول العباس بن الأحنف:

ومنا لكم صرمٌ وحبكم قِلًى وعطفكم صَدٌّ وسلمكم حَرْبُ

ويقول: أحسن والله فيما قسم حين جعل كل شيء ضده والله إن هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس. حكى ذلك الصولي.

التفسير: قال النويري في نهاية الأرب: هو أن يذكر لفظًا ويتوهم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير. انتهى.

وقال العسكري في الصناعتين: هو أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها فإذا شرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تزاد فيها كقول الله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾. فجعل السكون لليل وابتغاء الفضل للنهار. انتهى.

وقال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن التفسير هو أن تذكر جملة فلا تزيد فيها ولا تنقص منها ولا تخالف بينها.

وذكر ابن رشيق في العمدة في «باب التفسير» قال: هو أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملًا وقل ما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد.

الإشارة: هو أن يكون اللفظ القليل مشارًا به إلى معاني كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها. كقول الله تعالى: ﴿**إذْ يغشى السدرة ما يغشى**﴾. وكقوله تعالى: ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾. وكقول تعالى: ﴿**فغشيهم من اليم ما غشيهم**﴾.

قال الأمير أسامة في البديع: في باب «الكناية والإشارة»: اعلم أن الإشارة إلى كل شيء حسن والكناية إلى كل شيء قبيح. مثل قوله عز وجل: ﴿**فيهن قاصرات الطرف**﴾ إشارةً إلى عفافهن. وقوله سبحانه: ﴿**كانا يأكلان الطعام**﴾ كناية عن قضاء الحاجة وقوله تعالى: ﴿**فرش مرفوعة**﴾ إشارة إلى نساء كرام. وقوله تعالى: ﴿**وأرضًا لم تطأوها**﴾ إشارة إلى سبي النساء.

وعدد ابن رشيق في العمدة أنوعًا كثيرة للإشارة فقال: من أنواعها التشبيه ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيماء ومن أنواعها التعريض ومن أنواعها التلويح ومن أنواع الإشارة الكناية والتمثيل ومن أنواعها الرمز ومن الإشارات اللمحة ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز ومن الإشارات اللحن. ومن الإشارات التعمية ومن الإشارات الحذف ومن أنواعها التورية. انتهى ملخصًا من العمدة.

الإرداف والتوابع: قال العسكري في الصناعتين: الإرداف والتوابع أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ويأتي بلفظ هو ردفه وتابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده مثل قوله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ وذلك أن الناس يتكافون عن الحرب من أجل

القصاص فيحيون فكأن حياتهم ردف للقصاص الذي يتكافون عن القتل من أجله. انتهى.

المماثلة: قال العسكري في كتابه الصناعين: المماثلة أن يريد المتكلم العبارة فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر إلا أنه ينبىء إذا أورده عن المعنى الذي أراده كقولهم فلان نقي التوب يريدون به أنه لا عيب فيه. ومن القرآن قوله تعالى: ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا﴾. وكقوله: ﴿هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة﴾ ومن السنة قوله ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن» أراد المرأة الحسناء في المنبت السوء فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلًا. انتهى.

الغلو: قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري في كتابه نهاية الأرب: وأما الغلو فمنهم من يجعله هو والإغراق شيئًا واحدًا. ومن شواهده قول المتنبي في وصف الأسد:

وردٌ إذا ورد البحيرة شاربًا بلغ الفرات زئيرُه والنِّيلا

وقال العسكري: الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها كقول الله تعالى: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾. وكقوله تعالى: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾. انتهى.

التذييل: هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه وهو ضد الإشارة والتعريض.

ومثاله من القرآن قول الله عز وجل: ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ وقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾.

قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن التذييل هو أن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها كقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ ثم حقق الكلام بقوله: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾. اهـ.

التطريز: قال العسكري في الصناعتين: هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب وهذا النوع قليل في الشعر وأحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر:

إذا أبـو القـاسم جـادت لنـا يـده ... لم يُحْمَد الأحمدان البحـر والمطـر
وإن أضـاءت لنـا أنـوار غـرتـه ... تضـاءل الأنـوران الشمس والقمـر
وإن مضى رأيـه أو حَـدّ عـزمتـه ... تـأخـر الماضيـان السيـف والقـدر
من لم يكن حذرًا من حر صولتـه ... لم يدر ما المزعجـان الخوف والحذر

الترصيع: قال ابن رشيق في العمدة: إذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعًا أو شبيهًا بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابًا عظيمًا قال مسلم بن الوليد صريع الغواني:

كـأنـه قمــر أو ضيغــم هَصِــر ... أو حيـة ذكـر أو عـارض هَطِـل

وقال أبو تمام:

تــدبير معتـصـم بــالله منتقــم ... لله مـرتقـب فــي الله مـرتغــب

قال العسكري في الصناعتين: الترصيع هو أن يكون حشو البيت مسجوعًا ـ اهـ.

قال أسامة في البديع: مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ ومثل قول المتنبي:

في تـاجـه قمـرٌ في ثـوبـه بَشَـرٌ ... في دِرْعِـهِ أسـد تَـدْمـى أظـافـره

قال النويري في نهاية الأرب: أما الترصيع فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز كقوله تعالى: ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ وقوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾.

وقول النبي ﷺ: «اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي». انتهى.

التوشيح: قال أسامة في البديع: اعلم أن التوشيح هو أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه اهـ.

وقال شهاب الدين النويري في نهاية الأرب: وأما التوشيح فهو أن يكون معنى الكلام يدل على لفظ آخره فيتنزل المعنى منزلة الوشاح ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح.

قال قدامة: هو أن يكون في أول البيت معنى إذا علم علمت منه قافية البيت بشرط أن يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه ـ اهـ.

قال العسكري في الصناعتين: سمي هذا النوع التوشيح وهذه التسمية غير لازمة لهذا المعنى ولو سمي تبينًا لكان أقرب. فمما في كتاب الله عز وجل من هذا النوع قوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون﴾. ـ اهـ.

التلطف: هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه والمعنى الهجين حتى تحسنه.

قال النويري في نهاية الأرب: التلطف وهو أن يلفق كلامًا مع كلام آخر فيولد من الكلامين كلامًا ثالثًا كما روي عن مصعب بن الزبير أنه وشَّم على خيله: (عدَّةٌ) فلما أخذها الحجَّاج كتب عليها (للِغَرار).

وقيل للعباس رضي الله عنه: أيما أكبر أنت أو النبي ﷺ فقال: أنا أسن والنبي ﷺ أكبر. اهـ.

التشطير: قال أبو هلال في الصناعتين: وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن وتتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه. ـ اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يُصرِّع

كل شطر من الشطرين. ولكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفًا لقافية الآخر. اهـ.

التطريف: قال أسامة في البديع: اعلم أن التطريف هو أن تكون الكلمة مجانسة لما قبلها أو لما بعدها أو متعلقة بها بسبب من الأسباب كقول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد والعب

قال النويري في نهاية الأرب: وأما المطرف فهو أن يراعى الحرف الأخير في كلمتي قرينتيه من غير مراعاة الوزن كقوله تعالى: ﴿**ما لكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارًا**﴾. انتهى.

الترديد: هو أن تعلق لفظة في البيت بمعنى ثم تردها فيه بعينها وتعلقها بمعنى آخر. ـ اهـ. قال ابن رشيق في العمدة: الترديد في أول البيت وهذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه في أشعار القدماء جدًا. والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النميري وتسليم فضيلة هذا الباب إليه في قوله:

ألا حَيِّ من أجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يومًا وليلة ... تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

قال الأمير أسامة في البديع: باب الترديد ويسمى التصدي اعلم أن الترديد هو رد أعجاز البيوت على صدورها أو ترد كلمة من النصف الأول في النصف الثاني. ـ اهـ.

المضاعفة: هو أن يتضمن الكلام معنيين معنى مصرَّحًا به ومعنى كالمشار إليه وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون**﴾.

التسميط: هو أن يجعل المتكلم مقاطيع أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة كقول مروان بن أبي حفص:

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطو أطابوا وأجزلوا

فإن أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط والأجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد.

العكس: العكس أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول وبعضهم يسميه التبديل وهو مثل قول الله عز وجل ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾.

قال أسامة في البديع: اعلم أن العكس هو أن تأتي الجملتان إحداهما عكس الأخرى كما قال الله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له﴾. اهـ.

وقال النويري في نهاية الأرب: وأما العكس والتبديل فهو أن يقدم في الكلام أحد جزئيه ثم يؤخر ويقع على وجوه: منها أن يقع بين طرفي الجملة كقول بعضهم: عادت السادات سادات العادات. ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾. ومنها أن يقع بين كلمتين في طرفي جملتين كقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾. - اهـ.

وقال محمد بن علي الجرجاني المتوفى سنة ٧٢٩ في كتابه الإشارات والتنبيهات: العكس هو أن يوصل كلام بآخر ويعكس كلمتاه. - اهـ.

الاستعارة: قال أسامة في البديع: اعلم أن الاستعارة هو أن يستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول كما قال الله تعالى: ﴿لا تظلمون فتيلًا﴾. و﴿ولا تظلمون نقيرًا﴾ و﴿ما يملكون من قطمير﴾. - اهـ.

قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: الاستعارة هي أن يطلق لفظ المشبه به على المشبه ويراد أنه هو هو في أخص صفاته. - اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في

التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظًا وتقديرًا وإن شئت قلت هو جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه. - اهـ.

قال أبو هلال في الصناعتين: الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض. - اهـ.

قال ابن رشيق في العمدة: الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حِلَى الشعر أفضل منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزل موضعها.

وقال في موضع آخر: والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارًا ودالة ليس ضرورة لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم. - اهـ.

التتميم: هو أن يذكر الشاعر معنى ولا يغادر شيئًا يتم به إلا أتى به فيتكامل له الحسن والإحسان ويبقى البيت ناقص الكلام فيحتاج إلى ما يتممه به من كلمة توافق ما في البيت. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾.

الاحتراس: هو أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه كما قال تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ ومن الاحتراس قوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

التنكيت: هو أن يقصد القائل شيئًا دون أشياء لمعنى من المعاني ولولا ذلك لكان خطأ في الكلام وفسادًا في النقد ومما ورد في القرآن من هذا قوله تعالى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ لأنها أقوى اليدين.

التعليق: وهو أن تعلق مدحًا بمدح وهجوًا بهجو ومعنى بمعنى ومثاله قول المتنبي:

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا به ... كأنهم فيما وهبت ملام

التورية: قال أسامة في البديع: اعلم أن التورية هي أن تكون الكلمة بمعنيين فتريد أحدهما فتوري بالآخر. - اهـ. قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: التورية هي أن يراد من لفظ له معنيان أبعدهما، إما لقرينة عقلية كقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. وقوله: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أو لقرينة لفظية كقول بعض القضاة في ربيع بارد:

كأن كانون أهدى من ملابسه لشهر تموز أنواعًا من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرِفتْ فما تفرق بين الجدي والحمل

الإيغال: قال النويري في نهاية الأرب: وأما الإيغال فمعناه أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية تفيد معنى زائدًا على معنى الكلام وأصله من أوغل في السير إذ بلغ غاية قصره بسرعة. اهـ. قال العسكري في الصناعتين: وهو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعة ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحًا وشرحًا وتوكيدًا وحسنًا. - اهـ.

التغليب: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: التغليب وهو إذا جمع الشريف وغير الشريف في حكم واحد جعلت الإشارة للشريف كما إذا ذكر المؤنث والمذكر عبر بعبارة التذكير كأكثر أوامر القرآن ونواهيه مثل: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ﴿ولا تسرفوا﴾ ﴿فلا تزكوا﴾ وأمثالها وكقوله تعالى: ﴿وكانت من القانتين﴾ ولم يقل من القانتات.

وكما إذا جمع المخاطب والغائب فيه عبر بعبارة الخطاب كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذي من قبلكم لعلكم تتقون﴾ وإذا جمع بين العقلاء وغيرهم فيه عبر بعبارة العقلاء كقوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه﴾ قال: يذرؤكم أي: يثبتكم ولم يقل: يذرؤها.

الاعتراض: قال أبو هلال في الصناعتين: الاعتراض وهو اعتراض كلام

في كلام لم يتم ثم يرجع إليه فيتمه. اهـ.

قال أسامة في باب الاعتراض: اعلم أن الاعتراض هو أن تذكر في البيت جملة معترضة لا تكون زائدة بل يكون فيها فائدة.

الإغراق: الإغراق هو أن يُبالَغ في الشيء بلفظه ومعناه كما قال المتنبي:

عهدي بمعركة الأمير وخيله ... في النقع محجمةً عن الإحْجام

وقال رجل لجعفر الصادق عليه السلام: إني أخاف ذنوبي فقال: هنيئًا لك إنما الخوف ألا تخاف.

قال ابن رشيق في العمدة: وأحسن الإغراق ما نطق به الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها نحو كأن ولو ولولا والإغراق أصله في الرمي وذلك أن تجذب السهم في الوِتر عند النزع حتى تستغرق جميعه وبينك وبين حنية القوس وإنما تفعل ذلك لبعد الغرض الذي ترميه. ـ اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما الإغراق وهو فوق المبالغة ودون الغلو. ـ اهـ.

التسهيم: قال أسامة في البديع: اعلم أن التسهيم هو أن تعلم القافية لما يدل عليه الكلام في أول البيت. ـ اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما التسهيم فهو مأخوذ من البُرد المسهم وهو المخطط الذي لا يتفاوت ولا يختلف. ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيئًا واحدًا والفرق بينهما أن التوشيح لا يدلك أوله إلا على القافية فحسب والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة على ما دون العجز. ـ اهـ.

قال ابن رشيق في العمدة: وقدامة يسميه التوشيح وقيل إن الذي سماه تسهيمًا علي بن هارون المنجم. وأما ابن وكيع فسماه المطمع وهو أنواع الأول منه ما يشبه المقابلة وهو الذي اختاره الحاتمي والنوع الثاني وهو أن يكون معنى البيت مقتفيًا قافية وهو أجود من الأول للطف موقعه والنوع الثالث

شبيه بالتصدير وهو دون صاحبيه. ـ اهـ.

التجاهل: قال الأمير أسامة في البديع: قال صاحب الصناعتين هو أن يقول الشاعر لا أدري أو يستفهم ببعض حروف الاستفهام كقول العرجي:

بـالله يـا ظبيـات القـاع قلـن لنـا ليلاي منكـن أم ليلى مـن البشر

الإغراب: قال أسامة في البديع: قال قدامة: هو أن يكون المعنى مما لم يُسْبَق إليه على جهة الاستحسان قال: فيقال طريف وغريب إذا كان فرداً قليلًا فإذا كثر لم يسمَّ بذلك. ـ اهـ.

التفويف: قال الجرجاني في كتابه الإشارات: قد يركب الكلام من المطابقة والمناسبة فيختفي باسم التفويف. ـ اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما التفويف فهو مشتق من الثوب المفوف وهو الذي فيه خيوط بيض وهو في الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح أول الغزل. اهـ.

الظرافة والسهولة: قال في البديع: اعلم أن أشعار العرب والمحدثين قد ورد فيها الظريف السهل كقول بعضهم:

هوى قلبي ريـح الشمال إذا جـرت وأشهـى لقلبي أن تهب جنـوب
يقولون لو عزيت قلبك لارعـوى فقلـت: وهـل للعـاشقين قلـوب

التناقض: قال الأمير في البديع: وهو أن تناقض بين المعاني مثل قول مسلم ابن الوليد:

ذكـر الصبـوحَ فـراح غير مفنـدٍ وأقـام بـين عـزيمة وتجلُّـدِ

وكقول أبي نؤاس:

ذكر الصبـوح بسحـرة فـارتـاحـا وأملَّـه ديـك الصبـاح صيـاحـا

قال ابن قُتيبةَ: إنَّ كل واحد عاب على صاحبه التناقض لأن بيت أبي

نؤاس متناقض لجمعه بين ارتياح وملل ولأن بيت مسلم متناقض لجمعه بين الرواح والإقامة. وعندي أنهما غير متناقضين ولا متباينين. انتهى.

المبالغة: قال العسكري في الصناعتين: المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبادة عنه أدنى منازله وأقرب مراتبه ومثاله من القرآن قوله تعالى: ﴿يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾. وكقوله: ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء﴾. اهـ.

قال الجرجاني في الإشارات: إشارة إلى المبالغة: الوصف المبالغ فيه: إما أن يكون ممكنا أو لا. والأول إن كان ممكنًا في العادة سمي: التبليغ والثاني يسمى بالغلو وقد يخرج من حد الغلو إما بلفظة كاد كقوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾. انتهى.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما المبالغة وتسمى التبليغ والإفراط في الصفة فقد حدها قُدامة بأن قال: هي أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده. انتهى.

قال أسامة في البديع: اعلم أن المعنى إذا زاد عن التمام سمي مبالغة وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم فسماه قوم: الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة. انتهى.

الالتفات: قال العسكري في الصناعتين: الالتفات على ضربين فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به.

أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرني محمد بن يحي الصولي قال: قال الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير؟ قلت: لا فما هي؟ قال:

أتنسى إذْ تودّعنا سُليمى   بعود بشامةٍ سقى البشام

ألا تراه مقبلًا على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له. ـ اهـ.

الرجوع: قال أبو هلال: الرجوع وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه كقول القائل: ليس معك من العقل شيء بل بمقدار ما يوجب الحجة عليك. انتهى.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما الرجوع فهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة كقول زهير:

قف بالديار التي لم يَعفُها القِدَم   بلى وغيرها الأرواح والدِّيَم

الاستطراد: قال الجرجاني في الإشارات: الاستطراد هو الانتقال من مقصود إلى آخر من غير أن يكون الأول وصلة إلى الثاني كقول الحماسي:

وإنا لقومٌ لا نرى القتل سُبّةً   إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

قال أبو هلال في الصناعتين: هو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببًا إليه كقول الله عز وجل: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾. ـ اهـ.

قال أسامة في البديع: اعلم أن الاستطراد نبَّه عليه أبو تمام والبُحتري وهو أن تمدح شيئًا أو تذمَّه ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله وهو في أشعار المتأخرين بالقصد وفي أشعار المتقدمين بالطبع. ـ اهـ. وقال في نهاية الأرب في الاستطراد: وهذه التسمية ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه نقلها عن البحتري وقيل: إن البحتري نقلها عن أبي تمام وسماه ابن المعتز: الخروج من معنى إلى معنى. ـ اهـ.

الاستخدام: قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن الاستخدام هو أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج إليها فتذكرها وحدها فتخدم للمعنيين كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾. انتهى.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما الاستخدام فهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتي بلفظتين يستخدم كل لفظة منهما في معنى من معنيَيْ تلك اللفظة المتقدمة وربما التبس الاستخدام بالتورية في كون كل واحد من البابين مفتقرًا إلى لفظة لها معنيان. انتهى.

التعطف: قال أبو هلال في الصناعتين: التعطف أن تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف قالوا وأول من ابتدأه امرؤ القيس في قوله:

ألا إنني بـــالٍ على جمل بـــالِ   يسوق بنا بالٍ ويتبعنا بـــال

المجاورة: قال العسكري في الصناعتين: المجاورة تردد لفظتين في البيت ووقوع كل واحدة منهما بجنب الأخرى أو قريبًا منها من غير أن تكون إحداهما لغوًا لا يحتاج إليها.

الاستثناء: قال العسكري: الاستثناء على ضربين: فالضرب الأول هو أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثني بغيره فتكون الزيادة التي قصدتها والتوكيد الذي توفيته في استثنائك. - اهـ.

قال ابن رشيق في العمدة: وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم وذلك نحو قول النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم   بهن فُلُولٌ من قراع الكتائبِ

فجعل فلول السيف عيبًا وهو أوكد في المدح. وقال النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه   جوادٌ فما يبقى من المال باقيا

السلب والإيجاب: قال العسكري في الصناعتين: وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى كقول الله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا﴾. وقوله: ﴿فلا تخشوا الناس واخشونِ﴾. - اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما السلب والإيجاب فهو أن يوقع الكلام على نفي شيء وإثباته في بيت واحد كقوله:

ونُنكر إنْ شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

جمع المؤتلف والمختلف: قال أبو هلال في الصناعتين: وهو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة كقول الله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾. - اهـ.

النفي: قال أسامة في البديع: اعلم أنَّ النفي قد كثر في أشعار العرب والمحدثين.

التكرار: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى تكرر اللفظ لفائدة التكرار للزجر كقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ وقوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فإنه تعالى ذكر نعمة وعقبها بهذا زجرًا لهم. - اهـ.

قال أسامة في البديع: باب التكرير وهو كما قال امرؤ القيس:

كأنَّ المُدامَ وصوبَ الغمام ... وريحَ الخُزَامى ونشرَ القُطُرْ
يُعَلُّ به بردُ أنيابها ... إذا طَرَّبَ الطائرُ المُسْتَحِرْ

وكقول الآخر:

كأنَّ المُدام وصوبَ الغَمام ... وريحَ الخزامي وذوْبَ العَسَلْ
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها ... إذا النجم وسْطَ السماء اسْتقلْ

التجريد: قال الجرجاني في الإشارات: إشارة إلى التجريد هو أن يقدر لشيء صفات ثم ينزع منها صفة ومنه قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ أي من جملة صفات جهنم أنما دار الخلد للكفار. - اهـ.

قال في نهاية الأرب: وأما التجريد فهو أن ينتزع الشاعر أو المتكلم من أمر ذي صفة أمرًا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه. - اهـ.

المناسبة: قال الجرجاني: إشارة إلى المناسبة هي أن يجمع في الكلام بين كلمات متناسبة كقوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾ فإن القمر يناسب الشمس والشجر يناسب النجم لأن النجم نبا ليس له ساق وفيها أيضًا مطابقة خفية. ـ اهـ.

المشاكلة: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه اعتمادًا على معموله أو عامله.

أما الأول فقول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئًا نُجِدْ لك طبخه   فقلت اطبخوا لي جُبَّةً وقميصًا

أقام: اطبخوا مقام خيطوا لدلالة المعمول عليه لقصر المشاكلة بين الكلامين. وأما الثاني فكقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾. أقام نفسك مقام ذاتك لتشاكل نفسي. وقوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾. أقام سيئة مقام عقوبة. لتشاكل السيئة الأولى. ـ اهـ.

الإرصاد والنقض: قال الجرجاني: الإرصاد: أن ينبه صدر الكلام على عجزه بعد معرفة الفقرة أو الروي كقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾. والنقض: أن ينقض أخيرًا ما أثبته أولًا كقول زهير:

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُها القِدمُ   بلى وغيرها الأرواح والدِّيَمُ

المزاوجة والجمع: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى المزاوجة والجمع والتفريق والتقسيم والجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم. ـ اهـ.

اللف والنشر: قال الجرجاني: إشارة إلى اللف والنشر وهو أن يذكر متعدد ثم يتم بمتعدد آخر إما على ترتيبه كقوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل

لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾. وكقول ابن حيوس:

فعْل المدام ولونُها ومذاقها　　في مقلتيه ووجنتيه وريقه

أو على غير ترتيبه كقول ابن حيوس:

كيف أسلو وأنت حِقْف وغُصن　　وغزال: لحظًا وقَدًّا ورِدفا

المحاجة: قال الجرجاني في كتابه الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى المحاجة وهي ادعاء شيء مع الحجة عليه وهي كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ وكقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وكقوله تعالى: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ وكقوله تعالى: ﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾. انتهى.

التعليل: قال في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى التعليل هو أن يذكر لوصفت علة مناسبة لا في نفس. اهـ.

الإطراد: قال الجرجاني: إشارة إلى الإطراد هو ذكر نسب إنسان على الترتيب كقول النبي ﷺ: «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». اهـ.

الاستتباع والإدماج والتوجيه: قال صاحب الإشارات والتنبيهات: أما الأول: فهو مدح الرجل بشيء على وجه يستلزم مدحًا آخر. وأما الثاني: فهو تضمين الكلام معنى غير ما سبق له وهو أعم من الأول. وأما الثالث: فهو أن يكون الكلام محتملًا لوجهين مختلفين. - اهـ.

الحشو: قال أسامة في البديع: الحشو أن تأتي في الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة كقول النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها　　لستة أعوام وذا العام سابع

وكان الأجود أن يقول: لسبعة أعوام فيستغني عن قوله: ستة أعوام وعام سابع ومنه:

نـأت سلمـى فعـاودني صـداع الـرأس والوصـب

فالرأس حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون في الرِّجْل ولا في الأنف وإنما هو في الرأس. ـ اهـ.

التشكيك: قال النويري في نهاية الأرب: وأما التشكيك فهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي فضلة أو أصلية لا غنى للكلام عنها مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين**﴾ فإن لفظة بدين تشكك السامع هل هي فضلة أو أصلية؟ فالضعيف النظر يظنها فضلة لأن لفظة تداينتم تغني عنها والناظر في علم البيان يعلم أنها أصلية لأن لفظة الدَّيْن لها محامل تقول: داينت فلانًا المودة يعني جازيته ومنه: «كما تدين تدان» ومنه قول رؤبة:

داينـت أروى والديـون تقضي فماطلـت بعضًـا وأدت بعضًـا

وكل هذا هو الدَّيْن المجازي الذي لا يكتب ولا يشهد عليه ولما كان المراد من الآية تمييز الدَّيْن المالي الذي يكتب ويشهد عليه وتيسير أحكامه أوجبت البلاغة أن يقول: «بدين» ليعلم حكمه. ـ اهـ.

الانصراف: قال أسامة في البديع: الانصراف هو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الخبر مثل قوله تعالى: ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم**﴾. ـ اهـ.

الالتقاط: قال أسامة في البديع: وهو مما يتطارحه العلماء الشعراء والكتاب بينهم وهو أن يطرح بيت ويولد من كل كلمة منه بيت أو من كلمتين أو ثلاثة أو غير ذلك مثل ما ذكر في كتاب الصناعتين التلفيق والالتقاط وهو أن يكون البيت ملفقًا من أبيات قبله مثل قوله ولقد أجاد ما شاء:

إذا ما رآني مقبلًا غض طرفه كأن شعاع الشمس دوني مقابله

هذا ملتقط من ثلاثة أبيات من قوله:

إذا ما رآني قطَّع الطرف بينه وبين فعل العارف المتجاهل

ومن قول الآخر:

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من قِبَلي تدور

ومن قول الآخر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

التثليم: قال الأمير أسامة في البديع: قد جاء في أشعار العرب الفصحاء نقضٌ في الألفاظ والكلمات وتغيير في الأسماء والأفعال فقيل: إنه لغة وقيل: إنه ضرورة مثل قول لبيد بن ربيعة وهو أول بيت في ديوانه:

دَرْسَ الَمنا بمتالِعٍ وأبانِ

وقول علقمة:

كأنَّ إبريقهم ظبي على شَرف مقدَّم بسبا الكتَّان مَفْدُومُ

الإبهام: قال النويري في «نهاية الأرب»: الإبهام بباء موحدة هو أن يقول المتكلم كلامًا مبهمًا يحتمل معنيين متضادين كقول بعضهم في الحسن بن سهل لما تزوج المأمون بينة بوران:

بارك الله للحسنى ولبوران في الختن
يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت مَن

فلم يعرف مراده «ببنت مَن» هل أراد به الرفعة أو الضعة؟ انتهى.

التلميح: قال السيوطي في شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان: وأما التلميح فقد ذكره في التلخيص بتقديم الميم على اللام كذا رأيته بخطه وهو

غلط فيه عليه الشراح لأن ذلك من الملاحة وهو في باب التشبيه والاستعارة وأما الذي هنا بتقديم اللام من لمحه إذا نظر إليه وهو أن يشير في الكلام إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره فالأول كقوله:

فردت علينا الشمس والليـل راغـم بشمس لهم من جانب الخدر تطلـع
الله مــا أدري أأحــلام نــائـم ألمت بنا أم كان في الركب يوشـع

والثاني كقوله:

لعمرو مع الرمضـاء والنـار تلتظـي أرق وأحنى منك في ساعة الكـرب

والثالث كقوله:

من غـاب عنكـم نسيتمـوه وقلبــه عنــدكم رهينـــه
أظنكـــم في الوفـــاء ممن صحبتـه صحبـة السفينــه

وقال الشيخ أحمد الدمنوري في حلية اللب المصون على الجوهر المكنون: التلميح الإشارة إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذلك كقوله:

فـوالله مـا أدري أأحــلام نـائـم ألمت بنا أم كان في الركـب يوشـع

التضمين: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: التضمين هو أن يضمن في شعره شعر غيره فإن كان المأخوذ بيتًا أو أكثر سمي: استعانة وإن كان مصراعًا فما دونه سمي: إيداعًا أو رفوًا ثم قد لا يكون في كلامه دلالة على ذلك كقول ابن التلميذ الطبيب:

كـانـت بلهينـة الشبيبـــة سكـــرة فصحـوت واستبـدلـت سيرة مجمل
«وقعدت انتظر الفنـاء كـراكـب عرف المحـل فبـات دون المنـزل»

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري. ـ اهـ.

التفريع: قال النويري في نهاية الأرب: التفريع هو أن يُصدّر المتكلم أو الشاعر كلامه باسم مَنفيٍّ ثم يصف الاسم المنفي بمعظم أوصافه اللائقة به في

الحسن أو القبح ثم يجعله أصلًا يُفرِّعُ منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفي الموصوف كقول الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة　　خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق　　مؤزر بعميم النبت مكتمل
يومًا بأطيب منها طيب رائحة　　ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل

الإبداع: قال النويري في «نهاية الأرب»: وأما الإبداع فهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر بعدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جمله وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع. ـ اهـ.

الفك والسبك: قال أسامة في البديع: أما الفك فهو أن ينفصل المصراع الأول من المصراع الثاني ولا يتعلق بشيء من معناه مثل قول زهير:

حتى الديار التي لم يعفها القدم　　بلى وغيرها الأرواح والديم

وأما السبك فهو أن يتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره كقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا　　ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

ولهذا قيل: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي ياخذ بعضه برقاب بعض. ـ اهـ.

القوة والركاكة: قال أسامة في البديع: هو أن يكون المعنى متناولًا واللفظ متداولًا كالكلمات المستعملة والألفاظ المهملة فيكون الشعر ركيكًا والنسج ضعيفًا كقول امرىء القيس:

ألا إنني بالٍ على جمل بالِ　　يقود بنا بالٍ ويتبعنا بالِ

النادر والبارد: قال في البديع: اعلم أن الشعر النادر هو الذي يستفز القلب ويحمي المزاج في استحسانه والبارد هو الذي بضد ذلك مثل قول أبي العتاهية:

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

التهجين: قال الأمير أسامة في البديع: وهو أن يصحب اللفظ والمعنى لفظ آخر ومعنى آخر يزري به ولا يقوم حسن أحدهما بقباحة الآخر فيكون كمدح بعضهم لعبد الله البجلي كما قال:

يقال: عبدُ اللهِ من بَجيلَه نِعمَ الفَتى وليس القَبيله

الانسجام: قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن الانسجام أن يأتي كلام المتكلم شعرًا من غير أن يقصد إليه وهو يدل على فور الطبع والغريزة مثل قول ابن هَرْمَة لبعض الحُجَّال:

بالله ربك إن دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقف بالباب

كتاب
أسرار خاتم الأولياء

الحمد لله الذي جعل خاتم الولاية من أمة محمد كما جعل خاتم النبوة محمداً صلى الله عليه وسلم. وصلاة سرمدية على فتى الوجود وغوثه صاحب السر الساري والمدد الجاري محمد قدس سره وتعالى شأنه. وبعد.

فطالما راودني الطارق الإلهي الإلهامي أن أضف كتاباً في صفة الختم وأسراره.

وذاك ذوق محمود. مرصود. عند الكثير غير موجود. وهذا الخاتم لا يطلع على وصفه ورصفه إلا من أشرف على بدايات هذا المقام كأبي عبدالله الحكيم الترمذي ومن هو على قدمه كابن عربي ومجمد وفا والمير غني. قدس الحق تعالى أسرارهم. إذْ هؤلاء ما كان لهم أن يغوصوا إلى عين مقام الختم. ولا حقيقة لاطلاعهم إلا على ظاهر المقام دون باطنه. ولو اطلعوا على باطن المقام لاحترقوا. كجبريل لما كاد أن يحترق لما خطا خطوة في المقام المحمدي ليلة المعراج. وكلهم ما ذاقوا من عسيلة الختم إلا خيال النائم. أو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

أما وصفه:

فهو عبد إلى التذلل أقرب منه إلى التكبر. وإلى التكبر أقرب منه إلى التذلل. هو فرد الله في أرضه. أورثه خالص العبودية. جرده عن الملك.

أخفاه عن المظاهر. حجبه بستائر الغيرة. فمقامه: حور مقصورات في الخيام. ظهر ولم يظهر. وبطن ولم يبطن. خزائن الجود بيمينه ينفق منها كيف شاء. وسامه المجد. ورداؤه الفخر. ووشاحه الجاه. لا سلطان إلا له. الكل عليه عيال المقامات في مقامه منسوخة. والأحوال في حاله ممسوخة. الكل ذاب فيه فهو الكل. بالكل قائم. وإلى الكل سائر. وعلى الكل سائر.

جميل مظهره. أنيق منظره. فرد الله في ملكه. وغوثه بين خلقه. أمره خطير. وما له من نظير. عزه الفقر. وفقره العز. لا واسطة بينه وبين روح الوجود. ممد للوجود بأسراره. تقوم وتقعد الدنيا لغضبه. همته من سرّ كُنْ. ما نظر لميت إلا أحياه. وما ذكر شيئًا إلا محاه. لو سلط همته على شيء حققه قبل أن يرتد إليك طرفك.

بيده مفاتح عروش الحقائق. الكل منه مستمد. اسمه أحمد. وكنيته أبو العباس. والبلد فاس. حسني النسب. رباني الأدب. أدبه ربه فأحسن تأديبه.

شاخص ببصره إلى الملكوت. يرفع أقوامًا ويخفض آخرين. خليفة الله في أرضه. قدمه على رقبة كل ولي.

كثير الإنكار عليه من قبل الناس. ظاهره الشريعة. وباطنه لا وصف له.

لو أفشى مثقال حبة خردل من أسرار حقائقه لأجمع أهل العرفان على قتله. الخضر فتاه. استمد حججه التي حاج بها موسى من نداه.

ظاهر مقامه المهدي المنتظر. أصحابه مكتومون. لا يعلوهم عارف.

مقامه الكتم. وجاله الختم. عظيم الغيرة. عاشق للسبق فلا يسبقه أحد بمقام أو مفخرة. وإلا قتله بسيوف همته. نوره قاتل. وهو في الديوان ماثل.

جمهور الأولياء بين يديه كالذباب. لا مناسبة بينهم وبينه.

يصرف العوالم. ويحقق في المظالم. هو الوارث للهيكل المحمدي. أي الكامل الصمداني.

مفخرة الحق في الملك والملكوت إذا فخر طه في المجامع قدمه.

ذوقه وحيد. ووصفه فريد. عظيم اللذة كثير النكاح محب له بشغف.

إذ ذكر الله ذكرت معه الكائنات. وإذا استحيا استحيت معه. وإذا غضب اهتزت أطباق السموات السبع لغضبه. مقامه بين النبوة والقطبانية. إمامه محمد (ﷺ). لا فضل لمخلوق عليه إلا إمامه. حياته الآخرة. الكل مدعوون لمقامه. وما ذاك إلا لعلو شأنه. وما هو إلا واحد. والباقي أصحاب دعاوى. أخفى باطنه بظاهره. فلا يعرف من شأنه شيء. فهو أعز من الكبريت الأحمر. مقامه الخيال. والكل بقدره جهال. لو بدا لكان فتنة للناظرين.

لم تزل سحائب جوده ماطرة. بدون رؤية.

وفي ذاك المشهد عبرنا على لسانه بقولنا:

سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي وبالدف والألحان قد نلت حظوتي
سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي سل القس والرهبان عن سر ملتي

فها هو الختم قد أخفى حقائقه. بخادعات مظاهر الأقوال فحجبهم عن شهود مقامه. فهم في عماء عن بلوغ وصفه. فهو الفتى لا غير. الهمام بدون ضير. عروس القيامة. ساقي الندامى بكأس المدامة.

شيخ الواصلين. إمام الموحدين. شريف المتّقين. مفخرة الصابرين. حجة العالمين. محقق آداب الواصلين. شجرة المحبين. سدرة منتهى العارجين. فريد الآنسين. وحيد المتشوقين. شيخ الطائفتين. نور اليقين. عرش المتحققين. كرسي المستوين.

هيكل المجاهدين. ممد المستمدين. رئيس الدواوين. غوث السلاطين. ملك الدارين. إنسان عيون النشأتين. أمين خزائن المنفقين.

سر المفردين. مجير المستجيرين. زينة الساجدين. كوكب العابدين. سراج

المخلصين. شمس السائرين. قمر مدارج السالكين.

هادي الحائرين. أغنى المفتقرين. سيد الشاكرين. واصل المنقطعين. دليل الداخلين. باسط المنقبضين. وقابض المنبسطين. وجامع المتفرقين ومفرق المجتمعين.

غيبة الحاضرين. وحضور الغائبين. صحوة المسكرين. ومسكر الصاحين. مغني الباقين. ومبقي الفانين. أستاذ السالكين. وعمود المؤدبين. جمال المستوحشين. ضياء مقلة العينين. طاووس الصالحين. أول الواردين. نجاة الهالكين. شفيع المستشفعين. جليس الذاكرين.

كتاب
رَدّ بعض الوفاء
بإظهار قطرة من أَسرار خاتم الأولياء

الحمد لله الذي كان مجهولًا في عماء الغيرة فبدا. وقهر بتجلياته فسما.

ملك حيّر. وغيّر. وما تغيّر. مليك بديع. وأمير شفيع.

بدا بمحاسن وصفه وتنزه عن كل صفة وسمه. انفرد في ملكوته. وتكبر بجبروته. ليس له شبيه. ولا ينزهه تنزيه.

فما قدروه حق قدره. وما أعطوه حق وصفه. فهو المنفرد بمعرفة حق خصاله. وتحقيق عيون محاسن جماله وجلاله.

أي ولي الله فهذه معالم التحقيق. بلا لبس وتلفيق. هنا يحلو الطرب. وتذوب فرقة النسب. وترفع تكاليف الأدب.

هناك تضيع أقدار الرجال. وتتيه معاني الدلال. ولا حرام ولا حلال.

ألا تنظر إلا ذاك المحيط الذي يلوح لمعانه. وتصطفق أهواله.

فأين أنت من موجه. والبحر يمده في خلفه. بسبعة أبحر. لا تنفد ولا تقصر.

قف على تلك المعالم. ولا تطمع في هذه المراسم. هنا تعبت أرواح الرجال من الجري خلف هذا المقام. وما نالهم سوى تحريف وضرام واصطلام.

هذه ديار الختم. فمن يخطوها. ولن يخطوها. قف وتأدب. وتقرب.

واخلع نعليك. وقدم عينيك. وقل: والله لو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت بأنوار الختم.

فإذا وردت ذاك المقام رأيت نفسك ذرة من ذرات جبل راسٍ. وطود عاتٍ.

فلا تنازع. ولا تدافع. ولا تصارع. فما أنت سوى ذرة من ذرات هذا الجبل. وصخرة من صخور هذا المثل.

هيهات. هيهات. وآه وآه وآه. لا ظهور ولا بطون. إلا ما ظهر من لمعان القشرة. وبقي من دموع العبرة. وبقية الكاس. وفضلة مراس.

فأين الشاهد والغائب. وقد ضاعت المآرب. فناء وبقاء. وخوف ورجاء. وضحك وبكاء. لم تصفُ لهم بارقة من خطراته. ولا يعدلون زفرة من زفراته.

هم عياله. أصابتهم لمحة من سني خصاله. جلوس على بساطه. ملحوظون بشواهد ألحاظه.

كل ما بدا فعنه تفرع. وهو فيه تضلع. فإن القوم استطالت همتهم به. واستمدوا ألوان حقائقهم عنه. فتى همام. صاحب إلمام. وبدر كمال. ولسان جمال. جمال الديار من طلعته منشور. ودلال الكمال عن هندامه منثور.

وصلى الله على خاتم الوجود ومسكه. وهيكله وقدسه. فتى الوجود. المتحقق بجمال الشهود. محمد رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فاعلم أيها الفتى الولي. والرباني السخي. أنني لما ألفت كتابي المسمى: -

(أسرار خاتم الأولياء)

وقرأه البعض. رأوه مليئًا بألغاز. ومطلمسًا برموز.

قلَّ من يهتدي إلى فكها. وندر أن يدخل لب إلى حكها. إلا فتي أخطر.

وقاموس أغزر. فاستخرت المليك حبيب القلب في أن أشرحها. شرح عاشق. وتأويل ذائق. فأذن لي بعد خصام ودلال وهجر ووصال. فشكرته بعين قلبي. وفؤاد لبي. وسميته:

(رد بعض الوفاء بإظهار قطرة من أسرار خاتم الأولياء)

ثم قلت له معبرًا عن فرحي به:

روحي إليك بكلها قد أجمعت ... لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي إليك بكلها عن كلها ... حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطف ... فلطالما متعتها فتمتعت

فقال لي: امضِ إلى قصدك. فمضيت فها أنا أعبر. ومن بدائع فنوني أسطر. فأقول:

درة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (هو عبد إلى التذلل أقرب منه إلى التكبر★ وإلى التكبر أقرب منه إلى التذلل★)★

أجبنا: هو في مقام الوسط. وذاك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾. وذلك لكون نبيه في هذا المقام رابض. لا يغلو في صفة.

وسر التوسط في كون صاحبه حكم الصفات فهو يعلو ويهبط بها في آن واحد. فيوسطها. فيبدو في صفة التذلل أحيانًا. وأحيانًا في صفة التكبر. فهو متقلب بين جمال أي تكبر وجلال أي تذلل. وحقيقتها الكمال. الذي يزين وصفه فهذا كحقيقة رسول الله (ﷺ) لما دخل في مقام الكبرياء قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر).

ولما دخل في مقام التذلل قال: (اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين). أما حقيقة كبرهم وذلهم فله معنى آخر دون معاني العوام. فهو متكبر لله وبالله ومن وإلى الله وعلى الله.

وهو متذلل لله وبالله ومن وإلى الله وعلى الله. فإذا دخل العارف إلى أسوار هذا المقام أثر فيه وأثر هو به.

فهو متكبر في نفسه. على من يبغي بشرط الأدب. وناقل صفة الكبر. فيحل له أن ينقلها إلى مريده. فيتكبر مثله. ويتقلد بصفته ونعته. وقد تفيض هذه الصفة من العارف قهرًا على من يحيط به من أهل إرادته.

فتتفلت قوى الصفة. ويصعب تحكم العارف في حبسها في كنهه.

وهذا مثاله كالرجل العارف إذا أضحك أضحك أهل مجلسه. وإذا بكى أبكاهم. وإذا حزن أحزنهم.

وكل شيخ يغلب مشربه على أهل إرادته فيهم وفي أرواحهم كأصحاب عبد القادر الجيلاني غلب عليهم الدلال والفخر وكأصحاب أحمد الرفاعي غلب عليهم الذل والتواضع وكأصحاب ابن عربي غلب عليهم العلم الباطن.

وتوسيط الصفة من أعظم الكمالات عند أهل الله. فلا يكمل العارف حتى يتحكم في هذا. في ضحكه وبكائه ونكاحه ونومه وأكله وشربه وسهره وصمته وكلامه.

زمردة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (أخفاه عن المظاهر★ حجبه بستائر الغيرة★ فمقامه حور مقصورات في الخيام★ ظهر ولم يظهر★ وبطن ولم يبطن★)★

أجبنا: لما جرده عن الملك أي هو في الافتقار الكلي إلى المليك. فقد خفي عن مظاهر الوجود. وإن نبعت تلك المظاهر من فيض همته. وعين ورده. فهو من ورائها مستتر في حجب ستائر الغيرة. لكونه مكتومًا.

لذا شبهناه بحور مقصورات في الخيام. فلم يطلع على وصفهن إنس ولا

جان. إلا من يدخل عليهن من أزواجهن. فله هذه الصفة الإطلاعية وكان القدم المحمدي الختمي من شأنه الظهور. فظهر الخاتم محمد (ﷺ) كالشمس. حتى عرفه الكل. فلم يكن ظهور رجل في الوجود كظهوره عليه السلام.

وتأكد على مقام خاتم الولاية التلبس بالبطون إلا لجهابذة العارفين. البالغين لبداية مقامه. هناك شاهدوا من أسراره. ما أبكم صوابهم. وأصم وجدانهم.

فهم وقوف في حرمته متأدبون. ولأحواله مقتبسون. ومن همته مستقون. ولم يكن لكل عارف أن يعلم صفة هذا الختم إلا من ارتضى.

ووقعت الشبه في التقلد بمقامه. لما كان طبعه البطون. فادعى هذا المقام كثير من أهل العرفان.

فمنهم من رجع عن الدعوى لمشاهدة رآها. ومنهم من لم يرجع.

وشرط هذا الإمام الخاتم قدس سره الذي أخذ عليه في حضرة المواثيق الكتمان فهو ظهر ولم يظهر وبطن ولم يبطن.

فهو موجود غير مشهود. مدافع عن ظهوره. بأنوار شعوره.

معروف كالشمس. بلا لبس. وهو أقرب الناس إلى المسلمين. وأنفعهم للمؤمنين.

ولما أخذ هذا الختم صفة البطون من المقام المحمدي. فقد حوى جعبة هذا المقام. فهو المؤتمن لا سواه. لا يصل مددٌ إلى أهل الله إلا منه وعلى يديه. سوى الصحابة عليهم الرضوان.

ولا ينبغي له أن يفصح عن أسرار بطون نبيه عليه السلام وإلا أجمع أهل العرفان على قتله.

فكلامه له وجهان: ظاهره عند أهل الحجاب مخالف للشريعة. وظاهره وباطنه عند أهل الله هو عين الشريعة: بل والحقيقة.

لذا ابتلي بالإنكار عليه من قبل أهل الحجاب. لما تدلى لهم ببعض أسرار مقامه الباطن. فكفروه ورجموا علمه وفكره. ولم يعلموا من مقاصد توجهات علمه قلامة ظفر. فلم يعلموا سوى القشر.

جوهرة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (خزائن الجود بيمينه★ ينفق منها كيف شاء★ وسامه المجد★ ورداؤه الفخر★ ووشاحه الجاه★ لا سلطان إلا له★)★.

أجبنا: فخزائن جود أموال المقامات والأحوال في قبضته. لكونه رئيس الأولياء. وتاج الأصفياء.

عارف بمقامات أهل الولاية. وأحوالهم وخصالهم ومنازلاتهم ومنازلهم.

فهو ينفق عليهم. ولا ينفقون عليه.

فهو أمين الله في أرضه. قد ارتضاه رسول الله (ﷺ) مليكًا على أهل الولاية. وأميرًا على أهل الرواية والدراية.

فهو فخر الوجود. وبساط الشهود. لذا كان رداء فخر محمد ووشاح جاهه يوم القيامة.

فكان لا سلطان إلا له في مملكة الباطن. لكونه قطب هذا المقام. والأنوار تنفث من روحه على أهل الدائرة.

وعلى لسانه عبرنا لما طاب لنا المقام. وذهب بنا الهيام:

أتطلبُ من لَيْلى وصَالًا محققًا ... وأنتَ عَذولٌ في هَواها محرّقَا
وما يَصنعِ العشاقُ بالعذلِ والقِلى ... فذا بَلةٌ في مِلّةِ الحُبِ ملصقا
فديتكِ ليلى أنْ يُحبّكِ مُدّعٍ ... وسِرٌّ هَواكِ قد أذابَ وأحْرقَا
ذللتِ فُحولًا في هَواك بنظرةٍ ... وكلٌّ هامٍ من هَواكِ قد استقى

رَأوْكِ عيـانًـا مـا رأوك حقيقـةً بدوتِ جهَارًا في حجابِ مُـرَقـقـا
أراك بِقــربي والديــارُ بعيـــدةٌ بخلـفِ حجـابِ في الحقيقـةِ لُفَّقـا
بعثتِ هَـواكِ كـالنسيمِ إذا سَـرى وسحرُ هَواكِ قـد أذابَ وأشرَقـا
ظلمـتِ مُحبّـا قـد أضـاعَ فـؤادَه فتُورُ جفـونِ جـائـرات وتـرفقـا
عجيبٌ وسَالكِ لا يذوق وصـالـه سوى من تهتّك في الشريعةِ والتُّقـى
وذَا حرجٌ في مِلـةِ الشرعِ ظـاهـرٌ ولكنـه مَعنـيٌّ تحقّـقَ وارتقـى
أذوبُ غـــرامًـــا أوْ دَلالًا وإنني قُتلْـتُ مِرارًا ثُـمَّ أحْيَـا في اللِّقـا

أما سلطان هذا الختم فلا يقدره وصفه مقدر. فأهل الولاية من بدء آدم حتى قيام الساعة في أصبعه كالخاتم.

قد جمعهم في قبضته جمعًا. وعرفهم حقيقةً وشرعًا. فهو الخائض بهم في لجة المعارف. الذي يبلغهم المشارف.

هو عز الحق تعالى في الملك والملكوت. وعين الجبروت والرحموت. عليه تهبط أنوار السكينة. وإلى روحه تعرج أرواح أهل الخزينة. روح قدس. وفتى أنس.

ياقوتة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين: (الكل عليه عيال).

أجبنا: نعم حق له هذا الوصف. فالأولياء عياله. قد غذوا من لبن رضاعه. وقد استمدوا من كهربة شعاعه.

هل من منكر. يا أهل الولاية. وأشياخ العلم والدراية. قد بلغ من الأسماء والصفات غاية المنى. وتحقق بالمقامات على أعلى مستوى.

له في كيفيات الاسم الأعظم ما لا يعرفه سواه. وما لا يدركه عز وجاه.

يكيف العوالم. ويروح عن الخلق في المظالم. برقة نسيم أنفاسه. ولطف رقيق

أقداسه. لا يستمد ولي ذرة من مدد إلا على يديه. ولا تخرج أنملة مقام إلا من طاقة مقامه. يعطي كل شخص على قدر حوصلته.

جمانة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين:

(المقامات في مقامه منسوخة★ والأحوال في حاله ممسوخة★ الكل ذاب فيه★ فهو الكل★)

أجبنا: واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن المقام الخاتم سواء لنبي أو ولي يقع فيه النسخ.

ولكن لا تستوي مقامات نسخ النبي والولي. فالنبي ينسخ العوالم. فلا يبقى دين سوى دينه.

والولي الخاتم استولى على دين ذاك النبي بباطنه فلم ينسخ حقيقة الدين لكون نبيه ظاهرًا فلا يجوز أن ينسخ في مقام نبيه عليه السلام.

ولكن نسخ مقامات. تظهر مع قيام الساعة هذه القاعدة وتتحقق أعظم وأبلغ.

فإذا نسخ هذا الختم المقامات بمقامه الأعظم فليس معنى هذا أنه قد ألغى كل المقامات التي هي دون مقامه.

ولكن الغلبة لمقامه. فهي تاج المقامات وعروسها. الذي من دخله فلا يحق له إلا الانتقال إلى غيره وإلا طرده الختم.

أما ذوبان الكل. فأهل الولاية لا غير. ذابوا. في دوامة هذا الختم. فهم الكل له. وهو الكل بهم. لكونه شيخهم وإمامهم.

فكان لهذا الختم التحقق بالأربعمائة خلق المحمدية.

وسريان هذه الحقائق في عروقه ودمائه. دون غيره من أهل الولاية.

ويعلم من خصائص هذه الأخلاق ما لا يعلمه سواه. ومن أهل النبوة الوارثين للخلق المحمدي من لا يرث بعض الأخلاق المحمدية الموزعة للختم. لكون الأخلاق المختصة بالمحمديين بعضها مختص بهم لا يسري إلا فيهم. وهذا من خصائصه عليه السلام.

وهكذا يختص المحمدي بخصيصة المايزة عن كل من سبقوه من أنبياء ببعضها لا بمجموع كمالاته عليه السلام.

فلا يعلو الولي النبي حتى يلج الجمل في سم الخياط. وكان من صفة الختم سريان حال نبيه فيه. وهو علم النسخ.

لكون الخاتمين لهما علم خاص بهما.

ولهذا كان الخاتمان لهما علم خاص بهما.

ولهذا كان يفيض على الولي الخاتم من الحضرة المحمدية فيض على توجهات.

فمنه ما يفيض بدون شعور الأنبياء. ومنه ما يفيض عليه مما يفيض عليهم. ومنه ما فاض عليه مما أفيض على أهل الولاية. ومنه ما فاض عليه مما أفيض على أهل طريقته وإن اختصوا بأسرار لا توجد عند غيرهم.

زبرجدة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (لا واسطة بينه وبين روح الوجود ★ ممد للوجود بأسراره ★)

أجبنا: أي ولي. يا صفي. يا خلي. روح الوجود هو أبو القاسم. فتاه. وغوثه. وسلم العروج. إلى خزائن الحقائق. وعروش المصادر.

قيل فيه من لسان الحضرة: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

فلا تخرج ذرة من حقائق الإله إلا من بابه (ﷺ).

وكيف تكون وسائط قائمة بين ختمين والولي الخاتم عين النبي الخاتم. بل ابنه. وقصده.

هذا الولي الخاتم تربى على مائدة النبي الخاتم وأكل من فرائد جوده. وشرب من غير شهوده.

فهو النائب العام. عن روحه (ﷺ). لذا كان يمد الوجود بأسره.

وبغيره ينعدم طعم الوجود. وتخمد نار الشهود. هو ضياء الدنيا والآخرة. والفانية والباقية. قد أُعْطِيَ الجهالُ من طعمه. وقد غرق الأكابر من عمله.

فذات الولي الخاتم متلقية بحار الفيوضات من ذات الخاتم (ﷺ). فتفرقها على أهل الولاية بغير شعورهم. ففطرة هذا الخاتم أصح فطرة تستمد من فطرته عليه السلام وأقبلها لها.

لؤلؤة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (هِمته من سِرِّ كُنْ★ ما نظر لميت إلا أحياه★ ولا كره شيئًا إلا محاه★ لو سلط همته على شيء حققه★ قبل أن يرتد إليك طرفك★)

أجبنا: سِرُّ كُنْ من علوم القطب الفرد. تُعطَى همته هذا الاسم. فهو المتصرف في العوالم.

قد احتوى ذاته العوالم بأسرها من أرض وسماء وبحار وجبال وعرش وكرسي وجنة ونار ولوح وقلم.

ومن هذا المقام تكلم أبو الحسن الشاذلي فقال: (إني لأعرف طرق السماء أكثر من معرفتي لطرق الأرض).

فهو المحيي والمميت كالقدم العيسوي. ومن أقطاب القوم عبد القادر

الجيلاني. أحيا الدجاجة بين يديه. ونظر إلى عصفور ذرق عليه بهذا السر فمات.

ومن أقطاب هذا المقام شيخنا محي الدين بن عربي قدس سره. كان رجل يؤذيه بالعراق وهو بالشام. فصبر عليه كثيرًا.

حتى لامه أصحابه على هذا. فقال يومًا أعطوني خنجرًا. وكتب عليه هذا ثأر محي الدين بن عربي. وغمده في الأرض وقال. قد أخذت ثأري. فوجدوا في تلك الليلة. الخنجر مغمودًا في قلب الرجل الذي يؤذيه مكتوبًا عليه هذا ثأر الشيخ محي الدين بن عربي.

أما تحقق الأمنية قبل ارتداد الطرف فهذا علم سليماني. قطبه سليمان الحكيم. عليه السلام.

وبالجملة فرضا الحق تعالى من رضا الخاتم. وسخط الحق تعالى من سخط الخاتم.

فهو محقق الأماني. ومبيد العدا. ورافع الهمم. ما كره إلا أهلك. وما أحب إلا حقَّق. طائر التوفيق مقرون به. وعلامة الفلاح قد نقشت على جبينه.

ماسة أسرار ختمية

قال القائل: ماسر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (شاخص ببصره إلى الملكوت★ يرفع أقوامًا ويخفض آخرين★ خليفة الله في أرضه★ قدمه على رقبة كل ولي★)

أجبنا: فشخوصه يا ولي إلى عالم اللوح. آخذ صفة الرفع والخفض عن المليك عز وجل. بإذنه. فمن علم اللوح يرفع ويخفض لكونه يراعي العلم فلا يخرج عنه بشيء.

وهذا من آداب الناظر إلى صفة اللوح. وقد فصلنا هذا في كتابنا تكملة الفتوحات المكية فليراجع.

ولما كان القطب الجامع هو الذي تحصلت له نهايات الصفات الإلهية في المجامع. فقد كان من كمال هذه الصفات فيه تعين علم الرفع والخفض في قبضته.

فيكون حاله ومقامه معبرًا عنه قائلًا له: أنت كل يوم في شأن. ترفع أقوامًا وتخفض آخرين.

وعن هذا المذاق والحال عبر عبد القادر الجيلاني لما رقي المنصة بقوله قدس سره.

فَلَوْ أُلقيتُ سِرِّي فَوْقَ نَارٍ لَخَمَدَتْ وانْطَفَتْ في سِرِّ حَالِي
وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فَوْقَ مَيْتٍ لَقَامَ بِقُدْرَةِ المَوْلى مَشَى لي
وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي في جِبَالٍ لَدُكَّتْ واخْتَفَتْ بَيْنَ الرِّمَالِ
وَلَوْ أُلقيتُ سِرِّي في بِحَارٍ لَصَارَ الكُلُّ غَوْرًا في الزَّوَالِ
ومَا مِنْهَا شُهُورٌ أَوْ دُهُورٌ تَمُرُّ وتَنْقَضِي إِلَّا أتى لي
وتُخْبِرُني بما يَأْتي ويَجْرِي وَيُعْلِمُني فَأقْصِرْ عَنْ جِدَالِي
بِلَادُ اللهِ مُلْكي تَحْت حُكْمِي وَوَقْتِيَ قَبْلَ قَبْلِيْ قَدْ صَفَا لِي

أما كون قدمه على رقبة كل ولي. فهو علم القدم. الذي يضعه القطب في كل عصر على كل رقاب أهل الولاية. ويكون وقتيًا له.

وعبروا بالقدم عن المقام. فمن رأى أمامه قدمًا واحدة. فقد بلغ القطبانية. ومن رأى أمامه قدمين. فهو إمام. ومن رأى أمامه ثلاثة أقدام فهو وتد. ومن رأى أمامه أربعة أقدام فهو بدل. أما النبي فلا يرى قدمًا أمامه.

حقيقة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (كثير الإنكار عليه من قبل الناس).

أجبنا: هو على قدم نبيه مبتلى بإنكار الخلق عليه.

وهذا مشرب أهل الصدق. لقوله عليه السلام (أشد الناس بلاء الأنبياء والصالحون).

فالداخل إلى باب الإنكار رأى ظاهره وغاب عنه صحة مقام باطنه.

كرؤية أبي جهل للهيكل المحمدي لما رآه هيكلاً مجردًا من معاني النبوة بل هو بشر محض.

وهذا سر الإنكار الذي أضاع المهج وأهلك الأرواح.

لذا جهل قدر الصالحين وأرباب العرفان. لأجل هذا السر ومحطه في النفوس المريضة. ألا ترى إلى الفرعون نظر إلى محمد عليه السلام على أنه تربى عنده على موائد إحسانه. فظلت هذه صورته في مخيلته لا تزول. فقال له: ﴿ألم نربّك فينا وليدًا﴾.

فلو أن هذا الفرعون تحقق بأوصاف النبوة الموسوية. لآمن به حالّا. ولكن علم شيئًا وغابت عن مخيلته أشياء.

لذا لا نقيس الولي بمظهره. بل الولي مخادع للخلق. حتى لا يكشف أمره. فربما خدعهم ولم يعلم بحاله إلا الحق تعالى. وحجبهم عن صحة حاله بحجاب وكل له حجاب بعينه. ولو خضنا في حجب أهل الولاية لأجمع أهل العرفان على كفرنا وقتلنا.

فإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. أي ولي يا صفي.

فإذا أنكروا على الولي. فهو في ملك آخر قد قام يتلذذ. قائلًا للعواذل:

﴿قل موتوا بغيظكم﴾ . ما ضره منهم إلا أخذ حسناتهم في كتابه هو جبل تنفخ عليه ناموسة. أتراها تزلزله؟.

ومن ثَمّ عظم بلاء خاتم أهل الولاية لكثرة ألباس هذا المقام.

وعظم قيام الدعاوى فيه. وخطر الأدعياء عليه.

فهكذا يظل الخلق إلى قيام الساعة لا يعلمون من هو خاتم أهل الولاية.

ولو ظهر تحققًا في الوجود. فلا يصدقه إلا معتقد. فهو إمام بخلاف المهدي الذي يصدق. وإن كان مقامه قد علا مقام المهدي. فاختص المهدي بالظهور واختص هو بالبطون وعظم البلاء. فلا يصدق.

ومن هذه القاعدة وقع كثير من أهل الفتح وكبار أقطاب هذه الأمة في الإنكار على الإمام الخاتم. لغياب مقامه عنهم. وإن كان هو أصل مددهم. فلا شعور لهم به. ومن هذا انعدمت فائدتهم به ظاهرًا وإن بقيت الفائدة قائمة في الباطن. لكونها لا تنقطع عنهم وإن أنكروا. فهو مُمِدٌّ لمن ينكر عليه ولمن يشهد له. في آن واحد.

وهذا لعمري من عجائب أخلاق هذا الإمام التي لا يعلمها إلا الحق تعالى. فأنعم به من إمام حق وصدق.

وسما هذا الإمام بفرائد من أخلاق الرسول (ﷺ). لم يتذوق طعمها ولي قبله ولا بعده. ولسان حاله شاهدٌ بهذا الذوق الراقي. والفن الساقي.

وقد ألهمنا الحق تعالى كثيرًا من مشربه رضي الله تعالى عنه ونوادر أخلاقه التي لم يتذوق وصفها سوى من بلغ بدايته في المرتبة. والمنصة وعلا منبره.

بلورة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (لو أفشى مثقال حبة خردل من أسرار حقائقه ★ لأجمع أهل العرفان على قتله ★)

أجبنا: وهذا لكونه قد ملك جعبة الباطن المحمدية فإجماعهم على مناصب:

المنصب الأول: إجماع جمهور العوام على قتله.

المنصب الثاني: إجماع جمهور العلماء على قتله.

المنصب الثالث: إجماع علماء الظاهر على قتله.

المنصب الرابع: إجماع علماء الباطن كالخضر على قتله.

المنصب الخامس: إجماع الصديقين على قتله.

المنصب السادس: إجماع الأئمة المجتهدين على قتله كأبي حنيفة ومالك والشافعي رضي الله تعالى عنهم.

المنصب السابع: إجماع الأئمة المقلدين على قتله كالسيوطي وابن تيمية والماوردي والنووي.

المنصب الثامن: إجماع الأنبياء على قتله صلوات الله عليهم.

المنصب التاسع: إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على قتله.

المنصب العاشر: إجماع التابعين على قتله عليهم رضوان الله.

المنصب الحادي عشر: إجماع الأقطاب على قتله كالجيلاني وأبو الحسن الشاذلي وغيرهم. رضي الله تعالى عنهم.

المنصب الثاني عشر: إجماع الأفراد البالغين لأول مقامه على قتله مثل الشيخ محمد وفا رضي الله تعالى عنه.

فيروزجة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (الخضر فتاه استمد حججه التي حاج بها موسى من نداه)

أجبنا: وكيف لا يكون فتاه. ونبيه أفضل نبي عليه السلام. وقد قيل في

حق أمته: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

وقيل في حقه عليه السلام على لسانه: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد).

وإن كان الخضر فتى علم الباطن في بني إسرائيل. فخاتم هذه الأمة أفضل منه.

لكون نبيه عليه السلام أفضل نبي.

وكذا الولي المحمدي أفضل من الولي في الأمم السابقة. سيرًا وراء القاعدة السابقة. وكذا عاصي هذه الأمة أفضل من عاصي الأمم السابقة.

وكان الخاتم هو خازن الحجج. وأمد الخضر عليه السلام بحجج موسى عليه السلام التي حاجه بها الخضر. بل هو أعلم من الخضر بها.

ومن تدلل أولياء هذه الأمة على الخضر. أنه كان أي الخضر يذهب لولي محمدي كثيرًا فقال له الولي المحمدي: لا تأتني بعد ذلك فقد شغلتني.

وقد رفض إبراهيم الخواص صحبة الخضر لما طلب منه الصحبة. ومن هذه القاعدة فإن صحبة الشيخ المحمدي المربي الكامل أفضل عندنا من صحبة الخضر.

درة ثمينة وتحفة فريدة

رأيت في في عام ١٤١٠ هجرية في المنام كأنني جالس مع شيخنا غوث الزمان عبد المجيد الشريف رضي الله عنه في حجرة فدخل علينا أبو العباس الخضر عليه السلام فنظر إليه مولانا الشريف رضي الله عنه نظرة تذيب الجبال وقال له: ما الذي جاء بك إلى هنا؟.

لازوردة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (ظاهر مقامه المهدي

المنتظر ★ أصحابه مكتومون ★ لا يعلوهم عارف ★)

أجبنا: ولما كان المهدي هو الختم الظاهر. فقد كان له الظاهر المحمدي. دون استطلاع لحقائق الباطن. وإن تحقق بها. ألا ترى المهدي قد ظهر. والختم الباطن لا علم لهم به. فتحيروا في شأنه. لكون أمره مكتومًا. فلم يهتدوا إلى اسمه. ومنهم من اهتدى إلى اسمه دون معرفة بلده.

ومنهم من لم يطلع على وصفه وإن علم اسمه وبلده ومنهم من اطلع عليه دون أن يكلمه. ومنهم من اطلع على صورته دون علم اسمه وبلده. وهكذا تاهوا في دلال الختم. وحيّرهم. ودلهم. وشتتهم وفرقهم. وجمعهم وما عرفوه.

وإن عرفوه. فما وصفوه. وإن وصفوه فما قدروه.

فأصحابه مكتومون. لكونه مكتومًا. فلا يعلوهم عارف.

باذهردة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (عظيم الغيرة)

أجبنا: أي ولي. يا صفي. يا خلي. يا نجي ألم تعلم أن جمهور أهل الولاية أعظم الكائنات غيرة. وغيرتهم على صنوف. قد فصلناها في باب الصفات في كتابنا تكملة الفتوحات المكية. وغيرتهم أنواع.

فنوع يغار على حرمات الله تعالى. وهو أعظمها.

ونوع في غيرتهم على افتعال الخير وهو المعبر عنه بقول النبي (ﷺ): (لا حسد إلا في اثنين). الحديث.

ونوع في غيرتهم على المحبة. فيغارون أن يسبقهم أحد في محبة الحق تعالى.

ونوع في غيرتهم على تتبع سنة النبي (ﷺ). فيغار الولي أن يطبق السنة أحد غيره أكمل منه وأدوم عليها:

ونوع في غيرتهم على المقامات. فهم متصارعون على المقامات. أيهم يسبق.

وهو من أعظم الغيرة وهذا مقام له أسرار عظام. أعرضنا عنها لكونها مقامات فيها ابتلاء جسيم.

ونوع في غيرتهم على نوال اللذة الشرعية أيهم يتلذذ أعظم.

ونوع في غيرتهم على شدة الزهد. أيهم يزيد أعظم من صاحبه.

ونوع في غيرتهم في باب الورع. وأيهم يدقق فيه أكثر. ومن أقطاب هذه الرتبة المحاسبي.

ونوع في غيرتهم على النساء. وهو مقام عظيم.

ونوع في غيرتهم على رؤية النبي (ﷺ) أيهم يراه أكثر.

ونوع في غيرتهم أن يتحكم فيهم أحد بحال. وهو مقام ابتلاء.

إلى ما شاء الله من مقامات الغيرة التي لا يحصرها القلم. ولا يجمعها رسم.

بل مقامها: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾. وكلها من باب الغيرة الربانية المحمدية.

صدفة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (عاشق للسبق ★ فلا يسبقه أحد بمقام ★ أو مفخرة ★ وإلا قتله بسيوف همته ★)

أجبنا: وهذا سر قوله (ﷺ): (سيروا سبق المفردون).

قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: الذين اهتزوا في ذكر الله يأتون يوم القيامة خفافًا يضع الذكر عنهم أثقالهم).

والختام شيخ السبق. فهو الشيخ السابق إلى كل مفخرة. اللاحق بكل محفلة.

قد عشق السبق. وقد عشقه. بل السبق متفرع عن همته. إلى أرباب الميدان. وفرسان الطعان.

فأعطى كل سابق. علمه وفنه. وإن لم يكن هو السابق. فعلم السبق منه. وعنه أصلًا. وهو السابق حقًا.

تحفة من خزائن القدس في معنى السبق وسره الأزلي

فرب مسبوق خير من سابق في العلم الأزلي المصون. كما رأى الرسول (ﷺ) بلالًا وقد سبقه. فليس معنى هذا أنه خير منه. ولكن سبقه بمدده.

فالسابق مستمد من المسبوق. وهذا من عجائب الحقائق. فلا يسبق أبا القاسم (ﷺ) أحد وإن كان مسبوقًا فإنما هو شيخ السابقين صاحب اللواء والشفاعة.

فضة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (جمهور الأولياء بين يديه كالذباب ★ لا مناسبة بينهم وبينه ★)

أجبنا: هم كالذباب ليس في حقارتهم، معاذ الله في حق الأولياء. عليهم رضوان الله تعالى وتقدست أسرارهم.

بل هذا التعبير اقتبسناه من قوله تعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾.

ومن قوله تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾.

وهذا في حق كل الناس. من مؤمن وكافر وولي وعامي. فهو مقام تشريف.

لكن ضربناه بالذباب لكونه سريع الحركة متى صرفه انصرف الخاتم. ولكونهم لا مناسبة بينهم وبينه. بل لا ذوق يسري بينهما.

زجاجة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (عظيم اللذة ★ كثير النكاح ★ محبٌّ له بشغف ★).

أجبنا: هذا من علوم القطب الجامع. وهو من أوجه الكمالات المحمدية عند الرجال. لكون النبي عليه السلام من سنته كثرة النكاح. فأعطي قوة مائة رجل.

ألا تراه كان يطوف على نسائه كل ليلة في المدينة بغسل واحد.

وهذا ما لا يستطيع فعله أي رجل من الخلق.

درة في معنى التلذذ بالوجود وذراته أي كله

وقد فصلنا هذا بتوسع في كتابنا تكملة الفتوحات المكية.

ولا يكمل الرجل حتى يحس أنه يتلذذ بالوجود بأسره. كل ذرة فيه.

وقد رأى ابن عربي في رؤيا منامية كأنه ينكح النجوم. فنال حظًّا خصيبًا من العلم.

وهذا النكاح المعنوي للكون. خرجت صفة هذا النكاح عن النكاح الحسي. ولا مناسبة بينه وبين النكاح المعنوي.

وأول درجات النعيم الأخروي هو نعيم اللذة الفرجية. تكون هذه اللذة أرقى لذة حسية عند الآدمي.

أما في الآخرة فهي أول درجات المتلذذين. ومنهم من يتحقق بالمعنى الأخروي في الدنيا. فيهجر النكاح إلى لذات أرقى تخرج عن النكاح الحسي لا تنال إلا بذوق بليغ.

خرزة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (مقامه بين النبوة والقطبانية ★ إمامه محمد (ﷺ) ★ لا فضل لمخلوق عليه إلا إمامه ★)

أجبنا: قد أخذ الخاتم منزلته بين الغوثية والنبوة كاد يلحق بالنبوة.

له مقام نبي لم ينبأ. لا مقامه. أي الذي تنبأ فيه. ونزل عليه الوحي به. لكون الوحي لا ينزل إلا على نبي سواء أرسل أو لا.

أما الملك فينزل على أهل الولاية بغير وحي. قال الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ الآية. ولكن لا ينزل ملك على ولي بأوامر إلهية أو شرعية. لكون هذا لنبيه أسبق وأميز.

وكان شيخ الختم هو رسول الله (ﷺ). وهذا لكون كل واصل يجب أن يكون له شيخ. ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان.

ومن هنا أزيل السبب وضاعت السلسلة. فهو الآخذ مباشرة عن الحضرة المحمدية.

وهذه علة تكون من علل بلائه. فيكذب بهذه الشبهة.

فيقال له: كيف أخذت عنه مباشرة وخالفت كل أهل الإسلام. وكل أصحاب الإجازات والقبضات.

وهم مساكين ما عملوا شأنه. ولا تيقنوا بيانه.

وذهب الذاهب وقال له: كيف يكون لا فضل لأحد عليك؟ إلا رسول الله (ﷺ)؟ فأجاب: لكونه إمامي. وأستاذ نظامي. وأنا عينه. وباطنه.

بل هو القائل لي هذا البيان مباشرة ويقظة. لا منامًا أو خيالًا أو مخامرة.

واعلم يا ولي الله أيدني الله وإياك بروح القدس أن الولي الخاتم هو أذوق

ولي الحال وأوصاف وسنن رسول الله (ﷺ) فضاعت عنه الوسائط الموصلة لحضرته عليه السلام. بل هو واسطة الوسائط.

سبحة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (الكل مدعوون لمقامه★ وما ذاك إلا لعلو شأنه★ وما هو إلا واحد★ والباقي أصحاب دعاوى★)

أجبنا: فقد كثرت الدعاوى في شأنه. وتحسر الرجال. عن بلوغ الآمال.

وادعى كثير كرسي منصته. لما حدج بدايته وما لمح إلا لمعان الرتبة. وأوهام المنصة.

فهيهات هيهات أن يعود ما فات. هناك هناك لما علموا حقيقة هذا الإمام. ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

وخنقتهم العبرة لكونه سد عليهم هذه التحفة ومنع عنهم هذه النفحة. فهم أسارى جوده. مستمدُّون من شهوده. وعظمت الدعاوى وما هو إلا في مقام الفردانية متنقل بين المنة والقربة. قد أتعبه السير.

لكن قوة روحه وترواحه قد آنسته. فلا يمل.

كهربة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (فها هو الختم★ قد أخفى حقائقه★ بخادعات مظاهر الأقوال★ فحجبهم عن شهود مقامه★ فهم في عماء عن بلوغ وصفه★)

أجبنا: اعلم أيها الفتى الولي. والهمام السخي. أنَّ ألباس الخاتم مظاهر الباطن. وهو حجابه. إذْ كل ولي يصح له حجاب. وهذا علم دقيق. قلَّ من تكلم فيه.

والولي يمكر بحجابه. ليخفي مقام دلاله. حتى لا يدرك له أثر في هذه

الدار. فهو في قرار. عن الوصول إليه. أو الحوم حواليه. وكلما عظم المقام يا ولي. دقَّ الحجاب. وخفي ورق.

وكلما رق الحجاب. عظم الذوق. عند العارف وتتلون مشارب حجبهم حسبًا لمذاقات صفوهم. وكان خاتم أهل الولاية المحمدية شيخ مقام المخادعة الحجابية إذ مقام حجابه ظاهر باطنه. فهو علم قلّ من ذاقه.

كتاب
ناسوت المخاطبات ولاهوت التجليات

الحمد لله المتحنن بأنس مخاطباته على أهل البساط. فميزهم عن غيرهم دون اختلاط. ألا تنظر يا ولي إلى صفاء تلك المخاطبات. المعصورة من ماء فواكه الجنان والجنات. ما أعذبها. وما أرقها. وما أنداها. ما أحلاها. ما أطولها. ما أقصرها. ليتها دامت. فإنها استطالت وما دامت.

كأنها خلسة السحر. أو طرفة نظر. أو ضحكة حوراء. أو لفتة ظباء.

من أنا. ومن هو. ومن كلانا. ما أرقه. ما أقساه. ما أكثر تجنيه عليَّ. وأعذب هجره فيَّ.

يا أنا أو يا أنت. كلاهما واحد. ذابت المقامات. وسقطت المنصات. وانعدمت الحواجز. ودنت الحوافز. دعني أشكوك إليك. وأبتعد عنك. ألا تنظر هذا الدلال. وعجائب الخصال. لقد أتعبتني. وكم أرحتك. وعذبتني. وكم رحمتك. وهجرتني. وكم واصلتك. ومنعتني. وكم أعطيتك. أنا عاتب عليك. هامس في أذنيك ألا تكشف الحجاب. ودعنا من العتاب. وفي هذا المشهد قلت لك. في ساحتك:

لا تَكْشِفِ الأَسْتَارَ عَنْكَ فإنني ... أَرَاكَ بِنَفْسِي قَدْ سكَنتَ بِنارِها
جَمِيْلٌ وِصَالُكَ والخِصَامُ أَلذُّ منه ... جَرَحْتَ قُلُوباً قَدْ خفيتَ بِغَارِها
دَلالُكَ سِحْرٌ والعَـذُولُ أَرَقُّ منه ... أَثرتَ شُجُونِي لَظَنّي بِشرارِها

شطت الديار. وبعد المزار. وتأججت في قلوبنا نار. عظم منها الأوار. فدعني أخاطبك على انفراد. فأفرغ كل المراد أنا ما عدت احتمل. ولا أصلح للقبل. ها أنت طرحتني في البلاد. وشردتني في العباد. وما اتفقنا على هذا. فلا تقل لماذا؟ أنا الغريب. المسكين الذليل اليتيم. المحتاج الضال. العائل. ألا يكفيك هذا.

لقد ذاب اللحم. وبرى الشحم. وتهرأ العظم. وما بقي غير جلد يابس. وشعر أشعث ليتني لم أسلك طريقك. فما أوعر سبيلك. تفرقت بي الشعاب. فأنا دومًا في اغتراب. بعدت عن الأهل. وحل بي ما حل لمن أشكوك؟.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عرش العالم. وكرسي المعالم. غوث الوجود وأستاذ الشهود النبي الأمي والرسول الإلهي. وبعد.

بسم الله الرحمن الرحيم

مخاطبة الفردانية

قال الخاتم: أوقفني علي بساط الفردانية وقال لي: أنت المنفرد. المُفرَّد. السيف المجرد. والشحرور المغرد. إنما سميت خاتم الولاية لانفرادك إليَّ. وانفرادي بك. الكل في غيرة من انفرادك. قد قتلتهم الغيرة من مقامك.

وقال لي: فردانيتك من فردانيتي. فما أعزك. وما أعزَّني بك. أنت وحيد. وفريد. ما لك مثيل. ولا يصح في مقامك تمثيل.

وقال لي: لولا انفرادك. لما علم انفرادي. ولولا ودادك لما شم طعم ودادي. ولولا مرادك لما تم مرادي. فبك تم الانفراد والوداد والمراد.

مخاطبة القربة

قال الخاتم: أوقفني على بساط القربة وقال لي: ما عرفوا قربي إلا بتقريبك

لي. وما ينبغي لي أن أقترب أو أبتعد. فهذا وهم في حقيقتي. وغريب في سليقتي.

وقال لي: أنت أقربهم وأنسبهم. وأعجبهم. هم عيال عليك. ما شموا طعم ذرة من مسكك. ولا عرفوا أحكام خطرك.

وقال لي: اقترب كما تريد. فهل من مزيد.

وقال لي: كل قرب بدون قربك فهو بعد. قد رددته رد. فوصفك ليس له حد.

وقال لي: إني مشتاق لقربك. صابر على هجرك. فافعل ما أحببت. وما أضمرت. فأنت الخاتم. وقد حق لك الدلال. ومحاسن الخصال.

مخاطبة المنة

قال الخاتم: أوقفني على بساط المنة وقال لي: أنت المنان. بيدك كنوز الإحسان. وأنا قابل لهذا الوصف فيك. قد أخلصته لك. فدع قول عذول وشماتة مخذول.

وقال لي: المنة منك هي مني أصلًا قولًا وفعلًا.

وقال لي: لَوْ أَبْدَيْتَ لهم ذرة من خزائنكَ لعذرتهم. فاكتم. فأنت المكتوم صاحب المقام المختوم.

وقال لي: خزائنك مكتومة. وكنوزك مدفونة لا علم لهم بها. فلا تحدثهم عنها. حتى لا يحسدوك ويصارعوك.

وقال لي: أنت صاحب المنة على أهل الولاية عارف بمنازلهم. قد أحطت بمقاماتهم ومنازلاتهم مليك السلطنة وأمير الأمكنة والأزمنة.

مخاطبة أنت كنز التوفيق

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: قد جعلتك كنز توفيقي. فكن رفيقي.

وقال لي: لا غنى عن توفيقك. ومعاهد تحقيقك.

وقال لي: إنما أنا موفق بك. معتمد عليك.

وقال لي: يا نسخة توفيقي وطور تحقيقي.

مخاطبة الكتم

قال الخاتم: أوقفني على بساط الكتم وقال لي: خفائي من كتمك ولما كان الخفاء أصلح لنا فقد خفينا. وأنت على هذا القدم. على ذروة العَلَم.

وقال لي: إذا كان الظهور من فضة فالكتمان من ذهب. فالزم الكتم وشعار هذا الاسم.

وقال لي: لا تطيق الألباب أسرار كتمك. فوجهتك الكتم. ومقامك الختم.

وقال لي: لا تطيق العقول ظهوري. كما لا تطيق الألباب ظهورك.

وقال لي: لا ظهور لك في هذه الدار. فأنت مخفي وفي ظهورك هلكتك قد كتبت لك وعليك هذا.

وقال لي: ارفق بهم. وأشفق عليهم. إنما ذلك يكون باستتارك. ولا يتحقق إلا بحب خفائك.

وقال لي: لو أبديت رأس نملة من مقام الكنوز المكتومة. والخزائن المردومة التي خبأتها لك. لعلموا أنهم يردونها مفاليس.

وقال لي: إذا كانت شهوة الظهور مقام أقطاب فشهوة الكتم من مقامك بل مزجت برضابك.

مخاطبة دعني أحقق بك الأماني

قال الخاتم: أوقفني على بساط الأماني وقال لي: طال انتظاري لك. وشوقي إليك. كي تتحقق ذخائر المواريث. وفرائد التقاديس لا تحرمني من هذه اللحظات. ومن نفحات.

وقال لي: كل من حقق فبك حقق. وإنْ بدا في غير هيكلك.

وقال لي: يا محقق الأماني.

وقال لي: أنت أعز من روحي فحققني.

مخاطبة الفتوة

قال الخاتم: أوقفني على بساط الفتوة وقال لي: أنت الفتى. وسواك عيل عليك.

وقال لي: أنت فتاها من قاف إلى قاف.

وقال لي: لا تتحدث لهم عن الفتوة في هذه الدار. فلا طاقة لهم بالكلام عنها. فكيف لو شاهدوا أفعالك فيها. ولكن دعهم وسيروا تلك الفتوة يوم القيامة. وعجائبها. وإنَّ غدًا لناظره قريب.

وقال لي: أنت الفتى الأول والآخر والظاهر والباطن.

مخاطبة الإنكار

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: دعهم ينكرون عليك. فهم ينكرون عليّ فاقتد بي. واصبر عليَّ.

وقال لي: لا يكمل حالك حتى يشتد الإنكار. ويروا في حقك الظلام نهار فأنت مبتلى بالإنكار عليك كلما نقضوك علا شأنك.

وقال لي: يا حبيبي إذا أنكروك فقد أثبتوك.

وقال لي: أنكر عليَّ الفرعون وقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾.

وأنكر عليَّ النمروذ وقال: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ وأنكر عليّ قارون وقال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾. أفلا تصح لك القدوة بي. والفرار إليَّ. هناك تكون عبدي حقًا. قَدْ مُتَّ فيَّ عشقًا. وذبت إليَّ شوقًا.

مخاطبة تعالَ ننفرد

قال الخاتم: أوقفني بين يديه على البساط وقال لي: تعالَ ننفرد بعيدًا عنهم.

وقال لي: الانفراد هو الازدحام. فازحم نفسك.

وقال لي: إذا خلونا سواء فقل ما شئت بلا حياء. وإذا شغلنا فتأدب.

وقال لي: تعالَ ننفرد. فأشهدك العجائب وأتحفك بالرغائب هذا لك أنت فقط.

مخاطبة ما وحدني وليّ مثلك

قال الخاتم: وقال لي: وحدوني بنقطة من بحار توحيدك.

وقال لي: لو اطلع أرباب الموحدين على سر توحيدك. لزعموا على كفرك وأجمعوا على رجمك.

مخاطبة المحبة

قال الخاتم: أوقفني على بساط المحبة وقال لي: إنما أحببت لأجلك. وكرهت لأجلك

وقال لي: إني جننت بحبك فكن مجنونًا بحبي.

وقال لي: أنت حياتي فكن حياتي.

وقال لي: أنا أحبك لكن لا أبدي لك لألوعك.

وقال لي: هجرك لي أحب من وصالك.

وقال لي: لا أعرف اللذة إلا إذا رضيت عني.

وقال لي: الخصام هو حب الكرام. والهجر أحلى من الخمر.

مخاطبة عشقي لك يزداد

قال الخاتم: أوقفني وقال لي: لا صبر لي عليك. عشقي لك يزداد. فمتى يتحقق المراد.

وقال لي: يا أنا فقلت له: يا أنا

وقال لي: دعنا من أنا فليس هناك أنا. فما بيننا أنا فلنتحدث بلا كلام. برموز الأحكام.

مخاطبة الدلال

قال الخاتم: أوقفني على بساط الدلال وقال لي: تدلل عليَّ. وتخيّر فيّ.

وقال لي: لولا دلالك لرأيت دلالهم لعبًا. وحنانهم خربًا.

وقال لي: الكل تدلل. لكنني لم أنظر إلاَّ لدلالك. لرقة جمالك. ونعومة خصالك.

وقال لي: أنت مليك الدلال. وأمير الجمال. وسلطان الكمال.

وقال لي: أنت عقد دلالي. وجنة جمالي. دلالهم جفاء. وحنانهم هراء.

مخاطبة الغفران

قال الخاتم: أوقفني على بساط الغفران وقال لي: كل من رأى طلعة بدرك. ولمح عذوبة ثغرك. لا يقوم عن محبتك إلا وهو مغفور له. منثور عليه.

وقال لي: كل من رآك أو رأى من رآك فقد دخل جنتي. وأنعمت عليه بخلعتي.

وقال لي: أنت الجنة. وسواك الجحيم.

وقال لي: معك نعيم. أعظم من الجنة. لكن لا تكشفه لهم فتكلهم.

مخاطبة الهيبة

قال الخاتم: أوقفني على بساط الهيبة وقال لي: دع الهيبة تتحدث.

وقال لي: الهيبة هي سقوط الكلام. في بحار المقام.

وقال لي: أخرستهم هيبتك. وشيبتهم طلعتك.

وقال لي: لا هيبة ولا خشية. إنما أرهبتهم أنوار. وجمدتهم أسرار.

وقال لي: هيبة خاتم الولاية. كأهوال يوم القيامة.

وقال لي: الهيبة هي ضياع الهيبة.

مخاطبة الانبساط

قال الخاتم: أوقفني على بساط الانبساط وقال لي: ما أحلى الهيبة إذا مزجت بالبسط وإلا فهي غمط.

وقال لي: ما أحلى عسلَ انبساطك وما أرقَ أثاثَ بِلاطك.

وقال لي: ليس كل من ضحك فقد انبسط. فربما خرج عن الأدب وخلط.

وقال لي: لا يتم كمال البسط إلا إذا عربدت ورويت وسكرت. فهذا أحلى عندي من يقين الهيبة وفتون الوحشة.

مخاطبة جنوني بك

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: جنوني بك قديم. وفتوني بك عظيم.

وقال لي: لا ينبغي لغيرك أن يدخل علينا. وإن تعددت الهياكل.

وقال لي: من ذا الذي يراك ولا يهواك.

وقال لي: قد ألقيت عليك محبة مني. ولتصنع على عيني.

مخاطبة الأسرار

قال الخاتم أوقفني على بساط الأسرار وقال لي: مشوا على شاطىء أسرارك. فظنوا أنهم خاضوا في لجة أعماق بحارك.

وقال لي: السِّرُّ مُر.

وقال لي: أسرارك لا تنال بمجاهدة ولا منة.

وقال لي: أراك تتحدث وتخر منك الأسرار فلا تتحدث بعد اليوم. إلا لاضطرار.

وقال لي: لا حر ولا برد إلا من عين سرك.
ولا ضحك ولا بكاء إلا من عين سرك.
ولا خوف ولا رجاء إلا من عين سرك.
ولا جوع ولا شبع إلا من عين سرك.
ولا عطش ولا ري إلا من عين سرك.
ولا عرى ولا استتار إلا من عين سرك.
ولا قبض ولا بسط إلا من عين سرك.
ولا سكون ولا حركة إلا من عين سرك.
ولا سمع ولا بصر إلا من عين سرك.
ولا معرفة ولا يقين إلا من عين سرك.

ولا مقام ولا حال إلا من عين سرك.
ولا فناء ولا بقاء إلا من عين سرك.
ولا مشاهدة ولا مكاشفة إلا من عين سرك
ولا توبة ولا أوبة إلا من عين سرك
ولا حنان إلا من عين سرك.
ولا رضاع إلا من عين سرك.
ولا وصال إلا من عين سرك
ولا إخلاص ولا صدق إلا من عين سرك.
ولا جمال ولا جلال ولا كمال إلا من عين سرك.
إلى ما شاء الله.

مخاطبة أعلمك بدون كلام

قال الخاتم: وقال لي: أفضل ما عَلِمَ. إنما عُلِمَ عن الصمت. دون الكلام.

وقال لي: الكلام يفسد التعليم.

وقال لي: لما أحببتك. فقد علمتك. بغير حديث وهذا من كنوز المواريث.

وقال لي: من أراد أن يتعلم مني. فلا يكلمني.

وقال لي: دعنا نتكلم بغير حروف وكلام

وقال لي: الحرف حجاب.

وقال لي: تجرد عن الكلام. وتعالى كلمني.

وقال لي: كلامي بغير كلام.

مخاطبة الفيوضات

قال الخاتم: أوقفني على بساط الفيوضات وقال لي: أنت خزانة فيضي. وقبلتي وفرضي.

وقال لي: خذ من فيضي ما شئت لما شئت.

وقال لي: أي فيض. وأنت سلافة الحوض. وجنة الروض. فتى الوجود. وإنسان عين الشهود.

مخاطبة المناجاة

قال الخاتم: أوقفني بين يديه على بساط المناجاة وقال لي: ناجني بما شئت ولا تخجل.

وقال لي: بح لي كي أبوحَ لك.

وقال لي: إذا ناجيتني فاخلع رتبة الأدب. واسلخ أرومة النسب. فإنك أقرب لدينا من كل هذه التكاليف.

مخاطبة الغيرة

قال الخاتم: أوقفني على بساط الغيرة وقال لي: الغيرة دليل المحبة. ولولا قوة أنوار غيرتك لسقطت من عيني.

وقال لي: أنت أقوى الأولياء غيرة. وأشدهم شهوة.

وقال لي: فتون الغيرة محرق. وأنا أغار ولا ينبغي لي أن لا أغار. فكن غيورًا. أسدًا هصورًا.

وقال لي: لا تظهر معظم غيرتك فتهلك أحبتك.

وقال لي: نار الغيرة من أنواري. وذلك من بدائع أسراري.

وقال لي: قل لأهل الولاية. وأرباب الرواية والدراية: من ترك الغيرة لي. فقد تبرأ مني.

مخاطبة اقترب كي أمزج رضابي برضابك

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: لا يتم الوصال حتى تقبل بي. وتتلذذ بي. فأتلذذ معك. وأحب معك. وأغضب لك. وأمرح لك. هذا الكمال. وإلا فلا.

مخاطبة شدة غيرتي إذا نظرت لجميل سواي

قال الخاتم: وقال لي: لا تنظر لسواي من أهل الجمال. فتشتد غيرتي. فأحرقك فأنت لي. لا لسواي لا ينازعني فيك أحد. وإلا أتلفته وأنت معه.

مخاطبة اللذة

قال الخاتم: أوقفني على بساط اللذة وقال لي: ما تلذذ بلذتي إلا سواك.

وقال لي: أنت أعظمهم تحققًا بلذة النكاح.

وقال لي: أيّ فتى أنت؟ أبديت من اللذة ما أخفيت. وأخفيت من اللذة ما أبديت.

فقال لي: لو ذاق سلاطين المعرفة. وأكاسرة التربية. نقطة من ذوق لذتك. لتهتكوا. وعربدوا في الساحة وأنت شربت بحور اللذة وسكنت. وبلعت خزائن مائي وما رويت فهنيئًا لك هذا العطش السرمدي. هنيئًا. أيها الخاتم.

مخاطبة تحكمي فيك لا تحكمك فيَّ

قال الخاتم: وقال لي: دعني أتحكم فيك. وسأريحك أكثر مما تظن.

وقال لي: لن تتحكم فيَّ. حتى أتحكم فيك.

وقال لي: لن نحتكم لسوانا فلا ينبغي أن يدخل بيننا غريب.

مخاطبة سدرة المنتهى

قال الخاتم وقال لي: مقامك عند سدرة. لم يلمح ظلالها أي فتية.

مخاطبة البطون

قال الخاتم: أوقفني على بساط البطون وقال لي: أنا الباطن وأنت الباطن.

وقال لي: لولا بطونك لما تحقق بطوني.

وقال لي: أنت ضد الظهور.

وقال لي: أنت خَضِر هذه الأمة. وخَضِر موسى فتاك. ها هو مستمد من نداك.

وقال لي: أنا معجب بك في البطون. أكثر من فتوني بك في الظهور.

مخاطبة لن أتحقق حتى تحققني

قال الخاتم: أوقفني على بساط الحقيقة وقال لي: خلقتك لتحققني فتحمل أمانة التحقيق.

وقال لي: تحققك بي لن يتحقق إن لم تحققني لي. لا لك.

مخاطبة اطمع فيَّ كما شئت

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: اطمع فيَّ كما شئت فلن أحاسبك

وقال لي: اطمع فإنك لا تطمع في عاجز أو فقير.

وقال لي: لن تتحقق آمالك حتى تطمع فيّ.

وقال لي: إنْ لم تطمع فيَّ. فمن يطمع.

مخاطبة لا أملّ من حديثك

قال الخاتم وقال لي: حَدّثني فإني لا أملُّ من حديثك.

وقال لي: الكلام بيننا لا ينقطع. إلى أبد الآبدين وإن كنتُ أنا كل يوم في شأن فهذا من شأني.

مخاطبة قل لو كان البحر مداداً

قال الخاتم أوقفني وقال لي: أنت الكلمات. وهم البحر. فلو نفد البحر لما نفدت الكلمات.

مخاطبة اترك مقامك وتعالَ إلى مقامي

قال الخاتم: وقال لي: لا ينبغي لعارف أن يأتيني بمقامه فالكل يذوب فيَّ.

وقال لي: عندي لا مقام لا حال فأنا شيخ الحال والمقام وأنا أعز من كل هذا.

وقال لي: لا مقام لك عندي. بل أنت من حيث أنت. أحببتك لكونك تحبني من حيث أنا لا من حيث مقامي.

مخاطبة ما قدروا الله حق قدره

قال الخاتم: أوقفني وقال لي: ما عرفوا قدري والأرض جميعًا قبضتي يوم القيامة والسموات مطويات بيميني. وكذا ما عرفوا قدرك وهم جميعًا في قبضتك والأرض والسموات في طي يمينك.

مخاطبة إخفاء الحكمة العليا

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: اخفِ الحكمة العليا إلا عن أربابها. وصنها في حجابها.

وقال لي: الحكمة العليا هي قلبك وهو بيتي. وقدسي وفيه أنسي.

وقال لي: أنت أعز من الحكمة العليا.

وقال لي: لولاك لصارت الحكمة نقمة.

مخاطبة الذوق

قال الخاتم: أوقفني على بساط الذوق وقال لي: أنت كل الذوق.

وقال لي: لا ذوق بغير ذوقك.

وقال لي: إني أذوق بذوقك.

وقال لي: أنت أبو الذوق.

وقال لي: كل ما أحببتَهُ فهو من أرقى الذوق. وكل ما كرهته فليس من الذوق.

مخاطبة من صفا ونسي

قال الخاتم: أوقفني وقال لي: أنت الذي صفا ونسي.

وقال لي: لن تصفوَ حتى أصفو لك. فإذا صفيت لك أنسيتك نفسك. وأخذتك معي منك. فأنت أنا حينذاك.

وقال لي: تعالَ كي نتصافى. بلا دخيل بيننا ولا عذول يرانا. في خيمة الرضا. وسرادق الوداد.

مخاطبة وقوع الشبهة

قال الخاتم: وقال لي: إنما وقعت الشبهة في مقامك لندرة خصالك.

وقال لي: الكلُ مدعٍ لمقامك. فأنت فيه فريد. به وحيد. عليهم شهيد.

وقال لي: قد كثرت فيك الدعاوى وتعددت الفتاوى.

وقال لي: أنت أعز من الكبريت الأحمر. وأمكن من الجبل الأكبر لن تهزك دعوى. ولا تضرك ولا تنفعك فتوى.

وقال لي: أنت إمام الراسخين. وجبل أهل التمكين ما حدجوا إلا خيالك. وما تحققوا إلا في وهم ظلالك. فظنوا أنه مقامك.

مخاطبة القدَم

قال الخاتم: وقال لي: قدمك على رقبة كل ولي.

وقال لي: إنْ وضعت قدمك في كفة وأقدام أهل الولاية في كفة لرجحت قدمك.

وقال لي: دعني أبارك لك هذه القدم.

وقال لي: قدمك تعدل ملكي.

مخاطبة إغلاق الدعوى

قال الخاتم: أوقفني على البساط وقال لي: أنتَ أغلقت الدعوى. وسددت باب الفتوى.

وقال لي: كل من ادعى من بعدك مقامك فقد أخفق. وأنت عليه مشفق.

وقال لي: ما أتى عارف ادعى مقامك بمثل دلائلك ولا علم حِكَمَ شواهدك. علمك مقرون بالثريا منوط بالحميا.

وقال لي: علامة خاتم الأولياء إغلاق الدعوى على نفسه. ورسم المزية على وصفه فلا يخرق مقامه مدعٍ.

مخاطبة قد قرنت بك نصري

قال الخاتم: أوقفني على بساط النصر بين يديه وقال لي: قد كتبت على جبينك النصر على من ناوأك.

وقال لي: لن أنتصر أنا حتى تنتصر أنت.

وقال لي: قد أعطيتك كل أسلحة النصر فكر وفر.

وقال لي: أنت جيش الباطن في الأرض لا يتم نصر الملة إلا بك.

مخاطبة خاتم الأولياء

قال الخاتم أوقفني بين يديه وقال لي:

أنت أنا. وأنا أنت. نحن روحان حللنا بدنا.

أنت روحي. أنت نفسي. أنت عيني.

أنت وصفي. وقدسي.

أنت ذاتي وصفائي وأسمائي.

أنت جنتي أنت ناري.

أنت لوحي. أنت قلبي.

أنت عرشي أنت كرسي.

أنت أرضي. أنت استوائي وسمائي.

أنت كلي. أنت جميعي.

أنت كل مالي. بل كل ما لديَّ.

أنت الخاتم.

كتاب
فك الرموز والإشارات
الغامضة في كتاب المخاطبات

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنني لما ألفت كتابي « المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء » عرضته على أخذ مشايخنا رضي الله تعالى عنهم فلما قرأه أعجب به ورأى أن عقول الناس لا تحتمل واردات الكتاب فأمرني أن أشرحه فما كان مني إلا أن أخضع لأوامره. وأستجيب لأشائره. وإن كان هذا الكتاب قد أحيا مذهب النفري في كتابه « المخاطبات » فإنه إمام هذا المذهب وأول من طرقه ولم يصنف فيه أحد من بعده كتابًا سوى كتابي هذا وكل ما ورد في هذا الكتاب وحق روح القدس له أصل شرعي في الكتاب والسنة رغم أنف أهل الحجاب ومن أراد أن يقتنع بمقولتي هذه فليأتِ إليّ كي أستخرج له السند الشرعي من القرآن والسنة لهذا الكتاب وكل ما ورد فيه فهو من مقام حدثني قلبي عن ربي وإنني وحق روح القدس ما استوفيت فيه لمحة من بوارق لمحاتنا. ولا خطرة من صفاء خطراتنا ولم أصنف هذا الكتاب حتى بشرني أحد الأولياء في عصري بمقام الختمية.

ومن مبشرات هذا المقام أنني رأيت في عام ١٤٠٨ رسول الله (ﷺ) فيما بين النوم واليقظة وأنا أتكلم بلسانه فقال لي بلساني في مقام الفناء فيه: « أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء » ورأيت وأنا عمري عشرون عامًا كأنه قد نصب لي منبر عال فارتقيته فرأيت أهل السموات والأرض قد حشروا بين يدي ورأيت سماعة بين يدي لو دبت فيها نملة لسمع دبيبها

فقرأت «الرحمن علم القرآن» فأحسست أن صوتي قد زلزل العوالم العلوية والسفلية وسمعته كل ذرة في الكون ورأيت في بدء أخذي لطريق مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه رأيته رضي الله عنه يعجن الحلوى بيديه الشريفتين على طبلية ويلقمني منها في فمي ورأيت مولانا ابن عربي الحاتمي قدس سره فقال لي: «اسمك على اسمي ولقبك فيه أول حرف من لقبي» ورأيت مولانا عبد الغني النابلسي قدس سره وقال لي: اصبر ومقامك عالٍ جدًا، ورأيت في المنام وأنا أتكلم بلسان الحضرة وأقول: «أنا فلتة من فلتات الدهر برزت إلى الوجود منذ عالم البدء الأول» ولما صنفت كتابي «طبقات الأقطاب» وذهبت إلى مولانا وشيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه قال في الحال: «الذي يؤلف طبقات الأقطاب قطب» والحمدلله ولله المنة ليس هذا فخر مني أو تزكية نفسي فإن الشعراني عدد المنن التي منَّ الحق بها تعالى عليه في كتابه «المنن» في مجلد ضخم فليس أنا أول ولا آخر من تكلم عن نفسه وإنني أقول لك إن من منن الحق تعالى على أنني ألفت كتاب «المخاطبات» في مدة أقل من ساعة من الزمن وإن روحي هو الذي يكتب هذه المخاطبات لا أصبعي. والسلام على روح القدس المصون.

مخاطبة الفردانية

فك رمز وإثبات وإشارة «لولا انفرادك لما علم انفرادي. ولولا ودادك لما شم طعم ودادي. ولولا مرادك لما تم مرادي» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ فإن العبد هو الذي يبتدىء لكونه محل الأوامر فإن الحضرة لا تبتدىء حتى يبتدىء العبد قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ ولما كان الآدمي خليفة الحق تعالى في الأرض فإنه مأمور بتحقيق الصفات والأسماء الإلهية فالحق رحيم والرحمة واجبة في حق العبد والحق كريم والكرم واجب في حق العبد.

مخاطبة المنة

فك رمز وإشارة «أنت المنان» اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن

الحق تعالى يقبل ويطلب سريان صفته في عبده أي خليفته كما ورد في صحيح مسلم عن النبي (ﷺ) أنه قال: «خلق الله آدم على صورته» أي في العبودية والقيام بحق العباد وإظهار المراد الإلهي وليس هذا معناه التشبه بالوصف الإلهي فحاشا وكلا بل المراد الاستخلاف المحض والعبودية الصرفة.

مخاطبة أنت كنز التوفيق

فلك رمز إشارة «التحقيق» وفيه تكلم الشيخ الأكبر في «الفصوص» والجيلي في «الإنسان الكامل» والنفري في «المخاطبات» فإن الألوهية لا ظهور لها في هذه الدار ولا رؤية لها إلا في الآخرة فمن هنا وجب تحقيق الغيب المحض. وهو الحق تعالى بالإنسان الكامل الظاهر وهو الخليفة في كل زمان فإنه لولا الرسل وأهل النبوة لما ظهرت رسالة أصلًا ولما علم الآدمي الأمر إلهي فالحق تعالى موفق بالرسل والأصفياء.

مخاطبة المحبة

فلك رمز وإشارة «إنما أحببت لأجلك وكرهت لأجلك» اعلم أن الحق تعالى إذا أحب عبدًا اصطفاه وكان محل نظره في الأرض واستخلفه فحينذاك يحب لأجله يكره لأجله كما قيل على لسان أبي القاسم (ﷺ) في حق الحسن بن علي رضي الله عنهما «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» وورد في الحديث الصحيح «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله»

مخاطبة عشقي لك يزداد

فلك رمز وإشارة «يا أنا» اعلم أيدك الله أن أهل المعرفة وأئمتهم منهم الغزالي في «الإحياء» والقشيري في «الرسالة» اتفقوا على أن الفناء في الحق تعالى هذا امتزاج في المحبة فقط لا في المقام فالحق حق والعبد عبد وآية هذا المقام في القرآن قوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

مخاطبة الغفران

فك رمز وإشارة «أنت الجنة وسواك الجحيم» وآية هذا المقام من الكتاب قوله تعالى: ﴿يومئذ يود الذي كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض﴾ فكأن الجنة خلقت من أجل الرسل والجحيم خلق لمن عصاه وكفر به حتى يتمنى الكافر يومئذ لو تسوى به الأرض.

فك رمز وإشارة «معك نعيم أعظم من الجنة لكن لا تكشفه لهم» وهو نعيم الهداية الذي حير أكابر المرسلين والنبيين سره والذي أمر الحق تعالى الرسل بكتمان علومه فهو إلى محض من سر القدر واعلم أيدك الله أن المؤمن له مقام أعظم عند الله من مقام الجنة والعرش والكرسي واللوح والقلم قال الله تعالى في حق رسوله في الحديث القدسي: «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك» أي الوجود كله وروى الترمذي بسند صحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» فكيف بالنبي والولي والصديق والخاتم إذا كان هذا في حق المسلم فقط وروي عن حضرة أبي القاسم (ﷺ) أنه نظر إلى الكعبة وقال مخاطبًا لها: «والذي نفسي بيده إن لك لحرمة وإن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك».

مخاطبة أعلمك بدون كلام

فك رمز وإشارة «الكلام يفسد التعليم» وآية هذا المقام من الكتاب قوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر﴾ فهذا التعليم في حق النحل ولم يكلمها أصلًا فكيف بأهل النبوة والولاية وأصل التعليم هو النفث وهو قول أبي القاسم (ﷺ): «إن روح القدس نفث في روعي» والنفث ضد الكلام لكونه هو النفخ وهو علم عيسى عليه السلام كان ينفخ فيتحقق له ما يريد قال تعالى: ﴿فتنفخ فيها﴾ وورد في الخبر عن النبي (ﷺ) أن الله ضرب بيده بين كتفيه فوجد برد أنامله بين ثدييه وقال: «أوتيت علم الأولين والآخرين» فما سر هذا الرمز ولم يعلمه أحد أصلًا

فكيف أوتي هذا العلم مع أنه كان أميًا كما ذكر في القرآن والذي أريد أن أقوله أن أهل الحق اتفقوا على أن معرفة الأنبياء والأولياء بغير كلام لساني فعندهم الكلام يفسد التعليم.

مخاطبة تحكمي فيك لا تحكمك فيّ

فك رمز وإشارة «لن تتحكم فيّ حتى أتحكم فيك» وآية هذا المقام من الكتاب قوله: ﴿**لهم ما يشاؤون عند ربهم**﴾ وهذا العلم له أصل في السنة وهو علم القسم على الحق تعالى فلا يلبث أن يستجيب للمقسم عليه. روى أبو نعيم في «الحلية» عن أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) قال: «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» فلما كان يوم تستر انكشف الناس فقالوا: يا براء اقسم على ربك فقال: «أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك» قال فاستشهد.

مخاطبة البطون

فك رمز وإشارة «أنا الباطن وأنت الباطن» وآية هذا المقام من الكتاب قوله تعالى: ﴿**قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه**﴾ وقال النبي (ﷺ): «إنما تنصرون بضعفائكم» وورد في الحديث أنه (ﷺ) كان يقدم ضعفة المؤمنين في القتال.

مخاطبة قل لو كان البحر مداداً

فك رمز وإشارة «أنت الكلمات وهم البحر فلو نفد البحر لما نفدت الكلمات» وآية صاحب هذا المقام قول الحق تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ فإن علومه لا تنفد ولا تحصى وقد ورد عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿**يتنزل الأمر بينهن**﴾ لو فسرتها لقلتم إنه كافر وورد عن أبي هريرة أنه كان يقول: حفظت وعائين حدثتكم وعاء ولو حدثتكم بالوعاء الثاني لقطعتم مني هذا الوريد. وإذا تجردت الروح عن الجسد وخرجت عن

نطاق المادة ثم عن نطاق لباسها البرزخي ثم لباسها المكوثي ثم لباسها الجبروتي وعن جميع أرديتها فكانت روحًا مجردة من جميع أستارها وكافحت الحقيقة بالنور الذي منحها الحق سبحانه وقد صحت لها المشاهدة فهي حينذاك تمد البحور من بحر لا نهاية به وقد أجمع كل من تكلم في علم خاتم الأولياء على أن خاتم الأولياء هو الذي يمد أهل الولاية بالفيوضات التي يتلقاها عن الذات المحمدي ولا يمده أحد منهم.

مخاطبة الذوق

فك رمز وإشارة « إني أذوق بذوقك » وآية صاحب هذا المقام قوله تعالى: ﴿وقل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ فلما أحب الحق تعالى نبيه (ﷺ) فقد ذاق بذوقه ولم يفرق فقال لهم: إن كنتم تحبونني أنا فاتبعوا ذوق محمد ولم يقل ذوقي فأعلمنا أن الذوق واحد أصلًا.

مخاطبة ما قدروا الله قدره

اتفق أهل الله والعارفون منهم الشيخ الأكبر في « الفتوحات » على أن القطب في كل زمان يرى السموات والأرض بين يديه كالقصعة بين يدي الآكل والمتحقق من هذا العلم يعلم فوق السماء أكثر من علمه بطرق الأرض كما حكى ابن عطاء في « لطائف المنن » أن أبا الحسن الشاذلي كان يقول: المرسي أعلم بطرق السماء من طرق الأرض وهذا العلم له أصل عند الصحابة فإن عمر الفاروق كان يخطب والمعركة بين يديه كالقصعة بين يدي الآكل حتى قال: يا سارية الجبل وله أصل أيضًا عند أهل النبوة فهذا محمد (ﷺ) طاف الكون كله في ساعات ورأى ما رأى من آيات ربه الكبرى في الإسراء والمعراج وكذا عرج بإبراهيم عليه السلام فقيل في حقه ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ وأسرى بإدريس عليه السلام وقيل في حقه: ﴿ورفعناه مكانًا عليا﴾.

مخاطبة لجة القدم

قد صح عند أهل المعرفة وعليه اتفق الراسخون في العلم على أن كل واصل منهم إلى مقام القبطانية في وقته يؤمر من قبل الحضرة الإلهية والمحمدية أن يقول: «قدمي هذه على رقبة كل ولي» وهذا وقع لعبد القادر الجيلاني وأبي يزيد وابن عربي وأبي الحسن البكري والقدم في اصطلاح القوم هو لغة المقام.

مخاطبة قد قرنت بك نصري

فك رمز وإشارة «لن أنتصر حتى تنتصر أنت» وآية هذا المقام في كتاب الله تعالى قوله: ﴿وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين﴾ فإن نصر المؤمن هو عين نصر الحق تعالى.

كتاب
طلاسم العناية
الدالة على أوصاف خاتم الولاية

الحمد للمليك. ملك الملوك. بهي الأوصاف. صاحب الألطاف. سبحانه لا أحصي ثناء عليه. هو كما أثنى على نفسه. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه وهيكله وقدسه. محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين.

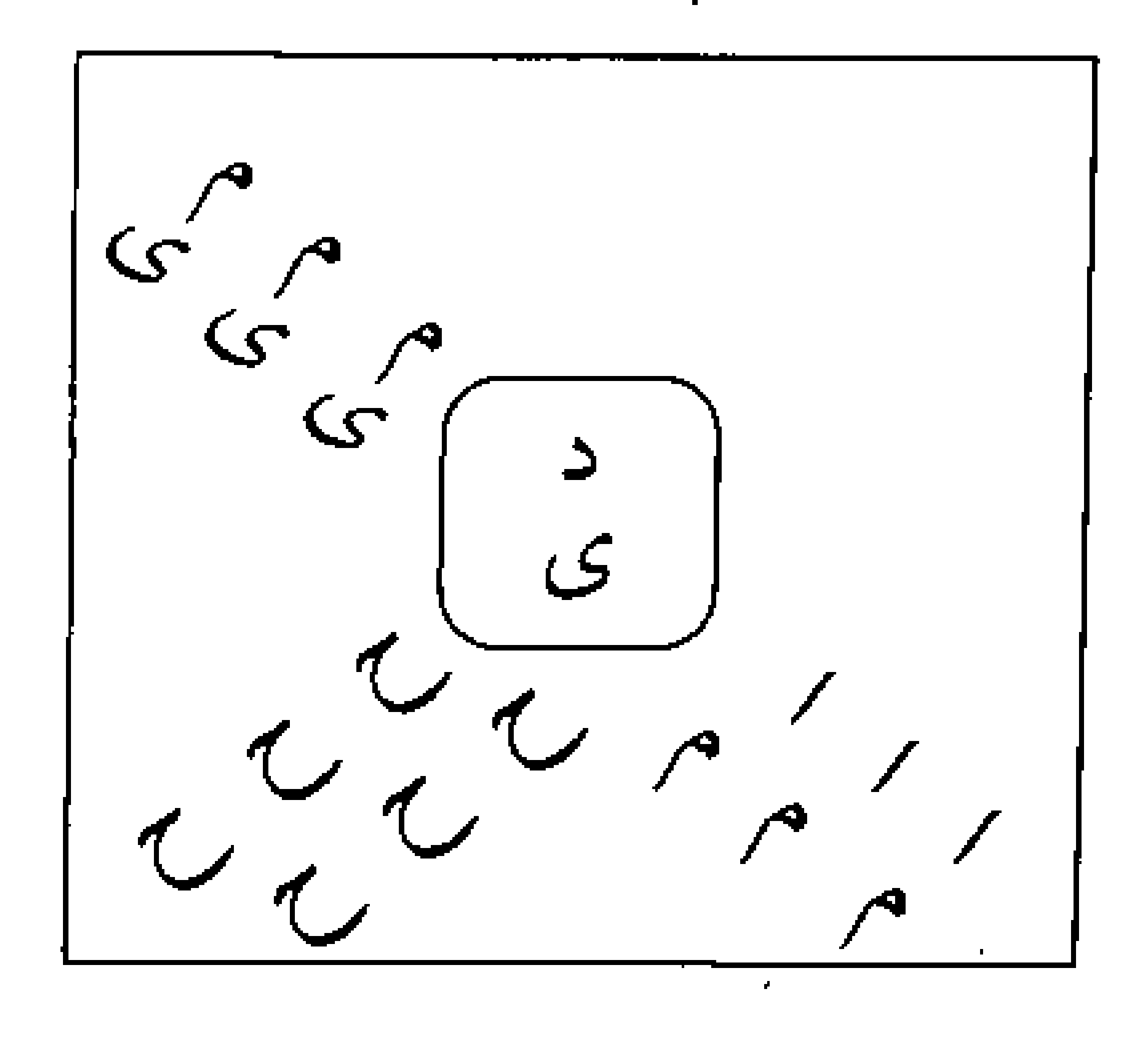
وبعد.

فهذا كتابنا المسمى: (طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية).

قد صنفته حجة عليّ وعلى القوم وعلى المنكر لأوصاف الخاتم فهو في نظام دوائر ألغاز. لم يوضع مثله. ولم يفكر في اسمه. وبالله التوفيق وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

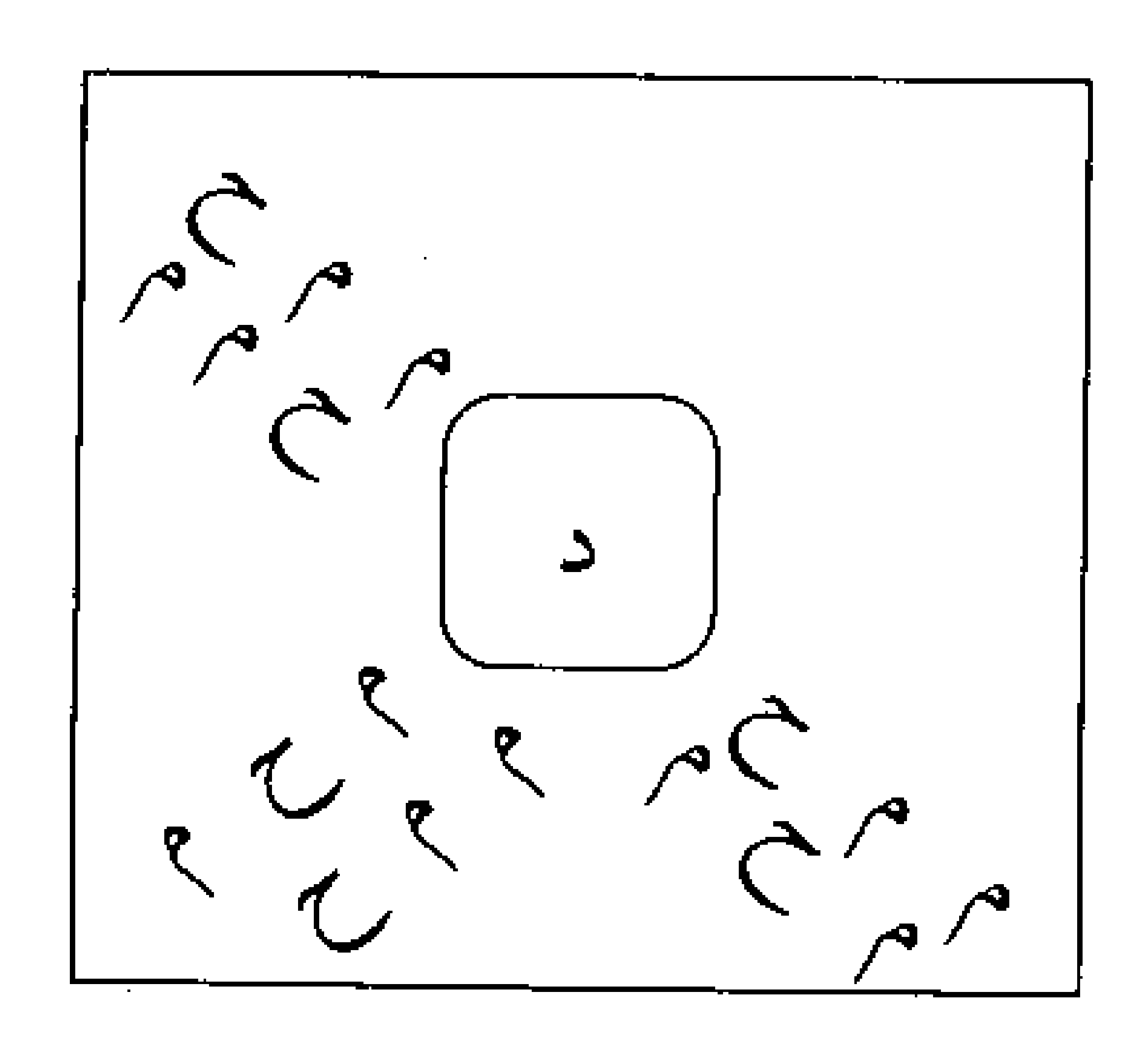
طلسم اسمه

وهذه صورته:



طلسم اسم أبيه

وهذه صورته:



طلسم لقبه

وهذه صورته:

تـاج　　ن ى
م ط　　ع ى

نجاتي عميط	ط ت
ا ت ج ن ى ط ى ع م	ع ج
جـنـاتـي ى ط ع م	م أ
أين ج ت عيـمـط	ى ن
أنت ى ج م عط ى	ى

طلسم كنيته

وهذه صورته

س	أ	ب	ع	ل	أ			أ
ر	ك	ب	و	ب	م	و	ب	

طلسم سنة ولادته

وهذه صورته:

	ط	
	ط	
هـ ٣٨٣	ا	٣٣٨ هـ
هـ ٥١١	ـ	١١٥ هـ
	٥	
	ـ	
	ط	

طلسم سنة وفاته

وهذه صورته:

لم يتم

ها

٢٢٢

١٢٣هـ • ٦٢١ هـ

٣٣٣

لايوجد

ها

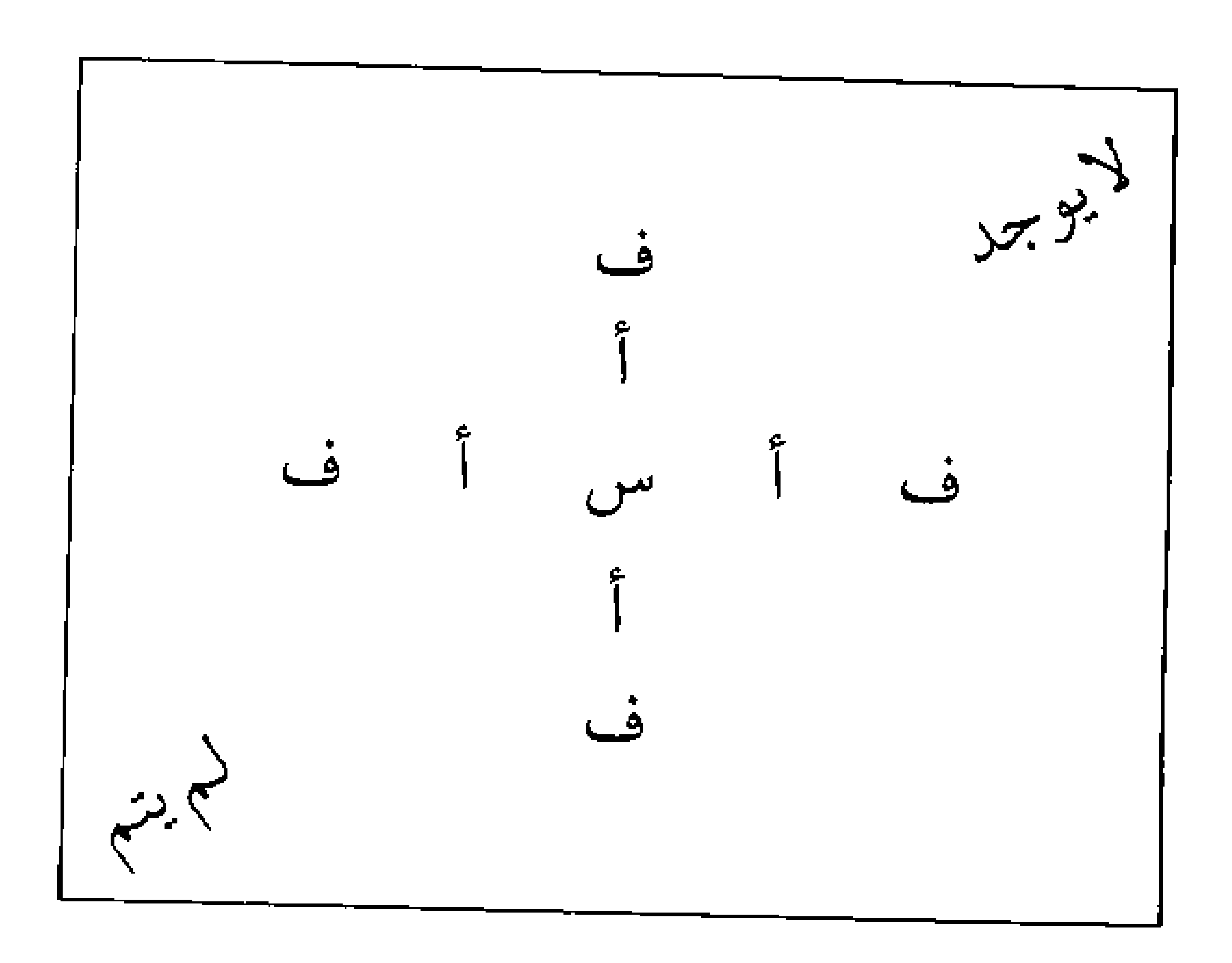
طلسم البلد التي ولد فيها

وهذه صورته:

ع	ى	ن	م ط	أ ع	ض م	ى ه

طلسم البلد التي مات فيها

وهذه صورته:



هذا آخر مصنفنا المسمى (طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية).

ومن أراد المزيد عن الختام رضي الله تعالى عنه فعليه بكتابنا المسمى: (أسرار خاتم الأولياء).

وعليه أيضًا بكتابنا المسمى: (رد بعض الوفاء بإظهار قطرة من أسرار خاتم الأولياء).

وعليه أيضًا بمطالعة كتابنا المسمى: (المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأوليات).

وعليه بمطالعة كتابنا المسمى: (إحياء المعاني المقصودة في كلام الفتى التجاني).

وعليه بمطالعة الباب الأخير من كتابنا المسمى: (تكملة الفتوحات المكية).

كتاب
طبقات من ادعى الختمية المطلقة

الحمد لله العلي الأعلى. ذي الدرجات العلي والمقام الأسنى ملك سرت آياته في الظهور والبطون. وإن استتر عن العيون وصلى الله على عروس القيامة ساقي الندامى بكأس مدامة وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

اعلم أيها الولي والنجي الصفي أن من أهل الولاية من ادعى مقام الخاتم المطلق للأولياء ولم يحظَ به. لكونه واحداً في الوجود وذلك أن الواصل يرى أن شرطًا من أشراط الخاتم المطلق تحقق فيه فيظن أنه بلغ هذا المقام ولعمري ما بلغه وإنما بلغ مقام أولياء عصره فقط. فإذا اطلع على مقام الخاتم وهيئته رجع عن دعواه.

ومنهم من يدعي حقيقة المقام ولا يرجع لعدم دواعي الرجوع وإن كان ليس مقامه.

«وصل شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية»

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الشكوك كثرت من هو الخاتم لما كثر أدعياء هذا المقام؟

فعلم الفتى المحقق أن الخاتم فرد واحد والباقي أدعياء.

ولكن هناك نكتة بديعة وهو أن المدعي قريب من مقام الخاتم لكونه رأى بعض أوصافه فهو بالغ لبدايات هذا المقام لا مندمج في عينه.

فلا يقال عنه إنه خاتم الولاية لكونه لم يحظَ به أصلاً.

ولما كان القوم لا يصح في حقهم نقيصة أو افتراء.

فإنهم لا يفترون كذباً وإنما عبروا عما شاهدوا وعاينوا. كلٌّ على قدر حوصلته.

فربما مكث العارف على معاينة مقام شاهده هو ليس له فهذا من أعظم الملابسات عند أهل الحق المعاينين.

فليتحقق كل عارف من قوله قبل دعواه. حتى لا يدّعي مقام غيره.

إذ الفتى من رجع عما ادعاه وهو ليس له كما فعل الشيخ الأكبر قدس الله سره.

«وصل في معنى الرجوع»

أما قاعدة الرجوع فهي قاعدة تحقيق إلهية.

فقد رجع موسى عليه السلام عن الولوج إلى المقام المحمدي الخاتم لما قال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾.

فقيل له بلسان الحضرة: لن تراني.

فعلم أن هذا المقام من مقامات خاتم النبوة محمد عليه السلام وأنه ليس له فرجع.

وإذا كان أولو العزم قد ادعوا ورجعوا فحق للولي أن يستن ويقتدي بهم في شئونهم.

واعلم أنه لكل زمان خاتم من الأولياء يختم به الحق تعالى ولاية الزمان

وعلومها. وهو غير الخاتم المطلق الذي هو واحد في الوجود لا غير من آدم حتى الساعة.

«وصل ومن سمعناه»

ومن سمعناه يا ولي الله يقول: أنا خاتم الولاية.

فربما يقصد خاتم ولاية عصره دون الخاتم المطلق فحقق في هذا المعنى. أيدك الله.

«طبقات من ادعى الختمية المطلقة ولم يحظَ بها»

★ «الحكيم الترمذي قدس الله روحه العزيز» هو أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي. كان خاتم أولياء عصره وقطب زمانه.

وهو أول من ادعى الختمية المطلقة وكشف علوم هذا المقام وتكلم عنه وصنف فيه فهو إمام هذا العلم بحق والواقع أنه حظي من الخاتم بنفحات كثيرة يشمها القارئ لكتبه. ويعلم من هذه الذخائر ما يذهب بالألباب. ومن أعظمها مصنفه المسمى «ختم الأولياء». الذي حير به من بعده ومن قبله من أهل العرفان.

توفي الحكيم بترمذ سنة (٢٥٥).

★ «الشيخ الأكبر مولانا محيي الدين بن عربي قدس الحق روحه العزيز» كان خاتم أولياء عصره وهو أقرب أولياء هذه الأمة على الإطلاق إلى مقام خاتم الأولياء. والمتذوق يفهم هذا من خطبة الفتوحات. وكان قطب عصره.

وهو أول من ادعى هذا المقام بعد الحكيم وأول من شرح «ختم الولاية» للحكيم الترمذي وبيَّن غوامضه.

وقد تعلق روحه بهذا المقام الأسنى والعز الأعلى والفتوحات مليئة حتى أنشده في شعره وقال:

أنـــا ختـــم الولايـــة دون شـــك ... وروح الـــروح والسبـــع المثـــاني

وانظر كتابه عنقاء مغرب وكتابه الفتوحات حيث قال في الباب الرابع والعشرين من الفتوحات: وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد (ﷺ) ختم خاص هو في الرتبة دون عيسى عليه السلام لكونه رسولاً. وقد ولي في زماننا ورأيته أيضًا واجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التي فيه فلا ولي بعده إلا وهو راجع إليه. انتهى.

وصنف الشيخ قدس سره مصنفات جليلة في هذا العلم منها «شرح المسائل الروحانية في كتابه ختم الأولياء». ومنها «الجواب المستقيم عما سئل عنه الترمذي الحكيم». ومنها «عنقاء مغرب» وهو أعظمها فائدة. توفي الشيخ الأكبر سنة (٦٣٨) بدمشق.

★ «**أبو سعيد الميهني قدس الله روحه العزيز**» كان خاتم أولياء عصره. وشيخ صوفية وقته. وقطب زمانه ألّف فيه حفيده محمد بن المنور سيرة مناقبه المسماة «أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد». قال أبو سعيد في أسرار التوحيد: أنا خاتم الأولياء توفي أبو سعيد سنة (٤٤٠).

★ «**محمد وفا قدس الله روحه العزيز**» والد علي وفا رضي الله عنه كان قطب زمانه وخاتم أولياء عصره وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب قال الشعراني في ترجمته في الطبقات الكبرى: أخبر ولده سيدي علي رضي الله عنه أنه هو خاتم الأولياء صاحب الرتبة العالية توفي محمد وفا سنة (٧٦٠).

★ «**عبد الغني النابلسي قدس الله روحه العزيز**» كان خاتم أولياء عصره وقطب زمانه ومجدد وقته قال ولده: كان والدي خاتم الأولياء توفي النابلسي سنة (١١٤٣).

★ «شيخنا مصطفى البكري قدس الله روحه العزيز» كان خاتم أولياء عصره وقطب وقته. جاء في ترجمته في كتاب «الكوكب الزاهي الدرّي في مناقب سيدي مصطفى البكري» من تصنيف الشيخ عبد المحمود بن نور الدايم السماني قال: كان رضي الله عنه خاتم الولاية المحمدية. توفي البكري سنة (١١٦٢).

★ «محمد بن عبد الكريم السمان قدس الله روحه العزيز» كان خاتم أولياء عصره وإمام زمانه.

قال الشيخ عبد المحمود السمان في ترجمته في كتاب «عنقود الجمان في مناقب قطب دايرة الأكوان محمد بن عبد الكريم السمان» قال: ومن كلامه رضي الله عنه: أنا خاتمة الولاية المحمدية ومذهبي مذهب محي الدين وطريقي قادرية. توفي السمان سنة (١١٨٩).

★ «محمد الميرغني سر الختم قدس الله روحه العزيز» كان خاتم أولياء عصره وغوث زمانه.

وهو مشهور عند أصحابه بأنه خاتم الولاية المحمدية المطلقة وكتبه وكتب طريقته مليئة بهذا المقام. توفي الميرغني عام (١٢٦٨).

★ «محمد ماضي أبو العزائم قدس الله روحه العزيز» كان خاتم أولياء عصره وغوث زمانه.

قال محمد علي سلامة في شرحه على كتاب «ختم الأولياء» للحكيم: ما رأينا أوصاف ختم الأولياء تنطبق على أحد إلا ما بمحمد ماضي أبي العزائم. توفي أبو العزائم سنة (١٣٥٠).

وهو آخر من رأيناه ادعى هذا المقام إلى وقتنا هذا.

« وصل انتهائي »

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن مقام التحقيق أن كل هؤلاء قد بلغوا مقام خاتم الولاية في عصرهم وقد ذكرتهم كلهم في كتابي « طبقات الأقطاب » وكل ولي قال أنا خاتم الأولياء فهو حق لكونه خاتم الأولياء في عصره لا على الإطلاق.

كتاب
غصن الكمثرى
في ذكر بعض أسرار أدعية المصطفى (ﷺ)

الحمد لله المعتز بنفسه والمتدلل بوصفه مليك المحاسن. وبديع ظاهر وكامن هو أعرف بنفسه من غيره ومحيط بحق قدره وأصلي وأسلم على عروس القيامة وساقي الندامى بكأس مدامة كرسي العالم وعرش المعالم الفتى القاسمي واللوح الشهودي والجبل الأمي محمد عبدالله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله وعلى آله وأصحابه.

وبعد.

فاعلم أيها المتحقق من معالمنا والمتعشق بدمننا والمتمسح بأطلالنا أننا قد أوتينا علم التحقق من أسرار القبول في دعاء أبي القاسم وألغاز الاستجابة في ابتهال ذاك العملاق الحاكم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فإن القوم اكتووا وما دروا وشربوا وما رووا وافتخروا وما تغيروا أطلال شامخات وجبال راسيات تدكدك وتزلزل قف أيها المتمرد بتلك الحضرة وإياك والفترة أنت أيها الناموس الأعظم والناسوت المطلسم. واللاهوت المختم الكل امتزج وهو عين واحدة يتكلم بها ويبطش بها ويضحك بها ويبكي بها ويمكر بها. أبنفسه يا كعبة الحسن يفعل هو في هو. عجبًا من فاعل مفعول ومفعول فاعل ومن فعل فاعل مفعول تلك النقطة الواحدة هي المتكاثرة. والمتغايرة تعددت وانفعلت وتلونت. وبدت في صور شتى وعيون تترى. إن هي إلا

أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. الدعاء يا ولي الله هو دعاء الحق لك لا إلى نفسه وذاته وما دعاك الا لتعلقه بك وحبه لك وذلك سر قوله: «يحبهم» فإنه لا يدعو إلى حضرته من لا يحبه ويدحض عن تلك الحضرة أناسًا ويقرب آخرين وسر الدعاء هو الاتصال المعنوي وهو مقامات وأحوال أعلاه دعاء المقام التوفيقي وهو قوله تعالى على لسان نبيه (ﷺ): «وما توفيقي إلا بالله» فصاحب هذا المقام لا يدعو أصلًا بل هو من ترك الشؤون لباريها والأحوال لمنشيها وأقوى ما ورد علينا من الواردات في هذا المقام حال رسول الله (ﷺ) لما ذهب إلى الطائف وآذوه ورموه بالحجارة.

«فصل في فضائل الدعاء»

قال الحق تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾. روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «الدعاء مخ العبادة». وروى الإمام أحمد في «المسند» والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء». سنده صحيح.

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

«فصل في أن الحق تعالى يغضب على من لا يسأله»

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه».

قال الشاعر:

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيَّ آدم حين يسأل يغضب

واعلم أيها الفتى اللوذعي واللبيب الألمعي أن الحق تعالى ما طلب منا أن نسأله إلا لكوننا محتاجين إليه قهرًا ومن نكات هذا المقام أنه ربما استغنى بعض العباد المغرورين عن الدعاء لنوالهم لمقصودهم أو لظنهم أنهم في مقام أمنوا فيه من المكر الإلهي.

وقد روينا في الأثر أن أخوين أحدهما طائع والآخر عاص فقال العاصي للطائع: أرأيت لو تبت فهل يقبلني الحق تعالى فقال له أخوه الطائع: ما أراه يقبلك فقنطه فماتا فأدخل الحق تعالى العاصي الجنة وأدخل الطائع النار فقال الطائع: يا رب ما ذنبي؟ فقال له رب العزة سبحانه: قد قنطته من رحمتي التي وسعت كل شيء وأنا قد خلفت ظنك فيَّ وخلفت ظنه فيَّ.

فانظر يا أخي قدر غضب الحق تعالى على من حجر رحمته وعظم غضبه على من لا يدعوه وإن كان عاصيًا.

وانظر إلى إبراهيم الخليل عليه السلام كيف لم يلجأ إلى الملك وهو ملقى في النار وخاف من غضب الحق تعالى عليه إذا لم يتوجه إليه بالسؤال وأن يجعل عليه النار بردًا وسلامًا وانصرف عن جبريل الأمين عليه السلام. وقد روى الشيخان حكاية الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة فمات هذا الرجل فغفر الله له.

«فصل في أنه لا يرد القضاء إلا الدعاء»

روى الترمذي عن سلمان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر».

وقد ورد في الحديث الصحيح أن الحق تعالى يرد القضاء بالأبدال من أمته

فيستقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء وهذا ببركة دعائهم وتوجههم إلى الله تعالى.

روى الإمام أحمد في «المسند» عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام وهو عند علي وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «البدلاء بالشام وهم أربعون رجلًا كلما مات رجل أبدل الله رجلًا مكانه يستقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب».

وروى الطبراني عن عبادة قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا يزال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون».

قال قتادة: «إني أرجو أن يكون الحسن منهم».

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «لن تخلو الأرض من أربعين رجلًا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر».

قال سعيد: وسمعت قتادة يقول: «لسنا نشك أن الحسن منهم».

فصل في بيان أن ترك الدعاء معصية»

روى الطبراني في «الصغير» عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: «إن الرزق لا تنقصه المعصية ولا تزيده الحسنة وترك الدعاء معصية».

«فصل في بيان أن أهل البلاء والعاهات تركوا سؤال الحق تعالى»

روى البزار عن أنس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) مر بقوم مبتلين فقال: «أما كان هؤلاء يسألون الله العافية» رجاله ثقات.

«فصل في بيان أن الرجل يستحب له أن يدعو الله تعالى وهو يحسن الظن به»

روى الطبراني موقوفًا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «والذي لا إله إلا هو لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه وذاك بأن الخير في يده».

وقد ورد في الحديث الصحيح: «أنا عند حسن ظن عبدي بي».

«فصل يكره للرجل أن يسأل ربه وفي يده حجر»

روى الطبراني عن رجل قال: قال عبدالله مسعود لرجل: وإذا سألت ربك الخير فلا تسأل وفي يدك حجر».

والظاهر من الحديث استحباب فراغ الكفين من أي شيء يشغلها والأتمّ خلو القلب وهو بيت الرب وتجرده من العوالق المادية ففراغ القلب أولى من فراغ الكف فإن الحجر هو الثقل المانع من قبول الدعاء.

«فصل في ذكر دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب»

روى مسلم عن صفوان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام؟ قلت: نعم قال: فادعُ الله لنا بخير فإن النبي (ﷺ) كان يقول: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل له: آمين ولك بمثل قال: فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك عن النبي (ﷺ) ولأبي داود بسند: «إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب».

وروى أبو داود عن عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي (ﷺ) في العمرة فإذن لي وقال: «لا تنسانا يا أخي من دعائك» فقال عمر: كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا.

« فصل في بيان أن أفضل الأعمال دعاء المرء لنفسه »

روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي أيوب أن النبي (ﷺ) كان إذا دعا بدأ بنفسه.

وروى البزار عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: « دعاء المرء لنفسه ». إسناده جيد.

« فصل في الانتصار بالدعاء »

روى البزار عن علي بن أبي طالب قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال ثم جئت مسرعًا لأنظر ما فعل رسول الله (ﷺ) فجئت فإذا هو ساجد يقول: « يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم، لا يزيد عليها ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ثم ذهبت إلى القتال ثم رجعت وهو يقول ذلك ففتح الله عليه إسناده حسن.

وروى أبو يعلي عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): « ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم أرزاقكم تدعون الله في ليلكم ونهاركم فإن الدعاء سلاح المؤمن ».

وورد في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: « إنما تنصرون بضعفائكم ».

وروى أبو نعيم في « حلية الأولياء » عن النبي (ﷺ) أنه قال: « رُبَّ ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك ».

وقد دعا سعيد بن حبير على الحجاج فقال: « اللهم لا تسلطه على أحد بعدي » فمات الحجاج في الحال واستجيب فيه دعاء سعيد.

ودعا النبي (ﷺ) على كسرى فقال: « اللهم مزق ملكه » لما مزق كتاب رسول الله (ﷺ) واستجيب لرسول الله (ﷺ) من بعده.

«فصل في ذمر أن أعجز الناس من عجز عن الدعاء»

روى أبو يعلى عن أبي هريرة قال: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء» رواه موقوفًا ورجاله رجال الصحيح.

«فصل في ذكر أن دعاء النبي على المؤمنين إنما هو قربة لهم»

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «اللهم إني أتخذ عندك عهدًا لن تخلفينه فإنما أنا بشر فأي المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة».

رواه الشيخان.

«فصل في آدب الدعاء»

عن عبدالله بن يزيد رضي الله عنه قال: خرج النبي (ﷺ) إلى هذا المصلى ليستسقي فدعا واستقى واستقبل القبلة.

وقال أبو موسى رضي الله عنه: دعا النبي (ﷺ) ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه. رواهما البخاري.

عن سلمان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفْرًا» رواه الترمذي.

عن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا رفع يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه. رواه الترمذي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» رواه أبو داود.

وروى أبو داود عن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) كان يعجبه أن يدعو ثلاثًا ويستغفر ثلاثًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» رواه الترمذي والحاكم.

«فصل في ذكر الدعاء المقبول»

«باعتبار الزمان»

«أولًا» يقبل الدعاء في الثلث الأخير من الليل.

«ثانيًا» في السجود.

«ثالثًا» ساعة الإجابة التي يوم الجمعة قيل هي بعد العصر وقيل هي آخر ساعة من يوم الجمعة.

«رابعًا» في ليلة القدر.

«خامسًا» في ليلة النصف من شعبان.

«سادسًا» في وقت نزول المطر.

«سابعًا» في وقت التقاء الجيوش.

«ثامنًا» في وقت الإفطار.

«تاسعًا» في مناسك الحج.

«عاشرًا» في ليلة الإسراء والمعراج.

«الحادي عشر» يوم عاشوراء.

«الثاني عشر» في ليلة مولد النبي (ﷺ).

«الثالث عشر» فيما بين الأذان والإقامة.

«الرابع عشر» في يوم عرفة.

«باعتبار الشخص»

«أولًا» الوالد لولده.

«ثانيًا» الولد لوالديه.

«ثالثًا» الأم.

« رابعًا » المظلوم.
« خامسًا » الصائم.
« سادسًا » الإمام العامل.
« سابعًا » النبي.
« ثامنًا » الولي.
« تاسعًا » الشهيد.
« عاشرًا » المؤذن الصالح.
« الحادي عشر » آكل الحلال.
« الثاني عشر » التاجر الصدوق.
« الثالث عشر » المسافر.
« الرابع عشر » الداعي بظهر الغيب.
« الخامس عشر » قارئ القرآن.
« السادس عشر » المجاهد في سبيل الله.
« السابع عشر » الغريب.
« الثامن عشر » المريض.

« باعتبار الحال والوصف »

« أولًا » النبوة.
« ثانيًا » الولاية.
« ثالثًا » أكل الحلال.
« رابعًا » المرضى.
« خامسًا » السفر.
« سادسًا » الغربة.
« سابعًا » الظلم.
« ثامنًا » الوقت.
« تاسعًا » الشخص.

« عاشراً » الصوم.

« الحادي عشر » الشهادة.

« الثاني عشر » الدعاء بظهر الغيب.

« الثالث عشر » الجهاد.

« الرابع عشر » ختم القرآن.

« الخامس عشر » الحج.

« السادس عشر » القرابة.

« فصل يكره للرجل أن يدعو ويستعجل الإجابة »

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي ». رواه الأربعة.

وعن النبي (ﷺ) قال: « لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل » قالوا: يا نبي الله وكيف يستعجل؟ قال: « يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي » رواه أحمد في « المسند » عن أنس رضي الله عنه.

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن عبادة بن الصامت أن رسول الله (ﷺ) قال: « ما على وجه الأرض من رجل مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يعجل » قالوا: يا رسول الله وما استعجاله؟ قال: « يقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي ». فقال رجل من القوم إذاً نكثر يا رسول الله قال: « الله أكثر ».

« فصل في استحباب كثرة سؤال الحق تعالى في كل شيء »

روى أبو يعلى عن عائشة قالت: « سلوا الله كل شيء حتى الشسع فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر ».

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ):

«ليسألن أحدكم ربه حاجته أو حوائجه كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع».

وفي رواية للبزار: «وحتى يسأله الملح».

«فصل يستجب للرجل إذا دعا أن يفتح بالمدحة والثناء على الله والصلاة على النبي (ﷺ)»

عن ابن مسعود قال: «إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدحة والثناء على الله بما هو أهله ثم ليصل على النبي (ﷺ) ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح» رواه الطبراني.

وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع النبي (ﷺ) رجلًا يدعو في صلاته فلم يصل عليه فقال النبي (ﷺ): «عجل هذا» ثم دعاه فقال له ولغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي (ﷺ) ثم ليدع بعد بما شاء».

«فصل في كراهية دعاء الرجل على نفسه وعلى أولاده وعلى خدمه وعلى ماله بإثم أو قطيعة رحم

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم» رواه مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» رواه مسلم.

«فصل في بيان أنه يجب قوة اليقين القلبي للمؤمن إذا دعا»

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

(ﷺ): «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه».

«فصل في استحباب توسل المؤمن بالعمل الصالح»

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم قال رجل منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا» وذكر تمام الحديث الطويل.

«فصل في ذكر التوسل بمحبة النبي (ﷺ) وبمحبة الصالحين رضي الله عنهم»

أجمع علماء المسلمين على جواز التوسل بمحبة النبي (ﷺ) وبمحبة الصالحين ولم يختلف العلماء - سلفًا وخلفًا - في جواز التوسل بالعمل الصالح وحديث الثلاثة الذين سد عليهم الغار والتوسل بمحبة النبي (ﷺ) من أسس الدين وقواعده وهي من العمل الصالح في الذروة وقد يكون علم المرء مدخولًا وصلاته وصدقته أما محبته للنبي (ﷺ) فهي نور صرف وهي أمر قلبي لا مدخل فيه للرياء.

فالتوسل بمحبة النبي (ﷺ) من أعلى ما يتوسل به من الأعمال الصالحة ولو لم يرد بخصوصها حديث وقد ورد وصح عن رسول الله (ﷺ) وقد حاول قوم أن يوهموا من لا علم له بالأسانيد أن سند الحديث ضعيف ولا ندري ما العلة الخفية في الحرص على تضعيف هذا الحديث بخصوصه وليس بضعيف فإن كان ذلك ناشئًا عن عدم الاطلاع فالكتب موجودة ويسهل الاطلاع عليها أما إن كان ذلك لهوى في النفس فنسأل الله أن يشفي ما في

صدورنا ويملأ هنا علمًا ونورًا ويدور كلامهم في تضعيف الحديث على أن البعض ذكر أن رجلًا - في سنده - غير معروف فإذا كان هذا المجهول معروفًا عن غيره من المحدثين فالقاعدة عند جميع أهل العلم بالحديث أن الحجة لمن يعلمه ولا تأثير مطلقًا لعدم علم من لا يعلم قال الترمذي بعد روايته لحديث توسل الضرير به (ﷺ): حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي.

ولا عار على الترمذي أن يفوته بعض العلم بما علمه غيره.

قال ابن أبي خيثمة في «تاريخه»: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا أبو جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف أن رجلًا أعمى أتى النبي (ﷺ) فقال: إن أصبت في بصري فادع الله لي فقال: «اذهب وتوضأ وصل ركعتين ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك: نبيِّي محمد نبي الرحمة يا محمد إني استشفع بك على بلى في رد بصري اللهم فشفعني في نفسي وشفع نبيَّ في رد بصري» وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك فرد الله عليه بصره».

قال ابن أبي خيثمة: أبو جعفر هذا الذي حدث عنه حماد بن سلمة اسمه عيسى بن يزيد وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة ثم روى الحديث من طريق ابن عمر عن شعبة عن أبي جعفر.

كتاب
فاكهة العريش
في تحريم الحشيش

الحمد لله الذي بين لنا الحلال والحرام وأوضحه كالنور عن الظلام وأمرنا أن نتقي الشبهات والأمور المريبات وأن نتحلى بالورع والصدق والإخلاص والحق وكره لنا التدليس والاختلاس والتملق والالتباس وسمى نفسه الحق وافتخر بهذا الاسم في الخلق.

هذا وأصلي وأسلم على عمود أهل النبوة. وجبل أهل الفتوة. كرسي العالم. وعرش المعالم. سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

فهذا كتابي المسمى «فاكهة العريش في تحريم الحشيش».

فقد رأيت طائفة من أهل زماني يحلونه لا سيما العوام ورعاع الخلق وأوباشهم وهو محرم بإجماع علماء الإسلام سلفًا وخلفًا وإن لم يرد فيه نص من القرآن والسنة يحرمه فإن القياس والإجماع يحرمانه وبهذا قال أئمة الشريعة رضوان الله عليهم. ولعمري إذا شابه الفرع الأصل في العلل تحدثت العلة وتلفظت العلل بوقائع الوجود ونطقت بلسان فصيح مجيد: «أنا محرمة» ولهذا وضعت هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

«فصل في المعنى اللغوي في كلمة حشيش»

الحشيشة والحشيش: هو نبات مخدر.

والحشاشون: هم مدمنو الحشيش وهو المادة المخدرة المستخرجة من نبات القنب الهندي التي يتعاطونها.

وقد أقر المجمع اللغوي هذه التسمية قالوا في «المعجم الوسيط»: الحشيش هو نبات مخدر. انتهى.

وفي كتب اللغة وأمهاتها ومعاجم الأقدمين لم يعرفوا لفظة الحشيش بمعنى المخدر.

قال أبو الفتح المطرزي في «المغرب»: الحشيش: من الكلأ اليابس ويستعار للولد إذا يبس في بطن أمه ومنه الحديث: «فألقت حشيشًا» أي ولدًا يابسًا. انتهى.

قال النويري في «نهاية الأرب»: الحشيش هو بزر شجرة القِنَّب انتهى.

وقال الزمخشري في «أساس البلاغة»: حَشَّت يده: يبست وحَشَّ الولد في البطن ومنه الحشيش وفي مثل: «أَحُشُّكَ وتَرُوثُني» أي أطعمك الحشيش. انتهى.

وقال في «لسان العرب»: الحشيش: يابس الكلأ ولا يقال وهو رطب والحشيش واحدته حشيشة. انتهى.

«فصل في أسماء الحشيش»

«فمن أسمائه»:

«القُنَّب الهندي»

«والحيدرية»

«حشيشة الفقراء»

« والقلندرية »

« والغبيراء »

« والشَّهْدَانج »

« والشاهدانق »

وقد ضبط صاحب « تاج العروس » الشَّهْدَانِج بكسر النون.

وضبطه صاحب « المصباح » بفتحها وهو معرب « شاهدانه » بالفارسية ومعناه « سلطان الحب ».

واسمه بالعربية « التنويم ».

« وأهل مصر تسمِّيه « الشرانق ».

« فصل في أنواع الحشيش »

قال النويري في « نهاية الأرب »: وأما الشَّهدانج ويقال فيه: الشهْدانِق فودقة الحشيش وهو بزر شجرة القنب.

قال الشيخ الرئيس: ومن الشهدانج « بستاني » معروف ومنه « بري ».

قال حنين: إن البري شجرة تخرج في القفار على قدر ذراع ورقها يغلب عليه البياض وثمرها كالفلفل ويشبه حبها حب السمنة وهو حب ينعصر منه الدهن. انتهى.

« فصل في ذكر خواصه الطبية »

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « القانون »: القنب: الخواص: بزره يطرد الرياح ويجفف تنفع عصارة دهنه لوجع الأذن وحبه عسر الانهضام رديء للمعدة. انتهى.

قال حنين: طبعه حار يابس وهو يطرد الرياح ويجفف وهو عسر الانهضام رديء الخِلْط قوي الاسخان ومقلوه أقل ضررًا.

قال: وإذا طبخت أصول القنب البري وضمدت بها الأورام الحارة في المواضع الصلبة التي فيها كيموسات سكنت الحرارة وحللت الصلبة وهو مصدع بحرارته وعصارته تقطر لوجع الأذن ولرطوبة الأذن وكذلك ورقه ودهنه قلاع للحزاز في الرأس وهو يظلم البصر ويضعف المعدة ويجفف المنيّ ولبن الشهدانج البري يسهل برفق ونصف رطل من عصيره يحل الاعتقال ويطلق البلغم والصفراء ويذهب مذهب القُرْطِمُ.

«فصل في أول من أدخل الحشيش وعرفه ببلاد المسلمين وذكر العام الذي ظهر فيه»

قال المقريزي في «الخطط»: وكان أول ظهور الحشيش عام ٦١٧ على يد الشيخ حيدر شيخ الفقراء المتصوفة ولهذا سميت حشيشة الفقراء. انتهى.

وقال شمس الدين الذهبي في «دول الإسلام»: كان أول ظهور التتار في تاريخ دول الإسلام في سنة ٦٠٦. انتهى.

فإن اليد التي أدخلتها هي يد غير مسلمة غالبًا من التتار وقيل من الفرس.

وقال ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى»: إنما حدثت في الناس بحدوث التتار أو من نحو ظهور التتار فإنها خرجت وخرج معها سيف التتار. انتهى.

وقال المقريزي في «الخطط»: ناقلًا عن كتاب «السوانح الأدبية في مدائح القنبية»: سألت الشيخ أبا جعفر محمد الشيرازي الحيدري ببلدة تستر سنة ٦٥٨ عن السبب في الوقوف على هذا العقار ووصوله إلى الفقراء الصوفية خاصة والعامة فقرر أن بدء انتشاره بين فقراء الصوفية كان سنة ثماني عشرة وستمائة ثم كان انتشاره بين العامة سنة ثماني وعشرين وستمائة فانتشر بالعراق ووصل خبره إلى أهل الشام ومصر والروم فاستعملوه. انتهى.

وقد أكد المقريزي في «الخطط» أن الشيخ حيدر شيخ المتصوفة لم يقطع أكله في يوم وكان يأمر مَنْ بين يديه دائمًا بالتقليل من الطعام وأكل الحشيش

وكان يقول لمريديه: «إن الله خصكم بسر هذا الحشيش ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استرعاكم».

وقال المقريزي في «الخطط»: القلندرية فرقة من فرق الصوفية تنسب إلى محمد الشيرازي القلندري الذي روى عن شيخه الحيدري سر حشيشة الفقراء وكان لهذه الفرقة زاوية خارج باب النصر والقاهرة. انتهى.

قال بدر الدين الزركشي في كتابه «زهر العريش في تحريم الحشيش»: كان ظهورها على يد حيدر في سنة ٥٥٠ تقريبًا ولهذا سميت الحيدرية وذلك أنه خرج هائمًا ينفر من أصحابه فمر على هذه الحشيشة فرأى أعضائها تتحرك من غير هواء فقال في نفسه: هذا السر فيها فاقتطف وأكل منها فلما رجع إليهم أعلمهم أنه رأى فيها سرًا وأمرهم بأكلها.

وقيل: ظهرت على يد أحمد المارجي القلندري ولذلك سميت القلندرية.

قال أبو العباس بن تيمية: إنما لم يتكلم فيها الأئمة الأربعة رحمهم الله وغيرهم من علماء السلف لأنها لم تكن في زمنهم وإنما ظهرت في أواخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار.

وكذا قال غيره: إنما كانت شر داخل على بلاد العجم حين استولى على من فيها التتار ثم انتقلت إلى بغداد وقد علم ما جرى على أهلها من قبيح الأثر. انتهى.

«فصل في ذكر أن الحشيش محرم بإجماع علماء الأمة وفقهائها سلفًا وخلفًا»

قال الله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع

بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون».

وروى مسلم في «صحيحه»: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام».

وروى الإمام أحمد في «المسند»: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «نهى رسول الله (ﷺ) عن كل مسكر ومفتر».

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله (ﷺ) فقال: كل شراب أسكر فهو حرام.

وقد اتفق علماء المذاهب الأربعة على حرمة الحشيش. قال الماوردي في «الحاوي»: إن النبات الذي فيه شدة مطربة يجب فيه الحد. انتهى.

وفي بعض شروح «الحاوي الصغير» أن الحشيشة نجسة إن ثبت أنها مسكرة. انتهى.

قال ابن حجر الهيثمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: في «كتاب الأطعمة»: الكبيرة السبعون بعد المائة: آكل المسكر الطاهر كالحشيشة والأفيون والشيكران بفتح السين المعجمة وهو البنج وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب. فهذه كلها مسكرة كما صرح به النووي في بعضها وغيره في باقيها ومرادهم بالإسكار هنا تغطية العقل وهذا لا ينافي أنها تسمى مخدرة وإذا ثبت أن هذه كلها مسكرة أو مخدرة فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر فكل ما جاء في وعيد شاربها يأتي في مستعمل شيء من هذه المذكورات لاشتراكها في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى وعن رسوله والمتميز به الإنسان عن الحيوان والوسيلة إلى إيثار الكمالات على النقائص وقد ألفت كتابًا سميته «تحذير الثقات عن استعمال الكفتة والقات». لما اختلف أهل اليمن فيه وأرسلوا إليّ ثلاث مصنفات أثنان في تحريمه وواحد في حله وطلبوا مني إبانة الحق فيها فألفت ذلك الكتاب في التحذير عنها وإن لم أجزم بحرمتها.

ولا بد من ذكر خلاصته ذلك هنا فنقول الأصل في تحريم كل ذلك ما رواه أحمد في « مسنده » وأبو داود في « سننه » نهى رسول الله (ﷺ) عن كل مسكر ومفتر.

قال العلماء: المفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف وهذه المذكورات كلها تسكر وتخدر وتفتر وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيش قال: ومن استحلها فقد كفر.

وهل قال أحد من الأئمة أو مقلديهم بتحريم أكل جوزة الطيب.

ومحصل الجواب الذي أجبت به عن ذلك السؤال الذي صرح به الإمام المجتهد شيخ الإسلام الذي صرح به الإمام المجتهد شيخ الإسلام ابن دقيق العيد أنها أعني الجوزة مسكرة ونقله عنه المتأخرون من الشافعية والمالكية. واعتمدوه وناهيك بذلك بل بالغ ابن العماد فجعل الحشيشة مقيسة على الجوزة المذكورة. انتهى.

وحكى ابن القسطلاني في كتابه « تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة »: إجماع علماء المذاهب الأربعة على تحريمها. انتهى.

وفي كتاب « السياسة الشرعية » لابن تيمية: أن الحد واجب في الحشيشة كالخمر قال: لكن لما كانت جمادًا وليست شرابًا تنازع الفقهاء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره فقيل نجسة وهو الصحيح. انتهى.

وحكى القرافي في « القواعد »: حرمتها.

وقال الإمام الرافعي في كتابه: عمموا الحرمة في النبات وغيره إذا أسكر. انتهى.

وقال ابن فرحون المالكي في « درة الغواص في محاضرة الخواص »: إذا شرب السيكران وهو البنج للدواء فسكر به فلا يلزمه حد. انتهى.

وفي « فتاوى المرغيناني » من الحنفية: أن المسكر من البنج وأن لبن الرمال

حرام ولا تحل ولا حد فيه ونص عليه السرخسي في «المبسوط». وقال الرافعي في «باب الأطعمة»: إن النبات الذي يسكر وليست فيه شدة مطربة يحرم أكله. انتهى.

قال الحافظ الذهبي في «الكبائر»: والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر. انتهى.

وفي «فتاوى» شيخ الإسلام الإمام عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر: نص على حرمتها.

وقال بحرمتها الشيخ الإمام محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في «فتاويه».

وممن أفتوا بتحريمها مفتي الديار المصرية خاتمة الأئمة وشيخ المالكية في زمانه محمد حسنين مخلوف.

وممن أفتوا بحرمتها إمام زمانه في علوم التفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي.

«فصل في ذكر أن الحشيش مسكر ومذهب للعقل»

قال أبو إسحاق في «التذكرة» والنووي في «المهذب» وابن دقيق العيد أنها مسكرة.

ونص على أنها مسكرة إمام الحنابلة تقي الدين بن تيمية في «الفتاوى الكبرى» و«السياسة الشرعية» وتبعه من جاء بعده من متأخري مذهبه.

وقد رد العلماء قول القرافي لما خالفهم ونفى عنها الإسكار وغلطوه.

قال الزركشي: ولا يعرف في أنها مسكرة خلاف عندنا. انتهى.

وأقر ذلك ابن حجر الهيثمي في «الزواجر» في الكبيرة السبعين بعد المائة في كتاب «الأطعمة».

قال بدر الدين الزركشي في «زهر العريش في تحريم الحشيش»: والذي أجمع عليه الأطباء والعلماء بأحوال النبات أنها مسكرة منهم أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي العشاب ابن البيطار في كتاب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» قال: ومن القنب الهندي نوع ثالث يقال له: القنب ولم أره بغير مصر ويزرع في البساتين وتسمى الحشيشة أيضًا وهو يسكر جدًا إذا تناول منه الإنسان يسيرًا قدر درهم أو درهمين حتى إن من أكثر من تناوله أخرجه إلى حد الرعونة وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وربما قتل.

وقال في علاجه: القيء بسمن وماء ساخن حتى تنقى المعدة وشراب الحماض لهم في غاية النفع. انتهى.

وقال الذهبي في «الكبائر»: هي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظًا ومعنى قال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نضعهما باليمن «البتع» وهو من العسل ينبذ حتى يشتد و«المزر» وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال: وكان رسول الله (ﷺ) قد أُعطيَ جوامع الكلم بخواتيمه فقال (ﷺ): «كل مسكر حرام» رواه مسلم وقال (ﷺ): «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ولم يفرّق (ﷺ) بين نوع ونوع لكونه مأكولًا أو مشروبًا على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب والخمر يشرب ويؤكل والحشيشة تشرب وتؤكل وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام. انتهى.

وقد أفتى من علماء قرننا هذا جهابذة أئمة بأنها مسكرة.

منهم الشيخ المراغي إمام الجامع الأزهر ومنهم الإمام يوسف الدجوي علامة الأزهر ومنهم الإمام حسن البنا.

ومنهم الإمام شيخ الجامع الأزهر محمود شلتوت ومنهم الإمام شيخ الإسلام عبد الحليم محمود.

ومنهم الإمام المتبحر محمد متولي الشعراوي.

ومنهم مفتي الديار المصرية الإمام محمد حسنين مخلوف.

« فصل في ذكر أنه لا فرق بين الإسكار والتخدير من حيث علة التحريم »

وقد احتج قوم من السفلة ورعاع القوم والسوقة على إباحة الحشيش وقالوا إنه يفتر والمفتر من النبات ليس محرمًا.

ورأيت قومًا بصعيد مصر يستحلون أكل جوزة الطيب ويبيعونها في دكاكينهم وهي محرمة باتفاق علماء الأمة لكونها تغيب وتسكر.

والحشاشون من العامة يستحلون الحشيش بزعم أنه ليس فيه صفة إسكار الخمر وإنما هو يعذر ولأجل هذا فهو حلال.

واتفق جمهور العلماء من المذاهب الأربعة على اتحاد العلة فلا فرق بين الإسكار والتخدير وإلا لو كان هناك فرق لأحلوا الحشيش والأفيون.

والحجة في هذا حديث الإمام أحمد الذي رواه في « المسند »: « نهى رسول الله (ﷺ) عن كل مسكر ومفتر ».

فلسان الشارع (ﷺ) قد نهى وحرم المفتر فاتحدت العلة.

فإن الفتور هو السكر والسكر هو الفتور ولا فرق في غرض العلة وإنما حرمت هذه الأشياء لغرض واحد دون تمييز ولا نظر لمن فرق بين السكر والفتور وبين السكر والإفساد فقال: الخمر تسكر والحشيش مفتر أو قال: الخمر تسكر والحشيش يفتر.

ومن العجيب أن بعض الفقهاء كالقرافي قال بحرمة الحشيش ونفى عنه الإسكار ولا حجة لنا إلا حديث أحمد « أنه (ﷺ) نهى من كل مسكر ومفتر ».

والمعني اللغوي للفظ « سكر » غير لفظ « فتر » فإن السكر هو الانبساط والهياج مع الغيبة الكاملة أما الفتور فهو الخمور والسكون مع الغيبة الجزئية. والمعنى الباطن في تحريم الخمر والحشيش اتحاد العلة وإن لم يعط الثاني مثل الأول لكن أخذ شيئًا من علته في إذهاب العقل وإضعافه وإزهاقه ولولا العقل لما قامت الشرائع فإن الشرائع محتاجة لعقول الرجال وسور الشريعة يحميها بتحريم كل ما يحجبها ويغيبها ولو جزئيًا.

« فصل في أن من استحل الحشيش كافر »

وألزمنا الله ورسوله بالتصديق بكل ما جاء في القرآن آية آية فمن جحد شيئًا منه وأنكره مجمعًا على ذلك بقلبه فهو كافر. وبناء عليه فإن الحق قد حرم الخمر في القرآن ونهانا عنها وأمرنا باجتنابها فمن أدمنها واستحل شربها جاحدًا لما جاء في القرآن ومنكرًا له بقلبه فهو كافر زنديق فاجر. وعليه فمن استحل أي فرع مسكر ظهر حديثًا ولم يرد فه أي نص مثل الويسكي والشمبانيا والبيرة والأفيون والحشيش فهو كافر ويضرب بأقوال أئمة المذاهب الأربعة عرض الحائط ويقول: أنا لا أصدق إلا بالقرآن والسنة وهذه الأشياء لم ترد حرمتها في الكتاب والسنة.

وقد نقل عن الإمام ابن تيمية في « الفتاوى الكبرى » أنه قال: من استحلها فقد كفر ـ أي الحشيشة ـ انتهى.

أما من استحلها بهواه غير منكر لحرمتها فلا نكفره ما دام معترفًا ومقرًا بالنصوص الواردة في تحريم المسكر في الكتاب والسنة.

« فصل في اختلاف العلماء في نجاستها »

قال الإمام النووي في « المهذب »: إنها مسكرة وليست بنجسة.

وحكى طهارتها ابن حجر في « الزواجر » مع حرمتها.

وذكر ابن الصلاح في « فوائد رحلته » وعلقه عن رواية صاحب

«التقريب» وجهًا: أن النبات إذا كان سمًا قاتلًا يكون نجسًا وحكى طهارتها شيخ الإسلام ابن دقيق العيد فيما كتبه على فروع ابن الحاجب وحكى الإجماع عليه وقال: والأفيون وهو لبن الخشخاش أقوى فعلًا من الحشيش لأن القليل منه يسكر جدًا وكذا السيكران وجوز الطيب مع أنه طاهر بالإجماع.

قال الزركشي في «زهر العريش في تحريم الحشيش»: لكن القياس في الحشيش الطهارة وليس لنا نبات نجس العين قط إلا النبات الذي يسقى بالنجاسة فإنه نجس العين عند الصيدلاني رحمه الله حتى قالوا في السم الذي هو نبات إنه طاهر مع أنه أشد ضررًا من الحشيش ولا يتجه القول بالتنجيس ولو كانت مسكرة. انتهى.

قال الشافعي في «الأم»: ويحرم ما كان منه سمًا قاتلًا ويدخل في ذلك ما كان نجسًا وما عرفه الناس سمًا يقتل ولا أرخص لأحد في شربه لدواء ولا غيره. انتهى.

وفي كتاب «السياسة الشرعية» لابن تيمية: لما كانت جمادًا وليست شرابًا تنازع الفقهاء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره فقيل نجسة وهو الصحيح. انتهى.

«فصل هل يجب فيها الحد»

قال الماوردي في «الحاوي»: إن النبات الذي فيه شدة مطربة يجب فيه الحد. انتهى.

وفي كتاب «السياسة الشرعية» لابن تيمية: أن الحد واجب في الحشيشة كالخمر. انتهى.

وفي «الزواجر» لابن حجر: والجاهل إذا كان لجهله عذر وبعد أن يطلع على ما ذكرناه عن العلماء من حرمتها متى زعم حلها أو عدم تخديرها وإسكارها يعزر التعزير البليغ الزاجر له ولأمثاله بل قال ابن تيمية وأقره أهل

مذهبه: من زعم حل الحشيشة فقد كفر فليحذر الإنسان من الوقوع في هذه الورطة عن أئمة المذهب المعظم. انتهى.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في «القواعد»: فإن قيل هل يجب الحد إذا زال العقل بغير مسكر كالبنج وغيره.

والجواب: إن إفساد العقل بذلك في غاية الندور إذ ليس فيه تفريح ولا إطراب يحثان على تعاطيه بخلاف الخمر والنبيذ فإن ما فيها من التفريح والإطراب حاث على شربها فغلبت لذلك مفسدتهما فوجب الحد لغلبة المفسدة ولم يجب الحد في البنج ونحوه لندور الإفساد به. انتهى.

وقال القرافي: اتفق فقهاء العصر على المنع منها واختلفوا في الواجب فيها: الحد أو التعزير بناء على أنها مفسدة للعقل ومسكرة. انتهى.

ونقل النووي عن الروياني في «شرح المهذب»: النبات الذي يسكر وليس فيه شدة مطربة يحرم أكله ولا حد على آكله. انتهى.

وقد أفتى علماء هذا القرن:

«منهم»: شيخ الإسلام الإمام يوسف الدجوي.

«ومنهم»: الإمام المفسر محمد متولي الشعراوي بوجود إعدام تاجر المخدرات الذي يبيع الكوكايين والهيروين والأفيون والحشيش للشعب ولهم الحق في ذلك.

«فصل هل تبطل الصلاة بحمل الحشيش»

قال القرافي رحمه الله: سئل بعض فقهاء العصر عمن صلى والحشيشة معه هل تبطل صلاته فأجاب: إن صلى بها قبل أن تحمص أو تصلق صحت صلاته أو بعد ذلك بطلت لأنها إنما تغيب العقل بعد الحميص أو الصلق أما قبله فهو ورق أخضر بل هي كالعصير للعنب وتحميصها كغليانه. انتهى.

وقال جماعة من الفقهاء: تصح بها الصلاة مطلقًا كالبنج ولا تبطل الصلاة.

«فصل في أن تناول القليل من الحشيش حرام مثل كثيره»

قال الزركشي في «زهر العريش في تحريم الحشيش»: لا يجوز تناول شيء من الحشيش لا قليل ولا كثير وهو أشد ضررًا من الخمر. انتهى.

وقال النووي في «شرح المهذب»: لا يحرم أكل القليل من الذي لا يسكر من الحشيش بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر والفرق أن الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليل النجاسة. انتهى.

وكلام «التنبيه» يفهم جواز أكل قليل الحشيش فإنه قال: كل طاهر لا ضرر في أكله يحل أكله وقليلها طاهر لا ضرر في أكله ولذلك صرح القرافي رحمه الله فقال: إنه يجوز تناول اليسير منها كل ذلك بناء على اعتقاده أنها ليست بمسكرة. قال الزركشي في «زهر العريش»: أما الشيخ محيي الدين - يقصد النووي في «المهذب» - وغيره ممن يعتقد أنها مسكرة فلا يحسن منه إطلاق تجويز القليل وقد صح الحديث الصحيح: «ما أسكر كثيره فقليله حرام». انتهى.

وخلاصة أقوال علماء زماننا في هذا القرن: أن كثيرها مثل قليلها في تناولها لكون الدافع الذي دفع من يتناول القليل يدفعه على تناول الكثير وبهذا يقع في الحرمة فالواجب قطع دابر إبليس بقطع جذر الشبهة وتحريم الكثير والقليل سواء بسواء.

«فصل في تحريم إطعام الحشيش للحيوان»

قال ابن حجر الهيثمي في «الزواجر»: ويحرم إطعام الحشيشة الحيوان أيضًا لأن إسكاره حرام أيضًا أيضًا.

قال الزركشي في «زهر العريش»: يحرم إطعامها الحيوان كما يحرم إسكاره وقد قيل: إنها لا تأكلها. انتهى.

«فصل في بيان جواز استخدام المخدرات في تراكيب الأدوية»

اعلم أن معظم الأدوية الحديثة يدخل في تركيبها المخدرات كالأفيون والهيروين بنسب ضئيلة هذا يجوز بمعرفة أُولي الأمر وعلماء الصيدلة وأرباب هذا الفن أما من تناول المخدر والمسكر بزعم نفسه فقد وقع في المحرم وعلم تركيب الأدوية بالنسب الضئيلة الحسابية لم يدع الفرصة لمن يطلب الخمر في حالتها الصرفة ولمن يطلب الأفيون في حالته الصرفة بل مزج الكيماويات بالمخدر يضيع مزاجه المسكر المخدر ويجعل الدواء أقوى ممن يطلب المادة في حالتها المخدرة الصرفة.

قال الزركشي في: «زهر العريش»: يجوز بيع اليسير من الحشيش لأنها تنفع في الأدوية كالسقمونيا والأفيون بشرط أن يكون يسيرًا نعم بيعها لمن يتحقق منه تعاطيها حرام كما في بيع العنب لعاصر الخمر. انتهى.

«فصل في حكم زراعة المخدرات»

يجوز لولاة الأمر زرع المخدرات في حالة استخدام شركات الأدوية لها لتركيبها في الأدوية ولا يجوز لأي مخلوق آخر أن يزرعها ولا يجوز للحاكم زراعتها في أي شأن آخر. وقد أفتى ابن تيمية بتحريم زراعة العنب الذي لا يتزبب ولا يمكن أن يجيء إلا خمرًا ببعض نواحي الشام.

قال بدر الدين الزركشي في «زهر العريش في تحريم الحشيش»: زراعتها - أي الحشيشة - لغرض الاستعمال والإسكار حرام ويجوز لغرض التداوي. انتهى.

وفي الديار المصرية وسائر البلاد الإسلامية يحرم زرع الفلاحين والزراع للحشيش والأفيون.

«فصل في أنه يجب على الحاكم إعدام تاجر المخدرات»

ولما كانت المخدرات الخطيرة الشأن لا سيما الهيروين والكوكايين تحطم

المجتمع وتزهق أرواح العباد وتضيع الأموال فإنه يجوز للمجتهد في هذا العصر أن يفتي بإعدام من يتاجر في المخدرات ويقتل بها آلاف الخلق. وقد أفتى بهذا كثير من علماء الأمة الحاليين لما تفشّى انتشار المخدرات في المجتمع وفي مصلحة كثير من أعداء الدين إدخال السموم المخدرة إلى هذه الديار لا سيما اليهود وهؤلاء التجار تجار المخدرات هم أعوانهم في نشر الذعر في المجتمع الإسلامي وخلق الفتن الاقتصادية والبدنية والنفسية عند المسلمين لا سيما طائفة الشباب.

فإن أعداء الأمة الإسلامية لا يفرحهم شيء مثل ضعف العقول وذهاب الألباب بهذه العلل المستوردة إلى بلادنا.

« فصل في براءة السادة الصوفية من تناول الحشيش »

اعلم أن السادة الصوفية أعلم الخلق بمبادئ الحلال والحرام وهم سادة الورع والزهد وقد رأيت الشيخ ابن تيمية جعلهم في كتابه « الفتاوى الكبرى » هم أهل الحشيش وأن الشيخ يأمر المريد بتناول الحشيش حتى يصل إلى نشوة الذكر وهذا وهم منه فإن الصوفية الأوائل أمثال الحارث المحاسبي وسري السقطي والجنيد والشيخ عبد القادر الجيلاني ومعروف الكرخي وبشر الحافي كانوا أقطاب عصرهم في الورع والزهد وأكل الحلال وكفى شرفًا للصوفية أن الشيخ عبد القادر الجيلاني مكث دهرًا طويلًا في البادية يأكل ورق الخس من مواضع القمامة ويتقوت على خرنوب الشوك لما انعدم الحلال.

وورد في مناقب بشر الحافي أنه قال: نفسي تطالبني أن أغمس جزرة في العسل من أربعين سنة وأنا أمنعها.

فمن نظر إلى هؤلاء السادة وهم يدققون فيما أحل الله فكيف يقعون فيما حرم.

وأخبار الحارث المحاسبي معلومة عند الخاص والعام في الورع والزهد وإنما

سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه كل يوم حسابًا شاقًا على ما عمله في ذلك اليوم.

فماذا تظن في قوم هذه خصالهم. وهذه خلالهم. يعيش الواحد منهم طوال عمره ما عرف الحرام. وما عرفه الحرام.

وقد ذكر الشعراني في «المنن الكبرى» قبائح الحشيش وعدد مضاره الكلية وأجاد أيما إجادة.

أما أدعياء التصوف فليسوا هم الصوفية الحقيقيين وليفعلوا ما شاءوا بعيدًا عن التصوف ورجاله الأنقياء الأتقياء.

وإنما رجال التصوف الأصليون هم الرجال الواردون في «حلية الأولياء» لأبي نعيم. فمن أراد أن يعرف حقائق رجالات القوم فليطالع «حلية الأولياء» لأبي نعيم ثم ليحكم على ماهية الصوفية وجوهره وكنوزه والسلام.

★ ★ ★

مصنفات

الشيخ محيي الدين الطعمي

بسم الله وسلام على عباده الذين اصطفى:

قال الشيخ محيي الدين الطعمي: هذا فهرست قد صنفته بأسماء مصنفاتي قد وضعته ولما أبلغ الثلاثين من عمري. وإني قد أجزت كل المسلمين برواية كتبي وقراءتها وطبعها وما أشكل عليهم في علم الحقائق فلا يقرأوه أو يسلموا به.

١ ـ كتاب تكملة الفتوحات المكية.

٢ ـ معجم كرامات الصحابة.

٣ ـ معجم شطحات الصوفية المسمى (طبقات أهل الشطح).

٤ ـ طبقات الأوتاد.

٥ ـ كتاب الإصابة في تمييز رجال معجم كرامات الصحابة.

٦ ـ طبقات الأقطاب.

٧ ـ طبقات الأبدال.

٨ ـ طبقات الخضريين المسمى (الجواهر فيمن رأى الخضر من الأكابر).

٩ ـ طبقات الصحابة الذين شهد لهم النبي (ﷺ) أنهم نالوا ثواب مقام النبوة.

١٠ ـ طبقات من ادعى الختمية المطلقة ولم يحظ بها.

١١ ـ طبقات الأقطاب الذين تركوا التصرف في الوجود.

١٢ ـ طبقات أقطاب الظاهر والباطن.

١٣ ـ كتاب أطباق المرمر المطعمة في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة.

١٤ ـ ديوان نوح العندليب من هجر الحبيب.

١٥ ـ ديوان عروج الأشباح إلى منازل الأرواح.

١٦ ـ قانون الحب الإلهي.

١٧ ـ قانون اللذة.

١٨ ـ قانون الجمال الإلهي.

١٩ ـ قانون الكمال المطلق.

٢٠ ـ قانون الفناء والبقاء.

٢١ ـ قانون المشيئة الإلهية.

٢٢ ـ قانون الاصطفاء الإلهي.

٢٣ ـ قانون القهر الإلهي.

٢٤ ـ قانون تداخل المقامات.

٢٥ ـ قانون ترك المقامات.

٢٦ ـ قانون اختلاف الصحابة.

٢٧ ـ قانون المبتدأ والخبر الجامع لأسرار تأديب الشيخ بالإشارة والنظر.

٢٨ ـ كتاب تأويل قانون وحدة الوجود.

٢٩ ـ كتاب انتصارات الحكومة المصرية المسمى (الفضائل الباهرة في محاسن بنت المعز القاهرة) في فن التاريخ.

٣٠ ـ الرسالة البديعة في علم الحروف المسماة «الأنفاس اللطيفة المنبعثة على حروف السور الشريفة».

٣١ ـ كتاب الناموس الأعظم.

٣٣ ـ كتاب ثمن الصدق.

٣٤ ـ كتاب محاكمة العساكر الإلهية لتقي الدين بن تيمية.

٣٥ ـ كتاب أصناف اللحية.

٣٦ ـ كتاب الإبانة عن الكنوز المدفونة في سنن ابن ماجة.

٣٧ ـ كتاب شرح شطحات أبي يزيد البطامس.

٣٨ ـ كتاب اللوح المحفوظ.

٣٩ ـ كتاب إتحاف أذكياء البشر بفضائل صوفية القرن الخامس عشر.

٤٠ ـ رسالة فناء العاشق في المعشوق.

٤١ ـ كتاب أنس الموحدين برب العالمين.

٤٢ ـ كتاب ما يخالف المريد فيه شيخه.

٤٣ ـ كتاب تعلق روحانية الشيخ بروحانية المريد.

٤٤ ـ كتاب أسرار تعطيل الشريعة.

٤٥ ـ كتاب فناء اليقين.

٤٦ ـ كتاب أسرار خاتم الأولياء.

٤٧ ـ كتاب رد بعض الوفاء بذكر قطرة من أفرار خاتم الأولياء.

٤٨ ـ كتاب المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء.

٤٩ ـ كتاب صهاريج اللؤلؤ الجامع لكرامات الشيخ الأكبر مولانا أحمد التجاني قدس سره.

٥٠ ـ كتاب مغناطيس القلوب.

٥١ ـ كتاب طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية.

٥٢ ـ كتاب فناء اللوح والقلم في شرح فصوص الحكم (وهو شرح كتاب الفصوص للشيخ الأكبر).

٥٣ ـ كتاب السر الموقر الذي بيني وبين الشيخ الأكبر.

٥٤ ـ كتاب العارف المحض.

٥٥ ـ كتاب هدهد سليمان.

٥٦ ـ كتاب خاتم سليمان.

٥٧ ـ كتاب عصا موسى.

٥٨ ـ كتاب روح وريحان.

٥٩ ـ كتاب النكاح المطلق.

٦٠ ـ كتاب المسائل الخضرية.

٦١ ـ كتاب المضنون به على من لا يستحقه.

٦٢ ـ كتاب جنون الموحدين.

٦٣ ـ كتاب نسيان المحبة من ازدياد القربة.

٦٤ ـ كتاب مقام الصحابة.

٦٥ ـ كتاب ضعف الهيكل الآدمي.

٦٦ ـ كتاب هوان أهل البدايات.

٦٧ ـ كتاب عروس القيامة.

٦٨ ـ كتاب شرف الخرقة.

٦٩ كتاب الرحيق في أسرار مقام أبي بكر صديق.

٧٠ ـ كتاب الاعتبار بذكر الجنة والنار.

٧١ ـ كتاب التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين

٧٢ ـ كتاب وصف جهنم والزبانية بالقرآن والسنة المحمدية.

٧٣ ـ كتاب تحذير الرجال من فضائح المسيح الدجال.

٧٤ ـ كتاب اللؤلؤ المنثور في أحوال الموتى وأهل القبور.

٧٥ ـ كتاب فاكهة العريش في تحريم الحشيش.

٧٦ ـ كتاب غصن الكمثرى في ذكر بعض أسرار أدعية المصطفى (ﷺ).

٧٧ ـ كتاب مغازلة الحور في شرح هياكل النور.

٧٨ ـ كتاب الحديقة الفيحاء في نوادر النساء.

٧٩ ـ كتاب اللوح والقرطاس في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس.

٨٠ ـ كتاب عناقيد العنب في نوادر أشعب.

٨١ ـ كتاب العقد الفريد في معرفة أولياء الصعيد.

٨٢ ـ كتاب تسلية العشاق في معرفة طبقات أولياء العراق.

٨٣ ـ كتاب الموطا الجامع لأولياء طنطا.

٨٤ ـ كتاب الناموس الجامع لأولياء الروس.

٨٥ ـ طبقات النساء المتصوفات.

٨٦ ـ الطبقات الوسطى.

٨٧ ـ الطبقات الصغرى.

٨٨ ـ كتاب المراشف الخمرية اللاعقة لرضاب التائية.

٨٩ ـ كتاب سر إيمان الحق تعالى بنفسه.

٩٠ ـ كتاب سدرة المنتهى في شرح أسماء الله الحسنى.

٩١ ـ كتاب غاية المأمول في شرح كتاب النزول لأبي الحسن الدارقطني.

٩٢ ـ طبقات أهل البيت.

٩٣ ـ كتاب إحياء الخرقة الصوفية وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية.

٩٤ ـ مقدمة الطبقات الكبرى.

٩٥ ـ كتاب ديوان أولياء الأمة المحمدية الجامع لفهارس ومختصرات الكتب التي ترجمت للصوفية.

٩٦ ـ كتاب معالم التقديس في تحريم الاختلاط والازدحام في الأتوبس.

٩٧ ـ كتاب كشف الحجاب عن أسرار أم الكتاب.

٩٨ ـ كتاب فك الرموز والإشارات الغامضة في كتاب المخاطبات.

٩٩ ـ كتاب الكناش الصغير المسمى خزانة الأسرار.

١٠٠ ـ كتاب تهذيب الطبقات الكبرى للشعراني.

١٠١ ـ كتاب الكبريت الأحمر في مناقب الشيخ الأكبر وهو في مناقب سيدي محيي الدين بن عربي.

١٠٢ ـ كتاب فضل الشيخ على المريد.

١٠٣ ـ كتاب إحياء المناسبات لتشريف لابس المرقعات.

١٠٤ ـ كتاب اللؤلؤ والمرجان في فضل الزمن المحمدي على سائر الأزمان.

١٠٥ ـ كتاب رفع الملامة عن قتال الحق عز وجل عن المكانة.

١٠٦ ـ كتاب الأمجاد الحافلة بذكر بعض أسرار الغيرة الإلهية القاتلة.

١٠٧ ـ كتاب رداء الكبرياء.

١٠٨ ـ كتاب أسرار تنافر الأولياء.

١٠٩ ـ كتاب فضل أبي القاسم الجنيد على من بعده من الصوفية.

١١٠ ـ كتاب الفتوحات القاهرية من شرح كتاب سر المعية.

١١١ ـ كتاب صفة الديوان.

١١٢ ـ كتاب النور القدسي والجمال الأنسي في شرح آية الكرسي.

١١٣ ـ رسالة ماء الذهب في أوصاف النبي (ﷺ).

١١٤ ـ كتاب كنوز الذهب وقانون بلاغة العرب في فن البلاغة.

١١٥ ـ كتاب الحديقة الزوراء في فضائل عاشوراء.

١١٦ ـ كتاب جنة مأوى.

١١٧ ـ كتاب جنة عدن.

١١٨ ـ كتاب جنة الخلد.

١١٩ ـ كتاب جنة الفردوس.

١٢٠ ـ كتاب جنة القرار.

١٢١ ـ كتاب جنة النعيم.

١٢٢ ـ كتاب جنة البقاء.

١٢٣ ـ كتاب الثغر البديع في فضل الصلاة على الشفيع.

١٢٤ ـ كتاب الطبقات الكبرى.

١٢٥ ـ كتاب مقاومة الشهوة الجنسية بالقرآن والسنة المحمدية.

١٢٦ ـ كتاب عقيدة الشيخ محي الدين الطعمي.

تمّ

بعون الله تعالى

المجلد الأول من كتاب «إحياء علوم الصوفية»

ويليه

إنشاء الله

المجلد الثاني وأوله: «كتاب شرح هياكل النور للسهروردي»

محتويات المجلد الأول من
كتاب «إحياء علوم الصوفية»

